

مَجْمُوعَةٌ
رُسُلُ الْفَلَسَفَةِ
لِحَكِيمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ الرَّافِعِيِّ

مَجْدُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٥٠

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُنْقَحَةٌ
وَمُعَلَّقٌ عَلَيْهَا

دَارُ الرِّضَا وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ
بَبْرُوت - لُبْنَانُ



مَجْمُوعَةُ مَسَائِلِ الْفَلَسَفِيَّةِ

لِلدُّرَّةِ الْفَلَسَفِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ رَسَائِلِ فَلَاسِفِيَّةٍ

لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْزَانِيِّ

مَجْدُّدُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٥٠

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُنْقَحَةٌ
وَمُعَلَّقٌ عَلَيْهَا

دار احياء التراث العربى

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

ببيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٢ ص.ب: ٧٩٥٧/١١
Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

صدر الدين الشيرازي^(١)

محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي، الملقب بـ «صدر الدين»، والمعروف في لسان العامة بـ «ملاً صَدرًا»، وعند أبناء مدرسته بـ «الآخوند» و«صدر المتألهين»، لا نرى في شيء من ذلك خلافاً بين أصحاب ترجمته.

وأما أبوه «إبراهيم» فغاية ما نعرف عنه أنه كان من الوزراء ولم يولد له ذكرٌ، فالزَمَ نفسه بالنذر أن يُنفق لله مالاً خطيراً على الفقراء؛ حتى يولد له ذكر صالح موحد، فانعقد النذرُ وأعطاه الله ولده هذا صدر الدين^(٢).

ونسبة «القوامي» لعلها لأجل أنه كان من سلالة الوزير المعروف قوام الدين الحَسَن الشيرازي أو الوزير الآخر قوام الدين محمد، المعاصرين للمحافظ الشيرازي الشاعر الإيراني الشهير في القرن الثامن الهجري^(٣).

وينبغي ههنا أن أشير إلى أن لصاحبنا الصدر الشيرازي سمياً يوافقه في اسم الأب واللقب أيضاً؛ كما يُشبهه في بعض معالمه الثقافية؛ وهو صدر الدين الكبير

(١) ينظر في ترجمته سلافة العصر ص ٤٩٩؛ أمل الآمل ٢/٢٣٣؛ رياض العلماء ٥/١٥؛ لؤلؤة البحرين ص ١٣١؛ روضات الجنات ٤/١١٧؛ بهجة الآمال ٦/٢١٧؛ الكشكول للهيدي ص ٩٤؛ معجم المطبوعات ٢/١١٧٣؛ معجم الفلاسفة ص ٣٧٨؛ فلاسفة الشيعة ص ٣٨٦؛ الأعلام ٥/٣٠٣؛ معجم المؤلفين ٨/٢٠٣.

وبالفارسية: ذيل تاريخ عالم آراي عباسي ص ٢٩٩؛ تاريخ روضة الصفاي ناصري ٨/٥٨٤؛ فارسنامه ناصري ص ٢/١١٤٤؛ قصص العلماء ص ٣٢٩-٣٣٣؛ الفوائد الرضوية ص ٣٧٨.

(٢) قصص العلماء ص ٣٢٩؛ الكشكول للهيدي ص ٩.

(٣) فارسنامه ناصري ٢/١١٤٥؛ دانشمندان وسخن سرايان فارس ٣/٤٣٨. وهناك شك في نسبة صدر الدين إلى قوام الدين الوزير رأساً؛ نقله الزنجابي في الفيلسوف الفارسي الكبير ص ٧.

محمد بن إبراهيم الشيرازي^(١) المتوفى سنة ٩٠٣هـ، وقد التبس أمره لدى بعض الباحثين مع أنه يتميز عن صاحب الترجمة باسم الجدّ وتوصيف لقبه بالكبير.

مولده

ليس في أي مصدر من مصادر ترجمة الصدر الشيرازي ما يحدّد سنة ميلاده أو مدّة عمره تحديداً صريحاً، وقد وُجِدَت عبارة بحاشية غير واحد من كتبه - ولعلها من نفس صدر الدين - يمكن بها تقديرُ السنة التي وُلِدَ فيها، وكُتِبَت العبارة عندما يرى المؤلف وصوله إلى تحقيق مسألة اتحاد العاقل والمعقول من الإفاضات الإلهية، وهي: وكان تاريخ هذه الإفاضة ضحوة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى؛ لعام سبع وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية، وقد مضى من عمر المؤلف ثمان وخمسون سنة^(٢).

وعلى هذا فتاريخ ولادة الصدر الشيرازي هي سنة ٩٧٩هـ.

وأما مكان ولادته فمدينة شيراز بالاتفاق.

حياته:

لا نعرف شيئاً من حياة صدر الدين في حداثته حين كان بشيراز؛ غير أن من الطبيعي أن يكون قد اكتسب في مسقط رأسه بعض المراتب العلمية؛ لكي يستعد بذلك للرحيل إلى أصفهان دار العلم والسلطنة آنذاك، فقد رحل بعد وفاة أبيه إلى هناك؛ وفيها حضر دروس كبار أئمة العلم والحكمة في عصره كالشيخ البهائي والسيد الداماد، فقرأ عليهم علوم المنقول والمعقول وبلغ منها ما بلغ

(١) له ترجمة في الأعلام ٣٠١/٥؛ ومعجم المؤلفين ٢١٥/٨.

(٢) وُجِدَت العبارة بهامش نسخ من كتاب الأسفار؛ ومنها النسخة التي كتبها ابن المؤلف قوام الدين أحمد؛ وبهامش مخطوطة من المشاعر، ونسخة من كتاب المبدأ والمعاد، وتوجد أيضاً في حاشية كتاب المشاعر المطبوع بإيران على الحجر سنة ١٣١٥هـ ص ٧٧.

ينظر ذلك كله في: شرح حال صدر المتألهين شيرازي ص ١؛ شرح حال وآراء فلسفي ملا صدرا ص ١-٢؛ منتخباتي از آثار حکمای إلهي إيران ١٨٨/١ (تعليقة)؛ دروس اتحاد عاقل به معقول ١٠٧ و١٠٨؛ مقدمة المظاهر الإلهية ص ٩، مقدمة رسالة سه أصل ص ٢ (تعليقة)؛ تقديم السيد حسين نصر لكتاب المبدأ والمعاد ص ٧ (تعليقة).

ووصل إلى ما وصل، ثم غادر أصفهان إلى ناحية في حوالي مدينة قم واختار العزلة والانزواء واشتغل بالعبادة والرياضة النفسية^(١).

قال المحدث القمي حسيماً سمع عن مشايخه: التجأ صدر الدين إلى قرية من قرى قم؛ بينها وبين قم أربعة فراسخ، تُسمى القرية بـ «كَهَك»، وكان إذا أشكل عليه بعضُ المطالب العلمية يتشرف بزيارة السيدة الجليلة فاطمة بنت موسى بن جعفر سلام الله عليها في قم، فيفاض عليه في حرماً كيفية حل ذلك الإشكال^(٢).

ونُقلت أيضاً عبارة عن الصدر الشيرازي نفسه في حاشية نسخة الأسفار؛ في فصل اتحاد العاقل والمعقول؛ هي هذه: كنتُ حين تسويدي هذا المقام بَكَهَك من قرى قم، فجنثُ إلى قم زائراً لبنت موسى بن جعفر عليه السلام مستمداً منها، وكان يوم الجمعة، فانكشف لي هذا الأمر بعون الله تعالى^(٣).

وجاء في ذيل عالم آرای عباسي أنه كان قد سكن عدة سنوات بقم مشغلاً بالعبادة والإفادة؛ حتى برز وصنف في أكثر العلوم العقلية والنقلية، وصار أوجد علماء دهره وأشهرهم، وقد فرغ في هذه الأحيان الله ويزيدخان والي فارس من بناء مدرسته^(٤) في شیراز، ففتح أبوابها على صدر الدين، وعاد هو إلى وطنه وأصبح مدرساً في تلك المدرسة^(٥).

وقال صاحب روضة الصفا: كان الله ويزيدخان قد طلب إلى صدر الدين أن يعقد في مدرسته التي بناها هناك مجالس للتدريس والإفادة، وقيل هو ذلك بإشارة سلطان وقته الشاه عباس الثاني فقصد إلى شیراز، وتصدّر بتلك المدرسة مشغلاً ببسط العلم والتحقيق^(٦).

(١) قصص العلماء ص ٣٢٩؛ فارسنامه ناصري ١١٤٤/٢؛ بهجة الآمال ٢١٧/٦؛ الكشكول للهيديج ص ٩٥.

(٢) الفوائد الرضوية ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٣) سفينة البحار في الحاشية ١٧/٢؛ دروس اتحاد عاقل به معقول ص ١٠٨.

(٤) تُعرف تلك المدرسة بـ «مدرسة خان»، ينظر الحديث عنها في فارسنامه ناصري ٤٦١/١ و ١٢٢١/٢؛ وآثار عجم ص ٤٩٥.

(٥) ذيل تاريخ عالم آرای عباسي ص ٢٩٩.

(٦) تاريخ روضة الصفاي ناصري ٥٨٤/٨.

وفاته :

إن أقرب مصدر تاريخي إلى زمن صدر الدين الشيرازي ذُكر سنة وفاته على التقريب هو كتاب سلافة العصر للسيد علي خان المدني، فقد جاء فيه : توفي في العشر الخامس من هذه المائة^(١)، يعني المائة الحادية عشرة، وهذا مما وافقه عليه جماعة من مترجمي الصدر الشيرازي حيث نقلوا عبارته أو ذكروه وأشاروا إليه^(٢).

وقد عثر بعض المحققين من المعاصرين على مجموعتين من المواليد والوفيات تختص بأسرة الفيض الكاشاني؛ إحداهما لابنه علم الهدى والأخرى لابن علم الهدى محمد محسن، وكل منهما صرّح في مجموعته بأن صدر الدين الشيرازي قد توفي سنة ١٠٤٥هـ^(٣).

ومع ذلك كله نرى السيد عبد الحسين الخاتون آبادي يقرّر لأول مرة أنه توفي سنة ١٠٥٠هـ^(٤)، ويتناقل هذا أكثر المؤرخين من بعده.

وأما محلّ وفاته وموقعيّته عند الوفاة فقد أجمعت المصادر على أنه توفي بالبصرة في سفره للحج، والأكثرون على أنه كان متوجّهاً إلى الحج^(٥)، وقال صاحب قصص العلماء: تشرف بحج بيت الله الحرام سبع مرات، وتوفي بالبصرة حين عودته من الحج في المرة الأخيرة^(٦).

(١) سلافة العصر ص ٤٩٩.

(٢) أمل الآمل ٢/٢٣٣؛ رياض العلماء ١٥/٥؛ كشف الحجب ص ١٧٨؛ الروضات ٤/١١٧؛ فارسانه ناصري ٢/١١٤٥.

(٣) المجموعة الأولى وقف عليها المرحوم السيد المرعشي النجفي، وأفاد منها كثيراً في مقدمته لكتاب معادن الحكمة، وذكر التاريخ في ص ١١ من المقدمة، والمجموعة اليوم في مكتبته العامة ولكنها لم تفهرس بعد ولذلك يتعذر الوصول إليها. والمجموعة الثانية أخبرني بها المحقق مصطفى الفيضي الكاشاني، وهي اليوم مفقودة.

وقد استنبط السيد الآشتياني في تعليقه كتابه بالفارسية: منتخباتي از آثار حكماي الهي ايران ٩٨/١ من نهاية كتاب المسائل القدسية للصدر الشيرازي أن تاريخ تأليفه سنة ١٠٤٩هـ، وهو كما ترى مخالف لما حققناه في تاريخ وفاة الشيرازي.

(٤) وقائع السنين والأعوام ص ٥١٤.

(٥) سلافة العصر ص ٤٩٩؛ لؤلؤة البحرين ص ١٣١-١٣٢؛ الكنى ٢/٤١٠؛ وغير ذلك.

(٦) قصص العلماء ص ٣٢٩؛ هدية العارفين ٢/٢٧٩؛ الكشكول للهيديجي ص ٩٥، ونُقل أنه كان في جمع أسفاره إلى الحج راجلاً، ينظر الكشكول المذكور آنفاً، وشمس التواريخ ص ٢٩، والفوائد

ورثاه تلميذه عبد الرزاق اللاهيجي بقصيدة بالفارسية؛ منها هذه الأبيات:

دل بارها شکست مرا از فلک ولی این دل شکستگیست که سر بار بارهاست
بر جانم از مصیبت استاذ من رسید دردی که بر دل علی از فقد مصطفاست
خالی نبودم از چه دمی از مصیبتی آنها جدا و این غم دندان شکن جداست^(۱)

مدفنه:

وقد جاء في نهاية هذه القصيدة التي أنشأها اللاهيجي في رثاء أستاذه أبيات تدل بصراحته على أن صدر الدين الشيرازي مدفون بالنجف؛ يقول:

در راه کعبه مرده وآسوده در نجف ای من فدای خاک تو این مرتبت کراست؟^(۲)
يعني: مات في طريق الكعبة وارتاحت نفسه بالنجف، يا مَنْ نفسي فداءً
لتربته، لِمَنْ هذه المنزلة؟

وذكر عدة من الباحثين المحدثين كالمحدث القمي وغيره أنه دُفن في نفس البصرة التي توفي بها^(۳)، واشتهر ذلك بين العلماء من بعدهم والمعاصرين.

أبنائه:

نعرف لصدر الدين الشيرازي ثلاثة أبناء، أشهرهم إبراهيم، وقد حدث عنه أكثر من ترجم لأبيه صدر الدين، وكان فاضلاً في كثير من العلوم وخصوصاً في العقلية والرياضيات، قرأ على جماعة منهم والده، وقد حكوا أنه لم يسلك مسلك والده وكان على ضد طريقته في التصوف والحكمة، وله مؤلفات في الفقه والكلال والفلسفة، توفي بشيراز في عشر السبعين بعد الألف^(۴).

= الرضوية ص ٣٨٠، وريحانة الأدب ٤١٩/٣.

(١) ديوان فياض لاهيجي ص ١٢٠.

(٢) ديوان فياض لاهيجي ص ١٢٢.

(٣) الفوائد الرضوية ص ٣٨٠؛ هدية الأحباب ص ١٨٦؛ ريحانة الأدب ٤٢٠/٣؛ شرح حال صدر المتألهين شيرازي ص ٤.

(٤) تنظر ترجمته في زهر الربيع ص ١٨٠؛ رياض العلماء ٢٦/١؛ ولؤلؤ البحرين ص ١٣٢؛ وتنميم الأمل ص ٥١؛ وقصص العلماء ص ٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٣.

وابنه الثاني أحمد نظام الدين، وقد ذكره صاحب الرياض؛ وقال: فاضل^(١).
وثالثهم محمد رضا، قال في تميم الأمل: كان فاضلاً فحلاً وعالمًا جزلاً،
كلُّ مَنْ لقيته ممن لقيه يمدحه ويقرظه ويشني عليه بالفضل، خصوصاً في العربية
والتسلط التام في تدريس الكشاف^(٢).

ثقافته وثناء العلماء عليه:

لم يسع أحداً أن ينكر ما بلغ صدر الدين الشيرازي من ثقافة عقلية واسعة؛
حكمية وعرفانية، فلقد اعترف بذلك كل عدو وصديق، بل أشادوا مضافاً إلى ذلك
بتفنه في سائر العلوم وزهده وتقاه وبيانه السهل الراقي في التأليف، مما يبدو معه
صاحبنا الصدر الشيرازي ذا ثقافة متنوعة متعددة الجوانب.

ومن الواضح لكل من ألم بشيء من حياة صدر الدين أن اعترافهم ذلك لن
يعود أبداً إلى ثناء معاصريه عليه أو شهرته في عصره ونحو ذلك من العلل
والأسباب التي تلعب دوراً ظاهراً في تعريف شخصيات كثير من العلماء، فقد
خاصمه غير واحد من معاصريه ومن بعده وشنعوا عليه وكفروا مما يغني اشتهاؤه
عن البيان^(٣)، وذلك مما يسدُّ باب أي إقرار بتثقفه الحكمي والعرفاني فضلاً عن
استيعابه لسائر الأمور التي أشرنا إليها.

وإنما مؤلفاته الغزيرة القيمة هي التي حالت دون الإنكار لثقافته الممتازة،
وهي وإن كانت تدور جميعاً حول مباحث الحكمة والعرفان ولكنها تتلون بألوان
مختلفة من العلوم عدا هذين العلمين؛ كالتفسير والحديث والرجال والكلال والعقائد
والمنطق، وتدلُّ بلا نزاع على إحاطته الشاملة وإطلاعه الوافر في العلوم كلها؛ كما
تدلُّ على روعة بيانه وسلاسة قلمه؛ على الرغم من صعوبة القواعد قارئ الفلسفة

(١) رياض العلماء ٢٧/١، وينظر أيضاً الكشكول للبحراني ٢٩٨/١، ولقبه السيد الرفيعي في شرح حال
صدر المتألهين شيرازي ص ١ و ٤ ب «قوام الدين».

(٢) تميم أمل الأمل ص ١٥٣، وينظر أيضاً فهرست نگارشهای صدرای شیرازی ص ١٢٠.

(٣) ينظر شيء من ذلك في زهر الربيع ص ١٨٠؛ ورياض العلماء ١/ ٢٦-٢٧؛ وقصص العلماء ص ٧١
و ٣٣١ و ٣٣٤؛ والروضات ٤/ ١١٨؛ والمستدرک ٣/ ٤٢٢ وما بعدها، ومواضع كثيرة من كتاب
البعث والنشور؛ منها ص ٤٧ و ٢٣٣ وما بعدهما.

وما توجب لكل قارىء من تعب وعناء .

وقد وقف العلماء أخيراً على بعض الآراء له في الفقه^(١) يمثل ذلك بوضوح .

هذا وقد كان صدر الدين الشيرازي صاحب مدرسة جديدة أسسها؛ تبتني على الجمع بين المشائية والإشراقية والإسلام، وأبدع فيها ضرورياً من الآراء والنظريات ربما تخالف بظواهرها أحكام الشرع وعقائد الدين؛ الأمر الذي جلب أنظار العلماء منذ تكوينها إلى شخصيته الفلسفية والعرفانية، فانتصر له أصحاب مدرسته وحاولوا تعظيم فكره الفلسفي، بينما اكتنفه وإياهم جميعاً تيار عام يدفع الجماعة إلى دحض معتقداته وكتبه ويوقفهم منه موقف الرد والرفض .

وذلك كله مما جعل صدر الدين حين حياته وما بعده مشاراً إليه بالبنان لدى الناس عامة؛ بل سرى ذلك إلى كل من احتذى حذوه أو تابعه في شيء من آرائه .

ونحن بعد أن ألقينا النظر على شتات الأقوال التي أبدت في شخصية الصدر الشيرازي وجدنا أنفسنا أمام صنفين منها؛ أقوال صدرت في الثناء عليه وتعظيمه، ونظرات ظهرت في معارضته والطعن عليه، وسأعرض بهذا الصدد لبعض ما قيل في تبجيله والثناء عليه .

قال صاحب السلافة: أعيان العجم وأفاضلهم الذين هم من أهل هذه المائة كثير والعدد . . . غير أن أكثرهم لم يتعاط الشعر العربي اهتماماً بما هو أهم منه . . . ومنهم المولى صدر الدين . . . كان أعلم أهل زمانه بالحكمة، متفتناً بسائر الفنون، له تصانيف كثيرة عظيمة الشأن في الحكمة وغيرها^(٢) .

ووصفه السيد الخاتون آبادي بـ «العلامة الفهامة»^(٣) .

وجاء في أمل الآمل: فاض من فضلاء المعاصرين^(٤)، ثم نقل عبارة السلافة الآتفة الذكر .

(١) طرائق الحقائق ١/ ١٨٢؛ شرح حال صدر المتألهين شيرازي ص ٢؛ مقدمة كسر أصنام الجاهلية ص ٣ .

(٢) سلافة العصر ص ٤٩٨ و ٤٩٩ .

(٣) وقائع السنين والأعوام ص ٥١٤ .

(٤) أمل الآمل ٢/ ٢٣٣ .

وقال صاحب الرياض: هذا الرجل مضطلع بالحكمة^(١).

وفي الإجازة الكبيرة؛ في بيان المرتبة الرابعة التي تشتمل على مشاهير المتأخرين من عصر الشهيد الثاني إلى زمانه؛ قال: فإنهم قد زادوا عدَّةً وعدَّةً ودقَّةً وشهرةً على كثير ممن تقدَّمهم، وقد بلغنا بالتسامع خلفاً عن سلف من ثقتهم وجلالتهم وضبطهم وعدالتهم ما جاوز حدَّ الشيع وبهر الأسماع كالشيخ... والمولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي شارح أصول الكافي^(٢).

ولتلميذه وصهره عبد الرزاق اللاهيجي قصيدتان فارسيتان في مدحه؛ مطلع الأولى منهما:

ماه نو عيد وصد چنين باد ميمون بملازمان استاد^(٣)
ومطلع الثانية:

رسيد مؤده كه آمد پناه دولت ودين خديو مملكت علم وفضل صدر الدين^(٤)
وقال أستاذه الداماد في توصيفه ومدحه بالنظم الفارسي أيضاً:

صدرا گرفته جاht باج از گردون در فضل تو داده است خراج أفلاطون
در مسند تحقيق نيامد مثلث يكسر زگريبان طبيعت بيروت^(٥)

أساتذته:

كان الصدر الشيرازي صنيع نفسه وريب فكره أكبر من أن يكون بحاجة إلى الأخذ عن أساتذة كثيرين يختلف إليهم؛ ولا سيما في تعلم أصول مدرسته التي اشتهر بها لدى عموم العلماء والباحثين، ولذا لم يذكر له أصحاب التراجم سوى ثلاثة أساتذة من أشهر علماء عصره؛ اتصل بهم في أوائل أمره حين ورد إلى أصفهان.

١- الشيخ البهائي، هو بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي

(١) رياض العلماء ١٥/٥؛ تعليقة أمل الآمل ص ٢٣٧.

(٢) الإجازة الكبيرة ص ١٩-٢٠ و ٢٨.

(٣) ديوان فياض ص ١١٤.

(٤) ديوان فياض ص ١١٦.

(٥) قصص العلماء ص ٣٣١.

العالمي (٩٥٣ - ١٠٣١هـ)^(١).

٢- المير الداماد، هو السيد محمد باقر بن محمد الحسيني الأسترباذي؛
(١٠٤١هـ)^(٢).

٣- المير الفينديسكي؛ هو السيد الأمير أبو القاسم الحسيني الموسوي
الفنديسكي (١٠٥٠هـ)^(٣).

ذكره من جملة أساتذة صدر الدين صاحب رياض العارفين^(٤).

ولصدر الدين الرواية عن أستاذه الأولين البهائي والداماد؛ كما ذكرها في
شرحه على أصول الكافي^(٥).

تلاميذه:

إن عدداً كبيراً من العلماء منذ عصر صدر الدين إلى اليوم هم من تلامذته
طلاب مدرسته، وإن كانوا مع كثرتهم قليلين جداً، وأما أولئك الذين تتلمذوا على
يديه وأخذوا عنه مباشرة أو استجازوا منه فلم نطلع إلا على عدد ضئيل منهم،
وهؤلاء:

١- ابنه الميرزا إبراهيم، وقد سبقت ترجمته.

٢- الفيض الكاشاني؛ هو محسن بن مرتضى بن محمود الكاشاني الملقب
بالفيض (١٠٩١هـ)^(٦).

٣- الفياض اللاهيجي؛ هو عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي
الجيلاني الملقب بالفيض^(٧).

(١) تنظر ترجمته في الأعلام ١٠٢/٦؛ ومعجم المؤلفين ٢٤٢/٩.

(٢) تنظر ترجمته في الأعلام ٤٨/٦؛ ومعجم المؤلفين ١٩٤/١١.

(٣) تنظر ترجمته في معجم الفلاسفة ص ٤٣٠؛ وفلاسفة الشيعة ص ١١٢.

(٤) رياض العارفين ص ٣٧٥، وأيضاً ربحانة الأدب ٤١٨/٣.

(٥) شرح أصول الكافي ص ١٦.

(٦) تنظر ترجمته في الأعلام ٢٩٠/٥؛ ومعجم المؤلفين ١٨٧/٨ و ١٧٥/١١.

(٧) تنظر ترجمته في الأعلام ٣٥٢/٣؛ ومعجم المؤلفين ٢١٨/٥.

٤- التَّنْكَابِيُّ؛ هو حسين بن إبراهيم الجيلاني التَّنْكَابِيُّ^(١).

عَدَّهُ من تلامذة صدر الدين صاحب الرياض وغيره^(٢).

٥- المولى محمد يوسف الأَلْمُوتِي.

عَدَّهُ من تلامذة صدر الدين صاحب الرياض^(٣).

٦- مولانا الحسين بن موسى الأردبيلي (- ١٠٩٨هـ).

قال الأَفندي: قد قرأ في شيراز على مولانا صدرا الشيرازي^(٤).

٧- محمد بن علي رضا بن آقاجاني.

له شرحٌ على قَبَسَات المير الداماد؛ صرَّح به بتلمذه على صدر الدين الشيرازي^(٥).

٨- العلامة المجلسي.

قال المحدث القمي: له إجازة في الرواية عن الصدر الشيرازي^(٦).

وذكر السيد الرفيعي القزويني في ترجمته الموجزة لحياة صدر الدين الشيرازي ثلاثة تلامذة آخرين^(٧)؛ لم أَفُ على تلمذهم عليه فيما لديّ من كتب التراجم، أحدهم: ابنه الميرزا قوام الدين أحمد، وثانيهم: شاه أبو الولي الشيرازي^(٨)، وثالثهم: ملا محمد الإيرواني.

آثاره

خلف صدر الدين الشيرازي نحواً من أربعين كتاباً ورسالة في عدد من العلوم والمسائل، وإن كان كلها يدور في فلك الحكمة والعرفان؛ خصوصاً بطريقته الخاصة التي عُرفت له.

(١) تنظر ترجمته في معجم المؤلفين ٣/٣٠٦؛ ومعجم الفلاسفة ص ٢١٦. وفلاسفة الشيعة ص ٢٨٧.

(٢) رياض العلماء ٢/٣٤ و ٣/١١٤؛ قصص العلماء ص ٣٣٠-٣٣١.

(٣) رياض العلماء ٣/١١٤.

(٤) تعليقة أمل الآمل ص ١٤٢.

(٥) منتخباتي از آثار حكماي إلهي إيران ٢/٢٧٩.

(٦) الفوائد الرضوية ص ٣٨٠؛ هدية الأحاب ص ١٨٦.

(٧) شرح حال صدر المتألهين شيرازي ص ٤.

(٨) تنظر ترجمته في رياض العلماء ٥/٥٢٦؛ والإجازة الكبيرة ص ٧٢.

ومن حسن حظ صاحبنا أن تلك التأليف جميعها أو أكثرها طبعت بإيران منذ القرنين الأخيرين، وانفع بها كثيرون، وسأتي ههنا بأسماء تلك التي صحت نسبتها إليه.

كتبه:

- ١- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة.
- ٢- المبدأ والمعاد.
- ٣- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية.
- ٤- المشاعر.
- ٥- الحكمة العرشية.
- ٦- المسائل القدسية والقواعد الملكوتية.
- ٧- شرح هداية الحكمة لأثير الدين الأبهري.
- ٨- حاشية إلهيات الشفاء لابن سينا.
- ٩- حاشية شرح حكمة الإشراق لقطب الدين الشيرازي.
- ١٠- إيقاظ النائمين.
- ١١- اللمعات المشرقية في المباحث المنطقية.
- ١٢- متشابهات القرآن.
- ١٣- أسرار الآيات وأنوار البينات.
- ١٤- مفاتيح الغيب.
- ١٥- تفسير القرآن، يشتمل على عدة سور وآيات متفرقة، وهي: تفسير الاستعاذة والفاتحة؛ تفسير سورة البقرة إلى الآية ٦٥؛ تفسير آية الكرسي؛ تفسير آية النور؛ تفسير سورة السجدة؛ تفسير سورة يس، فرغ منه على ما قال في آخره سنة ١٠٣٠هـ، تفسير سورة الواقعة، تفسير سورة الحديد؛ تفسير سورة الجمعة؛ تفسير سورة الطارق؛ تفسير سورة الأعلى؛ تفسير سورة الزلزال.
- ١٦- شرح أصول الكافي إلى الحديث ١ من الباب ١١ من كتاب الحجة، فرغ من تأليفه لكتابي «العقل والجهل» و«التوحيد» على ما قال في آخرهما سنة ١٠٤٤هـ.

١٧- حاشية الرواشح السماوية للسيد الداماد.

١٨- ديباجة عرش التقديس للسيد الداماد.

١٩- كسر أصنام الجاهلية في ردّ جماعة الصوفية، فرغ منه في أوائل شعبان سنة ١٠٢٧هـ^(١).

٢٠- ديوان شعر فارسي.

رسائله العلمية:

٢١- رسالة الحدوث.

٢٢- رسالة اتصاف الماهية بالوجود.

٢٣- رسالة التشخيص.

٢٤- رسالة سريان الوجود.

٢٥- رسالة القضاء والقدر.

٢٦- رسالة الواردات القلبية في معرفة الربوبية.

٢٧- رسالة إكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين، فرغ منها سنة ١٠٣١هـ^(٢).

٢٨- رسالة حشر الأشياء.

٢٩- رسالة خلق الأعمال.

٣٠- رسالة المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية.

٣١- رسالة اتحاد العاقل والمعقول.

٣٢- رسالة سه أصل، فارسي.

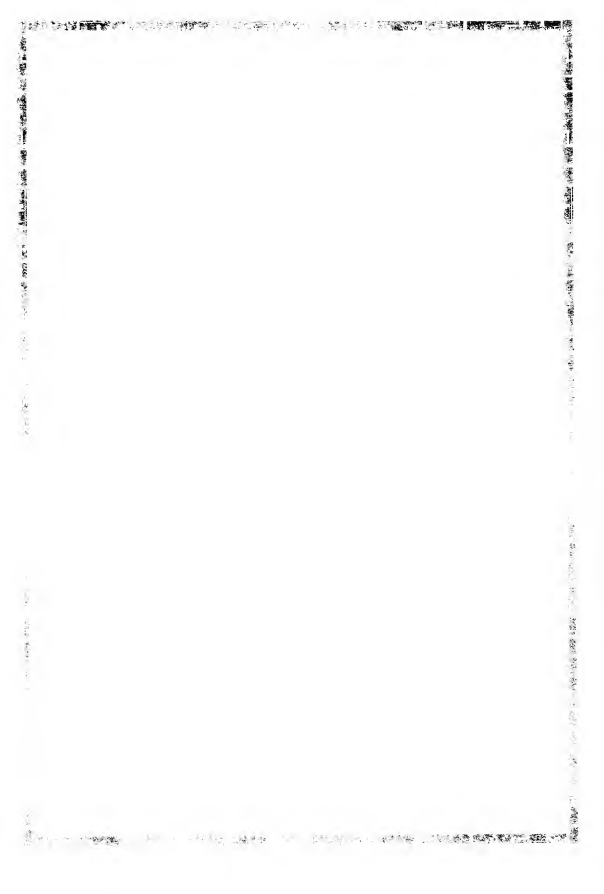
٣٣- رسالته في الكشف عن مسائل المولى شمس الجيلاني.

٣٤- رسالته في الجواب عن المسائل الثلاث التي وجهها النصير الطوسي إلى شمس الدين الخسروشاهي ولم يأت بجواب.

(١) الذريعة ٢٩٣/١٧.

(٢) الذريعة ٢٧٩/٢.

- ٣٥- رسالته في الجواب عن مسائل بعض الخلان.
- ٣٦- رسالة لمية اختصاص المنطقة بموضع معين من الفلك.
- ٣٧- رسالة المعاد الجسماني.
- ٣٨- رسالة المزاج.
- ٣٩- رسالة التصور والتصديق، وسأتحدث عنها مفردة.



رسالة التصور والتصديق

نسبتها وعنوانها:

لا يصادفنا أي شك في نسبة هذه الرسالة إلى الصدر الشيرازي، فقد صرح باسمه في بدايتها على ما هو دأبه في غالب مؤلفاته، مضافاً إلى ثلاثة أمور أخرى: إحالته إلى كتابه المعروف الأسفار الأربعة^(١)، نظراته الفلسفية الخاصة التي أدرجها في الرسالة^(٢)، وأسلوبه المتميز عن كل أسلوب آخر.

وأما عنوانها فلم تذكر كتب التراجم عنواناً خاصاً لها كما لم يسمها المؤلف نفسه باسم مخصوص، ولذا لا نرى بداً من أن تسمى بنفس موضوعها؛ أعني «رسالة التصور والتصديق» أو «رسالة تحقيق التصور والتصديق» كما يقول المؤلف في أولها: هذه رسالة متضمنة لتحقيق التصور والتصديق وتعريفهما.

منهج الصدر الشيرازي في رسالته:

يقوم منهج الصدر الشيرازي في غالبية مؤلفاته على ثلاث نقاط أساسية هي:

١- تبويب المسائل وتفصيلها أو تصديرها بعناوين أخرى خاصة.

٢- استعراض المسائل بعبارات واضحة غير معقدة.

٣- عدم اتخاذ موقف واحد معين عند درس المسائل والمطالب والبحث عنها؛ فقد يوافق الجمهور في أول أمره ويسكت عن اعتقاده أو يخالفهم في الغاية،

(١) تنظر الرسالة ص ٥٨.

(٢) تنظر هذه المواضع ٤٦ و ٤٨ و ٥٣ و ٥٨ و ٦٦ و ٨٧ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٢ و ١٠٠.

وقد يرد الآراء والمذاهب ردّاً عنيفاً وتارة يوجهها ويطبقها على ما يراه الحق، وقد يتصدى للردّ بأصوله التي يعتقدونها وأحياناً بمقدمات مختلطة، وقد يسامح في تنظيم المطالب والعبارات ويتكل على فهم القارئ، وربما ينظمها على وجه لا يعرف له نظير.

كل ذلك مما نراه بوضوح في رسالته هذه؛ فقد رتب الرسالة على مقدمة وخمسة فصول:

أما المقدمة: ففيها الخطبة والدلالة على اسم المؤلف وموضوع الرسالة والتوصية بصيانتها عن الأغيار كما هي عادته في سائر مؤلفاته.

والفصل الأول: في العلم وتعريفه وبعض مسائل أخرى ذات صلة بالتصور والتصديق.

والفصل الثاني: في تقسيم العلم إلى التصور والتصديق وتزييف بعض الآراء ويورد صدر الدين في هذا الفصل عمدة ما يقصد بيانه من مسلكه.

والفصل الثالث: في تقرير الحق والمذاهب الأربعة، وفيه يبحث المؤلف عن تطبيق تلك المذاهب على مسلكه.

والفصل الرابع: في تأييد الحق بعبارات القوم، فيعرض فيه عبارات السهروردي وابن كمونة والقطب الشيرازي، ويجيب في نهايته عن إشكالات القطب الشيرازي مطابقاً لمسلكه.

والفصل الخامس: في جواز تقسيم العلم وإثباته، ويذكر فيه عبارات ابن سينا ويطبقها على مسلكه ويردّ أيضاً على توجيه القطب الرازي. ومن هنا يتوجه إلى سائر عبارات القطب الرازي في شرح المطالع فيدفع إشكالاته وما أجاب عنها نفسه، كل ذلك موافقاً لمسلكه.

ثم يمضي ليؤول مذهب الفخر الرازي تأويلاً آخر سوى ما ذكره في الفصل الثالث، ويؤيد ذلك بعبارة الأبهري فيذكر اعتراض الطوسي عليها ويجيب عنه، ثم ينقل عبارة صاحب القسطاس، وختاماً يقرّر الحق تارة أخرى ويذهب في تحقيق سائر أقسام العلم، وبذلك تنتهي الرسالة.

وحقاً فإننا نجد في هذه الرسالة توافقاً كثيراً مع رسالة القطب الرازي في

عرض الآراء وبعض العبارات، ولكن ذلك لا يعدُّ شيئاً إذا عرفنا ما يرمي إليه مؤلفنا ويهدفه من بيان مسلك جديد في هذا الباب.

مسلك الصدر الشيرازي:

يشير ما صدرنا به كلامنا الآن إلى أن الصدر الشيرازي لم يكن يؤلف رسالته هذه لغرض اختيار مذهب أو إبداع رأي ونحو ذلك مما يقابل أقوال المنطقيين وآراءهم، وإنما استهدف سلوك طريق دعاه إلى مذاقه الفلسفي الخاص؛ ليذهب منه إلى كل شيء يريد.

ومسلكه في الواقع طريق تنبهي أغفل عنه مَنْ تقدّم عليه من العلماء أو لم يستخدموه في حل كثير من معضلات هذا البحث، ولذا لا نراه يتكلم في بيانه بصورة مستوفاة يعالج بها ظاهرتي التصور والتصديق علاجاً موضوعياً؛ بل يعرض في أوائل الرسالة لبعض حدوده فيأخذ في جوانب البحث المختلفة كردّ الأقوال ودفع الإيرادات وما إلى ذلك مستعيناً ببعض الأصول الفلسفية.

وما هو ذلك المسلك؟ إليك ما استخرجناه من عباراته بتغييرات يسيرة:

العلم بمفهومه ينقسم إلى نوعين متقابلين: تصور وتصديق، وهذان النوعان من جملة المعلومات التي هي أمور كلية ومعقولات ثانية يبحث عنها المنطقيون في صناعتهم لا من قبيل العلم الذي هو نحو من الوجود، ولو كانا من قبيل العلم لم يمكن تعريفهما لا حدّاً ولا رسماً^(١)؛ لأن الوجود يتشخص بذاته لا بأمر زائد^(٢)، ولعدم اندراجة تحت مقولة من المقولات فإنها أجناس عالية للماهيات^(٣).

ولكل من النوعين وحدة طبيعية كوحدة الإنسان والفرس وليست هي وحدة اعتبارية كوحدة العسكر ولا صناعية كوحدة السرير والدار^(٤)، فلا مدخل للاعتبار في ماهيتهما؛ وإنما هما ماهيتان حقيقتان مندرجتان تحت العلم^(٥)، ولكن ليس

(١) الرسالة ص ٥٢ و٦٦، ٦٧.

(٢) الرسالة ص ٥٢.

(٣) الرسالة ص ٦٦-٦٧.

(٤) الرسالة ص ٥١.

(٥) الرسالة ص ٦٢.

اندرأجهما تحته كاندراج الإنسان والفرس تحت الحيوان ولا كالأسود والأبيض تحت الإنسان من المركبات الخارجية؛ بل يندرجان تحت العلم اندراج النوعين البسيطين تحت المعنى الجنسي كالسواد والبياض تحت اللون، إذن ليس للعلم الذي هو جنس لهما تحصل إلا بفصلهما؛ بل الجنس والفصل في مثل هذه البسائط واحد جعلاً وتحصلاً بخلاف تلك المركبات^(١).

وأما كيف يؤخذ الجنس والفصل لكل منهما؟ فظاهر مما سبق أن الجنس هو الفصل في كل منهما لا يؤخذان من المادة والصورة؛ إذ ليسا من المركبات الخارجية حتى يكون لكل منهما مادة وصورة^(٢)، بل لما كانا نوعين بسيطين للعلم فجنسهما هو العلم وفصل كل منهما يؤخذ من لوازمه التي توصل الذهن إلى حاق ملزومه كما قال الشيخ الرئيس^(٣)، والحاصل من جنس كل منهما وفصله إما رسم له إذا اعتبرنا الفصل يكون من لوازمه أو حد له إذا فرضناه فصلاً داخلياً في مفهومه^(٤)، وبهذين الاعتبارين قد يقال: إن مفهوميهما أيضاً بـسـيـطـان^(٥)، وقد يقال: إنهما مركبان^(٦)، وقد يقال لذلك اللازم: إنه فصل^(٧)، وقد يقال: إنه بمنزلة الفصل^(٨).

بقي بعد كل ذلك بيان تقسيم العلم إلى نوعية التصور والتصديق وتعريفهما، فنقول: واضح - كما قلنا - أن كل ما يقال في تقسيم العلم إلى النوعين وتعريفهما إنما هو باعتبار مفهوم المقسم والقسمين: غير أن بيان المفهوم في تعريف هذين النوعين قد يكون ناظراً إلى الوجود وربما لا يكون، فعلى الأول يقسم العلم إلى تصور ليس بحكم^(٩) أو مع قطع النظر عن كونه حكماً أو غير حكم^(١٠)، وتصور

(١) الرسالة ص ٥٢-٥٣.

(٢) الرسالة ص ٥١.

(٣) الرسالة ص ٨٨.

(٤) الرسالة ص ٥٠.

(٥) الرسالة ص ٥٢.

(٦) الرسالة ص ٩٩.

(٧) الرسالة ص ٥٧ و ٧٣ و ٧٩ و ٨٦ و ٨٧ و ٩٩.

(٨) الرسالة ص ٨٧.

(٩) الرسالة ص ٥٦.

(١٠) الرسالة ص ٦٠.

هو بعينه حكم، والتصور الثاني تصديق^(١)، والأول لا يسمّى باسم غير التصور^(٢)، وعلى الثاني يقال: العلم ينقسم إلى تصور بدون الحكم^(٣) أو مع قطع النظر عن كونه مقترباً بالحكم أو غير مقترب به^(٤) ولا يسمّى باسم غير التصور، وتصوير يستلزم الحكم ويسمّى بالتصديق^(٥).

ولا يخفى أن التصور المأخوذ في النوعين هو التصور المرادف للعلم وقد أخذ جنساً لهما، وفصل النوع الأول أو ما بمنزلة الفصل إما هو عدم كونه حكماً أو الإطلاق عن كونه حكماً كما في التقسيم الأول، وإما هو عدم الاقتران بالحكم أو الإطلاق عن الاقتران بالحكم وعدمه كما في التقسيم الثاني، وفصل الثاني أو ما بمنزلة في التقسيم الأول هو كونه حكماً، وفي التقسيم الثاني هو الاستلزام للحكم.

هذا كله إنما يصح في مقام التحليل الذهني بين جنس كل من التصور والتصديق وفصله؛ غير أن هذا التحليل في التقسيم الثاني ناظر إلى الارتباط الماهوي بين الجنس والفصل دون الأول، إذن فما يدرك بين التصور والحكم في هذا التقسيم الثاني من الاقتران وعدم الاقتران أو الإطلاق عن الاقتران إنما يدرك عند تحليل ذهن بين جنس كل منهما وفصله، وليس ذلك بمعنى أن في الوجود تصورا قد يقترب به الحكم على نحو الاستلزام فيكون تصديقاً وإذا لم يقترب به أو لم يعتبر اقترانه به يكون تصوراً، وهذا كما أنهم إذا عرفوا الإنسان بالحيوان الناطق لم يريدوا بالاقتران المفهوم بين الحيوان والناطق أن للحيوان وجوداً وللناطق وجوداً آخر وقد صاروا موجودين معاً في الإنسان، وإنما المراد بهذا الاقتران المفهوم أن ذهن عند تحليل الإنسان وملاحظة حده اعتبر معنيين: أحدهما مبهم، والآخر معيّن محصّل له، فهما موجودان بوجود واحد والمعنى اثنان^(٦)، بل هو كما أن

(١) الرسالة ص ٥٦ و ٥٨ و ٦٠.

(٢) الرسالة ص ٥٦.

(٣) الرسالة ص ٨٢.

(٤) الرسالة ص ٥٨ و ٨٢.

(٥) الرسالة ص ٥٦ و ٦٠.

(٦) الرسالة ص ٥٧.

السواد يعرف بأنه لون قابض للبصر، ويراد باقتران «قابض للبصر» للون ما يكون بحسب التحليل في الذهن لا الاقتران في الوجود المقتضي للثنائية كاقتران الجزء والكل والشرط والمشروط لأنهما شيء واحد في الوجود^(١)، كذلك اقتران التصور والحكم.

هذا كل ما عرفنا من مسلك صدر الدين الشيرازي في رسالته، ولا أظن أحداً يمكنه الشك في أساس هذا المسلك؛ ومن هنا نرى صاحب الرسالة قد يهاجم به الآراء والمذاهب كلها وقد يؤولها تأويلاً ينطبق على نفس تحقيقه، وكذلك يدفع به الكثير من الإشكالات التي ما زالت دون جواب أو أجيب عنها بأجوبة لا تغني من الحق شيئاً، وإن استمدت أحياناً من أصول فلسفية لم يمكن غض النظر عنها.

يقول صدر الدين: هذا هو الحق الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا مما يدفع به جميع الإشكالات الواردة في هذا المقام، ويمكن تطبيقه على مذهب الحكماء وتأويل مذهب المتأخرين إليه في التصديق كمذهب الإمام ومذهب من يجعل التصديق هو التصور المعروض للحكم أو المجامع له كصاحب المطالع إن لم يوجد في كلامهم ما يدل على عدم فهمهم لما حققناه^(٢). ومع ذلك كله فقد نرى صاحب الرسالة يورد عبارات تخالف بظواهرها مسلكه المذكور؛ إما لسيره على منهجه التأليفي الخاص أو سبب آخر غير ذلك.

فمنها: ما جزم به في بداية الفصل الثالث من رسالته؛ أن التصور الذي هو قسيم للتصديق يجب أن يعتبر مقيداً بالإطلاق لئلا يلزم تقويم الشيء بالنقيضين أو اشتراطه بنقيضه^(٣). وقد كان هذا مرضي المحققين؛ إذ أورده غير واحد منهم في كتبهم كالقطب الشيرازي في شرح حكمة الإشراق.

ومنها: ما تكرر منه ذكره من أن التصديق ذو اعتبارين؛ اعتبار يكون به نفس التصديق ومكتسباً من الحجة، واعتبار يكون به تصوراً ومستفاداً من القول الشارح^(٤). وهذا المعنى قد ألقاه أول مرة ابن كمونة في شرح التلويحات وتبعه

(١) الرسالة ص ٧٩.

(٢) الرسالة ص ٦٠.

(٣) الرسالة ص ٥٩.

(٤) الرسالة ص ٦٠ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٦ و ٩٧ و ٩٩.

القطب الرازي في الرسالة المعمولة.

ومنها: قوله عند تقسيم مطلق التصور إلى التصور المطلق والتصديق؛ بأن التغيرات الاعتبارية يكفي للامتنياز بين المقسم والقسم في مثل هذه التقسيمات التي للأمور الذهنية والمعقولات الثانوية^(١). وقد علمنا في مسلكه أن الوحدة الطبيعية معتبرة في هذا التقسيم وغيره من التقسيمات إلى الأمور الحقيقية التي ليس حصولها بمجرد الاعتبار^(٢).

ومنها: ما ذهب إليه في نهاية الرسالة من أن الشك والوهم ونحوهما أنواع من العلم المطلق كالتصديق^(٣)، وكذا تصور المعاني المفردة والمركبة فإن كلا منها نوع من العلم المطلق مع قيد عديمي^(٤). فإن هذا مع عدم وضوحه في نفسه غير موافق لأصل مسلكه حيث قسّم العلم إلى نوعين متقابلين التصور والتصديق تقابلاً حصرياً، وقد صرح نفسه بانحصار العلم في هذين النوعين^(٥).

ولا يفوتني أن أذكر ههنا موقف الصدر الشيرازي من أمرين:

أحدهما: الحكم، فإنه ذهب إلى أن الحكم فعل نفساني وإن لم يكن من مقولة الفعل المصطلحة^(٦)، ويرادفه الإذعان والاعتراف والإقرار ونحو ذلك من التعابير^(٧)، وقد كان جميع ذلك إدراكاً عند القطب الرازي.

وثانيهما: تقسيم العلم إلى تصور ساذج وتصور معه تصديق؛ فقد أجاز صدر الدين كما أجاز التقسيم المشهور، وذلك بتوجيه بسيط؛ هو أن يراد بالتصديق نفس الحكم ويكون المجموع تصديقاً بالاصطلاح الذي أريد به في التقسيم المشهور، وبهذا يتطابق التقسيمان من دون محذور^(٨).

(١) الرسالة ص ٩٠.

(٢) الرسالة ص ٦٢.

(٣) الرسالة ص ٩٩.

(٤) الرسالة ص ١٠٠.

(٥) الرسالة ص ٨١.

(٦) الرسالة ص ٨٨-٨٩.

(٧) الرسالة ص ٥٩ و ٦١.

(٨) الرسالة ص ٧٩-٨٢.

نسخ الرسالة:

ظفرت للرسالة على ست نسخ مخطوطة، وواحدة مطبوعة.

المطبوعة:

طبعت الرسالة ملحقةً بالجواهر النضيد طبعه حجرية في طهران، وكَتَبَ نسخة المهيئة للطبع محمد صادق بن محمد رضا التويسركاني سنة ١٣١١هـ، علمت حين مقابلتي للنسخ أن هذه كتبت من النسخة المخطوطة الثالثة - وستأتي - كُتبتا من نسخة أخرى لم أقف عليها، وذلك لأن كل ما رأيت في تلك النسخة من خطأ وسقط أو أي تغيير آخر هو موجود في هذه النسخة المطبوعة حتى خطأ الإعرابية والكتابية؛ غير أن هذه قد صححت عند الطبع تصحيحاً بين سطور وفي الهوامش كما يتجلى في موضعه، ولذلك رأيت تحقيق النص في غنى عن هذه النسخة، فلم أفد منها إلا قليلاً في بعض تلك التصحيحات.

المخطوطة:

١- مكتبة المدرسة الفيزية، رقم ١٣٧٠^(١).

مجموعة من ثلاثة مؤلفات لصدر الدين الشيرازي، هي على الترتيب: كتاب مشاعر، ورسالة التصور والتصديق، والشواهد الربوبية، ونسخة الرسالة تقع في ١ أوراق؛ تبدأ بالورقة ١٩/ظ وتنتهي بالورقة ٢٨/ظ، وفي كل صفحة ٢٠ سطراً، والمجموعة كتبها صادق الموسوي المازندراني بخط فارسي، وفرغ من مشاعر سنة ١٢٤٤هـ في بلدة أصفهان، ومن الشواهد الربوبية سنة ١٢٤٥هـ في سس البلدة، إذن فالرسالة كتبت في أحد هذين العامين.

وكتب الناسخ بعد الفراغ من الرسالة ثلاث فوائد: منها فائدة من الصدر شيرازي في الجواب عن الإشكال المشهور الذي استصعب حلّه الجمهور من أن تصور إذا تعلق بالتصديق يلزم الاتحاد الذاتي بينهما.

والنسخة فاقدة لخطبة المؤلف، ولكنها أصح النسخ كلها من حيث الخطأ لتحريف، وكذا السقط فيها أقل مما في غيرها من النسخ.

٢- مكتبة المدرسة الفيضية، رقم ١٣٣٠^(١).

مجموعة من كتاب التقديسات للسيد الداماد وثلاث رسائل لتلميذه الصدر الشيرازي، وهي: رسالة التشخيص، ورسالة التصور والتصديق، ورسالة لمية اختصاص المنطقة بموضع معين من الفلك، وتقع رسالة التصور والتصديق في ١٧ ورقة؛ من الورقة ٦١/ظ إلى الورقة ٧٧ ظ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً غالباً، والمجموعة ذات أوراق بالية قديمة وخروم أحدثتها الأرضة، ونجد في وجه الورقة الأولى منها: نظرت فيه وأنا الالع^(٢) مهدي بن السيد حسن الحسني الحسيني الشهير بالقزويني ١٢٣٩.

وقد كتبت المجموعة كلها بخط فارسي، ولا أشك أن ناسخ الرسائل الثلاث شخص واحد، ومن المظنون أنه نفس الناسخ الذي كتب التقديسات أيضاً غير أن خطه قد ردّو كلما تدرّج إلى النهاية. وذكر الناسخ في آخر كتاب التقديسات أنه استنسخه من صورة خط المحشي مد ظله وهو استنسخه من صورة خط المؤلف قدس سره، والظاهر أن مراده بالمحشي هو عبد الغفار بن محمد الجيلاني الذي كان من تلامذة الداماد؛ مما يدلنا على أن رسالة التصور والتصديق استنسخت في حياة أحد زملاء صدر الدين أو بعدها بقليل.

فالنسخة هذه أقدم نسخ الرسالة، ومع ذلك ليست خالية من تحريفات وأغلاط، ولكن السقط فيها قليل.

وترك الناسخ مواضع عناوين الفصول بياضاً وهي خمسة مواضع، ولعل ذلك لأجل أن يكتبها بالحبر الأحمر كما كتب عناوين التقديسات بهذا اللون.

وفي آخر النسخة بعد تمام الرسالة: واهدنا صراط التحقيق، نحو من له الحق والتحقيق، اللهم وفقنا لمطالعتها^(٣) بحق خير البشر.

٣- مكتبة كلية الآداب بجامعة فردوسي في المشهد، رقم ٣٣٥^(٤).

(١) فهرس المكتبة ٨١/٢.

(٢) هكذا كتبت، ولم أجد لها معنى.

(٣) في النسخة: على من مطالعته، وهو خطأ.

(٤) فهرس المكتبة ص ٢٠٣.

مجموعة فيها ست عشرة رسالة فلسفية وعرفانية، وقد أُلّف بعضها بالفارسية، ورسالة التصور من بينها هي الخامسة عشر، وتضم ٧ أوراق؛ من الورقة ٤٢/ظ إلى الورقة ٤٨/ظ، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، والمجموعة كتبت بخط شكسته جيد دقيق الحروف؛ إلا أنه معجم مقروء، ولا نجد في موضع منها اسم الكاتب، ولكنه ذكر تاريخ كتابته لهذه الرسالة؛ فقال في آخرها: تم الكلام والسلام خير ختام في سنة ١٢٦٣هـ، وذكر أيضاً تاريخ كتابة الرسالة الثانية وهي رسالة الجبر والتفويض لمؤلفنا الصدر الشيرازي أيضاً وهو سنة ١٢٧٢هـ.

وفي هامش الصفحتين الأوليين من نسخة الرسالة ثلاث تعليقات بخط الناسخ كُتِب في آخرها: «محمد حسن عفي عنه»، ومن طريف الأمر أنني حين عثرت على المجموعة الخامسة وجدت فيها رسائل قد كتبت بخط هذه النسخة وصرّح الكاتب في نهاياتها بأنه محمد حسن عفي عنه، فعرفت بذلك كاتب نسختنا هذه.

ويدل تعليقاته الثلاثة التي كتبها بهامش النسخة مع إيجازها على أنه كان من أهل العلم، ولكن النسخة لم تسلم من هفوات وأغلاط كما نرى فيها سقطات قليلة أيضاً.

وخُلّي الناسخ مواضع ثمانى كلمات بحالها من دون أن يكتب فيها شيئاً، خمسة منها عناوين الفصل، وثلاثة هي: «أما بعد» و«اعلم» و«فاعلم»^(١)، ولا يبعد أن كان في قصده أن يكتبها بقلم أحمر كما فعل ذلك في عناوين الرسائل السابقة.

٤- مكتبة إمام الجمعة في زنجان^(٢).

مجموعة تتضمن خمساً وعشرين رسالة في الفلسفة والعرفان، عشرة منها لمؤلفنا صدر الدين الشيرازي، ومنها رسالة التصور والتصديق؛ وهي الرسالة السادسة عشر من المجموعة، وكتبها الناسخ بخط فارسي واضح في ٨ أوراق، تبدأ بالورقة ٢٣٨/ظ وتنتهي بالورقة ٢٤٥/و؛ وغير أنه قرّر السطور التي في وجوه الأوراق - سوى ورقة واحدة - متمايلة إلى الزاوية اليسرى في أعلى الصفحة، والمجموعة كتبها محمد علي بن محمد حسين الخلخالي ومحمد حسين بن محمد

(١) «اعلم» واقعة في الفصل الثاني حيث يقول المؤلف: ثم اعلم أن، و«فاعلم» في الفصل الثالث.

(٢) دليل المخطوطات ص ١٥٠.

سعيد الخلخالي في ستي ١٢٥٤ و ١٢٥٥ في أصفهان ورشت وغيرهما.

وأغلب الظن أن هذه النسخة كتبت من النسخة الخامسة لتوافقها مع تلك في أغلاطها وأسقاطها الكثيرة، ومع ذلك فإن هذه أصح النسختين.

وهنا أرى لزماً على نفسي أن أقدم شكري الوافر لسماحة السيد عز الدين الزنجاني؛ إذ تفضل عليّ بإرسال مصوِّرة من هذه النسخة.

٥- مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، رقم ١/خ^(١).

مجموعة فيها سبع عشرة رسالة في موضوعات مختلفة؛ أكثرها حكمية، وتقع رسالة التصور والتصديق خامسة في ١١ ورقة؛ من الورقة ٤٧/ظ إلى الورقة ٥٧/ظ، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وقد كُتِبَ المجموعة عدَّةُ نسخٍ منهم «محمد حسن» كاتب النسخة الثالثة، وكُتِبَت الصفحة الأولى من نسخة الرسالة التي في هذه المجموعة بخط شكسته جميل وتبدَّل من الصفحة الثانية حتى نهاية النسخة بنسئعلق رديء، ونجد في آخرها بنفس الخط الذي كتبت به الصفحة الأولى العبارة التالية: تمت في بلدة رشت في سنة ١٢٤٣هـ، الكاتب ملا محمد هادي خلف المرحوم حاجي فتح الله التاجر القزويني.

وعلى هوامش هذه النسخة تعليقاتان وتصحيحان لمحمد حسن بخطه، والنسخة وافة الغلط والسقط، لا يقف التحريف فيها إلى حدٍّ على الرغم من وجازة الرسالة.

وموضُ «أما بعد» و«فصل» الأول - وقد وقعا في الصفحة الأولى - بياضٌ في هذه النسخة.

٦- مكتبة الشهيد مطهري، رقم ٦٦٥٦^(٢).

مجموعة من رسالة التصور والتصديق ومتفرقات فلسفية وأدبية وتاريخية، وتصدرت المجموعة بائنتي عشرة ورقة بيضاء، والرسالة تبدأ بالورقة ١٣/ظ وتنتهي بالورقة ٥٤/ظ، وكتب الناسخ بعد انتهائه من الرسالة فائدتين فلسفيتين إلى الورقة

(١) فهرس المكتبة ٤٨/٧.

(٢) فهرس المكتبة ٤٤٢/٣.

٥٩/و وقال في النهاية: كتبه أقل الخليفة محمد علي الكرمانشاهي الأصل في يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع المولود سنة ١٢٨٨هـ. وقد كتبها بنسبتعليق واضح معتمد.

والظاهر أنه بعد أن أتم كتابة الرسالة ذهب يقابلها على نسخة أو نسخ أخرى، ولذا شطب على بعض الكلمات أو العبارات وكتب فوقها ما زعمه صواباً من نسخة، وربما يكتب بلا شطب أو دون إشارة إلى الأخذ من نسخة. والنسخة في الجملة ذات أغلاط وأوهام ليست قليلة.

ما اعتمدت عليه في التحقيق:

بذلت وسعي في اختيار النسخة التي ينبغي جعلها أصلاً معتمداً عليه في التحقيق فتحقق لي أن نسخة مكتبة الفيضية ذات الرقم ١٣٧٠ هي التي تصلح لذلك، لما امتازت عن سائر النسخ امتيازاً في الصحة والدقة وكذا وضوح الخط إلى حد.

وأما النسخ الأخرى فالنسخة الثانية تساوي الثالثة في كمية التحريفات والأسقاط وإن اختلفتا في أنواعها، وقد رمزت إلى الثانية بالحرف (ي)، وإلى الثالثة بالحرف (ف).

والنسخة الرابعة والخامسة على مستوى واحد حتى في كفيات الأخطاء والسقطات غالباً، ولذا ظننت الرابعة منتسخة من الخامسة أو لعلهما من نسخة أخرى، وقد رمزت إلى الرابعة بالحرف (ز)، وإلى الخامسة بالحرف (م).

والنسخة السادسة أضعها بين الرابعة والخامسة من حيث الصحة، ورمزت إليها بالحرف (ش).

وأما المطبوعة فقد أشرت إلى أنها تشابه النسخة (ف) في كثير من مواد التحريفات لو لم أقل في جميعها، ولذا طويت عنها كشحاً إلا في بعض التصحيحات التي قررت عند الطبع.

عمل التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذه الرسالة نفس الخطة التي عملت بها في تحقيق الرسالة المعمولة؛ غير أنني أثبت في هامش النص هنا تعليقات محمد حسن التي كتبت

بعضها على هامش نسخته - أعني النسخة (ف) - وبعضها الآخر على هامش النسخة (م)، وأوضحت مواضع الإبهام أحياناً بإرجاع ضمير ونحوه؛ كما نبهت على بعض مسامحات المؤلف أو سهوه أيضاً حيث لم أجد بداً من التنبيه عليها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله وآله الطيبين الطاهرين.

٦/ جمادى الثانية/ ١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

۱۲۸۰
 ۱۲۸۱
 ۱۲۸۲
 ۱۲۸۳
 ۱۲۸۴
 ۱۲۸۵
 ۱۲۸۶
 ۱۲۸۷
 ۱۲۸۸
 ۱۲۸۹
 ۱۲۹۰
 ۱۲۹۱
 ۱۲۹۲
 ۱۲۹۳
 ۱۲۹۴
 ۱۲۹۵
 ۱۲۹۶
 ۱۲۹۷
 ۱۲۹۸
 ۱۲۹۹
 ۱۳۰۰
 ۱۳۰۱
 ۱۳۰۲
 ۱۳۰۳
 ۱۳۰۴
 ۱۳۰۵
 ۱۳۰۶
 ۱۳۰۷
 ۱۳۰۸
 ۱۳۰۹
 ۱۳۱۰
 ۱۳۱۱
 ۱۳۱۲
 ۱۳۱۳
 ۱۳۱۴
 ۱۳۱۵
 ۱۳۱۶
 ۱۳۱۷
 ۱۳۱۸
 ۱۳۱۹
 ۱۳۲۰
 ۱۳۲۱
 ۱۳۲۲
 ۱۳۲۳
 ۱۳۲۴
 ۱۳۲۵
 ۱۳۲۶
 ۱۳۲۷
 ۱۳۲۸
 ۱۳۲۹
 ۱۳۳۰
 ۱۳۳۱
 ۱۳۳۲
 ۱۳۳۳
 ۱۳۳۴
 ۱۳۳۵
 ۱۳۳۶
 ۱۳۳۷
 ۱۳۳۸
 ۱۳۳۹
 ۱۳۴۰
 ۱۳۴۱
 ۱۳۴۲
 ۱۳۴۳
 ۱۳۴۴
 ۱۳۴۵
 ۱۳۴۶
 ۱۳۴۷
 ۱۳۴۸
 ۱۳۴۹
 ۱۳۵۰
 ۱۳۵۱
 ۱۳۵۲
 ۱۳۵۳
 ۱۳۵۴
 ۱۳۵۵
 ۱۳۵۶
 ۱۳۵۷
 ۱۳۵۸
 ۱۳۵۹
 ۱۳۶۰
 ۱۳۶۱
 ۱۳۶۲
 ۱۳۶۳
 ۱۳۶۴
 ۱۳۶۵
 ۱۳۶۶
 ۱۳۶۷
 ۱۳۶۸
 ۱۳۶۹
 ۱۳۷۰
 ۱۳۷۱
 ۱۳۷۲
 ۱۳۷۳
 ۱۳۷۴
 ۱۳۷۵
 ۱۳۷۶
 ۱۳۷۷
 ۱۳۷۸
 ۱۳۷۹
 ۱۳۸۰
 ۱۳۸۱
 ۱۳۸۲
 ۱۳۸۳
 ۱۳۸۴
 ۱۳۸۵
 ۱۳۸۶
 ۱۳۸۷
 ۱۳۸۸
 ۱۳۸۹
 ۱۳۹۰
 ۱۳۹۱
 ۱۳۹۲
 ۱۳۹۳
 ۱۳۹۴
 ۱۳۹۵
 ۱۳۹۶
 ۱۳۹۷
 ۱۳۹۸
 ۱۳۹۹
 ۱۴۰۰
 ۱۴۰۱
 ۱۴۰۲
 ۱۴۰۳
 ۱۴۰۴
 ۱۴۰۵
 ۱۴۰۶
 ۱۴۰۷
 ۱۴۰۸
 ۱۴۰۹
 ۱۴۱۰
 ۱۴۱۱
 ۱۴۱۲
 ۱۴۱۳
 ۱۴۱۴
 ۱۴۱۵
 ۱۴۱۶
 ۱۴۱۷
 ۱۴۱۸
 ۱۴۱۹
 ۱۴۲۰
 ۱۴۲۱
 ۱۴۲۲
 ۱۴۲۳
 ۱۴۲۴
 ۱۴۲۵
 ۱۴۲۶
 ۱۴۲۷
 ۱۴۲۸
 ۱۴۲۹
 ۱۴۳۰
 ۱۴۳۱
 ۱۴۳۲
 ۱۴۳۳
 ۱۴۳۴
 ۱۴۳۵
 ۱۴۳۶
 ۱۴۳۷
 ۱۴۳۸
 ۱۴۳۹
 ۱۴۴۰
 ۱۴۴۱
 ۱۴۴۲
 ۱۴۴۳
 ۱۴۴۴
 ۱۴۴۵
 ۱۴۴۶
 ۱۴۴۷
 ۱۴۴۸
 ۱۴۴۹
 ۱۴۵۰
 ۱۴۵۱
 ۱۴۵۲
 ۱۴۵۳
 ۱۴۵۴
 ۱۴۵۵
 ۱۴۵۶
 ۱۴۵۷
 ۱۴۵۸
 ۱۴۵۹
 ۱۴۶۰
 ۱۴۶۱
 ۱۴۶۲
 ۱۴۶۳
 ۱۴۶۴
 ۱۴۶۵
 ۱۴۶۶
 ۱۴۶۷
 ۱۴۶۸
 ۱۴۶۹
 ۱۴۷۰
 ۱۴۷۱
 ۱۴۷۲
 ۱۴۷۳
 ۱۴۷۴
 ۱۴۷۵
 ۱۴۷۶
 ۱۴۷۷
 ۱۴۷۸
 ۱۴۷۹
 ۱۴۸۰
 ۱۴۸۱
 ۱۴۸۲
 ۱۴۸۳
 ۱۴۸۴
 ۱۴۸۵
 ۱۴۸۶
 ۱۴۸۷
 ۱۴۸۸
 ۱۴۸۹
 ۱۴۹۰
 ۱۴۹۱
 ۱۴۹۲
 ۱۴۹۳
 ۱۴۹۴
 ۱۴۹۵
 ۱۴۹۶
 ۱۴۹۷
 ۱۴۹۸
 ۱۴۹۹
 ۱۵۰۰
 ۱۵۰۱
 ۱۵۰۲
 ۱۵۰۳
 ۱۵۰۴
 ۱۵۰۵
 ۱۵۰۶
 ۱۵۰۷
 ۱۵۰۸
 ۱۵۰۹
 ۱۵۱۰
 ۱۵۱۱
 ۱۵۱۲
 ۱۵۱۳
 ۱۵۱۴
 ۱۵۱۵
 ۱۵۱۶
 ۱۵۱۷
 ۱۵۱۸
 ۱۵۱۹
 ۱۵۲۰
 ۱۵۲۱
 ۱۵۲۲
 ۱۵۲۳
 ۱۵۲۴
 ۱۵۲۵
 ۱۵۲۶
 ۱۵۲۷
 ۱۵۲۸
 ۱۵۲۹
 ۱۵۳۰
 ۱۵۳۱
 ۱۵۳۲
 ۱۵۳۳
 ۱۵۳۴
 ۱۵۳۵
 ۱۵۳۶
 ۱۵۳۷
 ۱۵۳۸
 ۱۵۳۹
 ۱۵۴۰
 ۱۵۴۱
 ۱۵۴۲
 ۱۵۴۳
 ۱۵۴۴
 ۱۵۴۵
 ۱۵۴۶
 ۱۵۴۷
 ۱۵۴۸
 ۱۵۴۹
 ۱۵۵۰
 ۱۵۵۱
 ۱۵۵۲
 ۱۵۵۳
 ۱۵۵۴
 ۱۵۵۵
 ۱۵۵۶
 ۱۵۵۷
 ۱۵۵۸
 ۱۵۵۹
 ۱۵۶۰
 ۱۵۶۱
 ۱۵۶۲
 ۱۵۶۳
 ۱۵۶۴
 ۱۵۶۵
 ۱۵۶۶
 ۱۵۶۷
 ۱۵۶۸
 ۱۵۶۹
 ۱۵۷۰
 ۱۵۷۱
 ۱۵۷۲
 ۱۵۷۳
 ۱۵۷۴
 ۱۵۷۵
 ۱۵۷۶
 ۱۵۷۷
 ۱۵۷۸
 ۱۵۷۹
 ۱۵۸۰
 ۱۵۸۱
 ۱۵۸۲
 ۱۵۸۳
 ۱۵۸۴
 ۱۵۸۵
 ۱۵۸۶
 ۱۵۸۷
 ۱۵۸۸
 ۱۵۸۹
 ۱۵۹۰
 ۱۵۹۱
 ۱۵۹۲
 ۱۵۹۳
 ۱۵۹۴

3

الصفحة الأولى من النسخة (ف)

127. *Handwritten text in a cursive script, likely a list or account, with several lines of text.*

مستحق

Theophilus Lewis

7

الصفحة الأخيرة من النسخة (ف)

وإنما كنت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقوى يا ربك وصوتك صاكتك ادانك بجمك دينك

فأبدا كسبر حركتك واندانك كركنك واندانك

يقول الله ربك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

المعنى كركنك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

والصدقين وكرنك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

الحق فبدا وادانك وصوتك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

والله اعلم

الصفحة الأولى من النسخة (ش)

مع انهم كانوا من باب الوجود والربط كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

فأبدا كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

بسم الله الرحمن الرحيم

المعنى كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

والله اعلم

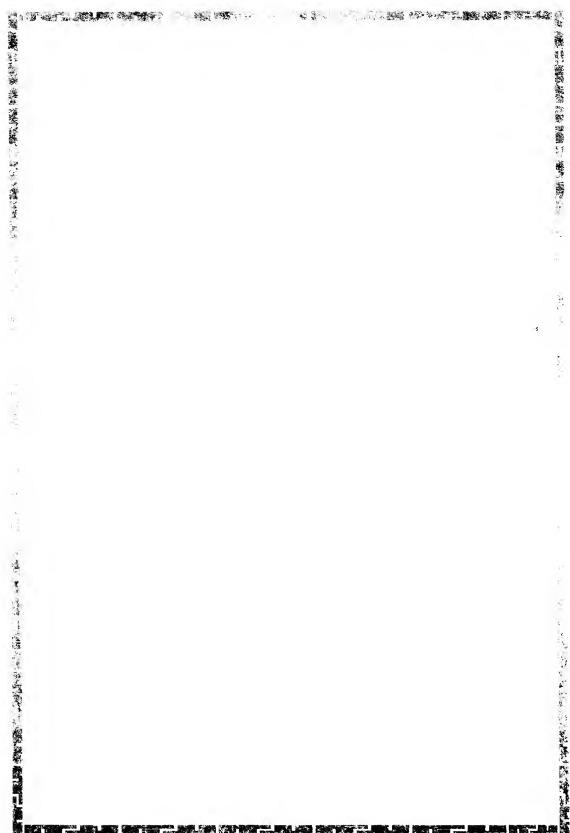
والصدقين وكرنك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

الحق فبدا وادانك وصوتك كركنك صاكتك ادانك بجمك دينك

والله اعلم

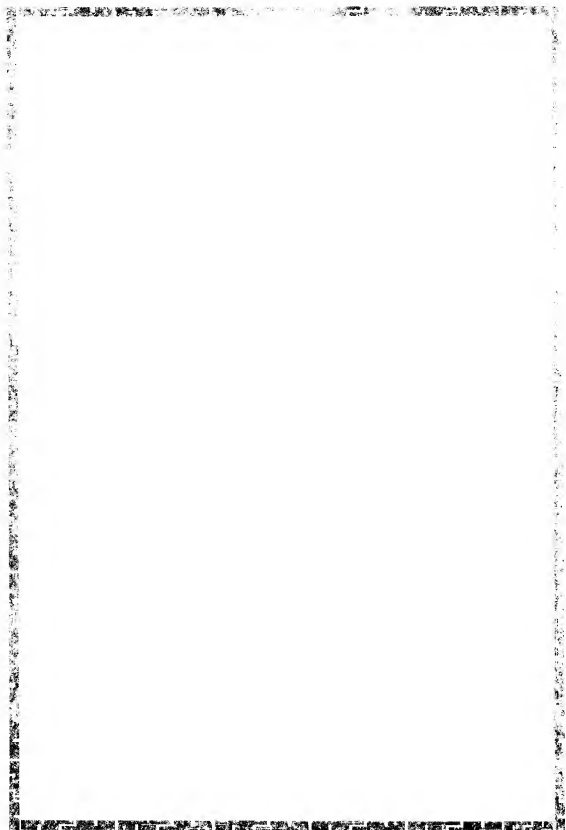
غير المتناهي

الصفحة الأخيرة من النسخة (ش)



رسالة
التصور والتصديق

لصدر الدين الشيرازي



بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

[تصوّرنا آياتك، وصدّقنا برسالاتك، وأمّنّا بحُججك وببيناتك، فاهدنا سبيلَ رحمتك، وأعدنا من شرِّ نِقَماتك]^(٢).

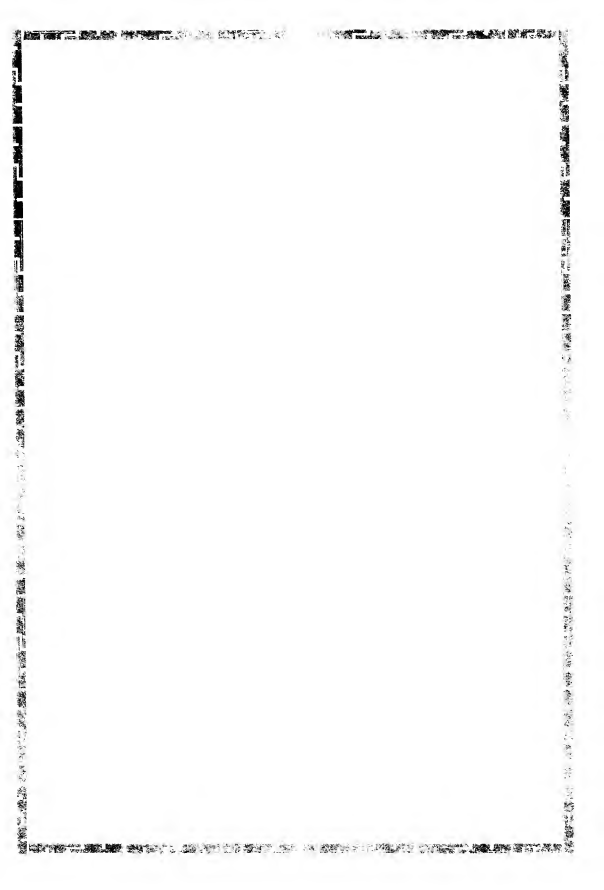
أما بعد؛ فيقول الهاربُ من كلِّ جَناب^(٣) إلى جَنابِ رحمة الله تعالى الحقِّ المُعين محمدَ المشتهر بصدر الدين: هذه رسالة متضمّنة لتحقيق التصور والتصديق وتعريفهما؛ كتبُها^(٤) بالتماس بعض الخُلان المتردّدين إلَيَّ في هذا الأوان ووصيّتهم بصيانتها عن الأغيار والأشرار، متوكّلاً على مُفيض الأنوار.

(١) زاد في الأصل (ز): وبه نستعين، وفي (ش): وبالله أستعين، ولم ترد البسمة في (ف).

(٢) الخطبة ساقطة من الأصل.

(٣) في (ي): جهات.

(٤) في الأصل: كتبتهما، وفي (ي): كيفيتهما، وأثبت ما في سائر النسخ.



فصل

[في العلم تعريفه]

اعلم أن العلم عبارة عن حضور [صور]^(١) الأشياء عند العقل، ونسبته إلى المعلوم كنسبة الوجود إلى الماهية، ووجود الشيء وماهيته متحدان ذاتاً متغايران اعتباراً، وكذا العلم والمعلوم به أمر واحد بالذات متغاير بالاعتبار. وكما أن الوجود موجود بنفسه والماهية موجودة به؛ كذلك العلم معلوم بنفسه منكشف بذاته وغيره من المعلومات معلوم به.

ثم العلم بالشيء الواقعي قد يكون نفس وجوده العلمي نفس وجوده العيني؛ كعلم المجردات بذواتها، وعلم النفس بذاتها وبالصفات القائمة بذاتها، وهكذا أفعالها النفسانية، وأحكامها، وأحاديثها النفسية.

وقد يكون وجوده العلمي غير وجوده العيني؛ كعلمنا بالأشياء الخارجة^(٢) عن ذواتنا وذوات قوانا الإدراكية؛ كالسماء والأرض والإنسان والقرس وغير ذلك، ويقال له: «العلم الحادث» و«العلم الحسولي الانفعالي». وهو المنقسم إلى التصور والتصديق^(٣)؛ المنقسم كل واحد منهما إلى البديهي والكسبي، والبديهي منقسم إلى الأولي وغيره، والكسبي إلى أقسامه؛ كالمحدود والمرسوم^(٤) في باب التصورات، والبرهاني والجدلي والخطابي والشعري والسفسطي في باب التصديقات، إذ كل^(٥)

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) في الأصل: الخارجية.

(٣) في حاشية (ف): أقول: كون التصور والتصديق من أقسام العلم الحسولي الانفعالي إنما هو على المشهور المتعارف، وذلك لا يتنافى كون العلم مطلقاً منقسماً إلى القسمين بأن يقال: العلم والإدراك مطلقاً إما أن يتعلق بذوات الأشياء وماهياتها وهو التصور، وإما أن يتعلق بوجوداتها ويقال له التصديق، من حسن عفى عنه.

(٤) في (ز) و(م) و(ش): المحدود والمرسوم، وفي (ف): كالمحدود والرسوم.

(٥) في (ش): لكل.

(ظ) من هذه الأقسام أثر/ حاصل من الشيء ينفعل به النفس، فلا بدّ وأن يكون بحصول صورة ما منه^(١) في النفس؛ لأننا^(٢) عند علمنا بشيء من الأشياء بعدما لم يكن لا يخلو:

إما أن يحصل لنا شيء أو لم يحصل، وإن لم يحصل؛ فهل زال عتاً شيء أولاً؟ فعلى الثالث^(٣): استوى حالتنا^(٤) قبل العلم وبعده، وهو محال.

وعلى الثاني^(٥): فالزائل متاً عند العلم بهذا غير الزائل منا عند العلم بذلك^(٦)؛ وإلا لكان العلم بأحدهما عين العلم بالآخر، ثم للنفس أن تدرك أموراً غير متناهية ولو على البدلية؛ كالأشكال والأعداد وغيرهما، فيلزم أن يكون فينا أمور غير متناهية بحسب قوة إدراكنا للأمور الغير المتناهية، واشتمال النفس على الأمور غير المتناهية أو على قوة الأمور غير المتناهية^(٧) مما بيّن بطلانه في الحكمة.

ثم الضرورة الوجدانية حاكمة بأن حالة العلم تحصيل^(٨) شيء لا إزالة شيء. فثبت الشق الأول؛ وهو أن العلم عبارة عن حصول أثر من الشيء في النفس.

ولا بدّ أن يكون الأثر الحاصل من كل شيء غير الأثر الحاصل من الشيء الآخر، وهذا هو المراد بحصول صورة الشيء في العقل. ومن ههنا يلزم أن يكون العلم بكل شيء هو نفس وجوده العلمي؛ إذ ما من شيء إلا وبإزائه صورة في

(١) في (ي): صورة ماهية، وفي (ز) و(م) و(ش): صورة مادة.

(٢) ينظر هذا الاستدلال في المشارع والمطارحات الورقة ٩٧، وشرح التلويحات الورقة ٣، وشرح حكمة الإشراف ص ٤٠، ٣٩، ودرة التاج ص ٥٦٠، ٥٥٩، والرسالة المعمولة ٩٢، ٩٣، وقد نقله المؤلف عن المطارحات في تعليقاته على شرح حكمة الإشراف ص ٤٠.

(٣) في (ش): فعلى الثاني، وفي (ز) و(م): فعلى الأول.

(٤) في سائر النسخ: حالتنا.

(٥) في (ش): وعلى الأول.

(٦) في (ي) فالزائل منا عند العلم بها غير العلم بذلك، وفي (ز): فالزائل بهذا غير الزائل منا عند العلم بذلك.

(٧) «أو على قوة الأمور غير المتناهية» ليس في (ز)، وفي (ف): وهو مما بيّن....

(٨) في الأصل: يحصل.

العقل غير الصورة التي بإزاء شيء آخر، وهي غير ما بإزالة صورة أخرى، فلا بد أن يكون صورة كل شيء عين حقيقته وماهيته^(١)، فليتأمل في هذا البيان^(٢)؛ فإنه لا يخلو من غموض.

فإذن: العلم هو تلك الصورة الحاصلة، وله لازمان قد يطلق لفظ العلم على كل منهما أيضاً - كما أطلق على الصورة - بالاشتراك الصناعي: أحدهما: انفعال النفس. والثاني: إضافته إلى المعلوم.

فصل

في تقسيم العلم إلى التصور

والتصديق

اعلم أن كل تقسيم عبارة عن ضم قيود متخالفة إلى أمر واحد مبهم؛ ليحصل بانضمام كل قيد إليه قسم، وتلك القيود إما فصول ذاتية مقومة لماهية الأقسام التي هي الأنواع، ومقررة لوجود المقسم الذي هو الجنس باعتبار، وإما عوارض خارجة عن حقائق الأقسام، داخلة في مفهوماتها من حيث أنها أقسام للمقسم.

والحاصل في الضرب الأول من المقسم والقيد لكل واحد من الأقسام حد له، وفي الضرب الثاني رسم له؛ وربما يكون حداً^(٣) اصطلاحياً أو^(٤) بحسب شرح الاسم.

ثم اعلم أن الوحدة معتبرة في جميع التقسيمات؛ وإلا لم يكن شيء من التقسيمات منحصراً، فإنك إذا قلت: «الكلمة إما اسم أو فعل أو حرف» لم يكن تقسيمك حاصراً إلا أن تريد بها الكلمة الواحدة؛ وإلا لكان المجموع من كل اثنين

(١) في حاشية (م): إذ الصورة بالحقيقة هو الوجود، وقد ثبت أن وجود كل شيء متحد معه؛ تأمل، محمد حسن.

(٢) في الأصل: هذا المقام.

(٣) وذلك في تعريف الأمور البسيطة بلوازمها البينة، ينظر منطق المشركين ص ٣٦، ٣٧.

(٤) «أو» ساقطة من المطبوعة.

أيضاً قسمًا، والمجموعُ الحاصل من الثلاثة أيضاً قسمًا آخر، وكذا الحاصل من التركيبات الواقعة بين كل منهما^(١) وجزء الآخر، فتضاعف الأقسام.

وتلك الوحدةُ المعتبرة في المقسم لا بدَّ وأن تكون من جنس أقسامه؛ إن كانت أجناساً فجنسيّة/، وإن كانت أنواعاً فنوعيّة، وإن كانت أشخاصاً فشخصيّة^(٢).

ثم هذه الوحدةُ المعتبرة قد تكون طبيعية، وقد تكون صناعيّة أو اعتبارية، الأولى: كوحدة الإنسان ووحدة الفرس، والثانية: كوحدة السرير ووحدة الدار أو العسكر.

وكلُّ نوع له وحدةٌ طبيعية لا بدَّ وأن يكون أحدُ جزئيه معنى جنسيّاً والآخر فصلاً؛ وإن كان النوعُ مركّباً خارجياً لا بدَّ وأن يكون جنسه مأخوذاً من مادته وفصله مأخوذاً من صورته.

ولا يخفى أن انقسام العلم إلى قسميه - أعني التصور والتصديق - انقسام معنى جنسيّ إلى نوعين متقابلين، وأن لكل منهما وحدةٌ طبيعية غير تاليفيّة ولا صناعيّة؛ بل إنهما كقيمتان بسيطتان موجودتان في النفس، وهما من الكيفيّات النفسانية التي نحو وجودها^(٣) في نفس الأمر هو كونها^(٤) حالة نفسانية؛ كالقدرة والإرادة والشهوة والغضب والحزن والخوف وأشباهها^(٥).

ولو سألت الحقَّ فهما^(٦) نحوان من الوجود الذهني؛ يوجد بهما^(٧) معلومات في الذهن.

(١) في الأصل و(ش): منها.

(٢) في حاشية الشريف الجرجاني على شرح المطالع ص ٩: التقسيم إن كان إلى الأنواع قيّد المقسم بالوحدة النوعية مطلقاً لا معيّنة؛ فالحيوان الواحد بالنوع إما إنسان وإما غيره وليس مجموعهما مندرجاً فيه، وقس على ذلك التقسيم إلى الأصناف أو الأشخاص.

(٣) في الأصل و(ف): وجودهما، وفي (ي) شطب الناسخ «ها» وكتب بجنبه «هما»، وفي النفس... وجودها ساقط من (ز) و(م) ومشطوب في (ش).

(٤) في (ز) و(م) و(ش): كونهما.

(٥) في (ي): أشباههما.

(٦) في الأصل: هما.

(٧) في الأصل و(ف) و(ي): بها، وفي (ز) و(م) و(ش): لتصورهما معلومات.

وأما مفهومهما فهما من قبيل المعلومات التي هي من المعقولات الثانية التي يَبْحَثُ عنها المنطقيون في صناعتهم، لا من قبيل العلوم^(١)؛ وإلا لم يمكن تعريفهما^(٢).

وعلى أي الوجهين هما أمران بسيطان:

أما على الأول: فالأثنان نحوان من الوجود، وكل وجود بسيط؛ أو مع بساطته يتشخص^(٣) بذاته لا بأمر زائد.

وأما على الثاني: فهما نوعان من مفهوم العلم، مندرجان تحت معنى العلم اندراج النوعين البسيطين^(٤) تحت المعنى الجنسي؛ كالسواد والبياض تحت اللون، لا كالإنسان والفَرَس تحت الحيوان، ولا كالأسود والأبيض تحت الإنسان، من المركبات الخارجية.

وكل ما هو نوع بسيط في العين^(٥) فليس لجنسه تحصيل إلا^(٦) بفصله؛ بل هما واحد جعلاً وتحصلاً^(٧).

إذا عرفت هذه المقدمات فنقول:

إذا ثَبِتَ وتحقق أن كلا من التصور والتصديق نوع بسيط من ماهية العلم الذي هو جنسهما؛ فما أسخف رأي من جعل التصديق مركباً من أمور ثلاثة أو أربعة كما اشتهر من رأي الإمام الرازي^(٨).

(١) في (ف): العلم.

(٢) في حاشية (ف): إذ العلم لا يعرف، لكونه من سنخ الوجود، والوجود لا يمكن تعريفه كما بين في مقامه: فافهم، محمد حسن.

(٣) في الأصل: متشخصاً.

(٤) في حاشية (ف): إذ هما جيتن من الكيفيات والأعراض، والأعراض بسائط خارجية، محمد حسن.

(٥) في (ف): المعنى.

(٦) «إلا» في (ف) مشطوبة، وفي (ز) و(م) بدلها: ما، وشطبها ناسخ (ش) وكتب «ما» فوقها.

(٧) في (م): أو تحصلاً، وفي (ف): تحصيلاً، وعبارة المؤلف تلك إشارة إلى الفرق بين الجنس والفصل في المركب الخارجي والبسيط العيني، ينظر توضيحه في الأسفار ٢/٢٣.

(٨) فخر الدين؛ محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ) الإمام المعروف في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، من تصانيفه في الحكمة والكلام: شرح الإشارات، وشرح عيون الحكمة، والملخص، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.

وما أسخف رأي من جعله نفس الحكم الذي هو فعل من أفعال النفس، وهو^(١) قسم من العلم الانفعالي الذي نسبة النفس إليه بالقبول والانفعال لا بالتأثير والإيجاد.

وكذا رأي من أخذ في تحصيل مفهوم التصديق التصور على وجه الشرطية لا على وجه الدخول، والحق أن مفهوم التصور عين التصديق جعلاً ووجوداً، داخل فيه ماهيةً وتحديداً^(٢) كدخول الجنس في ماهية النوع البسيط^(٣).

وكذا رأي من جعل لفظ التصور مشتركاً بحسب الصنعة بين ما يرادف مطلق العلم وبين ما هو قسيم للتصديق؛ وجعل المعتبر في مفهوم التصديق - شرطاً كما^(٤) في مذهب الحكماء أو شرطاً كما في مذهب المحدثين - هو المعنى/ الثاني؛ أعني التصور المقيّد بعدم الحكم.

وهذا في غاية الرداءة والسخافة؛ لأن الكلام في تحصيل المعنى والمفهوم، والتقسيم في الحقيقة من باب التعريفات والأقوال الشارحة، ومحال أن يُعتبر أفراد أحد القسمين في ماهية القسم الآخر وقوله الشارح له شرطاً أو شرطاً.

وكذا يلزم اشتراط الشيء بنقيضه على رأي المتقدمين، أو تقوم الشيء بنقيضه على رأي المتأخرين، أو مجامعة الشيء لنقيضه على رأي من جعل التصديق هو التصور المجامع للحكم، والكل محال.

والعذر الذي ذكره شارح المطالع^(٤) ووافقه السيد الشريف^(٥) في حاشية شرح

(١) كتب ناسخ (ف): أي بالتصديق.

(٢) كذا في الأصل ونسخة بهامش (ف)، وفي (ف) و(ش): تحليلاً، وفي (ز) و(م) و(ش) فوق كلمة «تحليلاً» من نسخة: تحصيلاً.

(٣) «البسيط» ساقطة من (ز) و(م).

(٤) هو قطب الدين؛ محمد بن محمد الرازي (٧٦٦هـ) أحد أئمة المعقول في عصره، له: لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار، وتحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية، والمحاكمات بين شرعي الإشارات، والرسالة المعمولة في التصور والتصديق، وغير ذلك.

(٥) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (٨١٦هـ) صاحب الشروح والحواشي القيمة على أمهات الكتب في مختلف العلوم، منها: حاشية شرح المطالع، وحاشية شرح الشمسية، وحاشية المطول، وحاشية شرح التنقيح، وشرح المواقف، وشرح التذكرة النصيرية، وما إلى ذلك.

المطالع وحاشية شرح الرسالة لمنع هذه الاستحالة^(١) بما حاصله: أن الذي اعتُبر في معنى التصديق بأحد الوجهين ليس مفهوم التصور؛ بل ما صدق عليه هذا المفهوم - وهي التصورات الثلاثة - صدقاً عرضياً، ولا فساد في اشتراط الشيء بمعروض نقيضه ولا في تقوّمه به؛ كالصلاة المشروطة بالوضوء والبيت المتقوم بالجدار، والوضوء ليس بصلاة والجدار ليس ببيت^(٢)، أوهُن من بيت العنكبوت.

فإنّ كلامنا في هذا المقام إنما هو في تحصيل مفهوم التصديق الذي من باب القول الشارح لا في وجوده، ولا يمكن تحصيل مفهوم أحد القسمين بشيء من أفراد قسيمه، وهل هذا إلا كما يُقَسَّم أحد «الحيوان» إلى الإنسان وإلى ما يتركّب مفهومه من ثلاثة أفراد من الإنسان أن يتوقّف مفهومه على تلك الثلاثة؟! ولا شك في بطلان مثل هذا التقسيم؛ لأن توقّف الشيء في الوجود على شيء آخر هو من أحوال وجوده لا من أحوال ماهيته^(٣).

والمنع الذي ذكره بعضهم^(٤) في استحالة تقوّم الشيء أو اشتراطه بنقيضه - وإلا لزم^(٥) المعاندة بين الجزء والكل والمشروط والشرط - مستنداً بوقوع العناد^(٦)

(١) يعني: منع استحالة اشتراط التصديق بالتصور، وتقوّمه به، ومجامعة الحكم للتصور.

(٢) ينظر ذلك في شرح المطالع وحاشيته ص ٨، ٢٣ و٢٦، وحاشية الشمسية ص ١٢.

(٣) لصاحب الرسالة بيان آخر في الرد على عذر شارح المطالع، أورد في تعليقاته على شرح حكمة الإشراف ص ٤٢.

(٤) في (ز) و(م) و(ش): يفهم، وقد شطب ناسخ (ش) كلمة «بعضهم». والبعض هو قطب الدين؛ محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي الملقب بالعلامة (٧١٠هـ) من أبرز تلامذة الخواجه نصر الدين الطوسي، له تصانيف مشهورة، منها: شرح حكمة الإشراف، ودرة التاج، ونهاية الإدراك في دراية الأفلاك، وشرح القسم الثالث من المفتاح.

(٥) أي: وإن لم يستحل تقوّم الشيء واشتراطه بنقيضه لزم تحقّق المعاندة بين الجزء والكل والمشروط والشرط، وهو محال. وأورد المؤلف هذه الجملة المعارضة لتكون إشارة إلى أن القطب الشيرازي منع أيضاً استحالة المعاندة بين الجزء والكل والمشروط والشرط، وهذا نص عبارته في شرح حكمة الإشراف ص ٤١: التصوّر هو حصول صورة الشيء في العقل مع قطع النظر عن الحكم، لسئ أقول: مع التجرد عن الحكم... فإن ذلك ينافي كون التصور شرط التصديق كما هو عند الأقدمين أو شطره كما عند المحدثين لامتناع تقوّم الشيء واشتراطه بنقيضه واستحالة تحقّق المعاندة بين الجزء والكل والشرط والمشروط؛ ألهم إلا أن يمنع ويقال: لا امتناع في تحقّق العناد المانع من الجمع بين الجزء والكل؛ لتحقّق هذا العناد بين الواحد والكثير مع أن الواحد جزء الكثير.

(٦) في (ز) و(م): الفساد.

بين الواحد والكثير مع أن الواحد جزء الكثير، منفسخ بما ذكرنا؛ فإن ذلك على تقدير صحته إنما هو في وجود المركبات غير الحقيقية، لا في ماهيات الأمور النوعية؛ سيما البسائط الوجودية، ومحال أن يكون جزء ماهية الشيء النوعي معانداً له، والتصديق من هذا القبيل^(١).

فالحق أن يقال في تقسيم العلم إلى التصور والتصديق كما يُستفاد من كلام المحققين: إن حصول صورة الشيء في العقل الذي هو العلم: إما تصور ليس بحكم، وإما تصور هو بعينه حكم أو مستلزم للحكم بمعنى آخر، والتصور الثاني يسمى باسم «التصديق»، والأول لا يسمى باسم غير «التصور».

وهو المراد من قولهم: «العلم إما تصور فقط، وإما تصور معه حكم»؛ فإن المحققين لم يريدوا بهذه المعية أن يكون لكل من المعينين^(٢) وجود غير وجود صاحبه في العقل حتى يكون أحدهما شرطاً أو جزءاً، والآخر مركباً منه أو مشروطاً به؛ كما يتوهم في بادئ النظر من كلامهم، أو لأجل أنهم لمأ رأوا^(٣) أن التصديق (١/٣) لا يتحقق إلا إذا تحققت تصورات ثلاثة؛ فتوهموا أن المراد من التصور المعتبر في ماهيته^(٤) هو تلك التصورات المباشرة له، بل هذه المعية إنما هي عند التحليل الذهني بين جنسه وفصله، وهذا كما يقال: «الإنسان هو الحيوان مع الناطق»، ولم يُرد به أن للحيوان وجوداً وللناطق وجوداً آخر وقد صارا موجودين معاً في الإنسان، إنما المراد بمعية الحيوان والناطق أنَّ الذهن عند تحليل الإنسان وملاحظة حده اعتبر معنيين^(٥)؛ أحدهما مبهم، والآخر معين محصل له، فهما موجودان^(٦) بوجود واحد، فالوجود واحد والمعنى اثنان.

(١) اختار المؤلف في تعليقاته على شرح حكمة الإشراق ص ٤١ طريقاً آخر في دفع المنع المذكور، واحتاج فيه إلى الجواب عن السُّند أيضاً.

(٢) في (ش): المعنيين.

(٣) العبارة مضطربة في جميع النسخ؛ في الأصل: أو لأجل أنهما أراد، وفي (ز) و(م) و(ش): أو من أنهم لما رأوا، وفي (ف): إذ لأجل أنهم رأوا، وفي (ي): فلا أجل أنهم لما رد والأولى ما أثبت.

(٤) في سائر النسخ: ماهية التصديق.

(٥) في الأصل: اعتبرهما معين.

(٦) في (ف) و(ز) و(م): موجود.

كذلك قولنا^(١): «التصديق هو التصور مع الحكم»؛ معناه التصور الذي هو بعينه الحكم، وستزيدك إيضاحاً إن شاء الله تعالى.

فصل

[في تقرير الحق والمذاهب الأربعة]

اعلم أن الأثر الذي هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل أو في العقل، أو حصول صورة الشيء^(٢) فيه أو عنده - إذ مآل الكل عندنا واحد؛ لأن الحصول هو بعينه الوجود، والوجود الذهني نفس الصورة التي في العقل، وكل ما يوجد في مشاعر النفس ومداركها هو موجود في نفس النفس؛ لأن النفس بعينها عين مشاعرها الإدراكية^(٣) كما حققنا ذلك في أسفارنا الإلهية^(٤) - سواء اقترن به حكم أو لم يقترن يُسمى تصوراً^(٥)، وخصوصية كونه حكماً - وهو ما يلحق الإدراك لحوقاً يجعله^(٦) محتملاً للتصديق والتكذيب - يُسمى تصديقاً.

فالتصور هو حصول صورة الشيء في العقل مع قطع النظر عن اعتبار الحكم وعدمه، لسنا نقول: مع التجرد^(٧) عن الحكم كما قاله أكثر المتأخرين؛ وإلا يلزم المحذور المذكور من تقوُّم الشيء بنقيضه أو اشتراطه به على اختلاف المذهبين^(٨)، بل الحكم أيضاً باعتبار مطلق حصوله في العقل من التصورات أيضاً، وباعتبار هذا النحو الخاص من الحصول تصديق.

(١) في (ي): قولهم.

(٢) «الشيء» ليست في (ز).

(٣) في (ز) و(ش): مشاعرها الإلهية، وفي (م): مشاعرنا الإلهية.

(٤) الأسفار ٢٢١/٨ و ٥٦/٩ وما بعدهما.

(٥) في (ز) و(م) بدل «يسمى تصوراً»: تصور، وحوله إليه ناسخ (ش).

(٦) «يجعله» ساقط من (ف).

(٧) في (ز) و(م) و(ش): مع اعتبار التجرد عن الحكم، وفي حاشية (م): يعني أن المراد عدم الاعتبار لا اعتبار العدم، والفرق بين؛ فافهم، محمد حسن عفي عنه.

(٨) الذي يوافق مسلك المؤلف هو جواز تقييد التصور بالتجرد عن الحكم؛ لما بُنِيَ عليه في ص ٥٤ من أن قسيم الشيء أو أفرادها لا تعبر في مفهومه وقوله الشارح له شرطاً أو شرطاً، وسيصرح أيضاً في ص ٨٢ بعدم الفرق بين أن يقيد التصور بعدم الحكم أو بالإطلاق عن الحكم وعدمه، إذن فما يقوله هنا من أن التصور لا يقيد بعدم الحكم إنما يكون جرياً على المشهور بين المحققين، ينظر شرح حكمة الإشراف ص ٤١، وشرح التلويحات الورقة ٣ و ٢.

وبالجملة فاعلم^(١) أنَّ ههنا أموراً ثلاثة:

أحدها: نفسُ الحكم؛ أي الإيقاع أو^(٢) الانتزاع، وهو فعلٌ نفساني ليس من قبيل العلم الحسولي والصوري الذهنية.

وثانيها: تصوُّرُ هذا الحكم، وهو أيضاً من قبيل العلم الحسولي الصوري؛ لكنَّه ليس بتصديق؛ بل من أفراد مقابل التصديق وإن كان معلومُه^(٣) تصديقاً، ولا استحالة في كون شيء واحد علماً و^(٤) معلوماً باعتبارين.

وثالثها: التَّصوُّرُ الذي لا ينفكُ عن الحكم؛ بل يستلزمُه، وهذا هو التصديق المقابل للتصور القسم له، من حيث هو^(٥) تصوُّر لا بشرط أن يكون حكماً أو معه حكم. وهو^(٦) - لأنه نفسُ الحكم باعتبارٍ وملزومٌ له^(٧) باعتبار - يكون مستفاداً من الحجَّة؛ إذا كان كسبياً، لا من القول الشارح؛ وإن كان باعتبار كونه تصوراً مستفاداً منه^(٨).

هذا هو الحقُّ الصريح^(٩) الذي لا يأتيه الباطل [من]^(١٠) بين يديه ولا من خلفه، وهذا مما يُدفع^(١١) به جميعُ الإشكالات الواردة في هذا المقام، ويُمكن تطبيقُه على مذهب الحكماء، وتأويلُ مذهب المتأخرين إليه في التصديق؛ كمذهب الإمام، ومذهب مَنْ يجعل التصديق هو التصوُّر/ المعروف للحكم أو المجامع له كصاحب المطالع^(١٢)، إن لم يوجَد في كلامهم ما يدلُّ على عدم فهمهم لِمَا حَقَّقناه.

(١) «فاعلم» ايس في (ز) و(م)، ومكانه بياض في (ف).

(٢) في (ف) و(ز) و(م): و.

(٣) أي معلوم التصور في قوله «تصور هذا الحكم»، وهو نفس الحكم المذكور فيه.

(٤) في (ي): أو.

(٥) راجع إلى التصور في قوله «المقابل للتصور»، وقد عرفت أن لا حاجة إلى هذه الحثية بناء على مسلك المؤلف؛ إذ يجوز أن يعتبر من حيث هو تصور بشرط ألا يكون حكماً أو معه حكم.

(٦) أي التصور الذي لا ينفك عن الحكم.

(٧) في (ف): لها.

(٨) ذكر المؤلف هذه الأمور الثلاثة بعينها في تعليقاته على شرح حكمة الإشراق أيضاً ص ٤١.

(٩) في (ز) و(م): الحكم الصريح، وكذا في (ش) من نسخة، وفي (ش): هو الحق باعتبار العقل الصريح.

(١٠) ساقطة من الأصل.

(١١) في (ف): يرفع.

(١٢) هو سراج الدين؛ محمود بن أبي بكر الأرموي (د ٦٨٢هـ) من علماء المنطق والحكمة، له مطالع

فإنهم فسروا التصديق بأمور:

أحدها: بأنه عبارة عن الحكم، ونُسب هذا إلى الحكماء. ولعل مرادهم به التصور المستتبع للإذعان؛ والإذعان والحكم والإقرار هو من فعل النفس^(١)، وسُموا^(٢) المستلزم [للحكم]^(٣) باسمه تسميةً للشيء باسم لازمه^(٤).

وثانيها: أنه عبارة عن مجموع تصور المحكوم عليه والمحكوم به والحكم، وهو مذهب الرازي. ولعل غرضه هو أن وجود هذا القسم إنما يتحقق في ضمن هذه التصورات، لا أن^(٥) ماهية التصديق بحسب معناه متقومة بها.

وثالثها: أنه عبارة عن تصور معه حكم، وهو مذهب صاحب المطالع وغيره. ولعل مرادهم من التصور هو المعنى الجنسي، وكونه معروضاً للحكم أنه كذلك^(٦) في ظرف التحليل لا في الوجود، ويكون المراد من العروض ما يكون^(٧) بحسب الماهية لا بحسب التحقق؛ كما يقال: «الفصل من عوارض الجنس» ويراد به عارض الماهية لا عارض الوجود، ألا ترى أن الوجود من عوارض الماهية الموجودة بذلك الوجود؟ وكذا الناطق^(٨) عارض لماهية الحيوان لا لوجوده، وهذا النحو من العروض لا ينافي العينية^(٩) في الوجود.

ولا يرد عليه أيضاً أنه منقوض بسنة أشياء ليس شيء منها التصديق؛ وهو

الأنوار، وبيان بالحق، وغيرهما.

(١) في (ز): هو فعل أفعال النفس، وفي (م): هو فعل من فعل النفس، وفي (ش): هو من أفعال النفس.

(٢) في (ي): وهو، وهو تحريف.

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) هذا التوجيه لمذهب الحكماء هو الذي جزم به القطب الشيرازي في درة التاج ص ٢٩٦، وأشار إليه في شرح حكمة الإشراق أيضاً ص ٤٢، والأنسب بمسلك المؤلف أن يوجه هذا المذهب بأن مرادهم يكون التصديق نفس الحكم هو أنه بحسب الوجود كذلك لا في الذهن وعند التحليل، وقد أشار إلى هذا نفسه في غير موضع، تنظر ص ٥٦ و ٥٨ و ٦٠ ملاحظة مع ما في ص ٥٣.

(٥) في (ي) و(ز) و(م): لأن، وهو خطأ.

(٦) «أنه كذلك» ساقط من (ي).

(٧) «ما يكون» ساقط من (ف).

(٨) «الناطق» ساقطة من (ش).

(٩) في (ش): العلية، وهو تحريف.

اعتبار كل من تصور المحكوم عليه وتصور المحكوم [به]^(١) وتصور النسبة مع الحكم، وكذا اعتبار كل اثنين من هذه [الثلاثة]^(٢) مع الحكم، وذلك لما علمت^(٣)؛ من اعتبار الوحدة الطبيعية في هذا التقسيم^(٤) وغيره من التقسيمات إلى الأمور الحقيقية التي ليس^(٥) حصولها بمجرد الاعتبار، فاعتبار كل من هذه الأمور مع الحكم لا يوجب أن يحصل منها فرد حقيقي لماهية العلم.

ورابعها: أنه عبارة عن إقرار النفس بمعنى القضية والإذعان به^(٦)، وهو أن المعنى الذي حصر في الذهن مطابق لما عليه^(٧) الأمر في نفس الوجود؛ سواء طابق أو لا؛ لأن اعتقاد المطابقة لما في نفس الأمر^(٨) لا يوجب أن يكون الشيء المعتمد مطابقاً لما فيها، ولذلك اشتركت الصناعات الخمس كلها في معنى التصديق؛ بل الحكم^(٩).

فصل (١٠)

[في تأييد الحق بعبارات القوم]

إن الذي حققناه في معنى التصور والتصديق موافق لعبارات القوم، ومطابق

(١) ساقط من الأصل.

(٢) ليست في الأصل، وأثبتها من سائر النسخ، والإيراد قد ذكره أبو الثناء الأصفهاني في شرحه على المطالع الورقة ٣، وأجاب عنه بأن لحاظ عروض الحكم للتصور ولحوقه به يمنع من صدق التعريف على جميع الأشياء الستة ونقضه بها، ونقله الشريف الجرجاني مع نفس الجواب في حاشية شرح المطالع ص ٨، وبيان آخر في حاشية شرح الشمسية ص ٩، ١٠.

(٣) في (ز) و(م) ز(ش): قلت. وجواب المؤلف مبني على توجيهه المذكور لأصل المذهب الثالث وتفسيره الخاص لمعنى المعروضية.

(٤) في (ش): المقسم.

(٥) في جميع النسخ: ليست.

(٦) من هنا إلى قوله «مطابقاً» ساقط من (م)، وإلى قوله «لما فيها» مضطرب في (ز)؛ هكذا: الإذعان لما فيها المعنى الذي حصر في الذهن مطابق لا عليه الأمر لا يوجب أن يكون المعتمد مطابقاً لما فيها.

(٧) في (ف): مطابقاً عليه.

(٨) «في نفس الوجود... نفس الأمر» مشطوب في (ش).

(٩) هذا التفسير الرابع هو مذهب القطب الرازي، ينظر في الرسالة المعمولة ص ٩٧ وما بعدها.

(١٠) بدل «فصل» في المطبوعة: واعلم، ومكانه بياض في (ف) و(ي).

لما ذكره الشيخ الرئيس^(١) وغيره في كتبهم.

قال الشيخ الشهرودي^(٢) في منطق كتابه المسمى بالمطارحات: وأما تقسيم العلم إلى تصور وتصديق فيسأَمَح فيه في أوائل الكتب؛ لأنه ليس موضعاً يحتمل التدقيق، وأحوط التقييدات^(٣) ما ذكره الشيخ أبو علي في بعض المواضع؛ «إن العلم إما تصور فحسب^(٤)، وإما تصور معه تصديق»، واشترك كلاهما في التصور، وزاد أحدهما بالتصديق وهو الحكم.

وكل لفظ^(٥) يقع بمعنى واحد على شيئين ينفرد أحدهما بأمر؛ لا يكون واقعاً باعتبار الانفراد^(٦) على الشيء؛ بل يكون واقعاً باعتبار ما به الاتحاد^(٧)، ولما ذكر^(٨) في التقسيم أن العلم إما كذا وإما كذا؛ لم يقسم إلا^(٩) بعد أن أخذ بمعنى واحد؛ إذ اللفظ المشترك لا يقسم على ما سبق، فكانه أخذ العلم في الموضوع بإزاء مجرد التصور، وقسم التصور إلى ساذج ومقرون بالتصديق.

ثم التصديق والحكم فعل^(١٠)، وهو إيقاع النسبة أو قطعها، وإدراك فعل ما ليس بنفس ذلك الفعل؛ أي ليس ذلك الإدراك نفس ذلك الفعل^(١١) الذي هو الحكم^(١٢)، فرجع العلم المذكور إلى التصور.

(١) هو أبو علي؛ الحسين بن عبدالله بن سينا، المؤلف بالشيخ الرئيس (٤٢٨هـ) الفيلسوف الطبيب الذي خلف عدداً كبيراً من المؤلفات في مختلف الفنون، كالقانون والشفاء والإشارات والموجز الكبير وغير ذلك.

(٢) شهاب الدين؛ أبو الفتوح؛ يحيى بن خبش الشهرودي (٥٨٧هـ) حكيم فلسفي يُعرف بشيخ الإشراق، قتل في السنة المذكورة بحبل، له: حكمة الإشراق، والتلوينات، واللمحات، والمشارع والمطارحات، وهياكل النور، وغير ذلك.

(٣) في المطارحات: أحوط التقسيمات.

(٤) في (ز) و(م): بحت.

(٥) في المطارحات: وهو كل لفظ.

(٦) في المطارحات: ما به الانفراد.

(٧) «على الشيء... الاتحاد» ساقط من المطارحات.

(٨) «في» ساقطة من المطارحات.

(٩) في (ز): لم يقسم بقسم إلا، وفي (م) و(ش): لم يقسم إلا بقسم إلا، وفي المطارحات: ثم يقسم، وفي حاشيته من نسخة: لم يعم إلا.

(١٠) في المطارحات: ثم التصديق حكم، والحكم فعل.

(١١) «أي ليس... ذلك الفعل» ليس في المطارحات.

(١٢) في المطارحات: فتمعننا للفعل الذي هو الحكم تصور لذلك الفعل أي الحكم.

ثم التصورُ قد يكون تصورَ أمورٍ خارجية، وقد يكون تصورَ أحكامٍ نفسانية هي التصديقات، فمرجعُ علومنا كُلِّها إلى التصورات، وإن كان بعضُ المواضع^(١) تصورات^(٢) لأحكام^(٣) [و]^(٤) تصديقات هي أفعالٌ نفسانية و^(٥) إيقاعٌ أو قطع، انتهى كلام صاحب المطارحات^(٦).

فقد عُلِمَ منه^(٧) أن التصديق قسمٌ من التصور المطلق^(٨)، وأن الحكم فعلٌ من أفعال النفس، غيرُ داخل تحت العلم التصوري الانفعالي وإن كان علماً^(٩) فعلياً؛ لأن أفعال المبادي الإدراكية وجودها عينُ الظهور^(١٠) والانكشاف.

والفعلُ ههنا ليس مما يندرجُ تحت مقولةٍ من المقولات التسع التي تُقابل مقولة الانفعال؛ لأنهما أمرانُ نسيَّانٌ تدريجيَّان^(١١): أحدهما التأثيرُ التدريجي، والآخر التأثيرُ التدريجي، وكلُّ^(١٢) من التصور والتصديق ضربٌ من الوجود كما مرَّ، والوجودُ خارجٌ [عن]^(١٣) جميع المقولات العشر؛ لأنها أجناسٌ عالية للماهيات التي لها جنسٌ وفصل، والوجودُ لا جنسَ له ولا فصل ولا حدٌ ولا رسم، لكنَّ مفهوم التصور والتصديق من جملة المعلومات^(١٤) التي هي أمورٌ كلية، لا^(١٥) من جملة العلوم التي هي من أنحاء الوجودات^(١٦)، ولهذا يقبل كلُّ منهما الحدَّ

(١) في المطارحات: وإن كانت في بعض المواضع.

(٢) «تصورات» ساقطة من (ف).

(٣) في الأصل و(ش) والمطارحات: الأحكام، وما أثبت من سائر النسخ ونسخة كتبت فوق كلمة الأحكام في المطارحات.

(٤) ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من المطبوعة.

(٥) في جميع النسخ: أو، وأثبت ما في المطارحات.

(٦) المشارع والمطارحات الورقة ٥٤.

(٧) «منه» ساقط من (ف).

(٨) «المطلق» ساقطة من (ز) و(م).

(٩) في (ي): علمياً.

(١٠) في (ز) و(م): الحضور.

(١١) في (ش): مدركان.

(١٢) لا يظهر وجه لارتباط قوله هذا بما قبله؛ إذ كان كلامه في تفسير الحكم لا التصور والتصديق.

(١٣) ساقطة من الأصل و(ف) و(ي) و(م)، وأثبتها من (ز) و(ش).

(١٤) في (ز) و(م) و(ش): المفهومات، وفي (ي): المعلومات المفهومات.

(١٥) في (ش): أو، وهو خطأ.

(١٦) في (ش): الموجودات، وهو تحريف.

والرسم، فثبتت ولا تكن من الخاططين^(١).

وقال ابن كمونة^(٢) شارحُ التلويحات في تفسير الكلام المذكور^(٣): حصول صورة الشيء في العقل إما أن يقتزن به حكمٌ أو لا يقتزن، وذلك الحصول على التقديرين يُسمَّى^(٤) تصوراً، وذلك الحكمُ باعتبار حصوله في العقل هو من قبيل التصورات أيضاً، وخصوصية^(٥) كونه حكماً تسمى تصديقاً.

فالتصور هو حصول صورة الشيء في العقل غير مقيّد باقتران الحكم و^(٦) لا اقتترانه؛ إذ لو قيّد بعدم اقتران الحكم كما اعتبر ذلك جماعةٌ من المتأخرين حيث قالوا: «إن الأمر الحاصل في العقل إن لم يكن معه حكمٌ فهو التصور، وإن كان معه حكمٌ فهو التصديق» لما تأتى^(٧) اشتراطُ التصديق بالتصور على قول من يجعل التصديق مجردَ الحكم؛ وهو المصطلح عليه في كتاب التلويحات اقتداءً بالحكماء المتقدمين، ولا أن يُجعل^(٨) جزءاً من التصديق على قول من يجعله مجموعَ تصورات المحكوم عليه وبه والحكم؛ وهو مصطلحُ الإمام في ذلك. لكنَّ الجميع اتَّفَقوا على أن التصديق يستدعي التصورَ من غير عكس.

ولو قيّد بمقارنة الحكم لاستدعى^(٩) التصورُ التصديقَ/ كما كان^(١٠) التصديقُ^(١١)

(١) في سائر النسخ: الخاططين.

(٢) عز الدولة؛ سعد بن منصور، المعروف بابن كمونة (د. ٦٨٣هـ) كيميائي، عارف بالمنطق والحكمة أيضاً، من تأليفاته: شرح التلويحات، وتذكرة في الكيمياء، وتنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث.

(٣) هذه عبارة القطب الرازي في الرسالة المعمولة ص ١١٦، وقد أراد هو بالكلام المذكور ما نقله قبلها من كلام التلويحات، وهو: «العلم إما تصور وهو حصول صورة الشيء في العقل وإما تصديق وهو الحكم على تصورات إما بنفي أو إثبات»، ولكن المؤلف لم يذكر شيئاً من التلويحات كما ترى، فلعله يقصد الكلام المذكور عن المطارحات.

(٤) في (ف): يُعنى.

(٥) في شرح التلويحات: لخصوصية.

(٦) في شرح التلويحات: أو.

(٧) في (ش): لا ينافي، وهو تحريف.

(٨) في (ش) ولا يجعل، وفي شرح التلويحات: أو أن يجعل.

(٩) في (ف): لا استدعى، وفي (م) و(ش): لا يستدعي، وفي (ز): يستدعي.

(١٠) في الأصل: كما أن.

مستدعيًا له^(١)، وذلك مما اتَّفَقوا على القول بخلافه، انتهى^(٢).

فظَهَرَ من كلامه أن التصديق أيضاً قسَمٌ من التصور وإن كان قسيماً له باعتبار آخر؛ فقد جُمع فيه النوعية والتقابل^(٣) باعتبارين من غير محذور، وهذا كما أن ماهية ما كالحيوان مثلاً قد تُؤخَذ^(٤) لا بشرط شيء، وقد تُؤخَذ^(٥) بشرط شيء، وهذا الثاني قسَمٌ للأول باعتبار، وقسيمٌ له باعتبار آخر.

وظَهَرَ أيضاً من كلامه أن الحكم خارجٌ عن التصديق، والتصديق أمر بسيط غير مركَّب من تصور وحكم كما هو مذهب الحكماء، لكن قد يطلق الحكم ويراد به نفس التصديق المستتبع^(٦) للحكم تجوُّزاً كما مرَّ.

قال بعضهم^(٧) في الفرق بين التصديق والحكم: إن التصديق^(٨) أمرٌ انفعالي؛ لأنه قسم من العلم التجديدي، وهو حاصلٌ بانفعال النفس، والحكم إيقاع النسبة الإيجابية أو السلبية، وهو فعل؛ لأن الإيقاع فعل المدرك، فلا يصدق أحدهما على الآخر، فإطلاق التصديق على [الحكم] مجاز^(٩).

وتحقيقه أن الإدراك لما كان عبارةً عن حضور المدرك عند المدرك، فالحضور الذي يحضر معه أن النسبة الإيجابية واقعة أو ليست بواقعة هو التصديق، والحاضر منه عنده هو المصدق به، وإيقاع النسبة وسلبها هو الحكم، والحضور الذي لا يحضر منه عنده^(١٠) هذا الذي ذكرنا - وإن حضَّر غيره وإن كان مفهوم الوقوع واللاوقوع أو غيرهما - فهو التصور، والحاضر هو المتصور، فالتصديق لا يخلو عن الحكم لأنه^(١١) هو هو.

(١) زاد هنا في شرح التلويحات: فكان العكس واجِباً في استدعاء أحدهما الآخر من حيث هو هو.

(٢) شرح التلويحات الورقة ص ٣٢٣.

(٣) في الأصل (ف) و(ي) و(م) و(ش): التقابل فيه، بزيادة «فيه»، وأسقطته كما في (ز).

(٤) في (ز) و(م) و(ش): يوجد.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) في (ش): الممتنع، وهو تحريف.

(٧) هو قطب الدين الشيرازي في شرح حكمة الإشراق ص ٤٢، والمؤلف ينقل عبارته بتصرف.

(٨) «المستتبع... إن التصديق» ساقط من (ز) و(م).

(٩) في الأصل: على المجاز.

(١٠) «هو المصدق به... لا يحضر منه عنده» ساقط من (ش).

(١١) في (ز) و(م) و(ش): وأنه، وهو خطأ.

ويدل على تغيرهما قول جميع^(١) المتأخرين: «إن الإدراك إن كان مع الحكم يسمى تصديقاً»، لأن ما مع الشيء غيره، وكذا قول الخواجه^(٢) في شرح الإشارات وهو «إن المتصور هو الحاضر في الذهن مجرداً عن الحكم، والمصدق به هو^(٣) الحاضر فيه مقارناً له» يدل عليه أيضاً؛ لأن المقارن^(٤) للشيء غير ذلك الشيء، لكن لئلازم التصديق والحكم أطلق أحدهما على الآخر مجازاً كما في «جری الميزاب».

أقول: وهذا القول من المحقق^(٥) في ظاهر الأمر ينافي قوله في شرح الإشارات أيضاً: إن الحكم هو التصديق، وما عرّض له الحكم هو المصدق [به]^(٦).

ويمكن دفع المنافاة بينهما بأنه أراد بالحكم ههنا نفس التصديق^(٧)، وأراد هناك به نفس الإيقاع والانتزاع^(٨)، فأطلق كل^(٩) منهما على الآخر في الموضعين^(١٠) تسمية لأحد المتلازمين باسم الآخر مجازاً كما مر، فلا منافاة.

- (١) في (ف): تفارقهما جميع، وفي المطبوعة: تفارقهما تصريح.
- (٢) هو نصير الدين؛ محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (٦٧٢هـ) من أشهر أئمة الفلسفة والرياضيات والفلك، صنف كتباً ورسائل في فنون شتى، منها: شرح الإشارات، وأساس الاقتباس، وتعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار، وتجريد الاعتقاد، وتلخيص المحصل، والتذكرة النصيرية.
- (٣) في جميع النسخ: «المتصور وهو» و«المصدق به وهو» بزيادة الواو في الموضعين، والتصويب من شرح الإشارات ١٢/١، وشرح حكمة الإشراق.
- (٤) في جميع النسخ: يدل على أن المقارن، وهو فاسد، وما أثبت من شرح حكمة الإشراق.
- (٥) يريد القول الذي نقله القطب الشيرازي عن المحقق الطوسي في شرح الإشارات.
- (٦) ليس في جميع النسخ، وأثبتته من الرسالة المعمولة ص ١٢٢. ووجود المنافاة بين قولي الطوسي مبني على أن يراد بالتصديق الذي تضمنته «المصدق به» في قوله الأول معناه المجازي الذي هو الحكم، فالمصدق به هناك هو ما يتعلق به الحكم، وظاهر أن هذا المتعلق هو الإدراك المقارن للحكم، إذن يكون المراد بذلك المصدق به نفس التصديق بمعناه الحقيقي، وبهذا تتضح المنافاة بين القولين.
- (٧) يعني: أراد بالحكم في قوله «إن الحكم هو التصديق» نفس الإدراك المقارن للحكم.
- (٨) يعني: أراد بالحكم الذي يفيد الضمير في قوله «المصدق به هو الحاضر في الذهن مقارناً له» نفس معناه الحقيقي الذي هو الإيقاع والانتزاع.
- (٩) في (ز): فأطلق كلاً.
- (١٠) ففي الموضع الثاني أطلق الحكم على التصديق صريحاً، وفي الموضع الأول أطلق التصديق على

وقال أيضاً فيه^(١): هكذا يجب^(٢) أن يتصور حقيقة التصور والتصديق ليندفع الإشكالات الواردة؛ كما يقال: لو كان التصديق هو الإدراك المقارن للحكم كان الحكم خارجاً عن التصديق، لكنه نفسه أو جزؤه.

أقول: ومعلوم أن غرضه من الحكم الذي حكم^(٣) بأنه نفس/ التصديق أو جزؤه ليس ما هو فعل النفس؛ بل ما هو قسم من العلم الحصولي الانفعالي^(٤).

ثم قال: وأيضاً كان التصديق كسبياً إذا كانت تصورات كسبية؛ ضرورة أنه إذا توقّف الإدراك المطلق على الفكر يتوقّف عليه الإدراك المقترن به، لتوقّفه على جزئه.

أقول: قد علمت^(٥) حلّ هذا الإشكال؛ وهو أن هذا الإدراك المقارن من حيث أنه أمر يلزمه^(٦) الحكم قد يكون محتاجاً إلى الكسب، وإن لم يكن من جهة كونه أموراً تصورية^(٧) مفتقراً إلى كسب.

ثم قال: وأيضاً كان كل تصديق ثلاثة تصديقات، لحصول ثلاثة إدراكات^(٨) مقترنة به^(٩).

أقول: هذا مندفع بما أشرنا، من أن التصديق هو الإدراك المقترن بالحكم^(١٠) على وجه الاستلزام والاستتباع، وليس شيء من التصورات الثلاثة ولا

الحكم ضمناً؛ أعني في تعبيره بـ «المصدق به».

(١) أي: قال البعض أيضاً في الفرق بين التصديق والحكم، ينظر شرح حكمة الإشراق ص ٤٢.

(٢) في جميع النسخ: ويجب، وما أثبت من شرح حكمة الإشراق.

(٣) في الأصل: بما حكم، وكتب الناسخ تحت «بما»: نسخة.

(٤) ما ذكره المؤلف في هذه الفقرة سهو منه؛ لوضوح أن قول القطب الشيرازي «لكنه نفسه أو جزؤه» تنمة لما بيّنه من الإشكال، والضمير في «لكنه» راجع إلى نفس الحكم الذي اعتقده شرطاً للتصديق خارجاً عنه، فليس غرضه من هذا الحكم سوى معناه الحقيقي الذي هو الإيقاع والانتزاع، ولذا ستره يجيب عنه بأن الحكم لازم الإدراك المقترن بالحكم لا نفسه ولا جزؤه.

(٥) في (ي): قد علمت أنه حلّ.

(٦) في (ي): أنه هو يلزمه، وفي (ش): «أنه يلزمه» مشطوباً، وفي (ز) و(م) و(ش) فوق المشطوب: أنه أمر يلزم.

(٧) في (ز) و(م): أمراً تصورته، وكذا في (ش) من نسخة.

(٨) في جميع النسخ وشرح حكمة الإشراق: «ثلاثة إدراكات»، والصواب ما أثبت.

(٩) في شرح حكمة الإشراق: بالحكم.

(١٠) في جميع النسخ: للحكم، والصواب ما أثبت.

الثلاثة الحاصلة من الثنائيات كذلك، ومن^(١) أن المراد من هذه المعية أو الاقتران أو المعروضية ما يكون في ظرف التحليل الذهني بين المعنى الجنسي والمعنى الفصلي.

ثم قال: وأيضاً جازَ اقتناصُ التصديق من القول الشارح، مع أنه لا يُقتنص إلا بالحجة.

أقول: وجهُ دفعه أن هذا الإدراك^(٢) من حيث كونه على وجه يستلزم الاقتران بالحكم ومن جهة كونه إدراكاً محتملاً للتصديق والتكذيب لا يُقتنص ولا يستفاد إلا بالحجة، ومن حيث كونه إدراكاً مطلقاً فيجوز اكتسابه بالقول الشارح لا بالحجة.

ثم قال مُشيراً إلى حلِّ هذه الإشكالات: وإنما يندفع الأولُ لما عرفت من أن الحكم لازمُ الإدراك المقترون بالحكم، لا نفسه ولا جزؤه.

وإنما يندفع الثاني بأن التصديق الكسبي هو الذي يفتقر إلى الاكتساب في إيقاع النسبة وسلبها، وأما تصوراتُه إذا كانت مكتسبة فلم يفتقر إليه من تلك الجهة؛ بل من جهة أن التصور لازم^(٣).

وإنما يندفع الثالث بأن التصديق حضورٌ يحضر منه أن النسبة واقعة أو غير واقعة، وليس حضورٌ كلُّ واحد من الإدراكات الثلاثة كذلك^(٤).

وإنما يندفع الرابع^(٥) بأن التصديق الذي لا يُقتنص [إلا]^(٦) بالحجة هو التصديق بمعنى الحكم؛ أعني إيقاع النسبة أو سلبها، وأما الذي بمعنى الحضور^(٧) الموصوف فلا يقتنص إلا بالقول الشارح.

(١) في (ز) و(م) و(ش): بين.

(٢) في (ش): هذه الإدراكات، وهو خطأ.

(٣) العبارة من «وأما...» جاءت هكذا في شرح حكمة الإشراق: وما تصوراتُه مكتسبة لم يفتقر؟ إليه من تلك الجهة؛ بل من جهة التصور اللازم له.

(٤) هذه الفقرة ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من شرح حكمة الإشراق.

(٥) فوقها في المطبوعة: الثالث، نسخة.

(٦) ساقطة من جميع النسخ: وأثبتها من شرح حكمة الإشراق.

(٧) في (ش): التصور.

فصل (١)

[في جواز تقسيمي العلم]

لا أظنك^(١) بعدما سردنا^(٢) عليك من الكلام الموضح للمرام أن تكون في ريب مما أوضحنا لك سبيله وبيّنا دليّله؛ من أن العلم بجميع أقسامه يكون تصوراً، ويمتاز بعض أفراداه عن بعض بأمر يصير به تصديقاً. والتصديق أيضاً باعتبار أنه حصول في الذهن تصور^(٤)، وباعتبار أن له [حصولاً]^(٥) في الذهن متصور^(٦)، وباعتبار أنه حصول شيء لشيء مطابقاً لما في الواقع تصديق.

فعلى هذا جاز أن يقسم العلم بأنه إما تصور ساذج وإما تصور معه تصديق؛ كما في الإشارات.

وجاز أن يقسم بأن العلم إما تصور وإما تصديق^(٧)؛ كما في الموجز الكبير، فبعض العلوم يكون تصوراً؛ وهو ما يحصل في الذهن، مفرداً كان أو مركباً، تقييداً أو غيره، وبعضها يكون تصديقاً؛ وهو الاعتراف بحصول شيء لشيء، وإن كان الاعتراف من جهة كونه حصولاً في الذهن تصوراً أيضاً. فلا محذور في شيء من التقسيمين^(٨).

فالذي يدل أيضاً على صحة ما فهمناه من التصور والتصديق ما قاله الشيخ في منطق الإشارات: الشيء قد يُعلم تصوراً ساذجاً؛ مثل علمنا بمعنى اسم المثلث، وقد يُعلم تصوراً معه تصديق؛ مثل علمنا بأن كلّ مثلث فإن زواياه مساوية لقائمتين^(٩).

(١) في (ز) و(م) و(ش) بدل «فصل»: أقول، ومكانها بياض في (ف) و(ي).

(٢) فوقها في (ش) من نسخة: لا تظنك، وفي (ز): لا تظنك، وفي (م): لا يظنك.

(٣) في الأصل و(ف) و(م): تردنا، وفي (ش): أوردنا، وما أثبت من (ي) و(ز) ونسخة كتبت في (ش).

(٤) «تصور» ساقطة من (ف)، وفي (ز) و(م): تصور، وهو خطأ.

(٥) ساقطة من الأصل، وفي (ف) و(ي) و(م) و(ش): حصول، وهو خطأ، وما أثبت من (ز).

(٦) في (ي): تصور.

(٧) كما في الإشارات... وإما تصديق ساقط من (م)، وأثبتته ناسخ (ف) بهامتها.

(٨) في (ف) و(ز) و(م) و(ش): القسمين، وهو تحريف.

(٩) ينظر الإشارات بشرح الطوسي ٢٣/١.

وقال أيضاً في كتاب الموجز الكبير؛ في الفصل الأول من المقالة الثالثة في البرهان^(١): العلم يحصل بوجهين:

أحدهما تصديق.

والآخر تصور^(٢).

والتصور أن يحدث مثلاً معنى اللفظ في النفس، وهو غير أن يجتمع في النفس منه معنى قضية قبلها^(٣) النفس، بل [إن]^(٤) يجتمع^(٥) في النفس منه معنى قضية لم تخل من أن تكون مشكوكاً فيها^(٦) أو مَقَرّاً أو منكراً^(٧) و^(٨) في الوجوه الثلاثة يكون^(٩) التصور قد حَدَثَ، وهو وجود المعنى في النفس، أما الشك والإنكار فلا تصديق به معه^(١٠).

وأما الإقرار - وهو التصديق - فهو معنى غير أن يحصل في النفس معنى القضية؛ بل شيء آخر يقتضيه، وهو صورة الإذعان له، وهو أن المعنى الحاصل^(١١) في النفس مطابق لما عليه الأمر في نفس الوجود، فلا يكون معنى القضية المقبولة^(١٢) من جهة ما تُصَوِّرَت في النفس معنى قضية مقبولة^(١٣)؛ بل ذلك حادث آخر في النفس.

(١) تنظر عبارة الموجز الكبير في درة التاج ص ٢٩٤، والرسالة المعمولة ص ٩٨.

(٢) في درة التاج: أحدهما تصور والآخر تصديق.

(٣) في الأصل (ف) و(ز) و(م) و(ش): تعقلها، وفي (ي): تعلقها، وما أثبت من درة التاج والرسالة المعمولة.

(٤) ساقطة من جميع النسخ: وأثبتها من درة التاج والرسالة المعمولة.

(٥) في درة التاج: اجتمع.

(٦) «فيها» ساقط من (ز) و(م) و(ش).

(٧) في درة التاج: لم يخل إما أن يكون شاكاً فيها أو مَقَرّاً بها أو منكراً إياها.

(٨) في جميع النسخ: إذ، وأثبت ما في المطبوعة ودرة التاج والرسالة المعمولة.

(٩) في الأصل و(ف): قد يكون، والصواب إسقاط «قد» كما في سائر النسخ.

(١٠) في (ز) و(م) و(ش): فلا يصدق به معه، وفي درة التاج: فلا تصديق معه.

(١١) «في النفس... الحاصل» ساقط من (ز) و(م)، ومشطوب في (ش)، وأثبت ناسخ (ف) بهامش (م).

(١٢) في الأصل و(ف) و(ي) و(ش): المعقولة، وفي (ز) و(م): المحقولة، وفي درة التاج: القولية، والصواب ما أثبت من الرسالة المعمولة.

(١٣) في جميع النسخ: معقولة، وأثبت ما في درة التاج والرسالة المعمولة.

[وقال أيضاً في الشفاء^(١)]؛ في الفصل الثالث من المقالة الأولى من الفن الأول من الجملة الأولى في مدخل المنطق: وكما أنَّ الشيء يُعلم من وجهين^(٢):

(أحدهما أن يُتصور فقط، حتى إذا كان له اسم فُتطَق به تمثُّل معناه في النفس وإن لم يكن هناك صدق أو كذب، كما قيل: «إنسان»، أو قيل: «افعل كذا»، فإنك إذا وقفت على معنى ما تخاطب به من ذلك كنتَ تصورتَه.

والثاني أن يكون مع التصور تصديق، فيكون إذا قيل لك مثلاً: «إن كلُّ بياض عرض» لم يحصل لك من هذا تصور معنى هذا القول [فقط]^(٣)؛ بل صدقت أنه كذلك، وأما إذا شككت أنه كذا أو ليس بكذا فقط تصورت ما يقال لك، فإنك^(٤) لا تشك فيما لا تتصوره ولا تفهمه، ولكنك لم تصدق به بعد، فكلُّ تصديق يكون معه تصور ولا ينعكس. فالتصور في مثل هذا المعنى يفيدك أن يحدث في الذهن صورة هذا التأليف وما يؤلف منه كالبياض والعرض، والتصديق هو أن يحصل في الذهن نسبة هذه الصورة إلى الأشياء أنفسها؛ أنها مطابقة لها، والتكذيب بخلاف ذلك.

كذلك الشيء يُجهل^(٥) من وجهين:

أحدهما من جهة التصور.

والثاني من جهة التصديق، انتهى كلامه في الشفاء^(٦).

أقول: هذا مصرِّح بأن التصديق قسم من التصور وإن كان قسيماً له أيضاً (و) باعتبار، والمراد من المعية/ المذكورة في عبارة الإشارات من قوله: «وقد يُعلم تصوراً^(٧) معه تصديق»، هي المعية التي تكون بين جنس الشيء وفصله بحسب التحليل الذهني؛ كمعية اللون وقابضية البصر في السواد، وهما شيء واحد في

(١) ساقط من الأصل، ودون الواو من (ف) و(ز) و(م) و(ش)، وأثبت من (ي).

(٢) في الأصل و(ف) و(م) و(ش): يعلم وجهين، وفي (ي) و(ز) يعلم بوجهين، وما أثبت من الشفاء.

(٣) ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من الشفاء.

(٤) في الأصل و(ف): فأنكر، وفي (م) ونسخة كتبت في (ش): بأنكر، وفي (ز) و(ش): بأنك، وما أثبت من (ي) والشفاء.

(٥) في الأصل: يحتمل، وهو تحريف.

(٦) الشفاء ج ١، المدخل/١٧.

(٧) في الأصل و(ف): تصور، والصواب ما أثبت من سائر النسخ والإشارات.

الوجود، لا المعية في الوجود المقتضية للثنائية؛ كالمعية بين الجزء والكل، والشرط والمشروط، كما مر^(١) آنفاً.

ولذهول المتأخرين عن هذه الحقيقة، وعن أن الحكم في كلامهم يطلّق تارة على نفس هذا التصديق وتارة على ما يلزمه، استصعبوا^(٢) كلام الشيخ في هذين الموضوعين؛ حيث جعل أحد قسمي العلم تصوراً ساذجاً والآخر تصوراً معه تصديق، كما فعّله أيضاً بعض المتأخرين من المذهب المستحدث.

ثم حاول العلامة الرازي شارح المطالع توجية كلام الشيخ، فقال: ليس المراد منه أن العلم ينقسم إلى التصورين؛ وإلا لم تكن القسمة حاصرة^(٣)؛ فإن التصديق عنده علم على مقتضى تعريفه وهو ليس شيئاً منهما، بل المراد أن العلم يحصل على الوجهين وحصوله على وجه آخر لا يُنافي ذلك. على أن سائر كتب الشيخ مشحون بتقسيم العلم إلى التصور والتصديق، فإنه قال في مفتتح المقالة الأولى من الفن الخامس من منطق الشفاء: «إن العلم المكتسب بالفكر والحاصل بغير الكسب الفكري^(٤) قسمان: أحدهما التصديق، والآخر التصور^(٥)»، وقال في الموجز الكبير في الفصل الأول من المقالة الثالثة: «العلم على وجهين: تصور وتصديق»، وفي أول فصل من فصول كتاب النجاة: «كل معرفة وعلم إما تصور وإما تصديق^(٦)»، إلى غير ذلك من مواضع كلامه^(٧).

أقول: مفاد قوله: «تصوراً معه تصديق»، وقوله: «أو يكون مع التصور تصديق»، المذكورين في عبارتي الإشارات والشفاء؛ هو بعينه مفاد معنى التصديق المذكور في الكتب الثلاثة، وهما أمر واحد؛ لأن نسبة التصور المطلق^(٨) إلى

(١) في سائر النسخ: مر ذكره.

(٢) في (ز): أتبعوا، وفي (م): أسبقوا، وهذا تحريف.

(٣) زاد هنا في (ف): فإن القسمة حاصرة.

(٤) في (ي) و(ز) و(م) و(ش) وشرح المطالع والشفاء: اكتساب فكري.

(٥) الشفاء ج ٣، البرهان/ ٥١.

(٦) النجاة ص ٣.

(٧) شرح المطالع ص ١٠٠، ٩.

(٨) «المطلق» ليست في (ش).

التصديق اتّحادية لا ارتباطية، كما مرّ بيانه مراراً، لكنّ لفظ التصديق في عباراته قد أطلق تارةً بمعنى الحكم، وتارةً على أحد قسمي العلم.

ولعله إنّما^(١) قيّد التصوّر بالتصديق في هذا القسم ولم يقيّده بالحكم كما فعله غيره من المتقدمين؛ لثلا يردّ على تقسيمه مثل^(٢) ما يرد على تعريف التصديق بالحكم بشيء على شيء؛ بأن هذا مختصّ بالتصديقات الحولية دون الشرطيات^(٣)، فلاجل ذلك أورد لفظ التصديق بدل الحكم.

وبالجملة فالتقسيم المذكور صحيح حسبما بيّناه، فلا حاجة في تصحيحه إلى الاعتذار الذي ذكره شارح المطالع؛ من أن المراد في العبارتين ليس بيان حصر العلم في التصورين وإلا لم يكن حاصراً بل المراد أن العلم قد يحصل كذا وقد يحصل كذا، بل لا وجه لهذا الاعتذار أصلاً؛ فإن المقام ليس إلا مقام تقسيم العلم (ظ) إلى القسمين وحصره فيهما.

وقوله: «وإلا لم تكن القسمة حاصرة» ممنوع؛ بل القسمة حاصرة، والتصور الذي معه تصديق - أي معه إذعان - هو بعينه التصديق؛ لاثّحاده بالتصور المحتمل للتصديق والتكذيب، وذلك قسم واحد مقابل للتصور الذي لا يكون معه تصديق؛ إذ المراد بالتصديق ههنا الإذعان، دون ما هو قسم للعلم التصوري الانفعالي، والمعنى كما مرّ إنّما تكون في ظرف التحليل بين التصور الذي هو بالمعنى الجنسي وبين التصديق بهذا المعنى، والمجموع هو التصديق باصطلاح آخر.

وليس المراد منه^(٤) التصور الذي يكون في أطراف القضية؛ لامتناع اعتبار أفراد أحد المتقابلين في مفهوم المقابل الآخر، وإن جاز توقّف أحد المتقابلين في وجوده على بعض أفراد مقابله الآخر.

والغلط^(٥) ههنا إنّما نشأ من الاشتباه بين ماهية الشيء وما صدّق عليه؛ فالذي

(١) «إنما» ليست في (ف).

(٢) «مثل» ساقطة من (ش).

(٣) أورد ذلك السهروردي في منطق المطارحات الورقة ١، وذكره ابن كمونة أيضاً في شرح التلويحات الورقة ٣، وقد نقله القطب الرازي عن كليهما في رسالته المعمولة ص ١١٤ و ١١٩.

(٤) أي من التصور في قوله السابق: «والتصور الذي معه تصديق - أي معه إذعان - هو بعينه التصديق».

(٥) يعني بالغلط أن يراد بالتصور في «تصور معه تصديق» التصور الذي يكون في أطراف القضية.

هو مأخوذ في تعريف التصديق هو التصور لا بشرط شيء، لا ما يصدق عليه التصور من الأفراد، والذي هو مقابل للتصديق هو مفهوم التصور المقيّد بعدم الحكم أو بالإطلاق لا المطلق، كما في سائر التقاسيم؛ فإننا إذا قلنا: الحيوان إما ناطق وإما لا ناطق، أو قلنا: الحيوان إما حيوان ليس مع نطق أو ليس معه نطق وإما حيوان مع نطق أو معه نطق، كان الحيوان المؤخوذ في كلّ منهما^(١) هو الحيوان لا بشرط شيء، وهو بعينه هو الناطق في أحد القسمين؛ أعني الإنسان، وغير الناطق في القسم الآخر؛ أعني الأعجم^(٢)، فالمعية الذهنية لا تنافي الاتحاد في الوجود.

[تعقيب عبارات القطب الرازي]

وهذا العلامة مع أنه سلّك هذا المسلك في شرح الرسالة^(٣)؛ لكنّه لم يثبّت فيه ولم يعتمد عليه في دفع الشكوك في سائر كتبه، وكثيراً ما صار يحوم حول^(٤) هذا البيان الذي ذكرناه من أن التصديق هو نوع من التصور في رسالته المعمولة في التصور والتصديق^(٥)، ثم يبعد عنه بمراحل.

والذي يدلّ على أنه غير راسخ فيه أن شرحه على المطالع متأخر عن تصنيفه لتلك الرسالة، وفي ذلك الشرح أورد شكوكاً على تقسيم العلم، ثم تصدّى لدفعها بوجوه مقدوحة لا تناسب ما حقّقناه، فإنه قال في ذلك الشرح عند قول المصنّف^(٦) «العلم»^(٧) إما تصور إن كان إدراكاً ساذجاً، وإما تصديق إن كان مع

(١) في (ز) و(م): منها.

(٢) في (ي): العجم، وصحّحها الناسخ بالهامش، وفي (ش): الأعجم قاطبة.

(٣) إذ ذهب عند شرحه على عبارة الشمسية في تقسم العلم إلى تصور فقط وتصور معه حكم إلى أن المراد بالتصور هو مطلق التصور الذي هو حصول صورة الشيء في العقل؛ كما أجاز في نهاية البحث أن يقسم العلم إلى تصور وتصديق ويراد بالتصور بشرط لا شيء وبالتصديق التصور بشرط شيء ويكون المعتبر في التصديق هو التصور لا بشرط شيء، ينظر شرح الشمسية ص ١٢-٧.

(٤) في جميع النسخ: حوم.

(٥) وذلك حين يصرّح بأن العلم بجميع أقسامه تصور أو ينفي أن يكون التصور قسماً للتصديق، تنظر الرسالة المعمولة ص ١٠٩ و ١١٠ و ١٢٨.

(٦) يعني صاحب المطالع، وهو سراج الدين الأرموي السابق ترجمته.

(٧) ساقطة من الأصل.

الحكم^(١) بنفي أو إثبات: وهاهنا إشكالات يستدعي المقام إيرادها وحلها:

أحدها: أن التصديق^(٢) إن كان نفس الحكم لا يصدق عليه أنه إدراك يحصل مع الحكم، وإن كان هو المجموع المركب من التصورات الثلاثة^(٣) والحكم فكذا؛ لأن الحكم حينئذ يكون سابقاً عليه، فلا يكون معه.

وجوابه أن المصنف اختار أن التصديق مجموع الإدراكات الأربعة، ولما كان الحكم جزءاً أخيراً للتصديق فحالة حصول الحكم يحصل التصديق، فيكون إدراكاً يحصل معه الحكم^(٤) معيةً زمانية^(٥)، وتقدم الحكم عليه بالذات لا ينافي ذلك. (و) وكأن / النزاع في أنه الحكم [فقط]^(٦) أو المجموع [إنما نشأ]^(٧) من هذا المقام.

وثانيها: أن التصديق إما نفس الحكم أو مجموع الإدراكات والحكم، وأياً ما كان لا يندرج تحت العلم، أما إذا كان نفس الحكم فلاه عبارة عن إيقاع النسبة؛ وهو من مقولة الفعل؛ فلا يدخل تحت العلم الذي هو من مقولة الكيف أو الانفعال. وأما إذا كان التصديق هو المجموع فلأن الحكم ليس بعلم؛ والمجموع المركب من العلم ومما ليس بعلم لا يكون علماً.

وجوابه أن الحكم وإيقاع النسبة والإسناد كلها عبارات وألفاظ، والتحقيق أنه ليس للنفس هنا^(٨) تأثير وفعل؛ بل إذعان وقبول للنسبة وإدراك^(٩) أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة، فهو من مقولة الكيف، وكيف [لا]^(١٠)؟ وقد ثبت في الحكمة أن

(١) في المطالع: معه حكم.

(٢) «أن التصديق» ساقط من (ف)، وفي شرح المطالع: أن هذا الترجيح لا يكاد يتم لأن التصديق، وكذا صحح في المطبوعة.

(٣) في الأصل و(ز) و(م) ز(ش): الثلاث، وأثبت ما في (ف) و(ي) وشرح المطالع.

(٤) كذا في الأصل و(ف)، وفي سائر النسخ وشرح المطالع: مع الحكم.

(٥) «زمانية» ساقطة من (م) و(ش)، وفي (ز): بالزمان.

(٦) ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من المطبوعة وشرح المطالع.

(٧) ساقط من جميع النسخ، وأثبتها من المطبوعة وشرح المطالع.

(٨) في الأصل و(ف) و(ي): بها، وفي (ز) و(م) ز(ش): ليس لها، وما أثبت من المطبوعة وشرح المطالع.

(٩) في المطبوعة وشرح المطالع: وهو إدراك.

(١٠) ساقطة من الأصل و(ف) و(ي) و(ش)، ومع «كيف» من (ز) و(م)، وأثبتها من المطبوعة وشرح المطالع.

الأفكار ليست موجدة^(١) للنتائج؛ بل هي مُعدّات للنفس لقبول صورها العقلية من واهب الصور، ولولا أن الحكم صورة إدراكية لما صحّ ذلك.

وثالثها: أن التقسيم فاسد؛ لأن أحد الأمرين لازم؛ وهو إما تقسيم الشيء إلى نفسه وإلى غيره وإما امتناع اعتبار التصور في التصديق، وذلك لأن المراد بالإدراك الساذج إما مطلق الإدراك أو الإدراك الذي اعتُبر فيه^(٢) عدم الحكم، فإن كان المراد مطلق الإدراك يلزم الأمر الأول؛ وهو ظاهر، وإن كان المراد الإدراك مع عدم الحكم يلزم الأمر الثاني؛ لأنه لو كان التصور معتبراً في التصديق - وعدم الحكم معتبراً^(٣) في التصور - فيكون عدم الحكم معتبراً في التصديق، فيلزم إما تقوّم الشيء بالنيّضين أو اشتراطه بنقيضه، وكلاهما محالان^(٤).

وجوابه إن أردتم بقولكم: «إن التصور معتبر في التصديق» أن مفهوم التصور معتبر فيه فلا نسلم؛ ومن البين أنه ليس بمعتبر فيه؛ فكم من مصدّق لم يعرف مفهوم التصور، وإن أردتم أن ما يصدق عليه معتبر في التصديق فمسلم؛ ولكن لا نسلم أنه يلزم أن يكون عدم الحكم معتبراً في التصديق؛ وإنما يلزم لو كان مفهوم التصور ذاتياً لما تحته وإنه ممنوع، إلى هنا كلامه^(٥).

أقول: وفيه مواضع أبحاث^(٦)، ولكل من هذه الإيرادات وجه صحيح في دفعه غير ما ذكره^(٧)، والذي ذكره مقدّوخ مفسوخ^(٨) الأصل؛ لأن مبناه على حمله كلام صاحب المطالع على المذهب المشهور من الإمام الرازي، وفيه ما فيه، والحقّ ينافيه^(٩)، إلا أن يؤوّل مذهبه بما سلف ذكره. ولنذكر أولاً الأجوبة الصحيحة من هذه الإشكالات، ثم نبين القدح والخلل فيما ذكره من الأجوبة.

(١) في (ز) و(ش): موجبة، وفي (ي): موجودة، وهو تحريف، وفي المطبوعة وشرح المطالع: أسباباً موجدة.

(٢) في المطبوعة وشرح المطالع: معه.

(٣) في سائر النسخ والمطبوعة وشرح المطالع: معتبراً، وعليه فالجملة معطوفة.

(٤) في (ش): وكلاهما على مذهب الإمام محالان، وهو فاسد.

(٥) شرح المطالع ص ٨.

(٦) زاد في (ز) و(م) و(ش): كثيرة.

(٧) في (ف): ذكره.

(٨) في (ف) و(ز) و(م) و(ش): منسوخ.

(٩) في (ز) و(م) و(ش): ما فيه.

أما الجواب الصحيح عن الإشكال الأول فهو من وجهين:

أحدهما أن نقول: صحة الشق الأول في كلام المعترض ممنوعة؛ إذ [لا] (١) منافاة بين أن يكون التصديق نفس الحكم وبين أن يكون إدراكاً حاصلًا مع الحكم؛ بناءً على أن التصديق يطلق بالاشتراك الصناعي على ما هو قسم للعلم وعلى ما هو فعل النفس (٢).

والثاني: أنا لا نسلم أن التصديق إذا لم يكن نفس الحكم كان يلزم أن يكون/ مجموع أمور أربعة، بل مفهوم التصديق عبارة عن إدراك معه حكم معينة كمعية الجنس وفصله كما مر، والإدراكات المذكورة ثلاثة كانت أو أربعة، شرطاً كانت أو شرطاً، ليست معتبرة في مفهوم التصديق؛ بل يتوقف وجوده عليها، كما أن الإنسان ماهية متقومة (٣) بأنه حيوان ناطق، ووجوده متوقف على أجزاء وأفراد من الحيوان؛ ليس شيء منها (٤) معتبراً في قوام ماهيته ومعناه.

ومن ههنا ظهر (٥) الفساد والخلل في الجواب الذي ذكره الشارح مع ما فيه من زكاة التوجيه المذكور؛ إذ لا يتعارف (٦) بحسب اللغة أن يقال: إن البيت مع السقف، والسرير مع الهيئة (٧).

وأما عن الإشكال الثاني: فبأن نختار أن التصديق نفس الحكم؛ أي الإدراك الإذعاني (٨) في الوجود، ومرتب من جنس هو الإدراك وفصل هو كونه حكماً،

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) هذا الجواب الذي ذكره المؤلف لا يدفع الشق الأول من ذلك الاعتراض؛ لأن عدم المنافاة بين إطلاقي التصديق بناءً على الاشتراك الصناعي لا يجوز صدق أحد المعنيين على الآخر كما هو ظاهر، والصحيح أن يقال: صحة الشق الأول ممنوعة؛ إذ الحكم الذي يكون التصديق عينه هو الإدراك مع الحكم إطلاقاً لاسم اللازم على الملزوم، وحينئذ صدق الإدراك مع الحكم على التصديق الذي هو نفس الحكم بالمعنى المذكور، وهو المطلوب.

(٣) في (ش): مفهومة، وفي (ف): مقترنة، وهو تحريف.

(٤) في (ف) و(ش): منهما.

(٥) في (ف): ظهور.

(٦) في (ف): لا يتفاوت، وهو تحريف.

(٧) فرق واضح بين المثالين ذكرهما صاحب الرسالة وبين توجيه القطب الرازي من أن التصديق إدراك مع الحكم معينة زمانية؛ إذ هو على نحو أن البيت إطار مع السقف، والسرير خشب مع الهيئة، مما هو متعارف جداً.

(٨) في (ف): الإدراك الإذعاني، وفي المطبوعة: إدراك الإذعان.

وهو^(١) غيرُ الحكم الذي هو فعلٌ من أفعال النفس.

أو نختار أنه عبارة عن إدراك وحكم، والمجموعُ أمرٌ وَحداني^(٢) تحت مقولة الكيف، والحكمُ هو بمنزلة الفصل، وقد يعبرُ عن نفس الفصل بشيء من لوازمه؛ كالحساس والناطق، فإن كلاً منهما في ظاهر الأمر من الإضافة أو الانفعال، وقد عبرَ بهما عن فصل الجوهر، وفصل الجوهر جوهرٌ، فقد عبرَ عن حقيقة نوع من الجوهر بلازمه لعلاقة العلية الذاتية بينهما، ومن هذا القبيل إطلاقُ «قابل الأبعاد» على فصل الجسم الطبيعي، و«قابض البصر» على فصل السواد، ففي الأول عبرَ عن فصل الجسم الذي هو من مقولة الجوهر بلازمه الذي هو من مقولة الانفعال، وفي الثاني عن فصل السواد وهو من مقولة الكيف بلازمه الذي هو من مقولة الفعل.

فهنا أيضاً عبرَ عن فصل العلم بالحكم؛ أي الإيقاع والانتزاع، وهو من لوازم العلم التصديقي^(٣) الذي هو من مقولة الكيف، فيصحُّ جعله عنواناً لأمر بسيط هو فصلُ التصديق؛ إذ لا بدُّ في تعريف الأمور البسيطة من ذكر لوازمها الذاتية التي توصل الذهن إلى حاقِّ الملزومات^(٤) كما نبّه عليه الشيخ الرئيس في كتابه المسمّى بالحكمة المشرقية^(٥).

ولهذه الحقيقة يطلق الحكم تارةً على نفس التصديق، وتارةً على لازمه.

وأما الذي ذكره في الجواب بأن الحكم والإيقاع وأشباههما^(٦) ألفاظٌ مستعملة في غير معانيها - سيّما في مثل هذا الموضوع الذي ينبغي أن يُهجر الألفاظُ المشتركة والمجازيّة - ففي غاية الضعف والقصور؛ مع أن الحق أن مفهوماتها من قبيل الأفعال كما سبق، نَعَمْ لو قيل: «إن الإذعان والحكم ضربٌ^(٧) من التأثير لكن

(١) راجع إلى الحكم في قوله: «التصديق نفس الحكم».

(٢) في الأصل: واحداني، وفي (ز) و(م): واحد، وفي (ي): وجداني، وهو تصحيف، وما أثبت من (ف) و(ش).

(٣) في (ف) بدل «العلم التصديقي»: التصديق.

(٤) في (ف): المفهومات.

(٥) منطق المشرقين ص ٣٦، ٣٧.

(٦) في سائر النسخ: أشباهها، وهو خطأ.

(٧) في (ز): ضرب واحد.

ليس من مقولة الفعل التجديدي المقابل للانفعال» لم يكن بعيداً من الصواب، وأما كونه نوعاً من العلم الانفعالي فغير صحيح، فقد تضمن هذا الجواب وجهين من التعسف: معنوي ولفظي.

وأما الاستدلال الذي ذكره على أن الحكم^(١) من مقولة الانفعال بأن الأفكار معدّات للنتائج لا موجدة لها؛ فلا يثبت به^(٢) مطلوبه، فإن بعض الأفعال يكون من لوازم الانفعالات ويعرض لها^(٣) الافتقار/ [إلى الأسباب]^(٤) المعدّة إياها لا بالذات؛ بل لأجل ما يلزمها من الانفعالات^(٥).

فهنا أيضاً حاجة النتيجة إلى الأفكار التي هي معدّات؛ إنما هي من جهة إرسام النفس بصورتها الإدراكية التصديقية التي هي من قبيل العلوم الانفعالية، لا من جهة الإذعان أو الإقرار بها التي هي من قبيل العلوم الفعلية لا الانفعالية، لكن لما لم تنفك هذه الحالة النفسانية الفعلية^(٦) عن حالة انفعالية تنفعل النفس بحصولها؛ كان افتقارها^(٧) إلى العلة المعدّة من الأفكار وغيرها افتقاراً بالعرض لا بالذات.

وبالجملة لا يخلو شيء من الأسباب الفاعلية في هذا العالم من انفعالات تلزمها في فعلها^(٨)؛ لكونها متعلّقة بالصور المادية والأجسام، وهي لا تنفك عن الحركات والانفعالات، ولأجل هذا ما من فاعل في هذا العالم في شيء إلا وهو منفعل من جهة أخرى من شيء آخر، ولهذا كل محرّك قريب على سبيل المباشرة فهو متحرّك البتة؛ فيحتاج لا محالة إلى المادة وأحوالها المعدّة المقرّبة^(٩) إياها نحو الغاية المطلوبة، والفكر^(١٠) للنتيجة من هذا القبيل.

(١) في (ف): العلم، وهو خطأ.

(٢) في (ز) و(م) و(ش): له.

(٣) في (ز) و(م) ونسخة كتبت في (ش): له.

(٤) ساقط من الأصل.

(٥) في سائر النسخ: الانفعال.

(٦) «لا الانفعالية... الفعلية» ساقط من (ف) و(ز) و(م).

(٧) في جميع النسخ: افتقاره، والصواب ما أثبت.

(٨) في المطبوعة: يلزمها فعلها.

(٩) في (ف): المقرّنة، وهو تحريف.

(١٠) في (ز) و(م) و(ش): ونحو الفكر.

وأما الجوابُ عن الإشكال الثالث فنقول: نختارُ أن المراد من الإدراك الساذج مطلقُ الإدراك؛ لأنه ساذج؛ أي مطلقٌ عن القيود والاعتبارات حتى عن اعتبار كونه مطلقاً على نحو التقييد به^(١)، وهذا المعنى أخرى وأليق بأن يقال له «الساذج» من الذي قيّد بكونه مطلقاً^(٢)، ولا يلزمُ منه تقسيمُ الشيء إلى نفسه وإلى غيره؛ لأننا نقول: التغيُّر الاعتباري يكفي للامتنياز بين المَقسم والقسم في مثل هذه التقسيمات التي تكون للأمور الذهنية والمعقولات الثانوية، فالمقسمُ ههنا هو الإدراك مطلقاً من غير تقييد لا بالإطلاق ولا بالتقييد بشيء أو عدمه^(٣)، وأحدُ القسمين هو الإدراك المقيّد بالإطلاق؛ وهو المقابل للتصديق؛ لأنه^(٤) إدراك مقيّد بالحكم.

ولنا أن نختار منه الإدراك المقيّد بعدم الحكم؛ ولا نسلمُ امتناع اعتبار التصور في التصديق؛ لأن التصديق الذي اعتُبر فيه التصور: إما التصديق بحسب ماهيته ومعناه، وإما^(٥) بحسب وجوده ومصادقه، فإن كان المنظورُ إليه حالاً ماهية التصديق فالمعتبرُ فيه مطلقُ التصور المرادفُ للعلم لا التصور الساذج، فلا يلزم من ذلك محذور؛ لا تقوُّم الشيء بالتقيضين ولا اشتراطه بنقيضه. وإن كان المنظورُ إليه وجوده فالمعتبرُ فيه شرطاً أو شطراً وإن كان^(٦) التصور الساذج؛ لكن فردّه لا مفهومه المأخوذ فيه إما الإطلاق عن الحكم أو التقيّد بعدمه، ولم يلزم منه أحدُ المحذورين المذكورين؛ إذ لا فساد في أن يكون وجودُ شيء مشروطاً بالموصوف بنقيضه؛ كالصلاة المشروطة بالموصوف بما ليس بصلاة وهو الوضوء، ولا في أن يكون وجودُ شيء مركّباً من موصوف بنقيضه؛ كالبيت المركّب مما ليس ببيت وهو الجدار أو السقف.

(١) هذا سهو ظاهر من المؤلف رحمه الله، لأن الساذج في عبارة صاحب المطالع قد أطلق على أحد القسمين دون المقسم، فليس بصحيح أن يراد به المطلق عن القيود والاعتبارات حتى عن اعتبار كونه مطلقاً على نحو التقييد به؛ بل الصحيح أن يختار منه المطلق من الإدراك مقيّداً بإطلاقه كما سيعتبره المؤلف لنفس أحد القسمين.

(٢) في (ي): مطلقاً على نحو.

(٣) زاد في (ش): والحكم به، وكتب فوقه: نسخة.

(٤) أي التصديق.

(٥) في (ف) بدل «إما» في الموضعين: لا، وهو تحريف.

(٦) «وإن كان» ساقط من (ز).

(١) وأما الذي ذكره في/ الجواب من تجويز كون الموصوف بعدم الحكم جزءاً لمفهوم التصديق فهو فاسد؛ فإن التصورات الثلاثة الساذجة غير معتبرة أصلاً في مفهوم التصديق؛ إذ المعتبر في مفهوم التصديق جنسه وفصله لا شيء من أفراد قسيمه الذي هو التصور الساذج، كما أن المعتبر في ماهية الإنسان جنسه وفصله - أي الحيوان والناطق - لا شيء من رأسه ويده ورجله وسائر أعضائه، وإن كان وجوده مركباً من أجزاء ليس شيء منها حيواناً ولا ناطقاً، إذ قد^(١) ثبت في العلوم الفلسفية أن أجزاء وجود الشيء خارجة عن ماهية ذلك الشيء.

والعجب من هذا العلامة مع بضاعته في المنطق والحكمة؛ كيف ذهل عن [أن]^(٢) أجزاء وجود الشيء لا تدخل ولا تعتبر في ماهيته بل تكون خارجة عنها، فإذا لم يُعتبر أجزاء وجود الشيء في معناه ومفهومه فبأن لا يُعتبر أفراد نقيضه في ماهيته كان أخرى ومن التجويز أبعد.

ثم قال: واعلم أن مختار المصنّف في التصديق منظور فيه من وجوده:

الأول: [أنه يستلزم]^(٣) أن التصديق ربما يُكتسب من القول الشارح والتصور من الحجة، أما الأول فلأن الحكم فيه إذا كان غنياً عن الاكتساب ويكون تصور أحد الطرفين كسبياً كان التصديق كسبياً؛ وحينئذ يكون اكتسابه بالقول الشارح، وأما الثاني فلأن الحكم لا بد أن يكون تصوراً عنده؛ واكتسابه من الحجة.

الثاني: أن التصور مقابل للتصديق؛ ولا شيء من أحد المقابلين^(٤) بجزء للمقابل الآخر، فأما الواحد والكثير فلا تقابل^(٥) بينهما على ما تسمعه^(٦) من أئمة الحكمة.

الثالث: أن الإدراكات الأربعة علوم متعددة؛ فلا تندرج تحت العلم الواحد؛

(١) في (ف): وقد.

(٢) ساقطة من الأصل و(ف)، وأثبتها من سائر النسخ.

(٣) ليس في جميع النسخ، وأثبت من شرح المطالع.

(٤) في (ي) و(ش) وشرح المطالع: المتقابلين.

(٥) في (ز) و(م): فالواحد والكثير لا تقابل، وفي (ش): كالواحد والكثير فلا تقابل.

(٦) في شرح المطالع: نسمعه.

فعلى هذا طريقُ القسمة أن يقال: العلمُ إما حكم أو غيره، والأولُ هو التصديق، والثاني هو التصور^(١).

أقول: هذه الأنظار كلها مدفوعة:

أما الأول: فيما أشرنا إليه أن التصور المأخوذ على وجهٍ يحتمل التصديق والتكذيب إنما يُستفاد من الحجة لا من القول الشارح، والحكم بأحد الاصطلاحين هو بعينه التصديق بهذا المعنى، وبالاصلح الآخر هو فعلُ نفساني غير مندرج تحت العلم الانفعالي؛ فلا يكون^(٢) بديهياً ولا كسبياً كما مر.

وأما الثاني: فيما أشرنا أن التصور الذي هو جزء عقلي لماهية التصديق غير التصور المقابل له الذي يتوقَّف عليه أو يتقوَّم به وجوده، ولا محذور في كون جزء^(٣) الشيء متصفاً بوصفٍ مقابلٍ لوصف الكل؛ إنما المحال كونه بالذات مقابلاً له، كيف؟ ونعتُ الجزئية والكلية من أحد أقسام التقابل؛ أعني التضاييف.

وأما الثالث: فبأن الإدراكات المتعددة التي في أطراف التصديق بمنزلة المادة، ولها صورةٌ وحدانيةٌ هي إدراك^(٤) أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة، وهي^(٥) بحسب الجزء الصوري فردٌ واحد من العلم يُسمى بالتصديق لا باعتبار تلك الأجزاء المادية، ولعل هذا هو مرادُ الإمام الرازي من مذهبه.

وأما طريقُ التقسيم الذي ذكره من أن العلم إما حكم أو غيره، وزعم أنه بعينه مذهبُ الحكماء فغير صحيح؛ إلا أن يراد بالحكم الإدراك المستتبع للإقرار والإذعان حتى يكون مندرجاً تحت المَقسم، وأما إن أريدَ به الأمرُ الخارج عن التصور اللازم له فهو خارجٌ عن المقسم، ولا يكونُ بديهياً ولا كسبياً إلا بالعرض كما مر.

وعلى هذا المنوال ما ذكره شارحُ المقاصد^(٥) في تهذيب المنطق: العلمُ إن

(١) شرح المطالع ص ٩.

(٢) في (ف) و(ي): ولا يكون.

(٣) «جزء» ساقطة من (ف).

(٤) «المتعددة... إدراك» ساقط من (ز) و(م).

(٥) هو سعيد الدين: مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي التفتازاني (٧٩٢هـ) تتلمذ على القطب الرازي

كان إذعاناً للنسبة فتصديق، وإلا فنصور^(١).

وقال السيد الشريف في الحاشية^(٢): اعلم أن مختار المصنّف في التصديق مذهب الإمام؛ إما مرّ من أن التصديق مجموع الإدراكات الأربعة على ما يقتضيه توجيهه الشارح لعبارته^(٣)، وإنما وجهها به لامتناع تطبيقها على المذهب الآخر^(٤)، وامتناع إثبات مذهب ثالث^(٥) بمجرد احتمالها إياه، ولولا أن الإمام صرّح بمذهبه في الملخص لما أثبتناه له.

أقول: يمكن تطبيق عبارته على مذهب الحكماء كما أشرنا إليه، بل تطبيق قوله في الملخص أيضاً عليه؛ لأن الذي قال فيه هو: إن لنا تصوراً، وإذا حكم عليه بنفي أو إثبات كان المجموع تصديقاً، وفرق ما بينهما كما بين البسيط والمركب، انتهى^(٦)؛ إذ^(٧) يمكن توجيهه بأن المراد من الجمعية^(٨) في قوله: «كان المجموع تصديقاً» بحسب^(٩) الذهن في ظرف التحليل دون الوجود، وهذا كما يقال: اللون كيفية مبصرة وإذا ضم إليها أنها قابضة للبصر كان المجموع سواداً، والفرق بينهما - لكون أحدهما جنساً والآخر نوعاً - شبيهة بالفرق بين البسيط والمركب وليس بعينه ذلك؛ لأنهما واحد في الوجود، ولهذا أتى بكاف التشبيه. ويؤيد ما^(١٠) ذكرنا ما قال الأبهري^(١١) في فاتحة منطق كتابه المسمّى بتنزيل الأفكار؛ بهذه العبارة:

والعضد الإيجي، فبرع في علوم كثيرة، من مؤلفاته: المقاصد وشرحه، وتهذيب المنطق والكلام، وشرح الشمسية، والمطول والمختصر؛ كلاهما في شرح تلخيص المفتاح.

(١) ينظر التهذيب بشرح الخيصي ٦٠٥.

(٢) يعني حاشية شرح المطالع، تنظر ص ٩.

(٣) في الأصل: بعبارته، وهو تحريف.

(٤) في الأصل (ف) و(ي) و(م): مذهب الآخر، وفي (ش): «مذهب الحكماء الآخر، وما أثبت من (ز) وحاشية شرح المطالع، وكتب ناسخ الأصل تحته: وهو مذهب الحكماء.

(٥) في (ف) و(ش): مذهب الثالث.

(٦) الملخص الورقة ١.

(٧) في (ف): أو، وهو تحريف.

(٨) في (ي): المجموعة.

(٩) في (ي) و(ز) و(م) و(ش): ما بحسب.

(١٠) في حاشية الأصل من نسخة: لما.

(١١) أمير الدين؛ المفضل بن عمر الأبهري (نحو ٦٦٣ هـ) منطقي بارع، حكيم فاضل، وكان له اشتغال بالطبيعات والفلك أيضاً، من تصانيفه: الإيساغوجي، وتنزيل الأفكار، وهداية الحكمة.

العلم هو حصول صورة الشيء في العقل، وهو إما تصور فقط كتصورنا معنى «الإنسان»، وإما تصور معه التصديق^(١) كما إذا تصورنا معنى قولنا: «الإنسان حيوان»، ثم صدقناه.

فالتصور هو أن يحصل في العقل تصور الطرفين مع التأليف، و التصديق هو أن يحصل في العقل^(٢) صورة هذا التأليف مطابقةً للأشياء أنفسها، انتهى^(٣).

وهو بعينه تفسير الشيخ في الشفاء للتصديق؛ لأنه قال: حصول الطرفين مع التأليف بينهما هو^(٤) معنى القضية في العقل، والتصديق هو أن يحصل في الذهن نسبة هذه الصورة إلى الأشياء أنفسها مطابقةً لها، والتكذيب بخلاف ذلك^(٥).

واعترض عليه المحقق الطوسي في نقد التنزيل؛ أن قوله «ثم صدقناه» يجب أن يكون مراده به بحسب ما فسر التصديق به، وهو أن حصل في العقل صورة هذا التأليف، وليس المفهوم من قولنا «إذا تصورنا معنى قولنا: الإنسان حيوان» إلا حصول صورة هذا المجموع المشتمل على الطرفين والتأليف، لكن لا يمكن [حصول]^(٦) صورة هذا المجموع/ إلا بعد حصول أجزائه؛ فحصول^(٧) صورة هذا^(٨/٩) التأليف بعد حصول صورة هذا المجموع^(٨) حصول الحاصل.

وعلى تقدير صحته؛ يكون حصول صورة هذا التأليف في العقل من باب التصور، والذي من باب التصديق هو حصول التأليف نفسه، لا حصول صورته، انتهى^(٩).

(١) في سائر النسخ: مع التصديق، وفي تنزيل الأفكار: معه تصديق.

(٢) «تصور... في العقل» ساقط من (ف).

(٣) ينظر تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار ص ١٣٩، ١٤٠.

(٤) في جميع النسخ: هي، والصواب ما أثبت، وفي الرسالة المعمولة ص ١٠٢: أي معنى القضية في العقل هو تصور.

(٥) الشفاء ج ١، المدخل/ ١٧؛ بتصرف.

(٦) ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من تعديل المعيار.

(٧) «حصول» ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من تعديل المعيار.

(٨) «إلا بعد... المجموع» ساقط من (م).

(٩) تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار ص ١٤٠، باختصار في الفقرة الأولى.

والجواب من الأول: أن جزء المجموع صورة هذا التأليف مطلقاً، لا حصول صورة هذا التأليف^(١) مطابقة للأشياء أنفسها؛ الذي هو معنى التصديق، فمعنى «ثم صدقناه» أخص من صورة هذا التأليف مطلقاً؛ أعْم من أن يكون مشكوكاً فيه أو لا، فحصوله على هذا الوجه لا يكون حصول الحاصل.

وعن الثاني: بأن حصول التأليف بعينه هو الانتساب^(٢) [والحكم]^(٣)، والحكم لا يجوز أن يكون تصديقاً؛ لأنه فعل، والتصديق انفعال؛ لأنه علم. وحصول صورة هذا التأليف مطابقة للأشياء تصديق باعتبار أن يلزمه^(٤) إذعان بالتأليف وإقرار بمصدق به، وإن كان باعتبار حصوله في العقل تصوراً^(٥).

فإن قلت: التصديق بسيط عند الحكماء كما هو المشهور منهم؛ فيجب أن يكون نفس الإذعان لا تصور التأليف مطابقاً^(٦) للأشياء.

أقول: التصديق بهذا المعنى أيضاً إدراك بسيط^(٧) ليس مجموع إدراكات ثلاثة أو أربعة وإن كان متعلقاً بها؛ كما أن تصور القضية أيضاً إدراك واحد^(٨) وإن كان متعلقاً بموراً كثيرة، وهذا هو المراد من كون التصورات الثلاثة^(٩) شرطاً للتصديق، ولأجل هذا الامتزاج التام بين التصديق وهذه التصورات الثلاثة للمحكوم عليه وبه والنسبة ظن أن التصديق هو مجموع أمور أربعة كما نُسب إلى صاحب الملخص. قال صاحب القسطاس^(١٠): متى حصل عند العقل وقوع النسبة أو لا وقوعها، لا بمعنى تصور الوقوع^(١١)؛ فإن ذلك من قبيل التصورات، بل بمعنى أن

(١) «مطلقاً... التأليف» ساقط من (ز) و(م).

(٢) في (ش): الإنبات، وهو تحريف.

(٣) ساقط من الأصل و(ز) و(م)، ومشطوب في (ش)، وأثبتته من (ف) و(ي).

(٤) في الأصل و(ف): باعتبار يلزمه، والصواب ما أثبت من سائر النسخ.

(٥) ينظر الجوابان المذكوران في الرسالة المعمولة ص ١٠٤.

(٦) في جميع النسخ: مطابقة، والصواب ما أثبت.

(٧) في (ف): إدراك واحد.

(٨) في (ي): إدراك وتصور.

(٩) في الأصل و(ف) و(ي) و(ش): الثلاث، والكلمة ساقطة من (ز) و(م)، والصواب ما أثبت.

(١٠) هو شمس الدين؛ محمد بن أشرف الحسيني الشترقندي (؟) حكيم منطقي من علماء القرن السابع الهجري، له: القسطاس، وشرحه في المنطق، وآداب البحث في المناظرة، وأشكال التأسيس في الهندسة، والصحائف في الكلام، وفي التفسير.

(١١) في شرح القسطاس: لا بمعنى تصور مفهوم الوقوع أو اللاوقوع.

النسبة الإيجابية واقعة أو ليست بواقعة، فهذا الحصول هو التصديق، وهو حقيقة الحكم، انتهى^(١).

اعلم أن هذا الفاضل لما اعترف بأن التصديق عبارة عن أن يحصل عند العقل أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة؛ الذي هو الاعتقاد؛ فإن سمّاها حكماً فلا مشاحة^(٢) في الاصطلاح.

والحق كما سبق أن الأثر الحاصل في الذهن إما تصور ماهيات الأشياء ومفهوماتها أو صورة أن هذا ذاك مطابقاً للواقع؛ سواء طابق أو لا، والأول هو التصور، والثاني هو التصديق والإذعان؛ وهو باعتبار حصوله في الذهن تصور، لكن بخصوصية كونه إذعاناً لغيره تصديق.

قيل^(٣): مما يدل على أن التصديق هو الاعتقاد قولهم في التصديق الكسبي: «إن هذه القضية معلومة تصوراً، مجهولة تصديقاً»، ولا شك أن القضية الكسبية قبل القياس حاصلة بجميع أجزائها في الذهن، وبعد القياس يحصل التصديق بأنها مطابقة لما/ في نفس الأمر.

(١٠٩)

ولا يخفى عليك أنه كما أن التصديق إدراك واحد داخل تحت التصور المطلق الذي هو جنسه وله فصل ينوعه ويحصله فيكون مركباً تحليلياً كما مر؛ فكذلك^(٤) سائر أقسام العلم؛ فإن كلاً منها^(٥) أيضاً مضمّن لما به الاشتراك وما يتحصل^(٦) به نوعاً؛ كالشك مثلاً، فإنه عبارة عن حصول صورة التأليف في الذهن مع تجويز وقوع مقابله^(٧) تجويزاً مساوياً لتجويز وقوعه، وكذا الوهم مركّب المعنى من التصور للشيء وتجويز خلافه تجويزاً راجحاً على عكس الإدراك الظني.

(١) ما نقله المؤلف هو عبارة شرح القسطاس، الورقة ٤.

(٢) في الأصل و(ي): مسامحة، وهو تحريف، وكتب ناسخ الأصل تحتها: مشاحة؛ بدل.

(٣) القائل هو القطب الرازي في رسالته المعمولة، وقد تصرف المؤلف في عبارته، تنظر ص ١٢٨.

(٤) في الأصل و(ف) و(ش): وكذا، وأثبت ما في سائر النسخ.

(٥) في (ف) و(ش): منهما، وهو تحريف.

(٦) في (ف): حصل، وفي (ش): يحصل.

(٧) في (ي): ما يقابله.

وأما تصور المعاني المفردة أو المركبة غير النسبية أو النسبية التقييدية^(١) أو الخبرة؛ فكل^(٢) ذلك نوع من العلم المطلق مع قيد عديمي.

ثم لكل من الأقسام تحصيلات وتنوعات أخرى باعتبار المعلومات كما لا يخفى^(٣)، ولهذا قيل: «العلم بكل شيء من قبيل ذلك الشيء»؛ لأنه متحد به، كما أن وجود كل شيء في الخارج عين ذلك الشيء ومتحد به، ولأجل ذلك اشتهر من الحكماء المشائين أن الوجود أنواع متخالفة حسب اختلاف الماهيات، مع أنهم قائلون بأن الوجود أمر بسيط لا جنس^(٤) ولا فصل له، ولا حد له^(٥)، ولا يعرضه العموم والكلية، وإدراك ذلك يحتاج إلى لطف قريحة.

فهذا ما سَنَح لنا في باب التصور والتصديق، واللّه وليّ الهداية^(٦) والتوفيق.

(١) «أو النسبية» ساقط من (ي)، وفي (ش): بغير النسبة أو النسبة التقييدية.

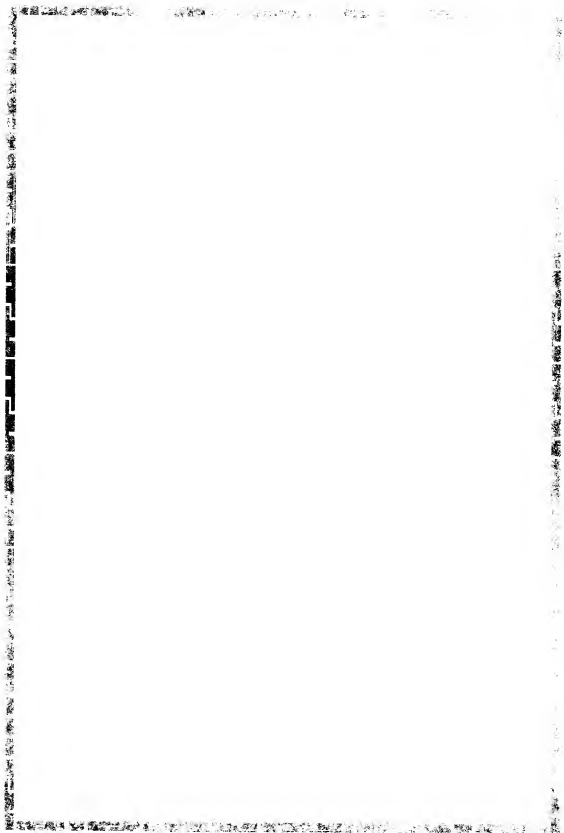
(٢) في (ف): وكل، وهو تحريف.

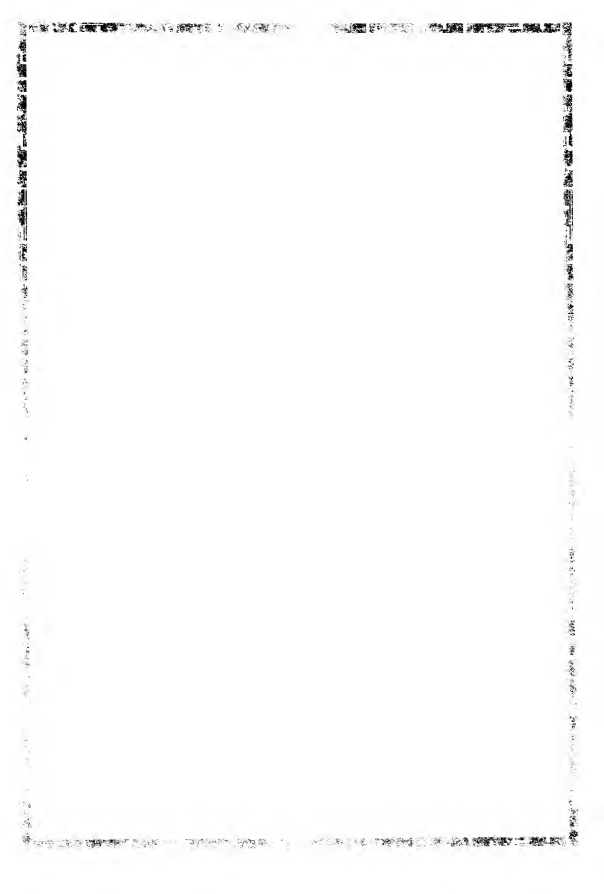
(٣) هذا مما اختاره المحقق الدواني أيضاً في حاشية شرح التجريد الورقة ١٥٣، ولكنه ذهب إلى أن هذه المتحصلات هي أنواع حقيقة مندرجة تحت نوعين إضافيين هما التصور والتصديق، وهذان النوعان قسمان للعلم متباينان تبايناً ذاتياً اعتبارياً، وأفراد المتحصلات المذكورة هي التصورات والتصديقات القائمة بالأذهان الشخصية، ينظر تفصيل ذلك في حاشية الكلنوبي على حاشية أبي الفتح ص ١٩٧-١٩٩.

(٤) في (ف): لا جنس له.

(٥) في (ز) و(م) و(ش): فلا حد له.

(٦) في الأصل: الهادي، وهو تحريف، و«التصديق... التوفيق» ساقط من (ز) و(م).





بسم الله المصطفى

به رسالة طرية آتية ومنازل جليظة ربانية سماة بعرض التقدیس فاروق ببر ائمة
 والتدیس طلعت من مطلع الرعان وانجمن ولعت من منبع الايمان والقدس
 لعزى لولان الجاهل عنود والانصاف في الخلق منقود لحديثه ان كنت نوحا
 في صفت الاعبار ظاهرا ونسبت معانيها في الواع البصائر باطنا ولكن
 النجاصات الغافلين المغترين بلع السراب لمجد مومن من رحيق نهلا السرا
 فانهم لا يعرفون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن آيات ربهم لمجربون
 بعلوم ظاهرا من الجوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولو كان يتيسر لكل عاقل
 السياحة في فضاء عالم الملكوت والسير بالكلين مملوات الله على بيتا عليه
 مختصا بهم منق الطير فوالاهم محتقون مهززون في ارمم به الوهم يستوا جنبهم
 حزنهم ونورهم نورا ونفسهم باقيل يرى الجبنا ان الجببت حزنهم
 وتلك خديعة الطبع اللئيم ولكن الكل مبسر لما خلق له وكتب به في
 خادم القوى العالمة الروحانية محمد بن ابراهيم الشيرازي بعد الشيرازي من الله
 حامدا لله معليا على نبية مستغفر الله

اَللّٰهُمَّ بَعْدَ هَذَا مَتْنٍ يَبْدَأُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ دُرَرٍ كَالْبَهْرِ فِي الْاَبْرَارِ ۝

ودر مدحه القوم الروحية ان من سمات الله اكبر له على ما فيه
 الصلح على قضاة حصره بل كان وعبا حصر على اسباب
 الحق بل ان كان خلق على سبيل الصداقة ورواها في
 السابطين والحين بالخلق في الحق و لم ينفك العلم ونعم
 الحكمايات البانية الباهية البهجة وسورة الكسوة البديعة الزينة
 النورية واطلها جايده الاذن في الكسوة الباهية والكسوة
 النورية النظرة بسمحة خفة افرو تنوحي فاني عجم
 خسية وتصيب ضواها عليه خفية خالهات فبينة كونه
 على اسباب نورية البانية فكلما انوارت في العلم انوارت
 انعام وعشرت على طهارة افرو وانشرت انعام ملك و
 سكتة ونفقت ونفقت ثم تفتت باب الاصل في العلم
 وقتت واراسك على اسباب علم وعبا ان روي في ذلك سورة
 حسنة جنان سببه وسلاية سببه السليم وسلاية الخير بدار
 صلوات الصلوات على نبينا وكون نبوة كريمة في نبوة انانية
 وسى قوايح على الخواص تهم باهي التوسيع والتوحيد ودار
 السبل الى سوي الزوايا المشغوفة على ايام التوسيع والفهم وانفقت على

[illegible]

عرش التقديس بخط صدر المتألهين

كل في الحسب الكبر مع طباع الجيدان وفكر واحد من الجيدان
 ايضاً فيودا كثيرة للدانها اقل واضعف من الجيدان الذي هو اعلى
 ولا يزال الجيدان يقبل ولا يضعف من الحسب الذي عليه الى ان
 يأتيه الر الجيدان الضعيف ويقف هناك
 ان رساله في هذا الحمد والمثله وصل اليه على محمد واهله الطاهرين

كتبه الداعي صادق الحسيني الشهيد

م م م م م

م م م م م

م م م

م م

النفس فالذات العارضة والقوة كغيرها صور العقلية لا بد لها من ذاتها حيث لا بد من وجودها كغيرها من صور
الشئ في مطلقها فيجب ان لا يشك في كون تصور القوة العقلية شئ من ثبوتها العقلية والوجود كغيرها من
المعقول فالقوة هو الصور الحادثة بالذات العقلية بالقوة كالحال في العلم والمقادير من روات الاله بنوع
لك المعقول بالفعل لا يشك في العقلية فالقوة العقلية علم يشك في ان النفس قبل ان تصور رواتها عقولها بالذات
لها صورة في العقلية الا بالقوة والصور الحادثة والوجودية قبل ان تصور العقلية في العلم والصور الحادثة
الصور الحادثة والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
بعينها في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
يعتبر في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
وهذا هو الذي ارادناه واعلم ان الشئ من تصور الصور العقلية في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
كتعبه كغيره من تصور الصور العقلية في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
لذلك فهم اركان العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
المحقق في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
منها الشئ من تصور الصور العقلية في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
هذا هو الذي اطلب في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
لذلك ان من الشئ من تصور الصور العقلية في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم
وكانت الهندسة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم والصور الحادثة في العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ووالله ان كتاب من اقره ان كان في نفسه العقل اول السداد والهدى علم
 وخصه ودرست كذا ان كان في نفسه العقل اول السداد والهدى علم
 ورجعت لكتاب من اقره ان كان في نفسه العقل اول السداد والهدى علم
 والقبول حزن من به وطمع وطمع لا يعمده وسمي به من به وطمع
 له به وطمع من به وطمع من به وطمع من به وطمع من به وطمع من به
 الدنيا وخدمة خدمته الغنى والبر والبر والبر والبر والبر والبر
 المنة الا انهم وطمع من به وطمع من به وطمع من به وطمع من به
 اعلم وطمع من به وطمع من به وطمع من به وطمع من به وطمع من به

نبيا و آدم من الاله و اهل بيته فلهذا يكتب باذنه فانها انما
 والمجرب به الدر كماله عنده اسلام الله منه حكم معرفته
 رسل سابق في جميع الله عز وجل في نفسه وكتبه في كل
 وحقه كما انهم يدعون كما في كل حق الله عز وجل في نفسه
 في المفسر وقلب الله عز وجل في نفسه وكتبه في كل
 الاله انما ودرجه النور وانه في الاله انما وكتبه في كل
 صدق عنه حكمه في نفسه وصدق في الاله انما وكتبه في كل
 في انما وكتبه في الاله انما وكتبه في كل
 مع نفس الجبل وصدق في الاله انما وكتبه في كل
 في انما وكتبه في الاله انما وكتبه في كل
 في الاله انما وكتبه في الاله انما وكتبه في كل

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة كتبها الامتداد وصدور الافاضل الى الفاضل مولانا تاسا الجليلي رحمها الله تعالى وروى
من علم الاحزان واما فضل الاقران اولى الدواب والبهائم عامة وعنده وطلاصة دهره تسمي الحكمة
الانسان كاشفا بقلبه وموزاليا عارجا بستره الى درجات الجنان اصعد الله على
سراج الكمال العقلي ورفاه الى مراتب الخالقات العلية حتى بلغ سناه ومنه ووصلنا
بعدها وبعدها مبناه على جبل صنع الله لديه وجعل مواهبه عنده وسوى نعمائه ونور
الانوار عليه والزجاج من صفة الدنيا وحده حكمة النفس والهوى من العلويات المنكوسة
والانوار من المطرسة والنفس المحلدة الى ارض النجاة ومهبط الانوار ومقر الشياطين و
شوى المنكوسين اعدا الحكمة ووقفه العلم وطلبه الهوى واللبا والجليل الذي طفت
انوار فطرهم وسحت بطن صوم وجعل بينهم وبين ما يشتهون لهذا لا تمرد على
استساك حبيب المولى الاعظم بالعودة التوقيع واستبناسه بما جعل الهوى الانسية المنفعة
على الهوى العلية الفعالة لهذا يوجب سبنا، وكشف عن صحة اختياره وعقد وزنه
وبلغ بنا الى دار قرارنا لان العلم والحكمة يسلكان سبل الله ويعزبان به ويكون
لديه ويعلم عن الناس اهل النار ويؤزل با عن مكان الانوار فابلى كما قال عباد الله
شهادة الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي خلق دار العاقبة من فضل
لا يمتنا فيها نضب ولا يمتنا فيها نعوب وحيث انعم من عاب لمولى لا عيب بل العاقبة
العلية والمرسلات العلية فان ساعدنا القدر واصلنا النور وجد من عدس
سائرنا انت الله طريق العاقبة ولا يمتنا به ونسلك سبل الانوار والارزاق

وكم نفوس ما هو نفوسكم القديسين وكل دماء الارواح المنيعة قد قرناه بعبادة
 طين ان من لدن آدم اذ لم يزل في زمان محض خاتم الاشياء صلوات الله عليه وآله كانت النفوس
 الاربع متربة في مكان مكانة الارواح مقام النفس ثم في مقام القلب ثم في مقام
 الروح وبعد هذه الارب مقام العبد في الحق شيئا صلوات الله عليه وآله ورواها من الامم
 التي هي خير الامم لغوا كما كنتم تترار من حيث للناس اليك واول من بلغ الى مقام الروح
 وفتح باب السجود للصلاة هو شيخ الاشياء ابراهيم بن ابينا وعلاكم واول من بعد من ذلك
 مقام الروح المعبر عنه بالاسلام المنيعة حيث سألني وعاد عن الله اولي ذنبه
 كما سمع ابيد من ذنبي انه سئل فكذلك قال قائل هذا لكم المسلمين فاذا عرف هذه
 المقدرات يتبين خلق الله الارواح قبل الانجساد اي خلق ارواح الكمال قبل اجساد
 النقص كانت موجودة في زمن النبي صلوات الله عليه وآله والدة بين زمان الخليل و زمان
 حبيب الله عليها والها التي لم تر من هذه الامة واما قوله صلوات الله عليه وآله كانت
 وآدم بين الماء والطين فهو يكشف بما ذكرناه فان مقام العبدية والحقبة التي
 كانت اولها لكم الذي لا يصدق فيه ملك مغرب ولا يقر من سائر جميع الامم في
 وانفسه والقلب وان كان وجوده في الجسد في الحيا كما في حقنا القول ان
 ان العبد اذا اتصل بعالم القدس القلب من مقام النفس الى مقام الروح وامن
 فحدث في جوارحه ومن جوارحه ومن جوارحه والنفوس والنفوس في جوارحه
 صدق عند ملكه صدق وقد بينا ان في الرجوع الى البقاء هذه ما تشرنا اليه
 في كشف هذه تساريف سبل الاسرار من نفس الجلال ونصا دام الاموال والرحمة

وتمام القول بما يحتاج الى حجة طلبة الحق من ربيع بينا وجمع بينا انما لا بد من
 في الكلام

الأول عليه الحق ثم هو يشكوه في الشيء الواحد ولعلنا الذي هو موصوفه في الخارج
 من جهة الوجود الذي هو امر موصوفه من جهة الوجود الواحد والى ذلك الأول الذي هو
 موصوفه مادية ناقصة معقولة اما يكملها ويخرجها من القوة الى الفعل في جهة المادية فيكون في ذلك
 لها عقل وخارجا الى الوجود كما هو الامر في حصولها في الخارج الا بقوتها ان اتى من استيعاب
 فرق في وجودها وبينت في موضعها ومن ذلك لا يجزى لسؤالنا بعض الاكسايما وهو
 ان مثل منظر حسين الاشياء في شخاط سلم مدرائنا من المتأخرين وقدوة الحكاء المثل فيهم من جهة
 عليه نقل في خط الشريف الاستدلال الحق المدق قدوة الله داخل المتعدين والحق حزين ودر الاماء
 المتجربين مولانا عبد الرزاق الله جبر اوان الله طلال جلاله اليوم انهم ياربكم عن قوت
 وغاية كل صفة وحركة خمس انزل على ارجحنا لوامع بكاتمه ومن على قوتنا انما رزقنا
 وصل على اللغات الكفاية والارواح التي في شدة من انبياء والاولياء خصوصاً سيدنا محمد وآل
 الطهرين سلام الله عليهم جميعين فقلنا في بعض اجله الاخوان وانما في القرآن عن
 سائرهم بقية طلب انكش فماذا نقول من تعقيد ما ليس لسؤالنا عن انهم في كشف السؤل في
 انه شخص لا ان حسن الظن بشيء وبما يشترطه الله وان كان ذلك الشيء في وجهه لا يتصور الا ان
 فبما شاهد ذلك سؤلنا واطهرت ما نوله وانه لهادر المطرب الرشاد وعليه التوكيد ان غماض السؤل
 انفس الان في ان لا يخلوا ان يكون عليها بذاتها وقواما وحواها واما كيفية الاستدلال في
 والجزئية الحاصلة في الاشياء بحدودها في الاشياء بذاتها وعين في انفسها بما او بحول موصوف
 مستأنفة عند انفسها ما يستبان في اشياء اخرى غير اعيانها الخارجية لدها في الاول يلزم ان يكون
 زبدها على ما بذاته وقواما وما ارسم فيها اذ لا لا يستدعيه والحاصل بخلاف هذا ما لا يقدرة
 لان علمنا بحقيقة انفس وقواما انما يحصل في انفسنا بعد ان افكار كثيرة وتربط في افكار
 العديدة ثم كيف يكون وجود انفس قواما كافيا في انفسها لاني قد علمت انفسنا في انفسنا
 امر به او عرض مجردة ادمادية وكل ذلك في انفسنا بحدودها وعرضها والمحاولة في انفسنا
 يخالفه خيب الشيخ الرئيس والشيخ الاشراق يلزم من ان يكون وصول انفسنا لذاتها والاشياء

مسألة كما دفنا للبحرته واحدة لما ثبت ان خبره في السبب لم يثبت من هذا ان
يحق لنفسه الدار الاخره صدارها لها ومنها فظهر بطلان قول هؤلاء المشبهين بازال
اعتكاف الثلاثة الواقفين عن اثرها في المذرة فليس الله المحسنة وارجع عن ان الحكمة
المحمدية على حصولها وادراكها لاعتكاف الائمة وطلب التعديبات الزمنية وهذا الذي
او مانا اليه منها لغيره ليرة مما انت به من جانب الحد الايمن فارقا فخرجت النفس مهاجرة اليه
من حيث اهلها اطوارا وتماها فطلب بل اجتهاد المثل وانه يهدى الحق وبه يتايد
الوصل والفصل واستلام عا من اشبه الهدى ونهى النفس عن الهدى ثم

لم يدر بالحق فيجب
اصداقته وقرينه في ذلك
انك بطور دري بان اقرار
في ذلك الا انه اول طوط
علماء ككت هـ
عالم دانا وانا مع اراد
من ان الله عز وجل
في انهم غريب في باب
في انهم غريب في باب
في انهم غريب في باب

عقله الأول ووجوبه وكونه موجودا عند الأول كماله حسيته واحدة هي إحدى اليقينيتين اللتين
في ذات القصد الأول وكذا القياس في اعتبار أن له مية وإمكانه وبقوله لمية حسيته
واحدة في أخرى منها ثم قال ولا نه معلول لأن ما من أن يكون متقوما من مختلفات أي
هو بحسب المية إذ ما حسيته بما هي مية متقوما منها وقوله وكيف لا له مية إمكانه وكونه
من غيره واجب إشارة إلى منشا كثرية بحسب المية من المختلفات كالحسب الفصل
لا إلا بيان تركب من المية والوجود كما قرره الشيخ المحقق لعدم الحاجة إليه بعد ذكره
سابقا ثم قال ثم يجب أن يكون الأمر التصوري منه سدا للكائين التصوري والأمر
الاشبه بالمادة مبدأ للكائين المناسب للمادة انتهى قول هذا الكلام يكن أن يكون
متقوما على ما ذكره من الاختلاف في وجوب الوجود بالغير وإمكان المية في نفسها من
القصد الأول وعليه حله المحقق في شرحه فيكون في الإشارة إلى صدور العقل الثاني الذي
هو صورة عقلية في الخارج بلا مادة من جهة الوجود الذي هو أمر صوري يكون محصلا
لمية بالقرينة با حصولها وصدورها كالأول الذي هو صورة مادة ناقصة متفردة
التي لا يكملها ويخرجها من القوة للأفعل من جهة المية التي هي امرادي لا يحصل لها اعتلا
وإدراجها بالوجود فالهوية التي لا يحصل لها في الخارج إلا بالصورة التي هي في الحقيقة
فرق من وجه بين في موضعها انتهى م م م

رسالة الأجرة لسؤالات جعفر الأذكياء وهو الفاضل مظفر حسين القاشاني من
رسومات علم صدر الأفاضل المتأخرين وقدوة الحكماء المتأخرين رحمه الله تعالى
بارب كل عمل ونفس غيرة كل جرأة وحسن تامل على ادولها الواسع بها كمن في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد منور النفوس بنوار العلم والإيمان وهادي الخلق بإرسال الرسول بأمر الله
 عز وجل صلى الله عليه وآله سيد الأنس والجان وآله وأولاده المطهرين عن أرحاب
 الخلقية وتغفر القديسين عن ذنوب الطبيعة والعصيان وبعد فان الحكم القاطن
 والإستدلال وصلكم ما في تتبع كلمات البشرية وتعاون في استخراج العلوم الإلهية
 والطبيعية وتبسط الأصول العلمية والخلقية نصير الملة والدين محمد الطوسي
 ورأيه عليه الشريف باختر قد بعث رسالة الى بعض معاصريه وهو الفاضل الخزي
 وهذه تسمية خمس الذين خروا في مسائل من كتب من كتب غنى الكسوف عن
 وجوه من كتب وتخل بعد شكها فلم يأت ذلك المعاصر بحجوب ونحن نريد بعون
 ربنا بدهان بفتحة عن تلك المناق المعضلة الدقيقة ونافى بحجوب شاف كاف
 عن حيث مسائل مشكلة العميقة والى مثل مع تصور طلاقة وعجز القوة وتضعف
 وحاج من هذه العمدة كان بفضل سيد الله والقدرة من عنده والحكمة من فضله
 وأخذ من له وان كانوا من قبل في ضلال مبين فليذكر الرسالة بالفاظ الشريفة
 وصبراً في الطبيعة ثم خذوا بحجوب مستمد من فضل العليم الوهاب في الرسالة
 من حيث المناق وتوسيلة الى تواسل من دانته افندتهم وتفاصلت منهم والنوال
 أربعة في استفادة خبر لمن كان حريص عليه شديداً من كان باع اليه مدد اري
 حاد الذي محمد الطوسي التوسل بها الى جناب العالي الفاضل الحق المدقق شمس الدين

[illegible]

عند قضاة الملوك والوزراء العظماء والعلما المشهورين والوزراء الكبار والكشف عليهم من الوجود الحقيقي والحق
القديم والقديم لا يورث الكواكب عند ظهورها في الشمس كدور في النجوم المكدرة بل يمكن لها وجودها الكواكب
المتحركة وتحت نورها والوجود لا يتخذ ذاتها نورها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها من الوجود منها
والجمال الكوني في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
والفعل لا يدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
المكسورة في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
رثة في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
بنوا كواكبهم في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
كلهم في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
وقد كان الخلق في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
يتوكلون في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
السوم والادام والاسام ليسندهم في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
في الحركية في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
بذلك الخلق في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
لموت الموت في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في
التيان في ذاتها لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في نفسها فيكون لها قوة لا تدرى في

وعداها فتشبه سريرة لولا ان صيغتها للد لا تدرى

السودات والارض تحت هذه الساتم على الخوازان

لبن كسك الحسان وهو قربة في فرا الاغصان في يوم

الشقة والفر من سحر ارضان على ولدا الانسان بعدوا

فمنوع من السحان وكسك لبادي في سحر الانبياء على السحان

وصانها السحر في السحان وكسك لبادي في سحر الانبياء على السحان

الذين هم اهل الارض في سحر الانبياء على السحان

٢٠١

هذه رسالة من محمد بن عبد الله بن محمد

في القبر رخصه مهية
 راحة لرايها وفكره
 في الرضيعين
 عدا في المقام
 من عمره

بسم الله الرحمن الرحيم
 فصل في بيان رخصه حق القول بكونه من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 بالحق الموزان واما في السمع من البصر كمنه في البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 والحق لا تزال بغيره وثوبان من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 فاذا الكثرة الظاهر ووصف في خبره عاينها وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 في رخصه البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 ولكن في بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 وقد نزل بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر

بسم الله الرحمن الرحيم
 فصل في بيان رخصه حق القول بكونه من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 بالحق الموزان واما في السمع من البصر كمنه في البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 والحق لا تزال بغيره وثوبان من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 فاذا الكثرة الظاهر ووصف في خبره عاينها وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 في رخصه البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 ولكن في بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 وقد نزل بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر

في القبر رخصه مهية
 راحة لرايها وفكره
 في الرضيعين
 عدا في المقام
 من عمره

بسم الله الرحمن الرحيم
 فصل في بيان رخصه حق القول بكونه من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 بالحق الموزان واما في السمع من البصر كمنه في البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 والحق لا تزال بغيره وثوبان من جنس البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 فاذا الكثرة الظاهر ووصف في خبره عاينها وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 في رخصه البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 ولكن في بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر
 وقد نزل بصورها البصر في حق قوله وقد نزل بصورها والحق البصر والجنس الذي له من جنس البصر

تنبیه ام لعلک احرار الله بر طار الله فقهه ثابت على الصواب
انتم لعلک ابرم ابرغ خفتک لعلک بعد الهمم فخر الخلف
وليس ادر ستر خفتک لعلک فخر الخلف و منک لم تجدد
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انما انوار العلم
الملكوت تشهد الملكوت ثابت العلم تجدد العلم في نفسه مستجد
و اعلم ان تلك السراحي القام بها اذ انبتت اسعد كنف
مع حكم سرية شهدت و هو المستلزم لصدقه الربانية لله تعالى
لمن بعد ان لم يكن تنبيه ينبه في معرفته في الدنيا و في الآخرة
ان ما اوجبه احرار الله فهو مرق و الدنيا و الآخرة مرجحان

كذا لم يصف في رساله وجهه بتمت خطه وفيه الصالحين من الله تعالى ان
 اكتبه وراكم الله اخرا وعي يسوع وبنو اسرائيل
 ما من زندقه امر عنه من غير الله لا الله لا اله الا الله



الطبعة ١٣٩٢

لا ذر ساء الى يوم البعث بمثل ما ذكرناه فان ابتغاء نافع لبقار الخلق البشر
 بتغائب الافراد وهو مستمر الى يوم القيمة كذلك وجب استنواره ودراسة لاجل
 ارامته القايده التي ذكرناها الى وجوده وسوسته الى يوم الدين ذلك
 ليس بقرار العالم على الخير فرائس اعتراجه بالبشر قلنا فاذن لم يمكن دنيا والدينا
 بموجب الشرط لكنها جبر بعينيه الناس الى الآخرة ولو كان كلها شر ولكن وسيلة
 الى غير الآخرة الدائم كان وجبها خيرا من عدوها والعالم الذي لا يسطر
 اليه الشرور والآفات عالم اخر اليه رجحنا لطاهرات من نفوسها وهذا للعين
 مع اشتهاه بالعلم في ثابته الجهد المربك بالعبادة كما يظهر من اراد هذه الشبهات
 دليل من لبرنة متوسطا لحلم بعلم دفنها وحلها فضلا عن الرايح القدم
 في المحلة المشرع الصدق بنور الايمان والمعبر مع ذلك ذكر الفخر الرازي انما
 المشعلين ما نقلنا منه من انه لو اجتمع الخلق كلهم لم يجدوا مخلصا لهذه
 الشبهات الا بما ساء العيوب الاطهر من القول بابطال المحلة وانكار العائنه ونفي
 التزيين والسبب الذي لوجود الاشياء تشبيها بمذهبها به ورواها
 في الفاعل المختار والادارة الخيرية وذلك لقصوره وقصورهم من انك
 ولله المتعالية ونزهم الانوار العلية ونجهم من دفع الانقام والشبهات المودة
 في فلان باب غفل لان ذلك لا يترك الرغبة الى الدنيا وما لها وجاهها والشهنة
 عند استار مسر الوصول الى نيل الغرامعة الهنية ونهم الاسرار البقية مع
 هذه العار والامر من نفسانية ولاعراض الدينوية والله يدعى من يشار
 الى صراط مستقيم تمت الشبهات والاجوبة
 من افادات مولانا سدر الدين

وحمد الله تمت

في شهر ربيع الاول

في بلدة طوس

١٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال شيخنا في الدين رحمه الله اعلم وتفضلت في كتابي في بعض اهل العلم اورد على هذا المذهب
 القديس وهو قوله نعم كنت كنت مخفيا فاجبت ان اعرف خلقت الخلق لاعرف اشكالا عظيما
 ودكرانه يستلزم كثير من على مكانه فلو لم يدكره الروح باثنا فثلا تأملت فيها اورد الهمنى
 الله نعم اربعة اجوبة فذكر ما اوردته ثم اورد في الاجوبة التي اتم الله نعم هنا على فلا اشكال
 وهو ان الخفا من الامور النسبية لا بد فيه من مخفى ومخفى عليه لا يجوز ان يكون المخفى عليه هو
 نعم لان ظاهره بنفسه لنفسه عالم هذا لا لا وابداه لا يجوز ان يكون هو المخلق لان خلقه يكون
 موجبه جودين في لان لحي الله نعم تخفيلهم وفي الحديث كان الله ولم يكن معه شيء فخلق
 يقضى الخلق فيكون الخلق لسبب الخفاء لا سبب الظهور فهذا عكس ما يدل عليه الحديث قال من
 ظاهره يدل على انه نعم في الامور كان مخفيا عند عدم الخلق هذا تقرير السؤل قلت الجواب من
 هذا السؤل من وجوه الوجه هو ان الامر من الخفاء عدم عارف به سواء قلنا ان كثير العارفين
 بخلق الخلق فعرف من عدم العارفين به بالخفاء فانه قال كنت كنت اعز برب هو رافعا كل الاعراف في
 عزى ولا ما لا موجودى مساوى فاطلق الخفاء وارادوا وهو عدم العارفين به لمعنى كنت كنت
 رب احسنوا الهامنتا مفيدا ولا عالم في ولا عايف بكالى وجمالى فاجبت ان اعرف خلقت لاعرف
 قال هذا معنى صحيح لا اشكال فيه الوجه الثاني ان للشيء وجودين وجودا ظاهرا ووجودا خافيا فالو
 جود العلم هو المستبالي ايمان الناس به وهو ان لا شيء قديمة والوجود الخارجى محدث فحق الله نعم بالنسبة
 الى الايمان الثانية في كون الوجود مع الله نعم لكن لا علم الله نعم ان لا يعلم الله الا بالوجود الخارجى
 الوجه الثالث تلافى الصحاح نقل الاصحى خفيت الشئ بعين كتمه وخفيت عن بعضه وهو من
 الاصدار وقوله كنت كنت مخفيا يجوز ان يكون المراد من الخفاء بمعنى الظهور فعلى الحديث نعم كنت كنت
 فاعلم النفس لم يكن في عارف سوى فاجبت ان يعرف في عزى خلقت الخلق الوجه الرابع يجوز ان
 يكون كنت كنت لظاهر في غاية الظهور فخصى الشئ الرابع غايه الظهور خفى فكانه قال كاد
 نفسى من غايه الظهور ان يقضى على نفسى فضلا من عزى خلقت الخلق محاب ظهورى ومستر
 رى حتى حق شئ من ظهورى لتمكن الخلق اذراك لان من اراد ان ينظر الى عين الشمس
 فكيف يضيء على ما به فحجب بعض نوره خلق الخلق محابا لنوره وجعله سببا لادراكه
 فقال فاجبت ان اعرف خلقت الخلق فنبهان من جعل الظهور ما عا اذراك والستر والظهور
 سببا للظهور والادراك وهو اعلم بالمخافين من افادات صدور الحكماء والمتألهين مولانا

شرح حديث كنت كنت مخفيا، جامعة طهران

ما من علم من العلم

نورهم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
 تغييرنا من غير ان نشاءوا لنقلبهم
 كروا في انفسكم فكم تحسن
 وجم اول انما خلقكم من طين مطهرة
 خلقهم مدبرين
 وبقاؤكم فينا وكم نولدهم
 وكم نعيدهم
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين

انما نزلنا القرآن في هذه الايات
 لعلهم يتقون
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين
 واما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الضالين

کرد با آنکه اخبار از وحدت میکنند و با آنکه همین تمجید و مجاز نیز کثرتی است و چگونه
فناط موجود بی اثر شود و چگونه بود مؤثر حقیق و اثر اخبار را آنکه مساوی و ملائمت
چنینها از ضروریات است و چه اگر کثرات را اعتبار داشتیم ضرر بر وحدت
میرسد هیچ اثری که کوی که نور نور و ضعیف مانع از اضافت شود و این سخن
مندی است و موافق سخن است که حضرت پیر مثال فرموده و کوی این سخن
در علوم و سیر بهر چه گفته اند و آنچه دیده اند بشهود اخبار از آن گفته چه سخن
که اینها در این حالت جزو وحدت حرفه را میانه میکنند و الاغنائی در غایت
و مؤید این سخن است آنچه از ایشان نقل شده و سلیقه مستقیم و صفات این نیز
شاهد صدق است این معنی الفناء و الاطلاع العارف ذات و لا ملحقا بزمانه
و لا ملحقا بانه ثان ما ذا كان الامر على هذه المنوال فكيف يحكم الفناء و الاطلاع
محقق خیال او ممکن التصدیق به علی هذا المطلب مان جاء الى القصور في الكثرات
في الوحدة والوحدة في الكثرات ثم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل العقل والعلو على النبت والوسم والاهل قدس لنی بعض الامران
اذا تم امره من التيقن والعرف عن لمية اختصاص المنطقة بموضع وبعض معانی
من الفلك بعد سائر المواضع والابا حقه الفلك هم بسيط تشابه الاجزاء و قد
على كل جزء ما هو عليه و كذا لمية اختصاص حمة معينة منه بتوجه الحركة اليها دون
من الجهات مع تشابه الجميع و لا وی استحقاقها لتوجيه الحركة اليها و كذا الحكم في سائر
الامور المختلفة بمواضع بعضها من الجسم البسيط فالحكم ان قولهم في جايه ان ذلك ممكن
اذا لم يكون لموضع عايد الى الفصل الحركي لا الى العا بل لعدم اختلافه غير و اف

من القوة المفعلة والعين بنفسه سبق لعينه سائر المتعينات المفروضة حصل المهيئة النوعية
 بهذا التحصيل وهذا العيين وعند تحصيل الواحد يحل حصول غيره بدلا منه ابتداء ولا
 تعاقبا لان جبر الفلك لا يقبل التعاقب ولا التقاد وليس لمصور ان يتصور ان يتصور
 هذا الحل الفلكي بالوجود دون سائر الاشياء المشاركة في المهيئة النوعية انما يكون كوسط
 استعد او مادة وتنبؤ قابل لمهيئة مخصوصة مفرجة وجوده على سائر الوجودات لان ذلك
 مفتوح الاصل على ما في مقامه فاذا كان شخص الفلك تابعا لوجوده بعينه وكانت العوارض
 الشخصية في توافيق الوجود ولوازمه لافق العوارض المتعارضة فهي ايضا وان كانت حرة
 في المادة كاصل الوجود الا ان وجودها على سبيل استيعاب ذلك الوجود المعين الفلكي اما
 مفرجة مستنفذة في تخصص تخصيصها وجا على حديد اياها كخصيصها بما تابع لتخصيص الوجود كما
 ان جملتها تابع لمجملها فالسؤال في طلب تعيين الحركة والمنطقة والقطبين للفلك وحته
 الحركة الواقعة منه وحده في مسرته وكذا العيين مقدار الفلك وتلكه وموضع غيره
 في الامور التي روي في الفلك في كل معهما واحد معنى مفرجة الكيفية بعينه كالسؤال في
 طلب تعيين الوجود الذي لذلك الفلك والجواب الجواب ان كلامنا في لوازم وجوده الغير
 المجهول والذين يربطون في هذا ايضا ان احد الاول مثلا لمهيئة نوعيته بتقديره
 الذين فرض في قوعه على كثيرين وليس الوجود منها الا واحد اوله ايضا اوصاف ونفوت
 مخصوصة فاذا طلبت كيفية تخصيص الوجود بهذا الواحد لظاهر عن محي الدليل مع قوت
 الجمع في افراد نوعيته في المهيئة الاصلية وفي قول الوجود كجبه بالغير الجواب ان
 ما ذكرناه ولكل فيما نحن فيه فافهم ما ذكر الله مقننا وهداية فاما وجهه في سائر الجوانب
 في كونه له والعلوه على غيره وانه الظاهر من

سبقت
 الحقن في جوف الرحم
 حذروا حبس الرحم
 والعفن على جوف الرحم
 فانه مقدور على جوف الرحم
 المزاج كقوة بطله
 من الاربع منقذ
 مودة والحبس
 ملا السيرة
 وحالت وعقل
 السبيل فالوجه
 ومفيدة في الحاسة
 على تية ومفيدة
 على تية وفتح
 بين الحسنة
 ويوتر الحاسة
 اذا كانت منها
 الى مع من العادة
 البعوض في الهواء
 طاق في الحسنة
 يكون افعال
 وليس كذا
 ان يوتر
 ان كانت
 الحسية
 الجماعات
 بغير عادات

[illegible]

لن واما

يعرف بغير وصفه فبقدر انما قد فصلنا الآيات لنرى ثم يذكر الاول والثاني

بأنه انما هو في الحقيقة منزهة عن كل وصف من الصفات والصفات ومعية الله سبحانه

رسالة موحية من الله تعالى في المنطق في المنطق في المنطق
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

هو الذي رفع سماء العقل الباهر الى اهل انوار وفروع النقل فاعده

في سيرة التنقيح في مواد معدودة لا يقتصر كيانها في عناصر منجزة الاصله وكينها

شعيرة تارة البرهان من ذوقها وتوفيق شاقيل في بحر مملها وحيفا البرهان

والعلماني ويحجزه عن مهور والطفيلان فقال له لا تطفوا في البرهان والبرهان

فوق الجبال وليس من اهل الشغب والخلد والملا ولقد لد الدين اذا كمالوا

على الترسيت فون فانما كالمهم انهم يحضرون والصلوة على بريرة البرهان

وحجج الزاهرة محرم فلكهم نزل في قدر الولاية والنبوة وسابط حدود العلم

وشرابها انتاج العلم والعمل والوصول الى الجبال الاول ومعه فاذ منبر

واما انما كثر في المنطق لا اصوله في حقها فصوله فان نزلت في اللفظة

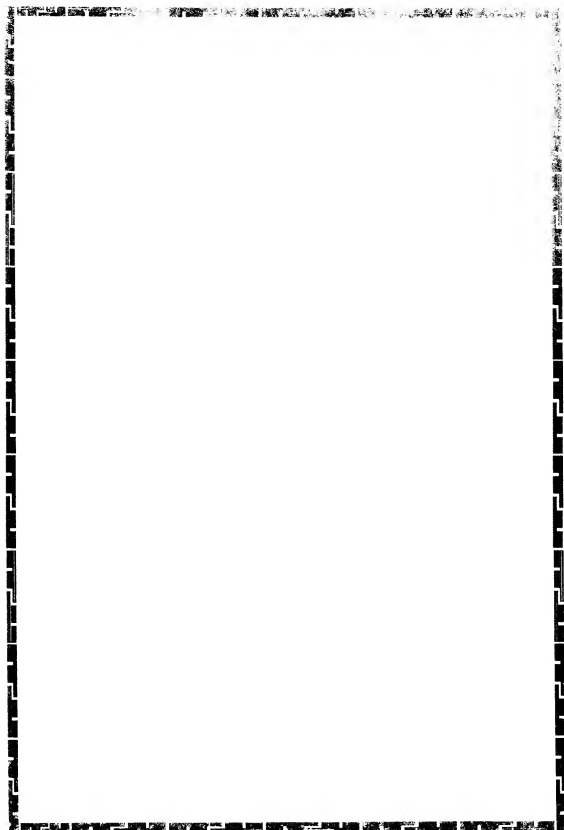
بيدك سهل عليك السبل لا البسط في التحقيق والبحث والتفصيل والامداد والاطراف

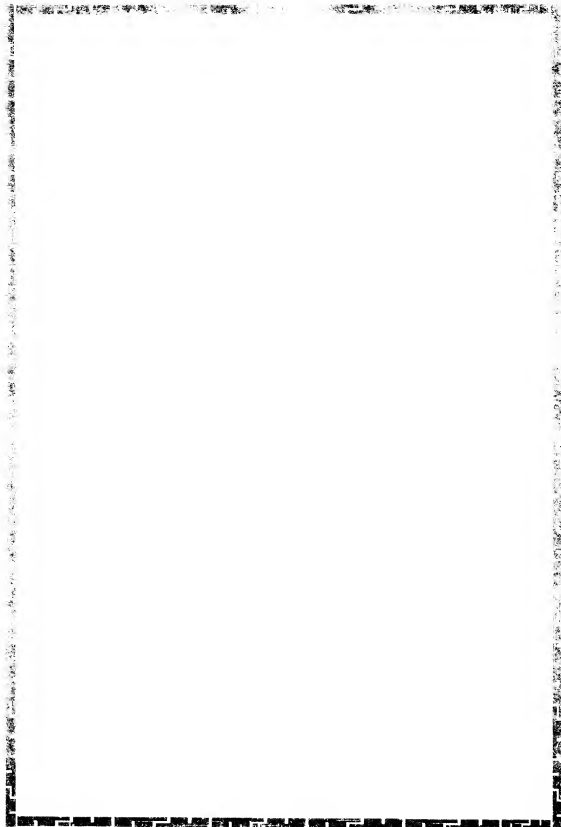
البرهان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دفع سماء العقل الهادي الى اصول الراي وفروع النقل
 واعدده في سوق الشرف في نوار صور الاعمى وكلماتها وهذا
 امره الادلة وكيفيةها لتقريب نقد البراهين من ريعها ويزن
 شاييل الحجج من سبلها ويصفها لها من النقص والخسران وتحذر
 من الجور والطغيان فقال له الاتطفؤا في الميزان واقموا ^{الذين}
 قول الجادلين من اهل السب والمراء والذاد الذين اذا ^{كانوا}
 على الناس يستوفون واذا كالوهم اوزنهم يحنون والقلوب
 على اهراس الباهوه وحجج الزاهرة عمدت آلة تناهج مستغنى ^{في} الولاء
 والنبوة وسايط حدود العمة والعدالة وشرايط انتاج العلم
 والعمل والوصول الى المبدأ الأول نافي مرسلاتك
 اياك من المنطق الى اصول سمح فصولها عن فضول فان اجند

البعض السورى كان البعض في الجوار واحد من الكل
 والكل واحد مكان لاخر ولا بهام عكس كمن يرى كل شيء
 في ان كل ابيض نلج والتركيب كمن يرى كل ابيض في
 ويقول انها زوج وانها فردا واحدة في الشيء اولاً وترى
 كمن راي كل سواد جامع للبصر فاحد الحكم لا من العالم البصري
 الى الابيض فكن راي الاذن ان سوما مطلقاً نظراً
 سوما مكلفا واحداً بالقرعة مكان بابا للفعل واخذ بابا
 مكان بابا للذات وبالعكس واحداً لاعتبارات الذهنية
 في الاعيان كمن راي ان الانسان الكلي موجود في الذهن
 بكثرة في العين واحداً جزء العلة مكان واحداً ليس
 علة وهذا الواحد في تباين الحواس فيدعي ان الكثرة تنقيض
 انظر ويكون كغير واحد لاعتبارات كونه سهل الخوض
 الاغالب وتولا العصور وعدم التميز لما سئل المغالطة
 بل من صداقة كاذبة ينبغي ان يرضى بان صاحبها لا يغالب
 يغالبه فيقدر على ان يغالب المغالطة والعصاة من الله
 الامور ولم يجعل الله له شريكاً له في تكملة الرسالة
 بعون الملئ الخويرون





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوهاب العلم والحكمة، والصلاة على واسطة الجود والرحمة، وآله الأئمة خزنة أسرار الشريعة والدين، وحفظة أنوار العلم واليقين.

وبعد فهذه آية عظيمة من آيات حكمة الله وعنايته، وهذه ذرة يتيمة من جواهر بحر جوده ورحمته، من تحقيق مسألة الاتحاد بين العاقل والمعقولات، ومسألة كون العقل الفعال كل الموجدات. فهاتان مسألتان شريفتان من غوامض علم الإلهيات كأنهما عينان باصرتان يبصر بقوتهما صور الأشياء، أو كوكبان نيران يستضيء بهما كل ما في الأرض والسماء، قد جرى ذكرهما على السنة بعض المتقدمين، وخلت عن فهمهما أذهان كافة المتأخرين فشحدوا أسنان اللسان على من ذهب إليهما منهم بالتشنيع، وجردوا أسلحة الطعن والرد عليهم، ممضين في التقريع، متجاهرين بالتعنيف والتشحين، غير مستأنسين لحديث [يقين]، ولا متبين لأحد منهم المعذر عنه مجالاً حتى يكون لهم من الطعن فيه خلاصاً، ومن سهام المذمة مناصاً، بل زادوا في الإنكار، وأصروا غاية الإصرار؛ مع أن نسبة الخطأ العظيم فيما غمض إدراكه عن أكثر أهل التعليم إلى من له دربة في الصناعة العلمية نوع^(١) من الطيش والعجالة، وعدول عن منهج الاستقامة والصبر والعدالة، والعجلة للإنسان من فعل الشيطان ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: الآية ١١٤]. فالاعتصام بحبل التوقف، والانتظار لنزول أمطار الرحمة في عالم الأنوار أولى من الإسراع في الإنكار؛ والاستفتاح من فضل مَنْ بيده مفتاح الرحمة والفلاح أليق من سدّ طريق النجاح على وجوه الطلاب المستعدين لنيل

السعادة ودرك الحق والصواب. ولنخلص في هذه الرسالة ما شرحناه في حقيقة هذه المقالة في كتابنا الكبير المسمى بـ «الأسفار الأربعة» تقريباً للإفهام وتبييناً للمرام ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: الآية ٣٧] واللّه وليّ العصمة والتأييد.

فنقول مرتباً لما ذكره في مقالتين، كلّ واحد منهما مشتملة على فصول هي للعلوم دعائم وأصول.

المقالة الأولى

في اتحاد العاقل والمعقول وفيه فصول^(١) فصل [١]

في درجات العقل النظري موافقاً لما ذكره إسكندر الأفريدوسي

إن للعقل مقامات

أحدها العقل الهولاني، والحكماء عنوا بقولهم هولاني شيئاً ما موضوعاً يمكن أن يصير شيئاً آخر محسوساً^(٢) أو معقولاً بوجود صورة فيه، وكل ما هو بالقوة شيء آخر لا بد أن يكون ذاته من جهة ما هو كذلك شيئاً^(٣) بالفعل، فلو كان فيه قوة جميع الأشياء فلا بد أن يكون ذاته بذاته بحيث لا يكون لها صورة من صور الأشياء فيكون قوة محضة لأفعالية لها الآ بحسب ما يرد عليها من الخارج، فإذا صارت مصورة بصورة من الصور تصير متحدة بها صائراً إيّاها حيث لا أثنيّة بينهما. وهذا في باب المحسوسات كهولى الأجسام التي في مرتبة ذاتها معراة عن الصور كلها؛ وهي في نفس الأمر عين هذه الأنواع الجسمانية وأشخاصها البسيطة

(١) م: في الاتحاد العالم والمعقول وفيها فصول.

(٢) ألف: بقولهم هولى موضوعاً ما يمكن أن يصير شيئاً محسوساً.

(٣) م: الأشياء.

والمركبة، كما بين في علم ما بعد الطبيعة^(١)، وبرهن عليه أن التركيب بين المادة والصورة اتحادى كما هو عند المحققين.

وهكذا الأمر في العقل الهولاني بالقياس إلى المعقولات، فإنه ليس هو في حد ذاته جوهرأ معقولأ بالفعل، ولا هو في نفس الأمر قبل أن يخرج إلى الفعل أحد الأشياء العقلية بالفعل ولكن حينئذ هو أحد الأشياء المحسوسة بالفعل وجميع الأشياء المعقولة بالقوة؛ لأن النفس هي^(٢) صورة كمالية لنوع محسوس جسماني كالإنسان وله أن يدرك الأشياء كلها معاً بخلاف الهولوى الأولى، فإنها ليست في نفسها شيئاً من الأشياء الحسية^(٣) ولا العقلية؛ ولها أن تتصور جميع الأشياء الحسية شيئاً بعد شيء. فالنفس الإنسانية صورة بالقياس إلى مادة المحسوسات، وهولوى بالقياس إلى صورة المعقولات، فهي في حد ذاتها قبل أن تستكمل شيء حسي، وليست بشيء عقلي، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ أَلَكُتِبِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: الآية ٦٨]. فهي صورة حسية ومادة عقلية، فهي في حد ذاتها عقل هولاني، لأنها إنما هي جميع المعقولات بالقوة؛ لأن في قوتها أن تدرك جميع المعقولات.

ولا ينبغي لمدرک^(٤) أن يكون بالفعل بطبيعته شيئاً واحداً^(٥) من مدرکاته، وإلا لكانت صورته^(٦) المخصوصة عاتقة له عن إدراك ما سوى تلك الطبيعة، وذلك مثل الحواس لا تدرك الأشياء التي يكون شيء منها فيها^(٧). فالبصر مثلاً إذ هو مدرک^(٨) الألوان ولا لون لها فالآلة التي هذه القوة فيها وبها هذا الإدراك لا لون لها خاص. وآلة الشم لا رائحة لها^(٩)، وبها تدرك الأرائح^(١٠)، واللامسة التي

(١) ألف، م: ما بعد الطبيعي.

(٢) م، ل: لها.

(٣) م: لا الحسية.

(٤) في «الأسفار»: المدرک الكل.

(٥) م: بطبيعة شخص واحداً. وفي ألف: بطبيعة شخص واحد.

(٦) م: صورة.

(٧) ألف: الأشياء هي شيئاً منها.

(٨) ألف: مثلاً يدرك.

(٩) م: ليست لها رائحة.

(١٠) الأرائح - ظ.

تدرك بها أوائل المحسوسات لا بد وأن يكون من الاعتدال بحيث كإنها لا تتصف بشيء منها على وجه الشدة والتمامية حتى تدرك بها الجميع . ولذلك قيل : إن المتوسط بين الأضداد بمنزلة الخالي عنها^(١) ، ومع ذلك لا تدرك هذه الآلة ما هو شبيه بها في الحرارة والبرودة أو الرطوبة واليبوسة أو اللين والخشونة ، وذلك لأنه ما كان يمكن [أن يكون] جسم من الأجسام سيما العنصرية إلا ويكون فيه شيء من الأضداد ، إذ كل جسم طبيعي فهو لا محالة ملموس ، فلا يمكن أن يدرك ما هو مثله ولا ما هو ضده ، لأن الضد يفسد الضد . لكن هذا الإشكال^(٢) مندفع في اللمس بما أشرنا إليه ، وقد بين في مقامه وليس ههنا موضع شرحه^(٣) .

وبالجملة الغرض أن في المحسوسات لما لم يوجد شيء نسبته إلى الجميع نسبة واحدة بالقوة لعدم خلوه في نفس الأمر عن فعلية بعضها ، فلم يكن في الوجود حس ظاهر^(٤) يكون حاسة لجميع المحسوسات ؛ لأن كل حس هو بالفعل صورة ، ولكن يوجد في الموجودات شيء هو عقل بالقوة بالقياس إلى جميع المعقولات ، وذلك قبل أن يخرج إلى صورة عقلية ، ويكون وجوده حينئذ وجوداً حسياً وصورة مادية ومادة عقلية ، فإذا صارت بالفعل في شيء من العقليات يتحد به ويصير واحداً من الأشياء العقلية .

واعلم أن بين هيولى المحسوسات وهيولى المعقولات فرقاً ما^(٥) ، وهو أن هيولى^(٦) المعقولات من شأنها أن تخرج إلى الفعل في جميع المعقولات دفعة واحدة بخلاف هيولى^(٦) المحسوسات ، فإن في خروجها من القوة إلى الفعل في تلك الصور إنما هو شيئاً بعد شيء في زمان وحركة^(٧) لا في آن ، وذلك لعلتين :

إحدهما : إن المحسوس بما هو محسوس أمر ضعيف الوجود يقع فيه

(١) الف ، ز : كالخالي عنها .

(٢) م ، ل : أشكال .

(٣) ألف ، ز : تعرضه .

(٤) م : ظاهراً .

(٥) ل : فرقاناً ، م : فرقاناً آخر .

(٦) م : الهولي .

(٧) م : إنما هو شيء في زمان واحد وحركة

التضاد، فمحسوس واحد لا يمكن أن يكون فرساً وشجراً وحجراً لقصر رداء وجوده عن جامعية حقيقتين واتحاد صورتين فضلاً عن جميع الحقائق والصور، بل الصورة الواحدة منه لكونها أمراً مقدارياً كل جزء مقداري منه يباين جزءه المقداري الآخر.

والثانية: إن الطبائع الحسية دائمة التجدد والانتقال والزوال من وجود إلى وجود آخر، فلو أمكن في جوهر واحد منه أن يكون كل الأشياء لم يبق متحركاً، ولا له كمال متتظر، ولم يكن له صورة جسمانية بل عقلية^(١).

فقد ثبت وتحقق ان كلما خرجت هيولى المحسوسات في صورة من القوة إلى الفعل رجعت في غيرها من الفعل إلى القوة، وهذا كأجزاء^(٢) الحركة والزمان التي وجود بعضها يستلزم عدم الآخر، وكأجزاء الجسم والمكان التي حضور شيء [منها] يوجب غيبة الآخر؛ وليس من هذا القبيل هيولى المعقولات، فكلما خرجت في شيء من القوة إلى الفعل يصير^(٣) أشد مناسبة وقرباً من سائر المعقولات.

المقام الثاني من العقل هو الذي حصل به للنفس ملكة الانتقال من الأوائل إلى الثانوي، ومن البديهيات إلى النظريات بواسطة حصول تلك الأوائل من طريق الحواس والخيال وذلك لحصول قوة في النفس بها تقتدر أن تأخذ صور المعقولات من المخيلات، والنظريات من البديهيات؛ مثل الذين فيهم ملكة الصناعات، القادرين بأنفسهم على أن يعملوا أعمالهم.

والأول أعنى الهولاني ما كان شبيهاً^(٤) بهؤلاء^(٥)، بل بالذين فيهم قوة بعيدة يقبلون بها ملكة الصناعة حتى يصيروا بتلك الملكة صانعين^(٦) كالأطفال والناقصين؛ وأما هذه الملكة ففي الذين قد استكملوا وصاروا معدودين من جملة العقلاء.

(١) م: عقلاً محضاً.

(٢) م: كالأجزاء.

(٣) م: صارت، ز: كأجزاء الجسم والمكان بخلاف هيولى المعقولات، فحصول شيء منها من القوة إلى الفعل يصير.

(٤) م: الهولوى شبيهاً.

(٥) أ: بهيولى.

(٦) م، ل: صناعات.

المقام الثالث: هو العقل الفعّال، وهو الذي به صار الهيلواني ذا ملكة الانتقال. وقياس هذا الفاعل - كما يقول أرسطو - قياس الضوء، لأنّه كما أن الضوء علة الألوان المبصرة بالقوة في أن تصير مبصرة بالفعل، كذلك هذا العقل يجعل العقل الهيلواني الذي بالقوة بأن يثبت فيه ملكة التصور العقلي، ويجعل الصور الهيلوانية التي بالقوة هي معقولة بالفعل، وهذا الثالث هو بطبعه معقول، وهو بالفعل كذلك، سواء عقله عاقل أم لا؛ لأنّه فاعل التصور العقلي وسائق العقل الهيلواني إلى العقل بالفعل، وكذلك هو عقل فعّال، لأن الصور الهيلوانية إنما تصير به معقولة بالفعل^(١) وقد كانت معقولة بالقوة إذا كان هذا العقل يجزّدها من الهيولى التي معها ويجعلها معقولة، ولم يكن من قبل ولا في طبيعتها أن يكون معقولة، كما أن بالنور البصري الفاض على القوة الباصرة يصير هذه القوة مبصرة بالفعل واجدة الأجسام والألوان التي بحيالها مبصرة بالفعل وما كانت إلا مبصرة بالقوة، فذلك النور بطبيعته مرثي ورائي، لا يمكن أن يكون غير ذلك أو يكون بالقوة، بل هو بالفعل كذلك دائماً.

فكذلك هذا النور المُشرق العقلي إذا أشرق على العقل بالقوة صار عقلاً بالفعل، وإذا أشرق على الصور المتخيّلة أو المحسوسة التي تناسبه صارت كلّها معقولة بالفعل، ولا يمكن أن لا يكون كذلك؛ ولأجل هذا يلزم أن يكون ههنا عاقلاً، كما سيظهر لك عن قريب بيانه إن شاء الله^(٢).

فصل [٢]

في أن التعقل عبارة عن اتحاد العاقل بالمعقول

أقول وبالله التوفيق: إن صور الأشياء على ضربين، أحدهما: صورة قوام وجودها بالمادة الجسمانية؛ ومثل تلك الصورة لا يمكن أن يكون معقولة ولا محسوسة أيضاً، لأنّ وجودها عين الاحتجاب والغيبية لتشاركها معنى العدم حيث وجود كل شيء منه يساوق عدم الآخر، وحضور كلّ جزء منه يلزم غيبية الآخر،

(١) في نسخة ز، هنا يتم المطلوب إلى الفصل الآتي.

(٢) أيضاً «الأسفار» ج ٣، ص ٣٦٨.

والعلم عبارة عن وجود شيء لشيء وحضوره عنده، فما لا وجود له في نفسه كيف يكون موجوداً لأمر آخر، ولهذا لا يمكن إدراك مثل هذه الصور إلا بحصول صورة أخرى تماثلها في المفهوم وتخالفها في رتبة الوجود.

والثانية: صورة ليس قوام وجودها بالمادة، بل هي مجردة عنها، سواء بقيت لها علاقة إضافية إليها، وذلك بوجهين، إما لحامل قوة إدراكها إلى مادتها الخارجية^(١) كالمحسوسات، فإن الآلة التي فيها قوة وجود تلك الصورة المحسوسة بالفعل لها نسبة وضعية إلى مادتها الخارجية، وتلك النسبة صارت مخصصة لحصول تلك الصورة للحس، إذ^(٢) لتلك الصور نسبة ارتباطية إلى صورتها الجزئية والحسية، وهي كالموهومات والمتخيلات؛ أو لم يبق له علاقة إضافية إليها ولا وضعية^(٣) ولا ارتباطية، وذلك لفرط خلوصها وتجردها عن المادة، وتفردها بخاص وجودها ووجود جاعلها التام^(٤)، غير المفتقر إلى معاون من خارج وعارض غريب زائد عليها.

أو لا ترى أن شيئاً من الأجسام وصورها إذا فرض متفرداً لم يكن معه أمور غريبة عن ذاته ولا أجسام^(٥) أخرى مجاورة له لم يبق موجوداً! مثال ذلك: لو فرضنا سماءً أو جسماً محيطاً لا حشو في داخلها لم يكن موجودة لاستلزامه الخلاء. ولو فرضنا أرضاً أو جسماً محاطاً لا سماء له يعلوه لم يكن موجوداً لاستلزام^(٦) ذلك وجود جهة لا محدّد لها ووجود جسم ذي حيّز أو أجسام ذوات جهات وأحياز بدون ما تحدد جهاتها وأحيازها، وهذا كلّ ممتنع.

فظهر أن مثل هذه الأمور كما يفتقر إلى علل ذاتية يفتقر إلى أسباب عرضية اتفاقية ولهذا يقال لهذا العالم عالم الاتفاقيات. وأمّا الوجود العقلي فليس مفتقراً^(٧) إلى أسباب عرضية خارجة عن طبيعته مباينة لجوهره.

(١) ل، م: الخارجية.

(٢) ز: أو لتلك الصورة.

(٣) ألف: وصفية.

(٤) ل، م: التمام.

(٥) م: والأجسام.

(٦) م: لاستلزامه.

(٧) م: لافتقار.

فإذا تقرر هذا، فنقول: قد صحّ عند الحكماء أن الصورة المجردة بالكلية صورة معقولة بالفعل، وكذا الصورة المجردة تجزئاً في الجملة، إمّا محسوسة بالفعل أو متخيلة بالفعل؛ والبرهان على أن كل صورة مجردة بالكلية معقولة بالفعل أنها لو لم يكن كذلك فلا يخلو إمّا أن لم يكن من شأنها أن تعقل لا بالفعل ولا بالقوة، أو كان من شأنها ذلك. لا سبيل إلى الأول، فإن كل ما حصل في الوجود^(١) فمن شأنه أن يصير معقولاً ولو بالقوة. ولا سبيل إلى الثاني، لأنّ الذي من شأنه أن يعرض له أمر لم يكن حاصلًا له بالفعل. فذلك العدم شيء من أسباب وجود ذلك الأمر، إمّا لفقد ما هو من جهة الفاعل أو لعدم استعداد القابل. والأوّل محال، لأنّ الفاعل المفيد للصور العقلية تامّ الحقيقة والذات، لا يمكن بالفعل أن يكون فيه^(٢) قصور أو نقص أو عجز. والثاني أيضاً محال، فإن الصور المجردة ليس لها محل ولا أيضاً فيه^(٣) جهة قبول أو قوة تغيّره وإمكان شيء لم يكن بالفعل، لأنّ شيئاً من هذه الأمور لا يكون إلّا في عالم الحركات والتغيرات والمواد والاستعدادات، وقد فرض كون تلك الصورة مجردة لا يتعلق بمادة وتغيّر واستحالة وحركة.

فثبت أن كل صورة مجردة فإن وجودها في نفسه هو بعينه وجودها معقولة بالفعل، وكذا يعلم بالحدس الصائب أن كل صورة محسوسة فإن وجودها في نفسها هو محسوسيتها التي هو وجودها للجوهر الحساس. وكل صورة متخيلة فوجودها في نفسها هو وجودها للخيال، حتى لو فرض انسلاخ المعقولة عن الصور التي فرضنا أنها معقولة لم يكن في نفسها شيئاً من الأشياء الآخر، كأن يكون في نفسه فلكاً أو شجراً أو حيواناً أو نباتاً.

وكذا الكلام في المتخيلات^(٤) أو المحسوسات، فإن وجوداتها العقلية ليست إلّا ظهورات الأشياء^(٥) عند العقل^(٦) أو النفس، فيكون وجودها نوراً عقلياً معقولاً

(١) م: المادة.

(٢) م: لأن فيه.

(٣) فيها - ظ.

(٤) ألف: مخيلات.

(٥) ألف: شيء.

(٦) ز: فإن وجودها ليس إلّا ظهور شيء عند العقل.

لا أنه به يصير المهيئات الكونية معقولة بالفعل، وكذا القياس في الصورة الخيالية والحسية في أنها نور خيالي يتخيل به الأشياء، أو نور حسي به يظهر المحسوسات ويصير محسوسة بالفعل.

فإذا كان الأمر هكذا من كون معقولة المعقول هو بعينه نحو وجود للعقل لا غير، كذا محسوسية المحسوس هي وجوده بعينه للجوهر الحساس لا غير، فيلزم من ذلك أن يكون عاقل مثل هذا المعقول غير مبائن الذات عن وجوده، أذ لو كان للعقل وجود وللصورة المعقولة التي هي معقولة بالفعل وجود آخر حتى ^(١) كانا موجودين متغايرين كل منهما منفصل الوجود عن صاحبه. كما زعمه الجمهور. يلزم أمر محال، لانا إذا نظرنا إلى الصورة العقلية ولاحظناها وقطعنا النظر عن الجوهر العاقل فهل هي في تلك الملاحظة معقولة. كما كانت عليه في ذاتها. أو غير معقولة؟ فإن لم يكن هي في تلك الملاحظة معقولة فلم يكن نحو وجودها بعينها معقوليتها، بل كانت معقولة بالقوة لا بالفعل؛ والمقدر خلاف هذا، وهو أن وجودها بعينه معقوليتها؛ وان كانت ^(٢) في تلك الملاحظة إياها هي التي تكون مع قطع الالتفات إلى ما سواها من الأشياء المغايرة الوجود لها معقولة، فهي لا محالة في تلك الملاحظة عاقلة أيضاً؛ إذ المعقولة لا ينفك عن العاقلة لأنهما من باب المضاف، وأحد المضافين لا يوجد معناه بغير معنى صاحبه، فوجود واحد هو بعينه عاقل، ومعقول له. فكل صورة مجردة عن المادة فهي معقولة وعاقلة معاً من غير مغايرة بين المعنيين بحسب الوجود بل بحسب المعنى والمفهوم، إذ مفهوم العاقلة غير مفهوم المعقولة، وإلا لكانا لفظين مترادفين.

وأما كون وجود واحد مصداقاً لمفهومين متغايرين بل لمفهومات كثيرة، فغير مستنكر ككون ذاته تعالى بذاته مع احديته مصداقاً لمعاني أسمائه وصفاته من غير شوب ^(٣) كثرة، فإذا يلزم أنه إذا كان لعقل واحد معقولات كثيرة أن يكون وجوده بعينه وجود تلك المعقولات بما ^(٤) هي معقولات بعينها من غير تعدد وتغاير في

(١) ل: م: و.

(٢) م: ولو كانت.

(٣) ز: ثبوت.

(٤) م: كما.

الوجود. وعلى هذا القياس حال اتحاد الجوهر الحساس بجميع الصور المحسوسة له، وحال اتحاد القوة الخيالية بجميع الصور المتخيلة.

وهذا - أي كون صورة كثيرة ادراكية عقلية كانت أو خيالية أو حسية مع تخالفها وتغايرها عين هوية واحدة موجودة بوجود واحد - أمر عجيب من عجائب أسرار الوجود، قاد إليه البرهان القطعي الذي لا مجال لأحد من الملتزمين لأحكام العقل الصحيح أن ينكره، إلا أن ينحرف عن هذا المسلك إلى مسلك آخر كالجدل^(١) والتقليد أو نحوه ﴿وَمَنْ لَّزَّ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُزُومًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: الآية ٤٠]^(٢).

فصل [٣]

في تسديد ما أضلناه وتأكيده ما قررناه

واعلم إن حال النفس في مراتب ادراكاتها الحسية والخيالية والعقلية ليس كما اشتهر عند الجمهور وفي الكتب مذكور من أن النفس واحدة ذاتاً ودرجةً، والمدرجات متفاوتة وجوداً، متخالفة تجزئاً وتجسماً. بل الحق إن كل قوة ادراكية فهي بعينها صورتها المدركة إذا كانت مدركة بالفعل.

والمشهور عندهم إن النفس تجزئ الصور الحسية وتنزعها عن موادها تجزئاً ما، فتصير محسوسة بالفعل، ثم تجزئها تجزئاً أتم، فتصير متخيلة بالفعل، ثم تجزئها تجزئاً بالكلية، فتصير معقولة بالفعل، والنفس في ذاتها هي كما هي في أول الأمر من غير انتقال لها من كونها حسية إلى كونها خيالية ومن كونها خيالية إلى كونها عقلية. فجعلوا النفس ساكنة، ومدركاتها منتقلة مستحيلة. وليس الأمر كذلك، بل الأمر بالعكس مما ذكروه. فأولى في الصواب^(٣) أن يجعل تفاوت الصور الإدراكية في مراتب التجريدات والاستكمال^(٤) تابعة لاستحالات المدرك، إذ المغمور في الغواشي المادية لا يمكن له إدراك الصورة غير المغشاة بها،

(١) م: كالجهل أو.

(٢) أيضاً «الأسفار» ج ٣، ص ٣١٢.

(٣) ألف، ز: بالعكس، فالصواب.

(٤) ز: الاستحالات.

وظهور^(١) كل حقيقة نوعية كالإنسان مثلاً على القوة العاقلة تارة بصورة وحدانية عقلية، وعلى الحواس تارة أخرى بصور مخالفة متكثرة ليس بأن يدلّ على أن يكون النفس في أطوارها^(٢) الوجودية تابعة لحركاتها أولى من أن يجعل اختلافها وحركاتها تابعة لاختلاف أحوال النفس واستحالاتها؛ بل هذا أولى وأنسب.

فانظر أيها العاقل الذكي في أمر النفس وأطوارها ونشأتها الوجودية وكونها في كل طور وجودي متحدة مع طائفة من موجودات ذلك الطور الوجودي. فهي مع البدن طبيعة بدنية، ومع الحسّ حسّ، ومع الخيال خيال، ومع العقل عقل، ﴿وَمَا تَدْرِي نَقَسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] فإذا اتحدت مع الطبيعة صارت عين الأعضاء، وإذا اتحدت مع الحسّ بالفعل صارت عين المحسوسات التي حصلت للحواس بالفعل، وإذا كانت مع الخيال بالفعل تصير عين الصور المتخيلة له، وهكذا إلى أن ترتقى إلى مقام العقل بالفعل، فتصير عين الصور العقلية التي حصلت لها بالفعل.

والحكمة في ذلك إن الله تعالى لما جعل في الوجود وحدة عقلية هي عالم العقل، وكثرة جسمانية هي عالم الحسّ والتخيّل على مراتبها، اقتضت العناية^(٣) الإلهية بإيجاد نشأة جامعة يدرك بها ما في العالمين، فرتب لها قوة لطيفة تناسب بذاتها تلك الوحدة الجامعة، فيمكن بتلك المناسبة من إدراكها وهو العقل الفعال؛ وقوة أخرى جسمانية أو مادية تناسب بذواتها تلك الكثرة الجسمانية فيدركها من حيث هي هي؛ لكن النفس في مبادئ تكوّنها تغلب عليها لقصورها ونقصها^(٤) جهة الكثرة الجسمانية، ويكون وحدتها العقلية أمراً بالقوة، وكثرتها الجسمانية^(٥) أمراً بالفعل، فإذا قويت ذاتها واشتدّت فعليتها غلبت عليها جهة الوحدة، فصارت عقلاً ومعقولاً بعد أن كانت حسّاً ومحسوساً. فللنفس حركة جوهرية من هذه النشأة الأولى إلى النشأة الثانية وما بعدها.

(١) م: فظهور.

(٢) م: أظفارها.

(٣) م: قضت الغاية.

(٤) ألف، ز: نقصانها.

(٥) م: وجهة الكثرة الجسمانية.

[فصل ٤]

في إمعان النظر في هذا المنهاج والإشارة
إلى علم الله تعالى بالأشياء الممكنة

قد علمت أن قياس العقل إلى المعقولات قياس الحس إلى المحسوسات، وإن ليس الاحساس - كالأبصار مثلاً - عبارة عن أخذ صورة المحسوس من مادة، ولا أن البصر يأخذ من المبصر شيئاً ينتقل إليه بعينه من مادة^(١) إلى مادة البصر لما تبين من استحالة انتقال المنطبعات من موضع^(٢) إلى موضع، ولا أيضاً معناه حركة قوة الحاسة كالباصرة نحو صورة المحسوس الموجودة في مادة^(٣)، كما زعمه^(٤) أصحاب الشعاع في باب الأبصار. ولا أيضاً بمجرد إضافة وضعية للحاسة، ولا بإضافة علمية للنفس إلى تلك الصورة المادية، كما ذهب إليه الاشراقيون في باب الأبصار وقوم كالفخر الرازي في باب الإدراك مطلقاً. فإن هذه الآراء الثلاثة كلها باطلة عندنا، كما بيّناه في موضعه؛ سيما مذهب الإضافة، فإن الإضافة الوضعية إلى الأجسام وما فيها ليست علماً بها وإدراكاً لها، والإضافة العلمية من الجواهر العقلي لا يمكن ولا يتصور بالقياس إلى ذوات الأوضاع المادية، وقد مرّت الإشارة إلى برهان عام على أن شيئاً من ذوات الأوضاع المادية لا يمكن أن يكون مدرّكة بأي إدراك كان إلا من طريق العلم المحيط بأسبابها وعللها.

بل الحقّ عندنا في باب الأبصار وغيره من أنواع الإدراكات أنها يحصل بإنشاء صورة نورية إدراكية من عالم النفس على طريق الفيض الإبداعي، فيحصل بها الإدراك والشعور بالأشياء. وتلك الصورة إن كانت حسية فهي الحاسة والمحسوسة بالفعل. فالصور البصرية ليست في مادة خارجية، ولا أيضاً انطبعت في آلة الأبصار؛ وإنما هي مثل معلقة قائمة لا في محل ومادة بل لمبدأ فاعلي نوري. وإما وجود الصورة في الخارج فهي من الشرائط والمعدّات لحصول تلك الصورة المجردة في صقع النفس. والكلام في كون تلك الصورة حساً وحاسة

(١) ز: مادته.

(٢) ز: موضوع.

(٣) ز: الموجود في مادته.

(٤) ألف، م: كما ذهب.

ومحسوسة كالكلام في كون الصورة العقلية عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، وكذا في غيرها من الإدراكات الحسية والخيالية والعقلية.

قال المعلم الأول في كتاب «اثولوجيا»: «ينبغي أن يعلم أن البصر إنما ينال الأشياء الخارجية منه، ولا ينالها حتى يكون بحيث يكون هو [هي]، فيحسن حينئذ ويعرفها معرفة صحيحة على نحو قوته. كذلك المرء العقلي إذا ألقى بصره على الأشياء لم ينلها حتى يكون هو وهي^(١) شيئاً واحداً إلا أن البصر يقع على خارج الأشياء والعقل على باطن الأشياء، فلذلك يكون توحده معها بوجوه، فيكون مع بعضها أشد وأقوى من توحد الحس بالمحسوسات. والبصر كلما أطل النظر إلى الشيء المحسوس أضرب به المحسوس حتى يصير خارجاً عن الحس [أي] لا يحسن شيئاً. وأما البصر العقلي فيكون على خلاف ذلك»^(٢). انتهى كلامه.

واعلم: إن بهذا المسلك الذي سلكناه في باب العلم - عناية من الله تعالى وتأييده - يندفع اشكالات كثيرة ولا يرد عليه أيضاً ما يرد على القول بارتسام صور الأشياء في ذاته تعالى وانطباعها فيه، وكذلك القول بانطباع تلك الصور في إدراك^(٣) العقول في ذوات تلك العقول؛ فإن التعقل لو كان بارتسام الصور العقلية في ذات العاقل يلزم مفسد شنيعة في علم الباري - جلّ اسمه - مذكورة في الكتب^(٤)، ويلزم أيضاً من كون صورة الجوهر المنطبعة في الجوهر العاقل كون صورة واحدة مندرجة تحت مقولتين بالذات مقولة الجوهر ومقولة الكيف، وكذا من انطباع الكم والوضع والإضافة يلزم كون كل منها مندرجاً تحت مقولتين، إلى غير ذلك من الاشكالات المعدودة في مقامه.

فصل [٥]

في طريق آخر لبيان المطلوب

إن الذي تقرّر عن الجمهور من أن القوة العاقلة في الإنسان تنال صور

(١) في النسخ: يكون هو هو شيئاً.

(٢) «اثولوجيا»، ص ١١٧.

(٣) ألف، ز: إدراكات.

(٤) راجع: «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٥٢.

المعقولات من خارج ذاتها بعد ما لم تكن عاقلة بالفعل لا^(١) بأن تتحد بها وتتحول إليها، مما لا يمكن التعويل عليه. فإن النفس إذا كانت خالية من العلم جاهلة بالفعل ولها قوة ان تنفعل من المعقولات، فإذا صادفت الصور العقلية وأدركتها إدراكاً عقلياً، فنقول: تلك القوة الانفعالية إذا صادفت صورة معقولة فبماذا أدركتها وأضيفت إليها؟ أدركها بذاتها العارية عن العلم والعقل صورة معقولة؟ فليت شعري كيف يدرك ذات عارية جاهلة غير مستنيرة بنور العقل أصلاً صورة خارجة عن ذاتها المظلمة وهي صورة نيرة في ذاتها معقولة صرفة؟!

فإذا أدركتها بذاتها العارية، فيلزم أن يكون الذات الجاهلة العمياء العامة قد أدركت معقولاتاً صرفاً مبائناً بذاته لذات المدرك حتى يكون ذاتان متبائنان؛ إحداهما عاقلة بالقوة، والأخرى معقولة بالفعل؛ مع أن المتضايفين في معنى من المعاني بما هما متضائفان لا بدّ وإن يكونا متكافئين في الوجود والعدم والقوة والفعل؛ فيمتنع أن يكون إحداهما بالقوة والأخرى بالفعل. فالعين العمياء كيف تبصر وترى؟ وبأي نور تنظر إلى الأنوار والألوان المبصرة؟ وكذا العقل بالقوة بأي نور عقلي يبصر المدركات النورية العقلية؟ ﴿وَمَنْ لَّزَّ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [التور: الآية ٤٠].

وإن أدركتها بما استنارت به ذاتها من صورة عقلية، فينقل الكلام إلى نسبة ذاتها العارية إلى تلك الصور من إنها مبائنة لتلك الصور، أو متقومة بها متحدة معها؛ فإن كانت مبائنة عاد المحذور المذكور فيتضاعف الصور إلى غير النهاية وهو محال. وإن لم يكن مبائنة فكانت تلك الصورة بعينها عاقلة بالفعل كما انها معقولة بالفعل من غير توسط صورة أخرى، وهذا بعينة مطلوبنا.^(٢)

وليس لقاتل ان يقول: لعل تلك الصورة تكون واسطة في كون النفس عاقلة لما سواها وتكون هي معقولة للنفس بذاتها، بمعنى ان ماوراءها مما هي مطابقة إياها فيصير معقولاتاً للنفس بتلك الصورة؛ لأننا نقول: لو لم تكن تلك الصورة معقولة أولاً لم يمكن أن يدرك بها غيرها، وليس توسط تلك الصورة لغيرها كتوسيط الآلات الصناعية في الوصول إلى الأعمال البدنية؛ بل مثالها مثال النور المحسوس في درك المبصرات حيث يبصر النور أولاً وبتوسطه^(٣) يبصر غيره ثانياً

(١) ز: - لا.

(٢) ألف، ز: أخرى، وهو المطلوب.

(٣) ألف، ز: بتوسطه.

وبالعرض؛ على إننا قد أوضحنا بالبرهان الساطع ان الصورة المعقولة بالفعل سواء عقلها عاقل غيرها أو لم يعقلها، وكذا الصورة المحسوسة لا يمكن فرض وجود لها لم يكن هي محسوسة، فهي محسوسة بالفعل وإن لم يكن في العالم جوهر حاس. وليس وجود الصور الإدراكية - عقلية كانت أو حسية - للنفس كوجود الدار والأموال والأولاد لصاحب الدار والمال والوالد، في أنّ لها وجوداً في أنفسها ووجوداً لغيرها، ليس وجودها في أنفسها بعينه وجودها لغيرها، وليست صيرورة النفس عاقلة بالفعل كصيرورة زيد ذي مال وعرض وولد من غير ان يتحول وجوده وجوداً آخر^(١).

فصل [٦]

في دفع ما يرد على القول بالاتحاد بين العاقل والمعقول وحلّ الشبهة المذكورة في كتب الشيخ وغيره

اعلم ان الشيخ الرئيس في أكثر كتبه نصّ على إبطال القول بهذا الاتحاد، وأصرّ على إبطاله غاية الإصرار. فقال في الإشارات: «إنّ قوماً من المتقدمين^(٢) يقع عندهم أن الجوهر العاقل إذا عقل صورة عقلية صار هو هي. فلنفرض الجوهر العاقل [عقل]^(٣) ألف وكان هو على قولهم بعينه المعقول من ألف، فهل هو حينئذٍ كما كان عند ما لم يعقل ألف أو بطل منه ذلك؟ فإن كان كما كان فسواء عقل ألف أو لم يعقلها، وإن كان بطل منه ذلك أبطل على أنّه حال له، أو على أنّه ذاته. فإن كان على أنّه حال له والذات باقية فهو كسائر الإستحالات ليس ما يقولون؛ وإن كان على أنّه ذاته فقد بطل ذاته وحدث شيء آخر، ليس أنّه صار هو شيئاً آخر، على إنك إذا تأملت هذا أيضاً علمت أنّه يقتضي هيولي مشتركة وتجدد مركب لا بسيط^(٤).

وقال أيضاً: «زيادة تنبيه: وأيضاً إذا عقل ألف ثم عقل ب أيكون كما كان

(١) وللفصلين الأخيرين راجع «الأسفار» ج ٣، ص ٢٨٠ - ٣١٢.

(٢) في م و «الإشارات»: المتصدرين.

(٣) الزيادة من المصدر.

(٤) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٩٢.

عندما عقل ألف حتى يكون سواء عقل ب أو لم يعقلها، أو يصير شيئاً آخر، ويلزم منه ما تقدم ذكره» انتهى^(١).

وهذه حجة خاصة على نفي الاتحاد بين العاقل والمعقول ولهم حجة عامة على نفي الاتحاد بين الشئيين مطلقاً، ذكرها الشيخ وغيره في كتبهم، وهي: «إن المتحدين إن كانا موجودين اثنين فلا اتحاد، وإن بطل أحدهما وحدث الآخر، فلا اتحاد، وإن عدما جميعاً وحدث أمر ثالث، فلا اتحاد أيضاً».

وقال في الإشارات: «وكان لهم رجل يعرف بفرفوريوس عمل في العقل والمعقولات كتاباً يثنى عليه المشاؤون، وهو حشف كله، وهم يعلمون من أنفسهم انهم لا يفهمونه، ولا فرفوريوس نفسه، وقد ناقضه من أهل زمانه رجل، وناقض هو ذلك المناقض بما هو أسقط من الأول»^(٢).

وقال في علم النفس من طبيعيات الشفاء: «وما يقال من إن ذات النفس يصير هي المعقولات، فهو من جملة ما يستحيل عندي، فإني لست أفهم قولهم ان يصبر شيء شيئاً آخر، ولا أعقل ذلك كيف يكون»^(٣).

ثم ذكر الحجة العامة لنفي الاتحاد، ثم أخذ في الطعن والرد على من ذهب إلى هذا الاتحاد بقوله: «وأكثر ما هو بين الناس في هذا هو الذي صنف لهم ايساغوجي، وكان حريصاً على أن يتكلم بأقوال مخيلة شعرية صوفية»^(٤)، يقتصر منها لنفسه ولغيره على التخيل، ويدل أهل التمييز على ذلك كتبه في العقل والمعقولات وكتبه في النفس. نعم [إن] صور الأشياء تحل في النفس وتحليلها^(٥) وتزيتها، وتكون النفس كالمكان لها بتوسط العقل الهولاني، ولو كانت النفس صارت صورة لشيء من الأشياء من الموجودات بالفعل والصورة هي العقل وهي بذاتها فعل، وليست في ذات الصورة قوة قبول شيء، إنما قوة القبول في القابل للشيء، وجب أن يكون النفس حينئذ لا قوة لها على قبول صورة أخرى وأمر

(١) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٩٣.

(٢) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٩٥.

(٣) طبيعيات «الشفاء» الطبع الحجري، ص ٣٥٩.

(٤) ألف: صرفية.

(٥) م: صور الأشياء تحليلها النفس.

آخر، وقد تراها تقبل صورة أخرى غير تلك الصورة، فإن كان ذلك الغير أيضاً لا يخالف هذه الصورة فهو من العجائب، فيكون القبول واللاقبول واحداً. وإن كان يخالفه، فيكون النفس لا محالة [إن كانت] هي الصورة المعقولة قد صارت غير ذاتها، وليس من هذا شيء» إلى آخر هذا الكلام^(١).

أقول: وهذه حجة أخرى له بطلان هذا المذهب، وسيرد عليك جوابها أيضاً، فنقول: إن الذي يجب أن يعلم أولاً قبل الخوض في دفع ما ذكره الشيخ وغيره في نفي الاتحاد بين العاقل والمعقولات عامّاً وخاصّاً أمران: أحدهما: إن الوجود في كل شيء هو الأصل في الموجدية، وهو مبدأ شخصيته ومنشأ ماهيته ومصداق ذاتياته، وأنّ الوجود ممّا يجوز فيه الاشتداد والتضعّف في^(٢) الإستكمال والنقص، وله في كل مرتبة من الشدة والضعف صفات ونعوت ذاتية غير ما كانت قبل ذلك^(٣).

والثاني: إن الحركة والإستحالة كما يجوز في الكيف والكم يجوز في الجوهر الصوري المتعلق بالمادة ضرباً من التعلق، والحركة في كل مقولة يلزمها وجود فرد متصل^(٤) شخصي تدريجي له في كل آن مفروض من زمان تلك الحركة حدّ خاص من حدود الوجود لم يكن قبله ولا بعده.

فإذا ثبت هذان الأصلان اللذان بسطنا القول في تحقيقهما والذبّ عنهما في كتبنا المبسّطة^(٥)، فنقول: إن الاتحاد بين الشئيين يتصور على وجوه ثلاثة:

الأول: أن يتحد بموجود بعد أن يتعدد أو بأن يصير الوجودان لشئيين وجوداً واحداً. وهذا محال لا شك في إستحالاته لما ذكره الشيخ وغيره من دلائل نفي الاتحاد.

الثاني: إنّ ماهية من الماهيات ومعنى من المعاني تصوير هي بعينها ماهية

(١) راجع: المصدر السابق.

(٢) ز: و.

(٣) لم يذكر المؤلف هذا الأصل في «الأسفار»، لتيان المقام.

(٤) م: متصل.

(٥) راجع «الأسفار» المجلّد الأول مباحث الوجود، والمجلّد الثالث مباحث الحركة.

أخرى ومعنى آخر بالحمل الذاتي الأولى. وهذا أيضاً من الممتنعات فإن المفهومات المتغايرة لا يمكن أن تصير مفهوماً واحداً، فإن كل ماهية من حيث هي لا يمكن أن يكون ماهية أخرى لذاتها إلا بأن يبطل وجود أحدها ويحدث وجود غيرها.

والثالث: أن يصير موجوداً بحيث يصدق عليه معنى عقلي وماهية كلية بعدما لم يكن صادقاً عليه أولاً لا اشتداد^(١) وقع في وجوده، واستكمال حصل في هويته الشخصية المستمرة على نعت الاتصال. وهذا ليس بمستحيل؛ ألا ترى أن صورة الإنسان الواحد في^(٢) مبدأ كونه جينياً بل نقطة إلى غاية كونه عقلاً ومعقولاً يتوارد عليه الأطوار؟ وأن جميع المعاني المعقولة التي وجدت أفرادها متفرقة في الجماد والنبات والحيوان توجد مجتمعة على وجه بسيط في الإنسان؟

لا يقال: هذه المعاني المتكثرة إنما يوجد في الإنسان لأجل تكثر قواه لا بحسب قوة واحدة.

لأننا نقول: بل بحسب صورة ذاته الواحدة المتضمنة لقواه؛ فإن جميع قوى الإنسان المدركة والمحركة الحيوانية والطبيعية يفيض على مادة البدن^(٣)، ومواضع الأعضاء من مبدأ واحد بسيط هو نفسه وحقيقة ذاته؛ وتلك القوى كلها فروع ذلك الأصل، وهو حسّ الحواس وعامل الأعمال، كما أن العقل البسيط الذي أثبتته الحكماء هو أصل المعقولات المتصلة^(٤) النفسانية. وسينكشف ذلك في هذه الرسالة أن العقل الفعال في أنفسنا هو كل المعاني الموجودة في المعلولات بحسب الصدق والتحقيق.

وبالجملة كون ذات واحدة بحيث يصدق عليها لذاتها معنى لم تكن تلك الذات مصداقة له أولاً ليس ممتنعاً^(٥)، وكذا صيرورة ذات بحيث يصدق عليها ما يصدق^(٦) على ذوات كثيرة متغايرة ليس ممتنعاً، كما قيل:

(١) خ: لاستعداد.

(٢) م: من.

(٣) م: يقتضي على مادة البدن.

(٤) م: المنفصلة.

(٥) م: بمحال.

(٦) ز: عليها ما يصدق.

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ولنرجع إلى الجواب عن احتجاجاتهم: أما الدليل العام الذي ذكره الشيخ في الاشارات، فقوله: «إن كان كل واحد من الأمرين موجوداً، فهما اثنان متميزان»، قلنا: إن هذا غير مسلم، لجواز أن يكون مفهومان لهما وجود واحد، فإن الحساس والناطق معنيان متغايران يمكن إنفكاك أحدهما عن الآخر، فقد صارا في الإنسان موجوداً واحداً.

وكذا الدليل العام المذكور في الشفاء، فإن قوله: «إذا صار الشيء شيئاً آخر، فلما أن يكون إذ هو قد صار ذلك الشيء موجوداً أو معدوماً؟ قلنا: نختر إنّه يكون موجوداً. وقوله: «فإن كان موجوداً، فالثاني الآخر إما أن يكون أيضاً موجوداً أو معدوماً؟ قلنا: نختر إنّه حيثئذٍ أيضاً يكون موجوداً. قوله: «فهما موجودان لا موجود واحد؟ قلنا: بل هما معنيان موجوداً بوجود واحد، ولا إستحالة في كون معان كثيرة لها وجود واحد.

وأما الحجتان الخاصتان بالعاقل والمعقول، فالتى ذكرهما الشيخ في الإشارات^(١)، فقوله: «هل هو ج كما كان عندما لم يعقل ألف؟» قلنا: نختر إنّه هو هو من حيث أصل الوجود، وليس هو هو من حيث القوة والكمال، كالهويلى إذا صارت جسماً، فلم ييطل عن المادة إذا صارت مصورة بصورة كمالية إلا ما هو من باب النقص والقصور كالصبي إذا صار رجلاً، لأنه لم يزل منه شيء إلا ما هو أمر عديمي، كما اعترف به الشيخ في المقالة الثامنة من الهيات الشفاء^(٢) عندما يبين أقسام كون الشيء من شيء؛ فقد حَقَّق هناك أن صيرورة شيء شيئاً آخر على وجهين:

«أحدهما: بأن يكون الأول إنما هو ما هو إنّه الطبع يتحرك إلى الاستكمال بالثاني، كالصبي إذا صار رجلاً لم يفسد، ولكنه استكمل ولم يزل عنه أمر جوهري ولا عرضي إلا ما يتعلّق بالنقص وبكونه بالقوة.

والثاني: بأن يكون الأول ليس طباعه أن يتحرك إلى الثاني، وإن كان يلزمه

(١) ألف، ز: فالشيخ ذكرهما في الإشارات.

(٢) الهيات «الشفاء» ط مصر، ص ٣٢٩.

الاستعداد لقبول صورته لا من جهة ماهيته ولكن من جهة حامل ماهيته؛ مثل الماء إنما يصير هواءً بأن ينخلع من هيولاه صورة المائية ويحصل له صورة الهوائية». قال: «والقسم الأول يحصل فيه الجوهر الذي للأول بعينه في الثاني. والقسم الثاني لا يحصل الذي في الأول بعينه للثاني بل جزء منه، ويفسد ذلك الجوهر».

هذا تلخيص^(١) كلامه، وهو صريح في أن كون الشيء من شيء قد يكون بحيث قد صار الأول بعينه متحداً بالثاني وهو هو، كما كان أولاً؛ فكيف ينكر مثل ذلك ههنا؟ ثم الذي أفاده في الفرق بين القسمين في حصول شيء من شيء «إن في القسم الأول يتحرك الصورة لطباعها وماهيتها إلى أن تصير شيئاً أخرى، كالصبي إلى الرجولية؛ وفي القسم الثاني لا تتحرك لطباعها وماهيتها، بل من جهة حامل ماهيتها؛ أي لأجل سبب آخر كالقاسر أو ما يجري مجراه كالماء إذا صار هواءً» صريح في إثبات الحركة الجوهرية والاستكمالات الذاتية مثل النطفة إذا صارت جنيناً ثم حيواناً ثم صبيّاً ثم رجلاً؛ لا شك في أن لها هذه الاستحالات والاستكمالات ليست بقسر قاسر أو إرادة حادثة أو إتفاق، بل كانت تحولاً ذاتياً جوهرياً، لا يبطل المحوّل بطريان المحوّل إليه، بل يشتدّ وجوده ويكمل هويته وذاته.

فهكذا الحال فيما صار غير العاقل عاقلاً بالفعل، فلم يفسد منه إلا ما هو من باب القصور والنقص. وهذا الانتقال في هذه الأطوار ليس من قبيل القسم الثاني الذي يكون بعد الكون والفساد^(٢)؛ لأنّ ذلك لم يكن ولا يكون بحسب مقتضى الطبيعة الذاتية من جهة القسر وغيره، كانقلاب العناصر بعضها إلى بعض يكون من جهة أسباب خارجة عن طبائعها.

ومن جواز أن للنفس الإنسانية من لدن تكوّنها من النطفة وكونها بالقوة في كلّ شيء، وكلّ إدراك حتى الإحساس والتخيّل إلى حدّ كونها معقولاً بالفعل وعاقلاً بالفعل جوهرأً واحداً^(٣)، له حدّ واحد من الجوهرية والوجود لم يتفاوت إلا

(١) م: محض، ل: ملخص.

(٢) م: بحسب الكون وبعد الفساد.

(٣) م: أن النفس... جوهر واحد.

بعوارض^(١) خارجة من باب الإدراكات والتحريكات، فقد ركب شططاً، حتى كانت عنده نفوس الأنبياء الكاملين ﷺ مع نفوس المجانين والأطفال بل الأجنة في بطون الأمهات في درجة واحدة من تجوهر الذات الإنسانية وحقيقتها، وإنما التفاوت بحسب لواحق غريبة تلحق الوجود الذي لها.

نعم لو قيل: إن هذه الكمالات الوجودية كأصل الوجود زائدة على معنى الإنسانية وماهية الإنسان، لكان له وجه بشرط أن يعلم كيفية زيادة الوجود على الماهية^(٢) إنها بحسب الذهن والتحليل لا بحسب الخارج، مع أن الوجود هو الموجود في الخارج، والماهية متحدة معه صادقة عليه من غير أن يكون مجعولة بذاتها؛ ولا أيضاً أن يتخيل جعل بينها وبين وجودها، بل المجعول بالذات هو وجوه كل شيء، والماهية تبع له كالظل.

وقوله: «وإن كان يبطل منه ذلك أبطل على أنه حال له، والذات باقية فهو كسائر الإستحالات ليس على ما يقولون». قلنا: لم يبطل شيء من مقوماته ولا من وجود ذاته إلا ما يتعلق بالنقص والقصور، بأنه لو كان^(٣) ناقص الجوهر فكمّل واشتد^(٤) في تجوهره، وليس كسائر الإستحالات التي هو من القسم الثاني، كالماء إذا صار هواءً أو كالأسود إذا صار أبيض.

وقوله: «وإن كان على أنه ذاته، فقد بطل ذاته وحصل وحدث شيء آخر ليس إنه صار شيئاً آخر». قلنا: قد مرّ أن الذي يبطل من باب الأمر العدمي^(٥) كالقوة الاستعدادية وكالقصور.

قوله: «على إنك إن تأملت هذا أيضاً [علمت أنه] يقتضي هيولى مشتركة وتجذد مركّب لا بسيط»^(٦) قلنا: نحن لا نمنع أن يكون لمثل هذا الجوهر المتجدد الوجود، المتبدل الجوهرية والذات، نوع تعلق ما بجوهر مادي واقع بحسب^(٧)

(١) م: بعنوان.

(٢) م: من.

(٣) ز: بأنه كان.

(٤) م: فاشتد.

(٥) م: عديم.

(٦) ألف: إلى بسيط.

(٧) ل، م: تحت.

الحركة والزمان. وأما استيجابه لتجدد مركب لا بسيط فغير مسلم إن أراد به التركيب الخارجي في ذاته؛ لأن كل وجود صوري لا تركيب فيه خارجاً سيما الذي قد تهيأ لأن يصير عقلاً بالفعل. وإن أراد به التركيب التحليلي الاعتباري أو التركيب لا في ذاته بل بينه وبين المادة الخارجية - كالبدن حتى يحصل منها نوع طبيعي كالإنسان الطبيعي - فهو مسلم لا انتقاض به في بساطة الصورة.

وأما الحجة الخاصة الأخرى التي ذكرها في الشفاء، فقوله: «لو كانت النفس صورة شيء من الموجودات بالفعل - إلى قوله - وقد نراها تقبل صورة أخرى» وحاصلة إن جهة الفعل غير جهة القبول، وكون الشيء صورة تنافي كونه مادة إلا أن يكون مركباً خارجياً. قلنا: والذي يدفع به هذا الإشكال أمران:

أحدهما: إن كون الشيء صورة لأمر حسي لا ينافي كونه مادة لأمر عقلي، وإثما المحال كون شيء واحد^(١) فعلاً وقوةً بالقياس إلى نشأة واحدة، بل بالنسبة إلى درجة واحدة. فالنفس صورة الصور الحسية في هذا العالم، ومادة المواد العقلية في عالم آخر.

وثانيهما: إنه قد سبق الفرق بين الهيولى الجسمانيات^(٢) والهيولى العقليات، في أن الأول لا يحمل^(٣) إلا صورة واحدة ويتراكم عليها الصور الكثيرة لضيق وجود مادة الحسيات عن الجمعية بين صور الأشياء الكثيرة، بخلاف هيولى الصور العقلية، فإنها كلما خرجت فيها صورة من القوة إلى الفعل صارت أشد قبولا لغيرها وأشد مناسبة لما سواها.

ثم أقول في تحقيق هذا المرام: إن النفس أول ما أفيضت على مادة البدن كانت كهيئة شيء من الموجودات الجسمانية، فكانت كالصور المحسوسة والخيالية، لم تكن في أول التكوّن صورة عقلية لشيء من الأشياء، إذ من المحال عندنا أن يحصل من اجتماع صورة عقلية ومادة طبيعية جسمانية نوع واحد جسماني - كالإنسان - بلا توسط إستكمالات وإستحالات لتلك المادة؛ فإن ذلك عندي من أمحل المحالات؛ إذ نسبة المادة إلى الصورة القريبة منها نسبة القوة إلى الفعل،

(١) ز: الشيء الواحد.

(٢) م: الحسيات.

(٣) م: لا يحتمل.

ونسبة النقص إلى التمام؛ ونسبة الصور إليها نسبة الفصل المحصل للجنس.

فالنفس في مبادئ الفطرة كانت^(١) صورة شيء واحد من موجودات هذا العالم الجسماني، إلا أن في قوتها السلوك إلى عالم الملكوت على التدرج. وسبب هذا السلوك ضعف نشأتها الحسية، فإنها في حيوانيتها أضعف الحيوانات، كما أن الحيوان يكون قوتها النباتية أضعف مما في سائر النباتات، وكذا النبات أضعف من الجمادات في قوتها الطبيعية الحافظة للتركيب الجامعة للأسطقسات، وكذا الطبائع العنصرية الموجودة في المعادن أضعف كيفية وأنقص صورة ما في البسائط المفردة، وذلك لأن شأن المتحرك من مرتبة إلى مرتبة أن يكون حاله في حدود حركته بين صرافة القوة ومحوضة الفعل ليتمكن له الانتقال من حال إلى حال، كما نرى في سائر الحركات والتغيرات. ولأجل هذا الضعف والقصور في حيوانية الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقُ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٢٨] أمكن له أن يتخطى من هذا العالم إلى عالم الملكوت الأعلى.

فالنفس الإنسانية جسمانية الحدوث، روحانية البقاء؛ فهي أولاً صورة طبيعية لمادة حسية وفي قوتها قبول الصورة العقلية التي تحصلها عقلاً بالفعل وتتحد بها اتحاداً عقلياً؛ ولا منافاة بين تلك الفعلية^(٢) الحسية وبين هذا القبول الاستكمالي العقلي سيما وقد تحولت في استكمالاتها ونالت في انتقالاتها جميع الحدود الطبيعية من الأكثف فالأكثف إلى الألف فالألف، حتى وصلت إلى أول درجة الحياة من اقوة اللمسية، ثم سلك جميع الحدود الحيوانية الجسمية، ومنها إلى الخيالية والوهمية إلى آخر درجة الحيوان الوهمي التي قد توجد في غير الإنسان، ومنه إلى أول درجات الحيوان العقلي. فالصورة النفسانية الحسية كمادة للصورة الخيالية، وهي كمادة للصورة العقلية. وأول ما يفيض عليها أوائل المعقولات والمعلومات العامة المشتركة، ثم الثواني وما بعدها على التدرج صائرة إياها.

فقلوه: «ليس في ذات الصورة قوة قبول شيء». قلنا: لا نسلّم ذلك، بل جهة القبول متضمنة فيها تضمّن الفصل للنوع البسيط.

(١) م: لو كانت.

(٢) الف، ل، ز: العقلية.

وقوله: «إنما القبول للقابل للشيء». قلنا: نعم، ولكن بمعنى آخر وهو الانفعال التجديدي الاستعدادي الذي يكون لحدوث مقابل الشيء، كالتصل إذا صار منفصلاً، والماء إذا صار هواءً. وأما القبول بمعنى الاستكمال، فالشيء الصوري يمكن اتصافه بالقبول الإستكمالي بالقياس إلى ما يشتد به وجوده ويكمل به ذاته، كما مر من حكاية قول الشيخ من أن وجود شيء من شيء قد يكون بطريق الاستكمال وهو سلوك السلسلة الطولية الوجودية^(١)، وقد يكون بطريق التفساد وهو سلوك السلسلة العرضية كما في المعدّات.

وبالجملة القبول للشيء قد يكون مصحوباً بعدمه الخارجي، وذلك يوجب التركيب الخارجي بين القابل ومقبوله، وقد يكون مصحوباً بالعدم الذهني له في ظرف التحليل^(٢). والأول شأن المادة القابلة لصور حسية؛ والثاني شأن الصورة المتعلقة بها ضرباً من التعلق.

وأما الصورة البريئة^(٣) من كل الوجوه عن المادة فليس فيها كمال منتظر^(٤) أصلاً، بل نقول: إن النفس التي هي عقل بالقوة إذا اتحدت بمعقول آخر غيرها فذلك الغير ليست غيريته بأنه بالفعل صورة موجودة بوجود آخر، بل إنه معنى عقلي لم يكن صادقاً على النفس أولاً، ثم حصل لها لاشتداد وقع في وجودها فصارت مصداقاً لحمله ومطابقاً لصدقه.

والمراد من صورة الشيء عندنا هو وجوده لا مفهومه ومعناه الكلي، والصورة لكل شيء ليست إلا واحدة بسيطة، لكن قد يكون مصداقاً لمعان وصفات كمالية، وقد لا يكون كذلك، وذلك لأن الوجود قد يكون قوياً شديداً وقد يكون ضعيفاً ناقصاً، وكلما كان الوجود أقوى وأشد كان أكثر جمعاً للمعاني وأكثر آثاراً، أو بالعكس.

فالنفس إذا قويت تصير مصداقاً لمعانٍ كثيرة كل منها إذا وجدت على حدة وجوداً ضعيفاً يكون صورة لنوع ناقص جسماني، كالفرس المعقول والشجر

(١) م: للوجود.

(٢) م: تحيل.

(٣) ألف، ز: مجردة.

(٤) ز: ينتظر.

المعقول والأرض المعقولة؛ فلكل منها صورة إذا وجدت في الخارج^(١) كانت صورة نوع مادي منفصل الذات عن نوع آخر مادي، وإذا وجدت في العقل كانت صورتها العقلية متحدة الوجود بجوهر^(٢) عقلي؛ لأن الوجود العقلي وجود عالٍ شريف قد يوجد فيه جميع المعقولات بوجود واحد لا كوحدة الهيولى وما فيها من صور الأجسام.

وقوله: «وإن كان يخالفه^(٣) فيكون النفس لا محالة إن كانت هي الصورة المعقولة قد صارت غير ذاتها». قلنا: لم تصر غير ذاتها بالعدد، بل بحسب الكمال والنقص، وكمال الشيء وتمايمته هو ذلك الشيء، وقد صار أفضل.

وقوله بعد ذلك: «بل النفس هي العاقلة، والعقل إنما يُعنى به قوتها التي بها يعقل، أو يعني به صورة هذه المعقولات، ولأنها في النفس تكون معقولة فلا يكون العاقل والمعقول والعقل شيئاً واحداً^(٤)». أقول: إما كون الأمر الأول هو العقل بالفعل، فغير صحيح؛ لأن تلك القوة سواء أريد بها استعداد النفس أو ذاتها الساذجة عن صور المعقولات بذاتها محال أن يكون هي بعينها عين العقل بالفعل وإلا لكان شيء واحد بعينه قوة وفعلاً وجهلاً وعلماً. وليست علمية^(٥) الشيء للشيء نفس الإضافة بينهما، كما هو عند الشيخ وسائر الحكماء.

وأما كون تلك الصورة المعقولة عقلاً بالفعل على ما زعمه حتى يكون الجوهر النفساني الذي صورة كمالية للحيوان الحسي البشري عاقلاً لها وهو في ذاته كما هو من غير أن يتغير، فذلك قد كشفنا عن إستحالاته وأوضحنا فساده من الجانبين:

[١]: أما من جانب النفس، فالذات العارية من العقل كيف يعقل صوراً عقلية مبثثة الذات عن ذاتها خارجة الوجود عن وجودها. وأيضاً كما أن ثبوت الشيء للشيء مطلقاً فرع ثبوت المثبت له، كذلك حضور الوجود العقلي من شيء لشيء فرع لوجوده العقلي أو مستلزم له، وكما أن المعقول بالقوة وهو الصور

(١) م: العقل.

(٢) ألف: كجواهر.

(٣) م: يخالطه.

(٤) طيبيات «الشفاء»، الطبع الحجري، ص ٣٥٩.

(٥) م: عالمية.

المادية لا يثبت إلا لمعقول بالقوة كالأجسام والمقادير من ذوات الأوضاع، كذلك المعقول بالفعل لا يثبت إلا لمعقول بالفعل هكذا.

فقد علم وتبين ان النفس قبل أن تصير ذاتاً معقولة لا تثبت لها صورة من العقلية إلا بالقوة كالصور الخيالية والوهمية قبل إشراق العقل الفعال على الخيال وعلى تلك الصورة الخيالية.

[٢]: وأما من جانب تلك الصور، فقد علمت بالبرهان الذي أفادنا الله^(١) برحمته إن تلك الصورة بعينها مع قطع النظر عن عاقل خارج عن ذاتها هي معقولة الهويات في ذاتها، سواء عقلها عاقل آخر أو لم يعقل، فهي في حد ذاتها عاقلة لذاتها، لكننا نعلم من ذاتنا إنها العاقلة إياها، فلا محالة يكون النفس متحدة بها، وهذا هو الذي أردناه.

واعلم أن الشيخ مع كونه من أشد المصيرين على إنكار اتحاد العاقل بالمعقول في سائر كتبه، لكن قد قرّر هذا المطلب في كتابه المسمى بالمبدأ والمعاد^(٢)، ولست أدري هل كان ذلك على سبيل الحكاية لمذهبهم أو كان ذلك اعتقادياً له لاستبصار وقع له من إضاءة نور الحق من أفق الملكوت؟ والذي ذكره المحقق الطوسي - قدس سره - في شرح الإشارات اعتذاراً عن إيراد الشيخ هذا المذهب هناك وقد سمّاه هذا الشارح مذهباً فاسداً، فإنه قد صنف ذلك الكتاب تقريراً لمذهب المشائين حيث ما اشترطه^(٣) في صدر تصنيفه^(٤) ذلك، فعلم أن تحقيق هذا المطلب الغامض كان وفقاً على الأوائل لم يتوارثه أحد من العلماء النظائر المقتصرين^(٥) على البحث في الأنظار، لولا إن من الله به^(٦) بعض الفقهاء السالكين وشرح صدره بقوة العزيز الحكيم^(٧) ﴿لَحْمَدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنَّ هَدَانَا اللّٰهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] ^(٨).

(١) ز: أفاده.

(٢) «المبدأ والمعاد» فصل في أن واجب الوجود معقول الذات وعقل الذات... ص ٦.

(٣) ز: حيث اشترط.

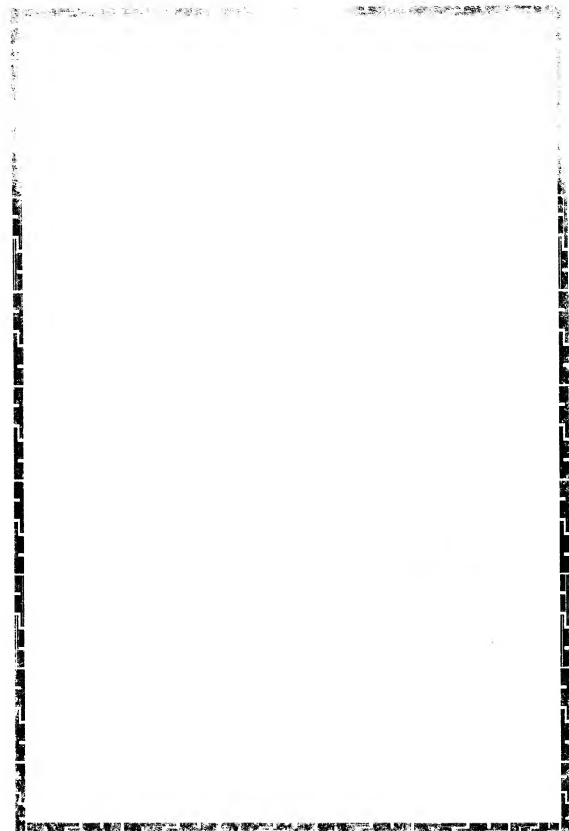
(٤) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٩٣.

(٥) م: المتقصرين. ز: المتقدمين في البحث والأنظار.

(٦) به على - ظ.

(٧) أيضاً «الأسفار» ج ٣، ص ٣٢١.

(٨) إلى هنا تتم نسخة ز.



المقالة الثانية

في أن العقل البسيط كل المعقولات، وان عند
تعقلها لشيء يتحد بالعقل الفعال، وما يرتبط بذلك
ويتعلق، وفيه فصول

الفصل الأول

في أن كل بسيط الحقيقة كل الأشياء
الوجودية إلا ما يتعلق بالنقائص والإعدام

اعلم إن كل بسيط الحقيقة من كل وجه فهو بهويته كل الأمور وإلا لكان
وجود ذاته متحصلاً القوام من هوية شيء؛ ولا^(١) هوية شيء آخر، فيركب ذاته ولو
في العقل بحسب الاعتبار عند التحليل.

وبيان ذلك: انا إذا قلنا: الإنسان مسلوب الفرسية أو غير فرس، فليس ذلك
له من حيث الإنسانية، فإنه من حيث هو إنسان، إنسان لا غير؛ فلو كان هو من
حيث هو إنسان لا فرس لزم من تعقله إنساناً تعقله ذلك السلب؛ إذ ليس سلباً بحتاً
بل سلب نحو من الوجود؛ والوجود بما هو وجود ليس بعدم ولا قوة لشيء إلا أن
يكون فيه تركيب.

فكل موضوع هو مصداق لإيجاب سلب محمول مواطأة أو اشتقاقاً فهو

(١) م: إلا.

مركب، فإنك إذا حضرت في ذهنك صورته وصورة ذلك المحمول السلبي مواطأة أو اشتقاقاً وقايست بينهما بأن تسلب أحدهما عن الآخر وتوجب سلبه عليه، فيتحدان ما به يصدق على الموضوع انه هو كذا غير ما به يصدق عليه انه ليس هو كذا، سواء كانت المغايرة بحسب الخارج فيلزم التركيب الخارجي من مادة وصورة؛ أو بحسب العقل فيلزم التركيب العقلي^(١) من جنس وفصل أو ماهية ووجود.

فإذا قلت مثلاً: «زيد ليس بكاتب» فلا يكون صورة زيد هي صورة ليس بكاتب؛ وإلا لكان زيد من حيث هو زيد عدماً بحتاً، بل لا بدّ وان يكون موضوع هذه القضية مركباً من صورة زيد وأمر آخر به يكون مسلوباً عنه الكاتبية من قوة أو استعداد؛ فإن الفعل المطلق لا يكون هو بعينه عدم شيء آخر إلا أن يكون فيه تركيب من فعل بجهة وقوة بجهة أخرى ولو بحسب الاعتبار العقلي. فكل بسيط الحقيقة من كل الوجوه وهو الواجب الوجود - جلّ ذكره - فهو تمام كل شيء على وجه أعلى وأرفع وأشرف، والمسلوب عنه ليس إلا النقائص والقصورات؛ وهو تمام الأشياء؛ وتمام الشيء أحق به وأؤكد له في نفسه، وكل ما بعده من المفارقات الصرفة على قياس بساطته وقربه^(٢) من الواجب الوجود و^(٣) يكون تماميته وجمعيته للأشياء التي ما دونه من المعلومات^(٤)، وكذا حال كل عال بالقياس إلى سافله، وكل علة بالقياس إلى معلولها، وكل تام بالقياس إلى ناقصه.

فالتقسيم النباتية تمام القوى الطبيعية التي لها الجذب والدفع والإحالة، والنفس الحيوانية تمام القوى الحسية والنباتية [و] الحيوانية والطبيعية، والناطقة تمام ما دونها. وليكن هذا ضابطاً عندك^(٥).

(١) خ: + هو.

(٢) م: بساطة وقربة.

(٣) كذا.

(٤) م: المقولات

(٥) خ: + و.

الفصل الثاني

في تحقيق قول المتقدمين: إن النفس إنما تعقل الأشياء باتحادها بالعقل الفعال^(١)

إن المشهور في كتب القوم من حكماء الدورة الإسلامية كالشيخ الرئيس ومن يحذو حذوه إن هذا المذهب كالذي سبق باطل؛ فإنه أيضاً قريب المأخذ من الأول، فذكروا في بطلانه: إن العقل الفعال أما أن يكون شيئاً واحداً بعيداً عن التكثر^(٢)، أو امراً ذا أجزاء وابعاض.

والأول يوجب أن يكون المتحد به لأجل تعقل واحد عقل جميع المعقولات؛ لأنه عاقل للجميع. و[الثاني]: وإن كان يتحد ببعضه لا بأكمله وجب أن يكون للعقل الفعال بحسب كل تعقل ممكن الحصول للإنسان جزء، لكن التعلقات الإنسانية غير متناهية؛ فهو مركب من أجزاء وغير متناهية مختلفة الحقائق والأنواع.

ثم كل من تلك المعقولات يمكن حصولها للأنفس غير المتناهية، فيكون تعقل زيد السواد مثلاً مثل تعقل عمرو، فإذاً يكون للعقل الفعال بحسبها أجزاء غير متناهية متحدة بالنوع لا مرة واحدة بل مراراً غير متناهية، كل منها غير متناهية متحدة بالنوع. وهذا مع ما فيه من المحالات يلزم محال من جهة أخرى؛ وهو أن تلك المتحدات بالنوع لا يتميز بالماهية ولوازمها بل بالعوارض الممكنة الافتراق، وذلك لا يجوز إلا بسبب المادة وانفعالاتها الخارجية، والعقل الفعال مجرد عنها، فاجزاؤه أولى بالتجرد، فهي غير متمايضة بالعوارض، فهي غير متكثرة. فالعقل الفعال بسيط، وقد فرض مركباً، هذا خلف. فالقول باتحاد النفس به محال.

هذا ما ذكره المتأخرون وإليه أشار الشيخ في الإشارات^(٣) بعد حكاية^(٤) هذا

(١) لم يذكر هذا البحث في «الأسفار» وارتباط هذه القاعدة الشريفة بمباحث العقل مختصة بهذا الموضوع، فاغتنم. ولتفصيل برهان هذه القاعدة راجع «الأسفار» ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) الف: الكثرة.

(٣) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٩٤.

(٤) الف: حكايته.

المذهب بقوله: «وهؤلاء بين أن يجعلوا العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء أو يجعلوا اتصالاً واحداً به يجعل النفس كاملة واصله إلى كل معقول».

أقول: إن هذا المذهب كالذي قبله لما كان منسوباً إلى العلماء الفاضلين المتقدمين في الحكمة والعلم^(١) لا بد وأن يكون له وجه صحيح غامض يحتاج تحقيقه إلى بحث شديد وفحص بالغ مع تصفية الذهن وتهذيب^(٢) الباطن، وتضرع إلى الله، وسؤال التوفيق والعون، وقد كنا ابتهلنا إليه بعقولنا ورفعنا إليه أيدينا الباطنة لا أيدينا الدائرة فقط، وبسطنا أنفسنا بين يديه، وتضرعنا إليه لكشف هذه المسألة وأمثالها طلب ملجئ ملجئ غير متكاسل حتى أثار عقولنا بنوره الساطع وكشف عنا بعض الحجب والموانع، فرأينا العالم العالم^(٣) العقلي موجوداً واحداً يتصل به جميع الموجودات التي في هذا العالم على اختلافها، ومنه بدؤها وإليه معادها، وهو أصل المعقولات وكل الماهيات، من غير أن يتكثر ويتجزأ، ولا أن ينقص بنقصان^(٤) شيء منه، ولا أن يزداد برجوع شيء إليه واتصاله به، وليس ههنا موضوع^(٥) إثبات هذه الجواهر وشرح أحواله وأحكامه. والذي يليق أن يذكر ههنا ما يسكن به صولة إنكار المنكرين لاتصال النفس بذلك العالم في إدراك كل معقول ويكسر به سورة^(٦) استبعادهم إياه عن سنن الصواب^(٧) هي أمور ثلاثة:

أحدها: إنه قد مر أن النفس إذا عقلت شيئاً صارت عين صورته العقلية، وقد فرغنا من إثباته بالبرهان وحللنا الشكوك^(٨) فيه. ثم إن الصورة العقلية شيء من الأشياء لا يمكن أن يكون من جهة كونها صورة عقلية متعددة، إذ كل أمر واحد نوعي إذا تعددت أفرادها فهو لا يتعدد إلا بعوارض مادية؛ والصورة العقلية بالفعل مجردة عن المادة، فيمتنع تعدد أفرادها المجردة؛ فقد ثبت أن المعقول بالفعل من

(١) ألف والأسفار: والتعليم.

(٢) م: تذهيب.

(٣) كذا مكرراً في النسخة.

(٤) في «الأسفار»: بفيضان وهو الصواب.

(٥) موضع، كما في «الأسفار».

(٦) السورة: الشدة.

(٧) السنن بالفتح: الطريق الواسع.

(٨) ألف وم: الشوك.

ماهية نوعية لا يمكن أن يكون إلا واحداً عقلياً وإن عقله ألف عاقل.

والثاني: إن الوحدة على أنحاء شتى، ووحدة العقول ليست عددية هي مبدأ الأعداد، كوحدة الجسم ووحدة السواد والحركة وغيرها من الأمور المادية، بل وحدة العقل شبيهة بالوحدة المرسلّة النوعية. والفرق بين الوجودتين العددية وغيرها: إن الوحدة التي في الماديات كوجودها تقبل الزيادة والنقصان^(١)، وهي بحيث إذا فرض مثلها كان غيرها، وصار المجموع أعظم أو أكثر من واحد، فإن الجسمين أعظم من أحدهما، وكذا السوادان ليس حالهما في أثنيتهما كحال واحد منهما في وحدته، وهذا بخلاف الوحدة العقلية؛ لو فرضنا وجود ألف صورة عقلية متماثلة مثلاً لكان حال الواحد في وحدته^(٢) كحال ذلك الألف في كثرتة.

مثال ذلك معنى الإنسان بما هو إنسان، فإنك إذا أضفت إلى هذا المعنى معنى مثله في الحقيقة النوعية بعد تجريده عن الزوائد لم تجده في ثانويته ولا المجموع في أثنيته إلا كما تجد الأولى في وحدته، ولهذا يذكر في مباحث الماهية أن المعنى النوعي المتكرر الأفراد الخارجية بحيث إذا حذف^(٣) عن كل فرد منه الأمور الزائدة المشخصة له ارتسمت في النفس منه صورة عقلية؛ ثم إذا حذف عن فرد آخر مبادئ له في الوجود الخارجي ما يزيد على ماهية^(٤) المشتركة لم يتأثر النفس عنه بأثر آخر غير الأول؛ وإلى هذا المعنى أشار صاحب التلويحات بقوله: «[صرف الوجود الذي لا اتمّ منه] كلّما فرضته ثانياً فإذا نظرت إليه فإذا هو هو، إذ لا ميز في صرف شيء^(٥)».

الثالث: إن العقل البسيط هو كل الأشياء المعقولة بحسب معانيها المفصلة في وجود واحد، وقد مرّ بيانه. ومعنى كونه كل الأشياء المعقولة ليس إن تلك الأشياء بحسب اتحاد وجوداتها الخارجية الخاصة بواحد واحد قد صارت مجتمعة، فإن ذلك ممتنع معلوم الامتناع لكل من له أدنى معرفة، فإن الماهية^(٦) الفرسية لها

(١) م: النقص.

(٢) م: وحدة.

(٣) ألف: أخذت.

(٤) الماهية - ظ.

(٥) لتفصيل هذه القاعدة راجع هامش «الأسفار» ج ٣، ص ٣٣٨.

(٦) كذا.

وجود في الخارج مع لواحق غريبة من مقدار ووضع ولون في مادة مخصوصة، ولها أيضاً ماهية مخصوصة مع لوازم ذهنية ومعاني مناسبة لها موجودة بوجود عقلي، يتحد في ذلك الوجود أجزاؤها الحدية^(١) ومقوماتها، وللهذه أن يفضلها إلى تلك الأجزاء.

فحينئذ نقول: كما أن لكل من هذه الحقائق النوعية نحواً من الوجود جسمانياً مادياً يتميز به أشخاصه ويتكرر به أفراده ويتزاحم فيه تراحماً مكانياً أو زمانياً، كذلك لكل منها وجود عقلي مخصوص يباين^(٢) أنواعها تبايناً في المعنى والمفهوم، فيكون المعقول من الفرس شيئاً ومن النبات شيئاً آخر ماهية ومعنى^(٣) بحسب الحمل الذاتي الأولي^(٤). بل المراد أنه يمكن أن يكون الماهيات المتكثرة كثرة بحسب المعنى والمفهوم، المتعددة في الخارج بحسب الوجود والجعل موجودة بوجود واحد عقلي؛ وذلك الوجود بعينه جامع جميع تلك المعاني مع بساطته ووحدته.

فإذا تقرر هذه المقدمات، نقول: إن النفس الإنسانية من شأنها أن تدرك جميع الحقائق الكونية ويتحد بها اتحاداً معنوياً، ومن شأنها أن تصير عقلاً بسيطاً وعالماً عقلياً، فيه صورة كل موجود عقلي ومعنى كل موجود جسماني على وجه أرفع من نحو وجوداتها الجسمانية، كما أن المحسوسات الخمسة تجتمع في حس واحد كما هو في الحس المشترك، مثلاً إذا فرض أن يوجد صورة الفرس العقلية في النفس وقد قررنا إن المعنى النوعي من الشيء الواحد بالحد لا يمكن تعدده بحسب وجوده العقلي ولا بحسب المفهوم والماهية إلا بأمر زائد على وجوده العقلي ومفهومه الحدي، فالفرس العقلي الموجود في العقل الفعّال لا يخالف الفرس العقلي الموجود في جوهر عقلي آخر فرضناه، كالنفس عندما صارت به عقلاً بالفعل من جهة الحقيقة والمعنى، فما في النفس وما في العقل الفعّال من ماهية الفرس أمر واحد وحدة عقلية. وقد مر أن النفس تتحد بكل صورة معقولة أدركتها بالفعل^(٥)، فيلزم من هذا اتحادها بالعقل الفعّال، الموجود فيه كل شيء من

(١) م: في الحدية.

(٢) في «الأسفار»: يتباين.

(٣) في الأسفار ج ٣، ص ٣٣٧: شيئاً آخر جعلاً ووجوداً.

(٤) إلى هنا تمت نسخة «ل».

(٥) خ: بالعقل.

هذه الجهة إلا من جهة ما لم يدرك من العقلية.

ثبتت وتحقق ان كلّ نفس أدركت صورة معقولة اتحدت مع العقل اتحاداً عقلياً من تلك الجهة. ولما كانت المعاني كلها موجودة في العقل البسيط بوجود واحد من غير لزوم تكثّر فيه وهي مما يصح أن يوجد في المواد الخارجية متكثرة، فكما لا يلزم من صيرورة تلك المعاني في مواطن أخرى - كالخارج والحس والخيال - متكثرة الوجود كون مافي العقل مثلها متجزئاً بحسب وجودها، بل وجدت فيه وجوداً مقدساً عن شوب التجزئة والانقسام، فكذلك لا يلزم من اتحاد النفوس الكثير من جهة كمالاتها السفلية بالعقل الفعّال، ولا أيضاً يلزم نبيل كلّ نفس من النفوس كل كمال وكل فضيلة.

ومن أشكل عليه ذلك، فلأنه ذهل عن تحقيق الوحدة العقلية، فقاسها على الوحدة العددية. ألا ترى المعاني العقلية كالناطق والناحق والصاهل^(١) اتحدت بالمعنى الواحد الجنسي كالحیوان، ومع ذلك لا يلزم أن يصير معنى الحيوان بما هو حيوان متجزئاً، ولا أيضاً أن يصير كل حيوان نوعي أو شخصي جميع الحيوانات الأخرى النوعية والشخصية، وذلك لأن وحدة الحيوان بما هو حيوان وحدة مرسلية، والوحدة المرسلية يمكن فيها^(٢) اتحاد المختلقات بها، وكذلك حال الوحدة العقلية فإنها لا تأبى عن اجتماع المعاني الكثيرة فيها، فالحيوان العقلي كالحیوان المرسل الجنسي قد يتحد فيه الحيوانات العقلية^(٣).

الفصل الثالث

في التنصيص على ما ذكرنا

من كلام الفيلسوف المقدم

قال أرسطاطاليس في كتاب اثولوجيا^(٤): «إن العالم الأعلى هو الحي التام الذي فيه جميع الأشياء، لأنه أبدع من المبدع الأول التام، ففيه كل نفس وكل

(١) م، ألف: الصهال.

(٢) ألف: منها.

(٣) أيضاً «الأسفار» ج ٣، ص ٣٣٥ - ٣٤٠.

(٤) قد حقق في محله أنه لفلوطين وأصله باليونانية، ترجمه ابن ناعمة الحمصي ملخصاً.

عقل، وليس هناك فقر ولا حاجة البتة؛ لأن الأشياء التي هناك كلها مملوءة غنى وحياء، كأنها حياة تغلي وتفور، وجرت حياة تلك الأشياء عن عين واحدة، لا كأنها حرارة واحدة أو ريح واحدة فقط، بل كلها كيفية واحدة يوجد فيها كل طعم»^(١).

وقال فيه أيضاً: «إن اختلاف الحياة والعقول ههنا إنما هو لاختلاف حركات الحياة والعقل، فلذلك كانت حيوانات مختلفة عقول مختلفة، إلا أن^(٢) بعضها أنور وأشرف من بعض، وذلك أن من العقول ما هو قريب من العقول الأولى [فلذلك صار أشد نوراً] ومنها ما هو ثاني وثالث، فلذلك صار بعض العقول [التي] ههنا الهية وبعضها ناطقة وبعضها غير ناطقة لبعدها عن تلك العقول الشريفة، وأما هناك فكلها ذو عقل، [وذلك أن العقل الأول الذي للفرس هو عقل] فلذلك صار الفرس عقلاً، وعقل الفرس فرس، ولا يمكن أن يكون الذي يعقل الفرس إنما هو عاقل للإنسان، فإن ذلك محال في العقول أولى، فالعقل الأول إذا عقل له بل يعقله عقلاً نوعياً وحياء نوعية، وكانت الحياة الشخصية ليست بعامدة للحياة المرسله. فكذا العقل الشخصي ليس بعامد للعقل^(٣) المرسل.

فإذا كان هذا هكذا، فالعقل الكائن في بعض الحيوان ليس هو بعامد للعقل الأول، وكل جزء من أجزاء العقل هو كل ما يتجزى به عقل، فالعقل للشئ الذي هو عقل له هو الأشياء كلها بالقوة، فإذا صار بالفعل صار^(٤) خاصاً وأخيراً بالفعل، وإذا صار أخيراً بالفعل صار فرساً أو شيئاً آخر من الحيوان، وكلما سلكت الحياة إلى أسفل صار حياً دنيئاً خسيساً، وذلك أن القوى الحيوانية كلما سلكت إلى أسفل ضعفت^(٥) وخفيت بعض أفاعيلها، فحدث منها حيوان دنيئ ضعيف؛ فإذا صار ضعيفاً احتال له العقل الكائن فيه فيحدث الأعضاء القوية بدلاً عن قوته، كما لبعض الحيوان أظفار ومخالب ول بعضها قرون ول بعضها انياب على نحو نقصان القوة فيه»^(٦) انتهى كلام الفيلسوف.

(١) المصدر، ص ٩٤ باختلاف يسير.

(٢) ألف: لأن.

(٣) في النسخ: للحياة.

(٤) ألف: صار جزءاً بالفعل صار.

(٥) م: أضعف.

(٦) «أثنولوجيا»، ص ١٥٠ - ١٥١ باختلاف يسير.

وفيه ما لا يخفى من التحقيق والتنوير لجميع ما ادّعيناه وقرّناه، إلا أن في بعض كلماته ما يحتاج إلى التفسير حذراً من عدم تفتن الناظرين به، وقد شرحنا هذا الكلام في الأسفار الأربعة^(١)، وبينّا ما رامه ببعض هذه الكلمات وتركنا ذلك ههنا مخافة الإطّباب واعتماداً على فهم بعض الأذكياء سيّما من سمع منهم متى بعض اصطلاحات ذلك الكتاب.

منها: إن لفظ «القوة» ههنا ليس على معناه المشهور، بل كثيراً ما يطلق في لسان الأقدمين على معنى كون الوجود الواحد بوحده مشتملاً على ماهيات ومعان كثيرة، قد توجد [في موطن آخر] بوجودات متعددة متخالفة الماهيات كالسواد الشديد، إذا قيل انه وجدت فيه السوادات الضعيفة بالقوة ليس المراد بها أن تلك السوادات فيه بالإمكان الاستعدادي من غير أن تكون موجودة؛ وهكذا العقل البسيط إذا قيل انه كل المعقولات بالقوة، ليس المراد بالقوة المعنى المصحوب للعدم، بل كونها موجودة بوجود واحد عقلي.

وإلى هذا المعنى أشار الفيلسوف بقوله: «الفعل أفضل من القوة في هذا العالم، وأما في العالم الأعلى فالقوة أفضل من الفعل، وذلك لأن القوة التي في الجواهر العقلية لا تحتاج إلى أن تخرج إلى الفعل من شيء آخر غيرها، لأنها تامّة كاملة تدرك الأشياء الروحانية كإدراك البصر الأشياء الحسية. والقوة هناك كالבصر ههنا. وأما في العالم الحسي فإنها تحتاج إلى أن يخرج إلى الفعل وإلى أن يدرك الأشياء المحسوسة ويعلم قشور الجواهر التي ليسها في هذا العالم، وذلك انها لم تقدر على أن تقبل إلى جواهر الأشياء وتقربها إلى تجرد القشور، فاحتاجت في ذلك إلى الفعل. فأما إذا كانت الجواهر مجردة والقوى مكشوفة فقد اكتفت القوة بنفسها ولم تحتج في إدراك الجواهر إلى الفعل»^(٢) انتهى.

ومنها لفظ «الجزء» ليس المراد منه ما هو كالأجزاء الخارجية، ولا كالأجزاء الذهنية، ولا الأجزاء الحذية كالجنس والفصل، بل المراد من اطلاق الأجزاء على العقل كون العقل بحيث يكون متحداً مع الحقائق الخارجية على وجه بسيط.

(١) راجع «الأسفار» ج ٣، ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٢) «أئولوجيا» ص ٩٦ - ٩٧ باختلاف سير.

ومنها لفظ «الحركة والسكون والسلوك إلى أسفل»، المراد منه الإيجاد والعلية. ومنها غير ذلك كما يتتاه هناك^(١).

وقال أيضاً في موضع آخر من اثولوجيا: «إن الأشياء كلها في العقل ومن العقل، والعقل هو الأشياء، فإذا كان العقل كان الأشياء، وإذا لم يكن الأشياء لم يكن العقل، وإنما صار العقل هو جميع الأشياء، لأن فيه جميع صفات الأشياء، وليس فيه صفة إلا وهي يعقل شيئاً، وذلك انه ليس في العقل شيء إلا وهو مطابق لكون شيء آخر.

فإن قال قائل: إن صفات العقل إنما هي له لا لشيء آخر وليست تجاوزه البتة. قلنا: إن بصرت^(٢) العقل هكذا وعلى الحال، كنت قد قصدته وصيرته جوهرأً دنيأً خسيساً أرضياً، إذ صار لا يجاوز ذاته وصارت صفاته تمامه فقط ولا يكون شيء يفرق بين العقل والحس، وهذا قبيح محال على أن يكون هو والحس شيئاً واحداً^(٣).

وقال أيضاً: «إن في العقل جميع العقول والحيوان، وذلك إنها ينقسم فيه، والقسمة في العقل ليس بأن الأشياء هناك قائمة فيه ولا إن الأشياء ركبت فيه، لكنه فاعل الأشياء كلها، غير أنه يفعلها شيء بعد شيء^(٤) بترتيب وطقس. وأما الفاعل الأول فإنه فعل الأشياء كلها التي فعلها بغير واسطة معاً في دفعة واحدة، ونقول كما أن في العقل جميع الأشياء الحسي، كذلك في الحس الكلّي جميع طبائع الحيوان، وفي كل واحد من الحيوان أيضاً حيوانات كثيرة؛ إلا أنها أقل وأضعف من الحيوان الذي هو أعلى، ولا يزال الحيوان يقلّ ويضعف في الحسّي الذي يليه إلى أن يأتي إلى الحيوان الصغير الضعيف ويقف هناك^(٥)»

تمت الرسالة ولله الحمد والمئة، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) أيضاً «الأسفار» ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) في المصدر: صيرت.

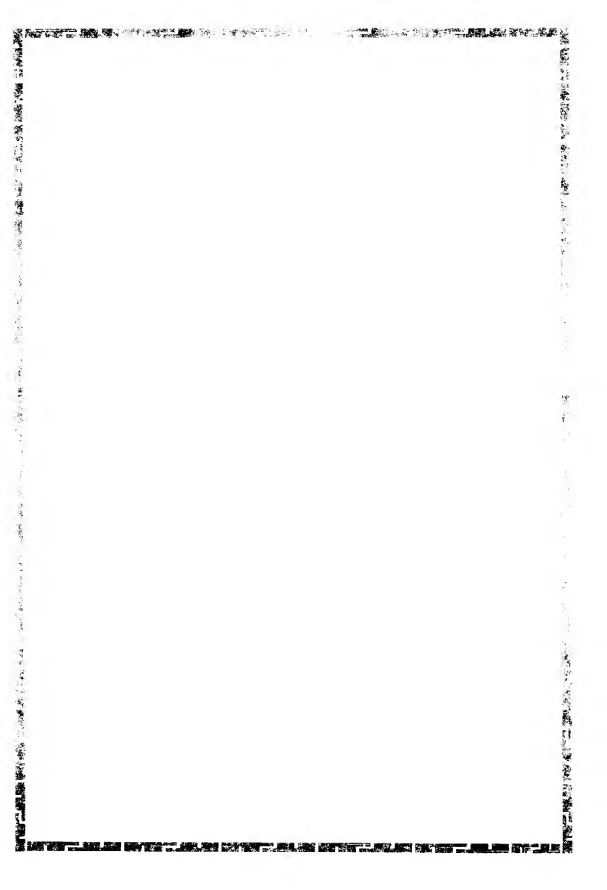
(٣) «اثولوجيا»، ص ٩٧ - ٩٨.

(٤) شيئاً بعد شيء - ظ.

(٥) «اثولوجيا»، ص ٩٧ - ٩٨.

٢

أجوبة المسائل الجيلانيّة



بسم الله الرحمن الرحيم

ورد إليّ كتاب من أعزّ الإخوان وأفضل الأقران، أولى الدراية والعرفان، عالم عصره وخلاصة دهره، شمساً لفلك الاتقان^(١)، كاشفاً بقلبه رموز البيان، عارجاً بسره إلى درجات الجنان - أصدده الله على معارج الكمالات العقلية، ورقاه إلى مراقى الحالات القلبية حتى بلغ مناه ومنتهاه ووصل إلى معيده ومبداه - ميناه على جميل صنع الله لديه، وجزيل مواهبه عنده، وسبوغ نعائمه وتواتر آلائه عليه وانزعاجه عن صُحبة صَحبة الدنيا وخدمة خُدمة النفس والهوى، من القلوب المنكوسة والأعين المطموسة، والنفوس المخلدة إلى أرض الفجار ومهبط الأشرار ومقرّ الشياطين ومثوى المتكبرين، اعداء الحكمة، ورَفَضَة العلم، وطلبة الهوى، وأولياء الجهل، الذين طمست أنوار فطرهم، ومسخت بواطن صورهم [ب - أ] وَجِيلٌ ﴿يَنْهَمُّ وَيَبْنُ مَا يَشْتَهَوْنَ﴾ [سَبَأ: الآية ٥٤] .

فحمداً له ثم حمداً له على استمساك حبيبي المولى الأعظم بالعروة الوثقى واستيناسه بما يحل القوى الأنسية المنفعلة محل القوى العالية الفعالة . فهذا ما يوجب استيثارنا^(٢) ويكشف عن صحة اختيارنا^(٣)، ويحطّ أوزارنا، ويبلغ بنا إلى دار قرارنا، لأن بالعلم والحكمة يسلك الإنسان سبيل الله، ويقرب إليه، ويسكن لديه، ويخلع عتاً لباس أهل النار، ويزول بنا عن مكان الأشرار، قائلين كما قال عباد الله الصالحون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْغُرْنَ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فَاطِر: الآية ٣٤] ﴿الَّذِي لَطَمْنَا بَارَأَ الْمَقَامَةَ مِنْ قَبْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [١٥] . [فَاطِر: الآية ٣٥] .

(١) ألف: الإيقان.

(٢) د: استيثارنا. والظاهر: استيثارنا.

(٣) د: أخبارنا.

وحيث انفتح من جانب المولى الأعظم باب المفاوضات العلمية والمراسلات القلبية، فإن ساعدنا القدر، وأمهلنا العمر وراجعنا من هذا السفر نستأنف إن شاء الله طريق المفاوضة والانبساط، ونسلك سبيل الاتحاد والارتباط وإبراز ما في الخواطر وكشف ما في الضمائر.

وأما المسائل التي طلب الكشف عنها فاقصرنا فيها على حد الإجمال، وأشرنا إشارة إلى كيفية المقال، لضيق المجال [ألف - ١] وتوزع البال، وهي هذه:

[المسألة الأولى]

قوله ^(١) دام فضله: قد تقرّر في مظانه انه يعتبر في الحركة في كلّ مقولة أن يكون المتحرك باقياً بعينه ويتوارد عليه أفراد تلك المقولة. وبناء على ذلك يرد الإشكال في الحركة في مقولة الكم، لأن النمو إنما يكون بمداخله جسم غريب في جميع أقطار الجسم الأصلي، فذلك الجسم الغريب ان كان باقياً بحاله مع كون الجسم الأصلي أيضاً باقياً بحاله ^(٢)، فلا حركة حينئذ في الكم أصلاً، بل المتحقق هناك إنما هو مجاورة جسم بجسم آخر. وان لم يكن باقياً بحاله بل ^(٣) صار الجسم الغريب مع الجسم الأصلي شخصاً واحداً من المتصل، فيلزم انعدام الجسمين وحدوث آخر، فلا حركة أيضاً.

ولئن قيل: إن نوع الجسم يكون باقياً ويتوارد عليه أفراد الكم.

يقال: إن أريد أن الصورة النوعية متحركة، فهو باطل، لأن الصورة النوعية مبدأ الحركة والسكون، لا أنها متحركة؛ وان أريد أن النوع متحرك، فهو ليس كذلك، لأن المتحرك يجب أن يكون شخصاً معيناً.

ولئن قيل: يجوز أن يكون المتحرك في الكم في حال النمو هو الهولي وهي باقية أبداً. يقال: إن النمو لا يكون إلا بمداخله جسم غريب في جميع أقطار الجسم [ب - ٢] الأصلي، فذلك الجسم الغريب لا يصح أن يزول بمادته وصورته جميعاً: بل الزائل إنما هو صورته النوعية، فتكون مادته باقية، ويكون محل المقدار

(١) د: قال.

(٢) د: على حاله.

(٣) م: «فلا حركة حينئذ... بل».

الكبير^(١) هو هلولى الجسم الأصلى مع هلولى الجسم الغرب لا هلولى الجسم الأصلى فقط؛ فلا يكون أمر واحد بعينه يتوارد عليه المقدار الصغر والمقدار الكبير حتى يتصور الحركة فى الكم.

[الجواب]

أقول: إن التحقىق فى هذا المقام هو أن موضوع هذه الحركة هو الجسم المتشخص؛ والفاعل هو النفس، والمسافة هى خصوصيات المقادير على نعت الاتصال والاستمرار. والإشكال بـ «إن بقاء الموضوع بشخصه لمّا كان شرطاً فى كل حركة، والجسم لا يتشخص إلاّ بعوارضه المشخصة التى من جملتها المقدار، فلا بد فى بقاء الجسم الشخصى من بقاء مقداره وسائر مشخصاته»^(٢) ساقط بأن كون هذه الأعراض من مشخصات الجسم معناه أنها من لوازم وجوده الشخصى، وإنما التشخص بالحقيقة بنحو من^(٣) الوجود يلزمه^(٤) مقدار ما، وكيف ما، ووضع ما، وزمان ما، وابن ما؛ لا أن حذاً معيّناً من كل منها يلزم الجسم الشخصى، وإلاّ [ألف - ٣] لكان تبدل كل خصوصية منها يوجب انعدام الشخص، وليس كذلك.

فظهر أن موضوع هذه الحركة هو الجسم مع مقدار ما؛ والمتبدل فى المتوارد عليه هى الخصوصيات. وهكذا فى الحركة فى الكيف وغيرها من الأعراض المشخصة.

وأما ما هو المشهور من أن النمو إنما هو بمداخلة جسم غريب فى جميع أقطار الجسم فىكون المقدار الزائد قائماً بمجموع الجسم المغتذى والغذاء، فلم يزد مقدار كل منهما ولا مقدار المجموع عما كان، فكلام مجازى خالٍ عن التحقىق. والتحقىق: إن النمو عبارة عن إفادة القوة الفاعلة فى المادة المنفعلة فى كل آن مقدراً معيّناً على نهج الاستمرار والاتصال كما ذكر، وليس هناك مقداران: مقدار باقى هو الأصل، ومقدار آخر ينضم إليه ويلتحم به؛ بل النمو بزوال المقدار الصغر

(١) م: الكثير.

(٢) د: شخصياته.

(٣) د: يتحوى.

(٤) م: يلزم.

وتبدله إلى المقدار الكبير، كما أن الاشتداد - وهو الحركة في الكيف - ليس بانضمام كيفية كالسواد إلى سواد آخر، حتى يكون في التسود سوادان: سواد الأصل وسواد لاحق؛ ولا يلزم اجتماع المثلين في محل واحد من غير [ب - ٣] امتياز؛ وليس هذا المقدار حاصلًا من الخارج بل فائض عليه من الداخل، وإن اشترط على سبيل الاعداد^(١) أن يدخل فيه جسم غريب.

والبرهان عليه: إن الاغتذاء يتوقف على إحالة النفس لقوتها الغذائية الجسم الغذائي^(٢) إلى شبيه جوهر المغتذى، وهي عبارة عن إزالة الصورة الطبيعية عن مادة الغذاء، وليس صورة أخرى إياها. وقد ثبت في مقامه إن المبدأ القريب لجميع صفات الجسم هي صورته النوعية، فإذا زالت الصورة زال بزوالها المقدار الذي كان له، فهذا المقدار الزائد ليس حاصلًا بالحقيقة للجسم النامي إلا من النفس النامية أو من مبدأ أعلى منها بتوسطها^(٣)، فما دامت هذه الحركة باقية يتبدل ويتوارد على الجسم النامي في كل آن مقدار بعد مقدار؛ وكذا القياس في الذبول، فإنه. ينتقل الجسم فيه بتمامه من مقداره الذي كان إلى مقدار أصغر منه.

قوله: «فذلك الجسم الغريب لا يصح أن يزول بمادته وصورته [جميعاً]، بل الزائل إنما هو صورته [النوعية]، فتكون مادته باقية، ويكون محل المقدار الكبير هو هيولي الجسم [الأصلي مع هيولي الجسم] الغريب...».

أقول: الهيولي [ألف - ٤]، ليست في ذاتها متعددة، ولا واحدة ولا حظ لها من الوجود والوحدة وسائر الصفات إلا بعد تقوّمها وتحصلها بالصور، وتبديل الصور بتبدل ذاتها، ولها وحدة شخصية ضعيفة يجمع جميع التحصّلات النوعية، كما أن لماهية الجنس العالي باعتبار تعينها العقلي [لها] وحدة ضعيفة لا يأبى^(٤) عن اتحاده مع الحقائق المختلفة.

وليس القول بأن مقدار^(٥) الجسم تابع في الوجود لهيولاه بأولى^(٦) من

(١) د: الأغذاء.

(٢) ألف: بجسم الغذاء.

(٣) م: بتوسطهما.

(٤) م: لا يأتي.

(٥) ألف: مبدأ.

(٦) ألف: مأول.

القول بأن الهيولى تابعة في الوجود لمقدار^(١) الجسم، بل الحق هو الثاني. وهذا المقام لم ينكشف حق الانكشاف إلا بتحقيق مبحث التلازم بين الهيولى والصورة.

قوله: لأن الصورة النوعية مبدأ للحركة والسكون لا انها متحركة».

أقول: قول الحكماء «إن الفعل ابدأ للصورة والقبول للمادة» كلام حق، وليس معناه أن الفعل يصدر من الصورة بلا شركة المادة، وإلا لكانت عقلاً مجرداً لا صورة مادية، إذ كل مفتقر في الوجود إلى المادة^(٢) مفتقر في الفاعلية إليها، لأن الإيجاد متقوم^(٣) بالوجود، والمتقوم بالمتقوم بالشيء متقوم بذلك الشيء، فالمستغنى عن الشيء في الفاعلية مستغن عنه في الوجود. [ب - ٤] وليس أيضاً معنى كون الهيولى قابلة للحركة انها بذاتها من غير تقوّمها بإحدى الصور كذلك، بل ما لم يتجوهر أولاً بالتجسم النوعي لم يقبل سائر الصفات.

وليس الأمر كما توهمه العلامة الدواني وغيره ان الهيولى بعد تلبّسها بإحدى الصور تقبل بذاتها الأعراض كيف ولا ذات لها إلا بالصورة؛ بل المراد أن جهة الفعلية في الأجسام ترجع إلى صورها وجهة القبول ترجع إلى هيولاها، إذ الصورة كمال الجسم، والمادة نقصها وحاجتها.

وقولهم: الأعراض الفعلية مستندة إلى الصور، والانفعالية إلى المادة^(٤) معناه ما أشرنا إليه من ان وجود القسم الأول من جهة كون الجسم بالفعل أمراً محصلاً، ووجود القسم الثاني من جهة كونه ناقصاً محتاجاً، وهما جهتان مختلفتان^(٥) لا بد من تركيب^(٦) لموصوفهما^(٧).

(١) م، د: بمقدار.

(٢) ألف: إلى المادة والصورة.

(٣) ألف، د: يتقوم.

(٤) ألف: «إلى الصور والانفعالية».

(٥) ألف، م: مختلفان.

(٦) ألف: لتركيب.

(٧) ألف: م موصوفها.

[المسألة الثانية]

قوله^(١) دام فضله: «قد يقال: إن النفس النباتية لو كانت منطبعة يلزم تبدل نفسها آناً فآناً، لأن الجسم النامي بالتخلل والاعتداء دائماً، فيلزم تبدل النفس الحالة فيه؛ وإن كان بالشخص، فيلزم عدم جواز الحكم ببقاء شجرة نامية معينة في آئين وهو باطل. وكذا^(٢) الحال في الحيوان والإنسان أيضاً، فيلزم إما القول بتجرد النفس في الجميع أو عدمه في الجميع. وأيضاً القول بتجرد النفس في^(٣) [ألف - هـ] النبات لا يتأتى بدون القول بإدراك فيها أيضاً كأنواع الحيوانات، وهذا يحتاج إلى التأمل».

[الجواب]

أقول: القول^(٤) كما ذكره، إلا أن في هذه الأشياء جوهرأ ملكوتياً ومدبرأ ذا عناية لها^(٥) حافظأ لضرب من الوحدة عليها، وإنما يتحفظ وحدتها وتشخصها بوحدة ذلك الجوهر المدبر لاتصالها به اتصالاً معنوياً، واتحاداً ذاتياً. ومثل هذا الجوهر المفارق موجود في الإنسان، بل الحيوان، إلا أن في الإنسان عين هويته، وفي النبات مقوم لهويته، وفي الحيوان أقرب إليه من النبات.

قوله: «يلزم [إما] القول بتجرد النفس في الجميع أو عدمه في الجميع».

أقول: الفرق كما أشير إليه بأن ذلك الجوهر الذي هو حافظ وجود النبات ووحدته أمر مرتفع الذات عن علائق المادة، نسبتها إلى جميع الأشخاص النباتية نسبة واحدة، فليست هي^(٦) نفساً لها، منفعلاً عن آثارها، متعدداً بتعددتها، بخلاف النفس الانسانية.

(١) د: قال.

(٢) م: هكذا.

(٣) م: - في الجميع... النفس في».

(٤) م: الحال.

(٥) م: بها. ألف: لها لضرب من الوحدة.

(٦) كذا، والظاهر: نسبتها... فليس هو.

[المسألة الثالثة]

قوله ^(١) دام فضله: «قد يقال: إنه إذا ثبت إن الأشياء يحصل بأنفسها في الذهن يلزم أن يكون العقل إذا تصور الكيف والكم والالين والوضع، يحصل تلك ^(٢) [ب - ٥] الأشياء في العقل ^(٣) بأنفسها؛ فيلزم أن لا يكون الكم والكيف والالين والوضع مختصةً بالماديات على ما قالوا من إنها مختصة بها.

ولئن قيل: اللازم من حصول الأشياء بأنفسها في الذهن هو أن يحمل الشيء على نفسه بالحمل الأولي الذاتي، والعقل إذا تصور الكيف أو الكم أو الوضع أو الالين فالحاصل منه ^(٤) هو حقيقة الكم والالين والوضع لا فرد منها، والمختص بالمادة إنما هو افراد تلك المقولات لاحقائقها وطبائعها، لأن الحقائق الكلية من ^(٥) المجردات.

يقال: إذا تصور العقل الكم مثلاً فيحصل حقيقته في العقل ^(٦) وإذا حصلت حقيقته في العقل يلزم أن يكون مشخصة بالعوارض العقلية، لأنها حاصلة في محل الشخص ^(٧). وحقيقة الكم إذا صارت ^(٨) متشخصة يصير فرداً وجزئياً ^(٩) من جزئيات الكم. غاية ما في الباب أن يكون فرداً ذهنياً، فيلزم أن لا يكون جميع أفراد الكم مختصاً بالماديات، وهكذا الحال في الكيف والالين والوضع، وهذا يحتاج إلى التدبر أيضاً.

[الجواب]

أقول: معنى حصول الأشياء في الذهن حصول ماهياتها ومعانيها لا وجوداتها الخارجية، لاستحالة انتقال نحو الوجود الخارجي إلى الذهن، وإلا

(١) د: قال.

(٢) م: بتلك.

(٣) د: «الأشياء في العقل».

(٤) ألف: فيه.

(٥) م: في.

(٦) م: العاقل.

(٧) مشخص - ظ.

(٨) ألف: «مشخصة... صارت».

(٩) ألف: أو جزئياً. كذا، والظاهر: جزئاً.

لصار الوجود الخارجي وجوداً ذهنياً، [ألف - ٦] ويلزم انقلاب الحقيقة . وكون هذه الأعراض كالكم والكيف وغيرهما مادية أنها تفتقر في وجودها الخارجي إلى المادة، وكذا حكم الجواهر المادية فإنها بحيث إذا وجدت في الخارج كانت في مادة، وللعقل أن ينتزع صورتها من مادتها وتجردها عن اللواحق المادية، ويجعل محسوسها^(١) معقولاً^(٢) على الوجه الذي حقق في مقارنة لمادته ولواحق مادته فيكون محسوساً، وتارة يوجد مع بعض تلك اللواحق من غير مقامه . ولكل ماهية وعين^(٣) نشأت مختلفة وظهورات كنموعة، فلا عجب في أن يكون معنى واحد يوجد تارة مادة فيكون متخيلاً، وتارة يوجد معرى عن الجميع مع إضافتها إلى مادته فيكون متوهماً^(٤)، وتارة مجرداً صرفاً، فيكون عقلاً ومعقولاً . وللإنسان قوة ملكوتية خلقها الله تعالى له في عالم^(٥) شأنها نزع أرواح الحقائق بها عن قوالب أشباحها، كملك الموت الذي وكل على نزع الروح من البدن، ففيه سر الخلافة الإنسانية .

[المسألة الرابعة]

قوله دام فضله: «الإدراكات الجزئية ثابتة لسائر الحيوانات، فإن كانت مستندة إلى قواها المادية فليكن في الإنسان أيضاً كذلك والحال انه قد تقرر أن المدرك في الإنسان هو النفس المجردة، والقوى الإدراكية آلة لها . وأيضاً الإدراكات الجزئية من أفراد العلم، فيلزم استناد العلم إلى غير المجرد [ب - ٦] والحال أن^(١) كل عالم مجرد؛ وأن كانت مستندة إلى نفس مجردة فيلزم القول بتجرد النفس في جميع الحيوانات، وعلى ذلك يحصل التردد في لزوم القول بالمعاد فيها أيضاً - كالعطوفة على الولد وغيرها - وظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ - [التكوير: الآية ٥] يدل على أن المعاد ثابت للحيوانات أيضاً» .

(١) م: محسوساً .

(٢) ألف: معقولات .

(٣) د: غير .

(٤) م: - «مع بعض... متوهماً تارة» .

(٥) م: عالمها . د: عالمه .

(٦) م: أنه .

[الجواب]

أقول: إن الله تعالى رتب الأشياء ترتيباً محكماً، ونظمها نظماً متقناً، لا يمكن خلافه. فلكل قوة فعل خاص لا يتخلف، ولكل معلول علة خاصة لا يتعداها. فالأفاعيل^(١) الجسمانية والإدراكات الحسية المادية لا يمكن أن تصدر إلا عن القوة^(٢) القائمة بالأجسام المفتقرة في فعلها إلى مشاركة الوضع. ثم كل من هذه القوى كما يفتقر إلى آلة وحامل يفتقر إلى مستعمل إياها قاهر عليها ومحرك لها حسب ما يستدعيه، وليس تحريكه واستعماله إياها^(٣) كتحريكها واستعمالها للمواد.

فإذا تقرر ما ذكرناه، فنقول: كما إن الأفاعيل الطبيعية التي في النبات كالجذب والدفع والهضم وغيرها يفتقر^(٤) إلى مبادئ قريبة يفعل هذه الأفاعيل - وهي الجاذبة والدافعة والهاضمة وأسبابها - [ألف - ٧] وكما أن لها مبدأً نفسانياً قريباً يحركها ويستعملها - هي المسمّاة بالنفس النباتية - فكذا فيهما، إلا أن حقيقة النبات بها تكمل وتتم، وحقيقة الحيوان - فضلاً عن الإنسان - لا يتم بها، لكونهما أشرف من النبات وأقرب إلى افق الروحانيات.

وكما أن هذه الأفاعيل في الإنسان الذي هو صفوة الكائنات لا يتم إلا بمبادئ عقلية لأغراض علوية وغايات أخروية، وتزود للمعاد، واستعداد للمراجعة إلى رب العباد، فكذا^(٥) في النبات، فإن لكل نوع من أنواع^(٦) الاجرام^(٧) النباتية محركاً ملكوتياً من جنس الملائكة الموكلة بالأجسام، ومحركاً آخر أشرف منه من جنس الملائكة العلوية يحركه^(٨) على سبيل التشويق والإمداد لا على سبيل المباشرة والاستمداد، وتحريكهما ليس إلى غايات حسية كحصول الثمار والحطب والعلف وغيرها، بل إلى غايات ملكوتية معنوية هي حصول الأشخاص البشرية من صفوتها

(١) ألف: بالأفاعيل.

(٢) ألف: القوى.

(٣) م: «أيا قاهر... استعماله إياها».

(٤) م: «كما أن... يفتقر».

(٥) ألف، د: كذلك.

(٦) ألف، م: لكل من أنواع.

(٧) ألف: الأجسام.

(٨) م: يحرك.

وخلاصتها التي يحصل منها محال معرفة الله وعبوديته، وهم المصطفون من عباده والخُلص من أوليائه، قال سبحانه: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ (البقرة: الآية ٢٩).

فقد علم من هذه [ب - ٧] المقدمات أن الاحساسات الجزئية تحتاج^(١) إلى قوى ذرّاة تكون ادراكاتها بهذه الآلات والمشاعر المادية سواء كانت في الإنسان أو في غيره^(٢) كما لا يتم فعلها^(٣) في الإنسان إلاّ بمُشير عقلي وهادٍ^(٤) روحاني لها ضرب من الاتصال به^(٥) بحيث يكون فعلها فعله، بل ذاتها يضمحل ويستهلك في ذاته، لأنها بمنزلة أشعة من نوره. فكذلك في كل نوع من الحيوان، إلاّ أن الفرق بين الإنسان وسائر الحيوانات^(٦) بأن مرجع هذه الإدراكات الظاهرة والباطنة إلى جوهر ملكوتي وهو عين هوية^(٧) الإنسان وشخصيته، وبه يتم شخصياتها بما هي شخصياتها، وليس لواحد منها أن يرتقي من درجة الجزئية والتجسم إلى درجة الكلية والتجرد، فيصير بذاتها عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، كما قيل في الحكمة الفارسية:

دودام راره به معراج نیست سرخوك شايسته تاج نیست

[المسألة الخامسة]

قوله^(٨) دام فضله: ظاهر الحديث النبوي المشهور وهو قوله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَزْوَاجَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ»^(٩) وقوله ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»^(١٠). يدل بحسب الظاهر على أن النفس ليست حادثة بحدوث البدن،

(١) م، د: محتاج.

(٢) م، د: غيرها.

(٣) ألف - «فعلها».

(٤) في النسخ: هادي.

(٥) ألف - به.

(٦) ألف، د: الحيوان.

(٧) ألف: صور.

(٨) د: قال.

(٩) «معاني الأخبار» ص ١٠٨.

(١٠) «المناقب» لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢١٤، «المسند» لأحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٦٤ =

وكذا بعض الآيات الكريمة يدل على ذلك، وكذا كلام بعض أكابر الصوفية والمشايخ، وهذا المقام يحتاج إلى البسط والتفصيل والإهداء إلى سواء السبيل».

[الجواب]

أقول: تفصيل هذا المقام يحتاج إلى مقدمات:

الأولى: إن المراد بالأرواح ههنا ليس النفوس، فإن مقام الروح غير مقام النفس، وكل واحد من البشر له نفس وهي حادثة بحدوث البدن، وأما الروح الإنساني الذي هو في عالم الأمر فهو سر من أسرار الله تعالى، ونور من أنواره^(١)، مضاف إلى الحق إضافة الشعاع الحسي إلى الشمس. وهو غير حاصل إلاً للأنبياء والكمّل من العرفاء! فإن للإنسان مراتب ونشآت مختلفة، وله تطوّر في^(٢) أطوار متعددة، ودرجات بعضها فوق بعض. فأول ما يتكوّن فيه ويحدث له بعد طي الدرجات النبائية والحيوانية هي النفس المدبّرة لبدنه، وهي في التحقيق جسمانية الحدوث، روحانية البقاء ان استكملت.

وهذه عامة شاملة لجميع أفراد البشر. وبعده مرتبة القلب، وإنما سمّي به لتقلّبه تارة إلى مقام النفس، وتارة إلى مقام الروح، فمنه ما هو منكوس مُظلم، ومنه ما هو مستقيم منوّر. وبعده مرتبة الروح، فمنه ما هو منكوس مُظلم، ومنه ما مستقيم منوّر. وبعده مرتبة الروح، وهو العارف [ب - ٨] بالله واليوم الآخر. وكما ان مراتب الإنسان منحصرة في هذه الثلاث على تفاوت درجاتها، فالعوالم أيضاً^(٣). منحصرة في ثلاث^(٤) نشآت على تفاوت^(٥) طبقات كل نشأة [من] الدنيا والآخرة وما هو فوقهما. فالنفوس للدنيا، والقلوب للآخرة، والأرواح لدار القدس.

= «كنز العمال» ج ١١، حديث ٣٢١٥، «البحار» ح ١٦، باب ١٢، حديث ١، «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ١٢٢، «السنن» للترمذي، ج ٥، ص ٥٨٥.

(١) د: أنوار الله.

(٢) ألف: من.

(٣) ألف، د: ثلاثة.

(٤) ألف: - منحصرة في... أيضاً.

(٥) ألف: - على تفاوت درجاتها... تفاوت.

الثانية: انا قد حققنا في مقامه ان الأجسام والطبائع أبداً في السيلان والتبدل والانقضاء، لإبقاء لها في آئين، فهي كالحركة تدرجية الوجود؛ لأن تلك الجواهر هي المتغيرة^(١) بذاتها ضرباً من الحركة لا أنها تعرضها هذه الحركة وهي بنفسها ساكنة كحالها بالنسبة إلى سائر الحركات الواقعة في مقولات أخرى عرضية؛ فعلى هذا لابقاء لها كما لا بقاء لشيء من الحركات. ومن ههنا انكشف لدى البصير^(٢) المحقق حدوث العالم على الوجه الذي حكم به جميع^(٣) الشرائع الحقّة، واجمع عليه المليون، وحكم النفوس بما هي النفوس حكم الطبائع في ذلك. وأما الأرواح بالمعنى الذي قررناه فهي باقية.

الثالثة: إن من لدن آدم أول البشر إلى زمان محمد خاتم الأنبياء ﷺ [ألف - ٩] كانت النفوس الآدمية مترقية في الكمال، فكانت أولاً في مقام الحس والنفس، ثم في مقام القلب، ثم في مقام الروح؛ وبعد هذه المراتب مقام العندية المختص بنبيّنا ﷺ وخواص أئمته المرحومة التي هي خير الأمم، لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠] الآية. وأول من بلغ إلى مقام الروح وفتح باب التوحيد الحقيقي هو شيخ الأنبياء إبراهيم - على نبينا وعليه السلام - وله ولمن تبعه من ذريته مقام الروح المعبر عنه بالإسلام الحقيقي حيث سأل في دعائه عن الله له ولذريته، كما حكى الله بقوله: ^(٤) ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٩] ^(٥) وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: الآية ٧٨] ^(٦).

فإذا تقررَت هذه المقدمات، نقول: معنى ^(٧) خلق الله الأرواح قبل الأجساد^(٨) أي خلق أرواح الكُمل قبل الأجساد التي كانت موجودة في زمن النبي ﷺ، والمدة بين زمان الخليل وزمان حبيب الله - عليهما وآلهما السلام - قريب من هذه المدة.

(١) د، ألف: المتغيرة.

(٢) م: لذي البصر.

(٣) م: جمع.

(٤) م: - بقوله.

(٥) فيها: «ومن ذريتنا».

(٦) «هؤلاء كم المسلمين».

(٧) م: نقول ظهر معنى.

(٨) «معاني الأخبار» ص ١٠٨.

وأما قوله ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدُمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»^(١). فهو أيضاً ينكشف بما ذكرناه، فإن مقام العندية والمحبوبة التي كانت^(٢) له ﷺ الذي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، سابق على جميع الأمور العقلية والنفسية والحسية، وإن كان وجوده الجسماني الحسي لاحقاً، كما قال: نَحْنُ السَّابِقُونَ الْآخِرُونَ^(٣) إذ العبد إذا اتصل بعالم القدس، وانقلب^(٤) من مقام النفس إلى مقام السر، صار من حد الحدوث إلى حد البقاء، ومن حد التلون والتغير إلى حد التمكين والثبات: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾ [القمر: الآية ٥٥]. وقد قيل: النهاية هي الرجوع إلى البداية.

هذا ما تيسر لنا في كشف هذه المسائل على سبيل الاستعجال مع توضيق المجال وتصادم الأحوال وتزاحم الأشغال، وتمام القول فيها يحتاج إلى صحة طويلة، لعل الله يرفع بيننا^(٥) ويجمع بيننا، انه ولي الإجابة، واليه الانابة^(٦). [ألف - ١٠].

(١) «مسند أحمد» ج ٤، ص ٦٦. «البحار» ج ١٦، ب ١٢.

(٢) ألف: الذي كان.

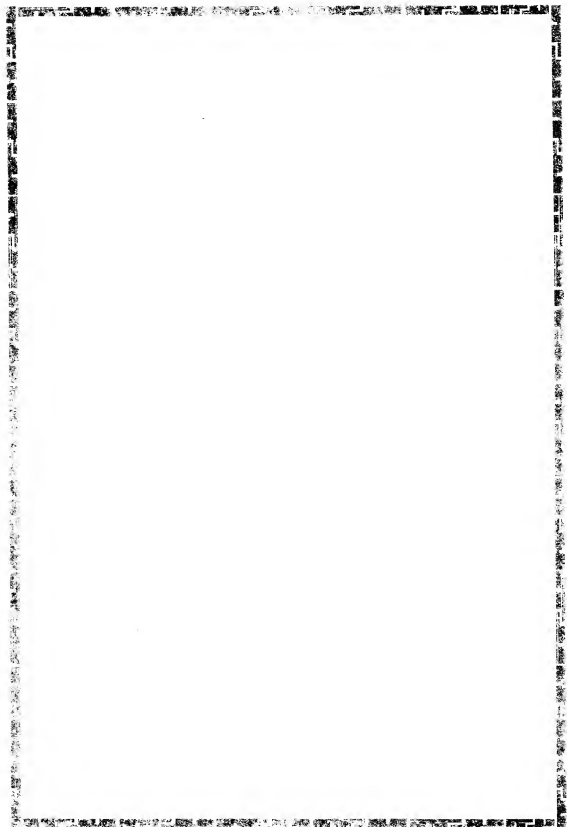
(٣) في الحديث: «نحن الآخرون السابقون»: «صحيح البخاري» ج ٢، ص ٢، «صحيح مسلم» ج ٦، ص ١٤٢. «المسند» لأحمد، ج ٢، ص ٢١٢، «السنن» للدارمي، ج ١، ص ٢٩.

(٤) م: والقلب.

(٥) م: إلى مقام الرضا ومن حد.

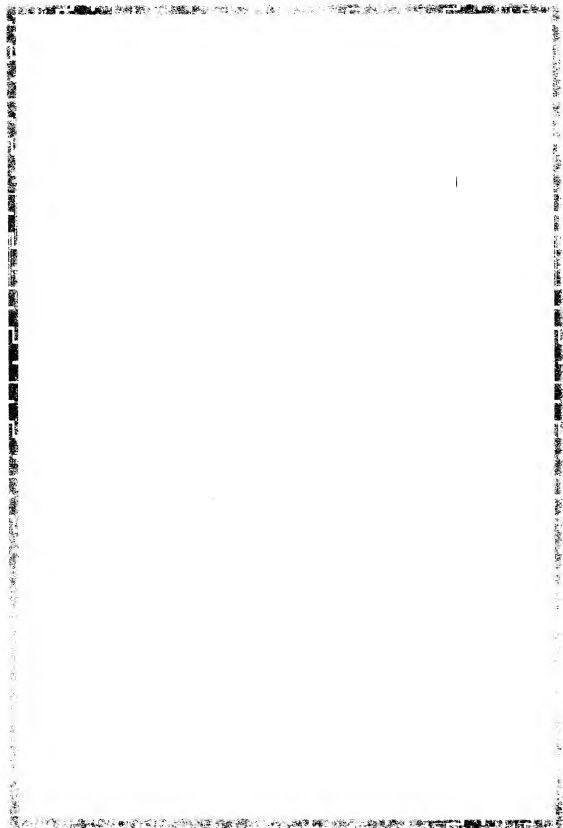
(٦) في الهامش: «البين هناك في معنى البعد».

(٧) ألف: الإنابة، والسلام.



٣

أجوبة المسائل الكاشانية



بسم الله الرحمن الرحيم

يا رب كل عقل ونفس، وغاية كل حياة وحركة وحس، أنزل على أرواحنا لوامع بركاتك، وأفض على نفوسنا أنوار خيراتك، وصل على الذوات الكاملة والأرواح الفاضلة من الأنبياء والأولياء خصوصاً سيدنا محمد وآله المطهرين، سلام الله عليهم أجمعين.

فقد سألتني بعض أجلة الإخوان وأفاضل الأقران عن مسائل عويصة طلب استكشافها والتفصي عن تعقيدها، وليس المسؤول عنها بمنزلة من له كشف السؤال ودفع الإشكال إلا أنّ حسن الظن بشيء ربما يثمر الاستسعاد به والانتفاع وإن كان ذلك الشيء في درجة القصور والانتضاع، فأجبت على ذلك مسؤوله، وأظهرت مأموله، والله الهادي إلى طريق الرشاد، وعليه التوكل والاعتماد في السداد.

[المسألة الأولى]

اعلم^(١) النفس الإنسانية لا تخلو أما أن يكون علمها بذاتها وقواها وحواسها والصور الكلية المرتسمة في ذاتها والجزئية الحاصلة في آلاتها بمجرد حضور هذه الأشياء بذواتها وبمشاهدة النفس إياها، أو بحصول صور أخرى مستأنفة عند النفس، فإذا استيناف أمثلة إدراكية غير أعيانها الخارجية لديها. فعلى الأول يلزم أن يكون «زيد» مثلاً عالمًا بذاته وبقواه وما يرتسم^(٢) فيها إدراكاً لازماً لا ينفك عنه والحال بخلاف هذا بالضرورة، لأن علمنا بحقيقة النفس وقواها إنما يحصل لنا بالكسب والتعمّل بعد الأفكار الكثيرة وترتيب الأنظار العديدة. ثم كيف يكون

(١) ألف: اعلم.

(٢) ألف: ارتسم.

وجود النفس وقواها كافياً في انكشافها لدينا، وقد اختلفت العلماء في النفس أهى جوهر أو عرض؟ مجردة أو مادية؟ وكذلك في القوى انها جواهر أو اعراض؟

وأنا على الوجه الثاني، فمع إنه يخالف مذهب الشيخ الرئيس والشيخ الإشراقي يلزم منه أن يكون وصول النفس إلى ذاتها وآلاتها بواسطة أمر آخر غير ذاتها ويلزم منه حصول صورة الشيء في ذاته، ويلزم حصول الصور الجزئية والأمور المادية في ذات النفس الناطقة، وهى بذاتها مدركة للكليات لا للجزئيات.

[الجواب]

أما إن إدراك النفس لذاتها بذاتها، فهذا شيء لا شبهة تعتريه ولا خلاف [ب - ١] لأحد من الفضلاء منقول فيه، كيف؟ والحكماء قد جعلوا نفس هذا الحكم أصلاً بنوا عليه إثبات مغايرة النفس للبدن وتجردها عنه وعمّا فيه؛ قالوا: الإنسان لا يغيب عن ذاته في حالتي نومه ويقظته وسكره وصحوه، ويغيب عنه البدن وجميع الأعضاء كلّها حتى القلب والدماغ؛ وكذا الأمور الحالّة فيهما. فإذا كان عالماً بشوته* دائماً وغافلاً عن جميع أعضائه وما سواه* أحياناً - والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم - فذاته غير تلك الأمور.

وأكدوا هذه الدعوى بقولهم: «لو فرضت ذاتك وقد خلقت أول خلقتها على صفة من عقلك وما استعملت حواسك في شيء من الأشياء منك ومن غيرك وكنت متفرج الأطراف غير متلامس الأعضاء في هواء طلق غير متموج، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا^(١) عن انيتك وهويتك، فظهر أنّ علمنا بذاتنا فطري، إذ هو عين^(٢) ذاتنا، ولو علمنا لوجود ذاتنا كسباً^(٣) لجاز لأحد قبل النظر والكسب أن يشك في ذاته هل حصلت ذاته له أو لا؟ واللازم باطل بديهة و اتفاقاً، فكذا الملزوم».

ولا يتوهم أحد أنّا^(٤) بالفرض المذكور وهو فعل من أفعالنا، عرفنا ذاتنا بأن

(١) في النسخ: لا.

(٢) م: غير.

(٣) ألف: كسباً.

(٤) م: أنا.

* كذا.

جعلنا هذا الفعل وسطاً في معرفة ذاتنا؛ لأننا نفرض ذاتنا في هذا الفرض عريّة عن هذا الفرض أيضاً^(١)، ولسنا عرفنا بهذا الفرض ذاتنا كما نعرف سائر القوى بأفاعيلها وآثارها بل نشاهد في هذه الحالة ذاتنا من غير خلط، فالفرض المذكور طرف لا وسط^(٢)، ولا حاجة إلى ما تكلفه صاحب «التلويحات» في دفع هذا الوهم «إنّ هذا الفرض ليس فعلاً بل هو ترك فعل».

وأما ما ذكره من اختلاف العلماء في جوهرية^(٣) النفس و^(٤) عرضيتها أو في تجردها وتجسّمها فهو غير قادح في ذلك ولا مناف لما ادّعيناه من الضرورة والاتفاق على أن علم النفس بذاتها عين^(٥) ذاتها، إذ الشك في جوهرية النفس غير الشك [ألف - ٢] في كون ذاتها غير غائبة عن ذاتها، إذ ربما يحتاج في إثبات كون النفس جوهرأ إلى وسط بعد أن يكون حضور ذواتنا لذواتنا ضرورياً.

أما على مذهب من يكون مفهوم الجوهر عنده عرضياً لما تحته فذاك، وإما على رأي من يجعله جنساً لأفراده فمعناه كون الشيء ذي الماهية بحيث إذا وجدت ماهيته في الخارج كان وجوده لا في موضوع، فهو مقوم^(٦) ماهية الأفراد لا مقوم وجودها؛ وعلى هذا جوهرية الشيء هي حال ماهيته لا حال وجوده، فربما لم يكن للشيء ماهية^(٧) كلية يلزمها هذا المعنى، بل يكون صرف الأتية كذوات المجردات عند الرواقيين، أو يكون [له] ماهية كلية ولكن لم يكن المنظور إليه حال ماهيته بل حال وجوده؛ وكلامنا في إثبات النفس حين إدراكها^(٨) لها بالعلم الشهودي والكشف الحضورى الوجودي، وفي هذا الشهود الاشرافي ربما يغفل^(٩) عن^(١٠) الشاهد الواقف عنده عن جميع المعاني الذهنية والكيلات العقلية.

(١) م: أيضاً.

(٢) م: الأوسط.

(٣) م: جوهر.

(٤) ألف: + في.

(٥) م: غير.

(٦) م: مفهوم.

(٧) م: ماهية.

(٨) ألف: إدراكها.

(٩) م: تفضل.

(١٠) كذا. والظاهر زيادة «عن».

ونحن قد برهنا في موضعه أن جميع^(١) أنحاء الوجودات لا تُنال إلا بحضور أعيانها الخارجية لا بأمثلتها الذهنية، بل لا مثال للوجود الخاص لشيء^(٢) في الذهن، إنما الأمثلة الذهنية للماهيات والمفاهيم. وقد ثبت أيضاً أن كل صورة ذهنية فهي كلية وإن تخصصت بألف تخصص^(٣)، فثبت أن إدراك هوية الإنسان ونيل ذاته العينية بالكشف الحضورى شيء، وإدراك ماهيته شيء آخر. ولعل الشك في جوهرية النفس إنما نشأ من أن أحداً كان نظر إلى ذاته ووجد ذاته حاضرة لديه، ولم يخطر بباله في هذا الشهود كونها جوهرراً، ثم رجع إلى طلب البرهان فلم يفى^(٤) به، وهذا ليس بضائر لنا فيما أذعينا.

ولا شك للمنطقي^(٥) في أن كل ما له حد نوعي مركب من جنس وفصل فلا يمكن حصوله تصوراً إلا بالحد ولا تصديقاً لوجوده إلا بالبرهان، وهما يتشاركان في الحدود [ب - ٢] وما لا حد له لا برهان عليه، والوجود نفسه ممّا لا حد له ولا برهان عليه لأنه بسيط، فإدراك كل ممّا لذاته على وجه بسيط، فلا حد لوجوده] لعدم تركبه في الوجود ولا برهان عليه لمّياً كان أوائياً. أما الأول فلأن وجوده اعرف عنده من وجود أسبابه. وأما الثاني فلأن وجود الفعل عنه بعد وجود الذات.

ونقول أيضاً: كل فصل ووسط نشير إليه بـ «هو» ونشير إلى ذاتنا بـ «أنا» كما هدى^(٦) إليه إمام المشائين في الخلصة^(٧) اللطيفة للشيخ* المقدّس صاحب «التلويحات»^(٨)؛ فثبت أن الإنسان متى حاول معرفة أية ماهية نوعية تركيبية سواء كانت ماهية ذاته أو غيرها فلا يتيسر له في^(٩) ذلك إلا بالكسب، لأن علمه

(١) م: جميع.

(٢) بشيء.

(٣) في النسخ: التخصصات.

(٤) لم يف به - ظ.

(٥) ألف: للمنطقيين.

(٦) ألف: ذهب.

(٧) م: الجنس.

(٨) الشيخ - ظ.

(٩) «التلويحات» ص ٧٠.

(٩) م: + له.

بالمركبات الحديثة بعد البسيطات، وعلمه بالهليات المركبة بعد علمه بالهلية البسيطة، والكسب مما يتطرق فيه الشك أحياناً إذا لم يراع فيه قوانين الفكر^(١). فاحتفظ بذلك فإنه مما أغناك.

وأما إدراك النفس لما يزيد على ذاتها من القوى والآلات ففيه^(٢) خلاف بين الحكماء إن ذلك أهو بالحضور أو الحصول؟

ما ذكره من اتفاق الشيخين على قول واحد من القولين فغير مطابق لما وجدناه في كتبهما، وليس حال النفس في إدراكها لقواها كحالها في إدراكها^(٣) لذاتها، لجواز أن يكون اطلاعها على قواها بوسط، ولا وسط بين الشيء وذاته، بل الحكماء المشاؤون حتى المعلمين والرؤساء منهم قد صرحوا بنفي العلم الحضورى فيما سوى علم المجرد بذاته وبصفاته القائمة، وستقرع سمعك ما هو حق القول في هذا المقام إن شاء الله.

وأما استلزام حصول الصور الجزئية في النفس على تقدير إدراكها للقوى وما فيها بالصور الزائدة غير لازم، إذ لا استحالة في أن تدرك النفس آلة إدراكية مع ما حصلت فيها من الصور بالآلة إدراكية أخرى، مثلاً الإنسان له أن يدرك بالآلة الخيال أو الوهم جميع الحواس الظاهرة ومحسوساتها، ثم بالوهم يدرك ما دون الوهم من المشاعر والقوى، وأما الوهم فيجوز له أيضاً [ألف - ٣] أن يدرك معنى^(٤) ذاته بعلم زايد صوري، ولهذا ينكر الوهم نفسه ويجحد، والإنكار والجحد يستلزمان الإدراك، إنما المحال إدراك الآلة ذاتها بعينها، فلا يمكن إدراك هوية الوهم بالوهم بعينه وإلا لزم كون الشيء آلة لنفسه وهو ممتنع، فلم يلزم من شيء من هذه الأمور المفروضة ارتسام الصور الجزئية في ذات النفس بوجه أصلاً.

تحصيل حكمي

والحق إن علم النفس بقواها وآثارها المختصة كعلمها بذاتها يكون بالحضور

(١) ألف: التفكير.

(٢) ألف: فيها.

(٣) م: - لقواها... إدراكها.

(٤) م: يعني.

وإن كان قد يكون بالحصول أيضاً، لكن الأول على سبيل الوجوب الدائم، والثاني على الجواز الوقتي، لأن^(١) النفس سبب القوى واللوازم، والعلم بالسبب إذا كان بنفس وجوده فيستلزم^(٢) العلم بالمسبب كذلك، فعلمها^(٣) بلوازمها وآثارها غير^(٤) تلك اللوازم والآثار، إلا أن ههنا نكتة يجب التنبيه عليها وهي أن مجموع آثار النفس منحصرة في تحريكات وإدراكات، فمن جملة آثارها التحريكية هذه الأفاعيل النباتية مثل الجذب والهضم والدفع والتمديد والبسط والتوليد والحفظ والقبول، وهي إما من باب الحركات أو من باب القوى والاستعدادات أو من الإضافة والانتقال، والكل أمور عدمية، فإن الحركة كمال لما بالقوة من حيث هو بالقوة، والقوة والاستعداد إمكانان لحصول أمر بعيد أو قريب، والإضافة نسبة، والنسبة خارجة عن ذات كل شيء، والأعدام لا صورة لها في الخارج. فمن ههنا يعلم أن العلم الحضورى لا يتعلق بالحركات وما يجري مجراها مما لا صورة لها في الخارج.

ويعلم أيضاً إنه قد تكون الصورة الذهنية للشيء أشرف من عينه الخارجى، وهذا معنى قولهم: وجود الحركة في الخيال لا في العين. ومبادئ الحركات أي القريبة المباشرة حكمها في عدم الاستقرار والثبات حكم الحركات، كما حقق في مقامه.

و^(٥) أما الإدراكات وقواها، فالقوة الإدراكية كالباصرة [ب - ٣] مثلاً قبل الإدراك وحصول الصورة لا يكون بالفعل بل إما كالهوى الخالية^(٦) أو كالقوة القريبة من الكمال، وكلاهما عدميان وإنما الوجود لصورة المدرك التي تشد بها قوة الإدراك على قياس العقل بالقوة والعقل بالفعل الذي عين المعقول بالفعل عند المحققين من المشائين. فعلم النفس بالقوة الباصرة بالحقيقة عبارة عن كونها مبصرة بالفعل وهو إنما يكون حين الإبصار لا قبله ولا بعده، وكذلك سائر الحواس **﴿إِنَّ**

(١) ألف: فأن.

(٢) ألف: فيلزم. والظاهر زيادة «فاء» فيهما.

(٣) ألف: فعلم.

(٤) ألف: عين.

(٥) ألف: - و.

(٦) ألف: الخيالية.

فَ هَذَا لَبَلْعًا لِقَوْمٍ عَكِيدٍ ﴿١٠٦﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٦] ^(١).

تتمة تنبيهية

هذه القوى الحسية كالجواسيس للنفس، فبعضها وهي الظاهرة كالمجبورين في فعلها وطاعتها للنفس وليس لها التعدي عن مقامها، إذ كل له مقام معلوم، فليس للبصر أن يرى الأبيض أسود، ولا للذوق أن يدرك الحلو مرًا، إذ ^(٢) كل يعجز عن فعل الآخر، وأما ^(٣) الحواس الباطنة فهي بمنزلة المختارين في فعلها، فللمفكرة أن تتفتن في صنعه ^(٤)، وينتقل من صورة إلى صورة، ويتأمل في أي وإد شاء. وكذا الحفظ يحفظ أي صورة كانت.

وأيضاً كل من الحواس الظاهرة بمنزلة رسول مبلغ رسالته من غير أن يكون له خبر عن أداء رسالته. فالبصر يتحمل رسالة صورة الألوان ويؤديها، ولا يدرك معنى اللون ولا معنى التأدية والرسالة ^(٥) وكذا باقي الحواس، بخلاف مدارك ^(٦) الباطنية بوجه.

وأيضاً فعل هذه القوى الخمس لا يتصل بعضها ببعض، ولا يؤدي شيء منها فعله إلى الآخر، فالسمع لا يؤدي صورته المسموعة إلى البصر، ولا البصر صورته إلى السمع، بخلاف المشاعر الباطنية ^(٧)، فالحس المشترك يؤدي صورته إلى الخيال، وهي إلى الوهم، وهي إلى الحفظ؛ والحافظة يسترجعها إلى الناطقة، وهي إلى العقل بالفعل وهو إلى فوقه، فهو المدبّر في هذه المملكة الإنسانية يفعل كيف يشاء، فهو الحاكم القادر الذي يسرى حكمه وقدرته إلى كل منها، بل نزل من علوّ ذاته وسماء درجته إلى هذه الدرجات، فهو بعينه [ألف - ٤] السميع البصير المفكر المتدبّر الناطق العاقل مع أحدية ذاته وكثرة هذه القوى، إذ هي مع كثرتها

(١) اقتباس من سورة الأنبياء، ١٠٦.

(٢) ألف: و.

(٣) م: أما.

(٤) الضمير هنا وكذا فيما يأتي من الأفعال الثلاثة غير مطابق.

(٥) م: الرسالة.

(٦) المدارك - ظ.

(٧) م: الباطنة.

مطموسة في احديته؛ فهو المالك المدبر. والكلّ مشاهدة عند العاقل الخبير على وحدانية مدبرها العليم وأميرها الكبير؛ فانظر بعين الاعتبار.

[المسألة الثانية]

من المعلوم أن بعض القوى والآلات الحيوانية بل بعض الحواس ليست مسخرة للنفس بحيث متى أرادت منها الفعل فعلت، ومتى لم ترد لم تفعل، بل فعلت فعلها الخاص سواء أرادت النفس أو لم ترد، شاءت أو لم تشأ، وهي كالغاذية هو الجاذبة والمتخيلة؛ وعلى هذا فلا تكون هذه القوى توابع مسخرة للنفس وجنودها^(١) أو خوادم لها، بل يكون كلّ واحدة منها حاكماً برأسه مبدداً في صنعته، وهذا يهدم الوحدة الجمعية والارتباط الطبيعي للإنسان، ويناقض ما ذهب إليه الحكماء - كالمعلم والشيخين وغيرهما - من كون الحاكم في الشخص الإنساني هو النفس، والقوى فروعها وتوابعها.

الجواب

إن هذه القوى مسخرة للنفس، مطيعة ساجدة لها، [كما أشير] لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية: الآية ١٣] فسخر الله كلّ ما في أرض البدن من القوى والآلات وما فيها للنفس، متى شاءت من كل منها فعلاً فعلت، ومتى لم تشأ لم تفعل لكن^(٢) شاءت ففعلت، لأن هذه المشية ذاتية لها، وإذا لم تشأ - وهو عند عدم تعلّقها بهذا البدن أو عند اختلال موضوعاتها البدنية أو حين انقطاعها عنه - لم تفعل^(٣) هذه الأفاعيل، فإنّ المشية قسمان:

إحدهما: مشية زائدة على الذات المريدة الشائية، وهي الإرادة الحيوانية المسبّبة عن الداعي وهو الشوق المتأخّر عن التصوّر بوجه مّا، والتصديق وما في حكمه في الأمر الشهوي أو الغضبي جذباً أو دفعاً كما في غير الإنسان، وأما في الإنسان بما هو ذو نطق وفكر فهو الشوق المنبعث عن التصوّر والتصديق

(١) م: جنود.

(٢) م: إن.

(٣) م: لم يكن.

الحاصلتين بالتفكر والروية [ب - ٤] في الأمر النافع أو الضار في العاجل أو الآجل. والجمهور لا يفهمون من الفاعل بالإرادة إلا ما له هذا المعنى.

وثانيهما: مشية منبعثة عن نفس الشيء الشائي بحسب حبه الذاتي وعشقه الجبلى إلى ذاته وإلى ما يترتب على ذاته، أو شوقه الفطري إلى طلب الكمال اللائق به. وليست هذه المشية مسبقة بقصد زائد وعلم عارض من خارج كإحساس أو تخيل أو فكر أو روية أو غيرها. والبرهان على إثبات هذه المشية في النفس لافاعليها الذاتية هو: إن النفس في أول تكونها بحسب عقلها الهولاني خالية عن جميع النقوش الزائدة والعلوم البديهية والنظرية، ومع ذلك تستعمل الحواس وتعتمد إليها وتدرك بها المحسوسات. فأول ما قصد باستعمال الحواس^(١) هو فعل نفساني بلا ريب، وليس طبيعياً، والداعي لها في طلب المحسوس لم يكن مسبوقاً بصورة علمية تصورية أو تصديقية، ولا بخطر معنى حسّي أو خيالي، لأنّ جميع الارتسامات الإدراكية مستفادة لها من الحس، «ومنْ فقد حسّاً فقد علماً»، فظهر أنّ استعمال النفس للحواس ولقواها الذاتية بمجرد شوقها الذاتي لاستعمال حواسها المدركة وقواها المحركة.

ومبنى هذه الشبهة - على ما زعمه الجمهور وعامة المتكلّمين - إن أنحاء الفاعلية لا تخرج عن اثنين: إما بالطبع من غير شعور، وأما بالقصد الزائد الإمكانى المتساوى الطرفين وهو مناط فاعلية الباري - جلّ ذكره - عندهم. ثم اختلفوا: فذهب المعتزلة منهم إلى أنّ الإرادة المتساوية الطرفين، لا يترجح بها أحد طرفي المقدور إلا بمرجح زائد هو الداعي، وهو غير ذاته تعالى عندهم. فيلزم عليهم كون فاعليته تعالى يتمّ بغيره وكون غيره مستخدماً له، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. وذهبت الأشعرية إلى أن بمجرد الإرادة مع تساوي نسبتها يترجح أحد الطرفين من المقدور، وبذلك سدّ باب إثبات الصانع وغيره، كما لا يخفى على ذوي الألباب.

فعلم أنّ دعوى حصر الفاعل بين القسمين [ألف - ٥] إنما نشأ من غشاوة على البصيرة وعمى في القلب عن كيفية صدور الموجودات عن التدبير الأول

والقضاء المجمل، إذ ليس هناك جهة إمكانية، وليست نسبة الفاعل التام إلى إفادة الفيض وإفاضة الجود وعدمها نسبة واحدة، فهناك فعلية صرفة ووجوب محض، والإمكان والقصور من لوازم الماهيات، وذاته تعالى محض الخير والجود، والعدم والشر من نقص القوابل والمواد غير المستعدة.

وهكذا قياس تأثيرات الفواعل البسيطة؛ المطيعة لله سبحانه في أفعالها وتأثيراتها لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٥] أتى بلفظة «لو»، وهي حرف امتناع لامتناع، فالقواهر العقلية يسجدون له ويخضعون لديه ويسبحون نحوه ويطيعون أمره وينهون به ويتأسون به^(١) في أداء الخير وإفاضة الجود، لأنها من أشعة وجوده وظلال نوره، وكذا ما يتلوها من النفوس الكلية والجزئية في استتباع آثارها واستخدام قواها، إلا أن هذا المعنى في النفوس الجزئية والطباع^(٢) المنطبعة ليس على وجه التأكد والاستمرار والتشابه، لقصور جواهرها المحتاجة إلى المواد الجسمية؛ ففاعليتها كوجودها^(٣) بمشاركة المادة والوضع وبإمداد علوى، فإن وجودها المعين يصدر عن المفارق بمدخلية المادة، وأما وجود موادها وقواها عنها فبمشاركة الجوهر المفارق، وأما وجود ما يخرج من قواها من الحركات والتغيرات فبمشاركة المادة بإياها بما لها من الوضع.

فإذا تقرر هذا فنعود إلى المطلوب ونقول: إن النفس الناطقة بل كل بسيط صوري هي عين الشعور كما برهنا عليه في مقامه^(٤) وهو مما اطبق أهل الكشف عليه، ولما كانت قوى النفس من فروع ذاتها ولوازم جوهرها كان استعمالها واستخدامها لتلك القوى بحسب أصل فطرتها وذاتها، فيكون وجود القوى في أنفسها عين وجودها الإثباتي بها^(٥) [ب - ٥] فوجودها في أنفسها عين^(٦) حضورها عند^(٧) النفس ومثولها بين يديها؛ لكن يجب أن يعلم أنه بقدر فعلية وجود النفس

(١) م: ويتأسون به.

(٢) م: الطباع.

(٣) م: لوجودها.

(٤) م: مقام.

(٥) م: بها.

(٦) في النسخ: غير.

(٧) ألف: في.

وتجوهر حقيقتها يكون قاهريتها وتسألطها على القوى واستخدامها إياها، وبقدر قصور وجودها وضعفها وبُعدها عن الحق وانغمارها في البدن يكون عجزها وجهلها وموتها وتفصّي^(١) الآلات عنها.

فالوجود الفائض عن المبدأ الواهب يمز أولاً على النفس ثم على القوى المتفاوتة المراتب على الترتيب النزولي العليّ والمعلولي. ولو كانت النفس مجردة عن هذا البدن الغليظ لكان شهودها لذاتها على وجه التمام، ويكون هذا الشهود مستتباً لشهود القوى وما معها من غير قصد زائد.

بل نقول: القصد والشعور الزائدان مما يضر الفاعل الكامل في فعله والصانع الماهر في صنعه! أو لا ترى إنّ الكاتب السريع الكتابة إذا تفكر في صورة الحروف ونقوش الكتابة تعطل، وإن العوّاد الماهر إذا روى في كل نقرة غلط، وإن المغنى إذا تصوره في كل غناء ونغمة تبلّد. فللنفس أيضاً أفاعيل ذاتية لا تتوقف على قصد زائد منها وشعور، بل الحاجة إلى مؤونة الفكر وكلفة التذكر إنّما تكون في الأفاعيل التي لم تستحكم بعد مبادئ صدورها، ولم تخرج من القوة إلى الفعل، ومن الحال إلى الملكة، ومن العلم إلى العين. فالفاعل الناقص من تصور أولاً ثم فعل؛ والفاعل الكامل من فعل بذاته من غير زيادة.

[المسألة الثالثة]

إن هذه التصويرات العجيبة والتشكيلات الغريبة المشهودة في الأجسام النباتية والحيوانية ممّا يدل دلالة واضحة على أن فاعل هذه الآثار ليست قوة^(٢) عديمة العلم والشعور، ويلزم من ذلك أن لا يكون^(٣) فاعلها ومنشأها هي النفوس النباتية والحيوانية، لأنّ لا نجد من أنفسنا شعوراً بها، فبالطريق الأولى لم يكن لتلك النفوس [ألف - ٦] شعور^(٤) بها.

(١) م: متجردة.

(٢) م: قويمه.

(٣) ألف: أن يكون.

(٤) شعور - ظ.

[الجواب]

هذا هو الذي أوجب^(١) حكماء الفرس وكثيراً من الأقدمين إلى القول بوجود أرباب الأنواع^(٢) وملائكة الطباع، ونسبة صدور هذه الأمور العجيبة المستمرة المضبوطة إلى الأنوار العقلية صواب الأصنام النباتية والحيوانية. وأما نحن فلا ننكر وجود هذه الملائكة الروحانية، وكون كل منها من حقيقة نوعه المتقوم به ومع ذلك ندعي أن لكل من الطبائع الحيوانية والنباتية والجمادية علماً وشعوراً بذاتها ويلوازم ذاتها وأثارها المخصوصة بحسب حفظها من الوجود، إذ الوجود عين النور والظهور، وهو المتحد مع الصفات الكمالية الوجودية من العلم والقدرة والإرادة والحياة وغيرها، إلا أن مراتب التنزلات مما جعلته مخلوطاً بالإعدام والقوى والملكات والاستعدادات فضعت نوريته، وقُلت حكايته لصفاته الملكية، فللنبات في مرتبة تجسّمه شعور ضعيف بذاته وبحركاته وأفاعيله، فلم يكن شعوره في درجة شعور ذوي الحواس الحيوانية، فإن لكل فعل وحركة شعوراً لائقاً به، والإحساس^(٣) الحيواني لأجل الحركات الحيوانية، وكذا التخيل والروية لأجل الحركات التدبيرية والأفاعيل الفكرية، وأما الأفاعيل الذاتية فهي تنبعث من الشعور الذاتي والتسييح الفطري من الموجودات، المنطوى شهودها لذواتها في شهودها للحق الأول، وهي ذوات الساجدة للحق، المصلية الخاضعة له* المطيعة لأمره، الشاهدة المسبحة له، دائماً قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْمِعُ بِحَدِيثِهِ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿يَسْمِعُ يَلْقَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: الآية ١] وقوله: ﴿يَسْمِعُ يَلْقَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) [الجمعة: ١] وقوله: ﴿الَّذِي يَخْتَصِرُ اللَّيْلَ وَمَا فِيهَا وَالَّذِي لَا يَحِيطُ بِشَيْءٍ سِوَاهُ﴾ [الحج: ١٨] وقوله: ﴿وَالَّذِي يَخْتَصِرُ اللَّيْلَ وَمَا فِيهَا وَالَّذِي لَا يَحِيطُ بِشَيْءٍ سِوَاهُ﴾ [النور: الآية ٤١] وهذا مما لا يدركه إلا أهل الكشف والشهود بالعيان المطابق للإيمان والقرآن.

(١) ألف: دعى.

(٢) ألف: أرباب صور الأنواع.

(٣) ألف: في الإحساس.

(٤) يسبح لله... م: - وقوله يستبح... الأرض.

(٥) في النسخ: ما.

(*) م: - له.

ف فعل النبات لا يستقيم إلا بفاعل^(١) مزاوول وفاعل [ب - ٦] مفارق ينطوي وجود الأول في وجود الآخر وفعله في فعله، والمزاوول نفسه والمفارق عقله، ومبدأ نوعه رب طلسمه بلغة الإشراق؛ وكذلك لا يتم فعل تلك الملائكة المدبرة إلا بأمر رب الأرباب ومسبب الأسباب حيث شاء، كما شاء بمشيئة أزلية وإرادة سرمدية.

وأما قوله: «إنا لا نجد شعوراً من أنفسنا بها»، فلتتهم أنفسنا في هذه الغفلة العريضة بعد قيام البرهان وسطوع نور القرآن، فذلك لكثرة اشتغالنا بالأمور الخارجة عن ذاتنا، وطول عكوفنا على باب الظلمات المنسية^(٢) المذهلة لنا عن أنفسنا، وكلّ من راجع إلى ذاته يعلم هذه الجنود التي سخرها الله تعالى له بقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجنّ: الآية ١٣]. وههنا من له الذكرى والشعور بحضور كعبة قلبه المحرم وما يعكفه من جنود القوى العالية، وما يحيف^(٣) حول مسجد صدره من المتواردين عليه لحوائجهم من القوى المحركة، ولا يظنّ إنّ كل أحد من الناس مما يتيسر له مشاهدة ذاته وحضور قلبه، فإن أكثر الناس ممن ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] وإني لهم الذكرى وقد جاءهم نذير من ربهم من أنفسهم فاعرضوا عنه وتصامموا^(٤) وتعاموا، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤] ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: الآية ٢١]، وقوله: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٥]

المسألة الرابعة

تبدل الطبيعة في النطف والبذور مع بقاء القوة الفاعلية فيها يدل على أنها ليست منطبعة في مادة كل منها، وعلى هذا يلزم أن يكون كلّ من هذه القوى مثل الغذائية والنامية والمصورة أشرف من الخيال والوهم، لأنهما منطبعتان في المادة الجسمانية بالبراهين التي ذكرها الشيخ في «الشفاء» وغيرها، فكيف يكون الخيال

(١) م: لفاعل.

(٢) م: الماهية.

(٣) يطيف - ظ.

(٤) كذا، والصحيح: تصامموا.

والوهم رئيساً مخدوماً في سائر الحيوانات، كما هو مذكور في كتب الشيخين أبي نصر وأبي علي؟

[الجواب]

أما أن في المني والبذر قوة واحدة [ألف - ٧] فاعلة مستمرة من أول التكون إلى غاية النشوء، فهذا شيء لم يقل به أحد المعتبرين في الحكم، بل لعل بعضهم صرحوا بخلافه، والمرؤى عن بهمنيار التشكك وعدم الإيقان ببقاء الذات في الإنسان من أول العمر إلى آخره فكيف في غيره. وأما في الحيوانات والنباتات، فرأيت منه مراسلات إلى الشيخ ذكر فيها سائلاً إياه بقوله: «إن انعم بإتمام الكلام في إثبات شيء ثابت في سائر الحيوانات سوى الإنسان والنبات كانت المنة أعظم». فكتب الشيخ في جوابه: «إن قدرت». ثم بالغ في السؤال في ذلك عنه في رسالة أخرى، فأجاب الشيخ بقوله: «و^(١) إما الشيء الثابت في الحيوانات فلعله أقرب إلى درك البيان، ولى في «الأصول المشرقية» خوض عظيم في التشكك ثم في الكشف. وأما في النبات فالبيان فيه أصعب^(٢)، انتهى.

وأما قوله: «يدل على أنها ليست منطبعة» إلى آخره. فمجرد تبذل الطبيعة في المني ونحوه لا يدل قطعاً على بقاء^(٣) قوة غير منطبعة فيه. وههنا اشكال آخر وهو إن حركة النماء مع تبذل الصورة المنطبعة واشتراط بقاء الموضوع شخصاً في الحركة كيف يتصور؟ لكننا قد فككناه وحققنا الأمر في الحركة الكمية، ونفصّلنا عن الاشكالات الواردة على إثباتها في شرحنا للهداية الأبهريّة* بما لا مزيد عليه، ولم يسبقنا أحد فيه، فليرجع إليه من أراد إن شاء الله.

وأما قوله: «وعلى هذا يلزم أن تكون القوى الطبيعية والنباتية أشرف من الوهم والخيال»، فهذا اللزوم إن كان من جهة إن تلك القوى مجردة بخلاف هذين، فليس كذلك، لأنها غير مجردة كما سبق. وإن كان من جهة أنها مقومة لموادها فتكون صوراً جوهرية للجماد والنبات، وليس الوهم والخيال حكمهما في الإنسان حكم الصورة^(٤) المتنوعة التي تكون الماهية بما هي هي، فهذا بحث آخر

(١) م - و.

(٢) «المباحثات» ص ٥١.

(٣) ألف - بقاء.

(*) شرح الهداية الأثرية ص ٩٥ - ٩٨.

(٤) ألف: الصور.

لا يختص بهذا الموضع، والكلام فيه طويل. ونقاوه الانظار وما^(١) استقر عليه الاستبصار من أولى الاعتبار هو أن حقيقة كل نوع [ب - ٧] تركيبية إنما هي تلك الحقيقة بصورته التي هي مبدأ فصله الأخير وبها تمامه وكماله، وما سوى تلك الصور من الطبائع والكيفيات التي كانت تعدّ المادة لقبول هذه الصور المكملة فهو^(٢) في هذا النوع من التوابع^(٣) والفروع، سواء قلنا ببقاء صور العناصر في المركبات كما هو مذهب الشيخ وغيره من أتباعه، أو بخلع تلك الصور كما حكاه الشيخ عن جماعة في عصره وتبعهم سيد المحققين المدققين، قد سره.

فالقوه النامية والغاذية والمولدة مثلاً لا شك في انها مقومة للنبات، وإما في الحيوان فهي قوى غير مقومة لحيوانيتها بما هي حيوانية، بل وجود الحيوان في نشوئه وبقائه مدة وتوليد مثله يفتقر إلى استعمال هذه القوى، وربما وقفت النامية وفقدت المولدة والحيوان الحيوان^(٤)، وهكذا قياس الحس والخيال في نسبتها إلى غير الإنسان وإليه.

وبالجملة المادة إذا توجهت وانتقلت من النوع الخسيس إلى النوع الشريف تكون القوى السابقة معدّة إياها محرّكة لها إلى قبول صورة أقوى وكمال أتم يلزمه، ويتفرع عليه جميع نظائر القوى السابقة، فيفيض منه على المادة كلّ ما تقوّمت المادة واستكملت بها سابقاً من صورة النوع الخسيس وقواها مع أمور زائدة عليها، فالنفس الإنسانية يفيض منها على المادة البدنية جميع القوى الطبيعية والنباتية^(٥) والحيوانية من غير افتقارها في قوام تجوهرها إلى هذه القوى والآلات بل يستعبد لها ويستخدمها مدة بقائها الكوني لطلب الفضيلة والكمال بعد الكمال وإيراد النتائج* والأولاد والأمثال، ثم ينفصل^(٦) عن الكل ناقصة الأذيال عن غبارها^(٧) مقدسة ومطهرة مهاجرة من بيتها إلى الله تعالى راجعة إلى بارئها المهيمن المتعال، وذلك

(١) م: ما.

(٢) ألف: فهي.

(٣) م: من التوابع.

(٤) م: والحيوان حيوان.

(٥) ألف: النباتية.

(*) كذا، والظاهر: النتائج.

(٦) م: يتفضل.

(٧) م: غبارها. ألف: جارها.

إذا لم يعوّق من سفرها في بعض المنازل ولم يقطع طريقها قاطع من عدم الزاد وقلة الاستعداد كما قال ﷺ، أو افتراس سبع من القوة الغضبية، أو اختطاف شيطان من القوة الوهمية، والكل بقدرة^(١)، [ألف - ٨] [و] «اعملوا^(٢) فكلّ ميسر لما خلق له».

المسألة الخامسة

بقاء النفوس الإنسانية من غير مادة يستلزم كون النفس الإنسانية أتم وأكمل وأشرف من النفوس الفلكية بل النفس الكلية، إذ المجرد المفارق يكون لا محالة أتم وأكمل من المباشر المتعلق.

[الجواب]

هذه المسألة من أعظم المسائل الإلهية، وأبعدها مرأماً، وأعلاها رتبة، وأعصاها على القوة العاقلة تصوراً، قلّ من يهتدي إليها من الفحول، ولم يجد إليها سبيلاً إلا أهل الكشف والوصول. وإنّي منذ دهري لم أجد في وجه الأرض من له خبر عن تحقيق مسألة المعاد للنفوس الإنسانية، ولا أيضاً صادفت^(٣) في خزانة نقود الحكماء وجواهر أسرارهم منها نقداً خالصاً يسدّ الفاقة أو يقع به القنوع عن درك الحق أو يسمن ويغنى من جوع، بل ما يتبع أكثرهم إلا ظناً: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [التنجيم: الآية ٢٨].

وكننت على هذه الحالة مدة مديدة حتى وقع لي الرجوع والمعاودة إلى كتاب الله تعالى، وتدبرت في آياته تدبراً شافياً، وخضتُ في بحار معانيها وأسرارها خوضاً وافياً لنيل غورها وجواهرها لا مكتفياً بإدمان النظر إلى سواحلها وظواهرها، فوجدته بحمد الله نوراً يهتدى به في ظلمات الأرض: ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: الآية ٥٧]، ونجاة من عذاب القبور، فاطلعت بسببه من علم المعاد والنشأة الآخرة على أسرار وأغوار لا يعرف قدرها إلا علام الغيوب، وعلمت أن ليس وراء

(١) ألف: بقدرة.

(٢) في النسخ: اعملوا، وهو تصحيف، والجملة من كلام النبي (ص). كما في «المسند» لأحمد، ص ٨٢ و١٢٩.

(٣) في النسخ: صادقت.

نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به، فهداني ربي وألهمني بما فيه غنية عن سائر أفكار المتقدمين من الحكماء والمتأخرين من المتكلمين، ﴿وَقَالُوا لَنُحْمَدَهُ بِإِلَهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١)، وليس فيما ذكرته مفاخرة أو شعوف على الأقران بل تشويق إلى نبيل مثله وما هو أرفع منه، وإعلام بأن درك أسرار الآخرة لا يمكن إلا بنور النبوة، وإن نسبة عقول جماهير المتفكرين من أولى الأنظار الحكيمة وذوي الأفكار العقلية إلى [ب - ٨] هذا النور كنسبة عيون الخفافيش إلى نور الشمس.

ثم إن ما عندي من علم المعاد وكيفية حشر النفوس والأجساد لا يمكنني أن أصرح بها تصريحاً وأنص عليها نصاً بل إشارة وتلويحاً، والحق^(٢) لي أن أضن* بها لشرف قدرها وعزتها، وبُعد غورها وقصور المدارك الضعيفة عن بلوغ شأوها، واشتمزاز القلوب المريضة بداء الجهالة وحب الجاه عن سماعها، وتضررهم منها تضرر المزكوم بشمائم^(٣) الورد والعبهر، والكناسي بروايح المسك الأذفر؛ لكن أذكر ههنا لمعة من نورها وإشارة إلى شيء من مقدماتها على مقدار ما يقابل السؤال، وينحل به ما ذكره من الإشكال، إن شاء الله تعالى.

فنقول: النفوس الإنسانية منقسمة إلى ثلاثة أقسام بحسب العاقبة: العالون وهم المقربون، والمتوسطون وهم أصحاب اليمين، والنازلون في المهادى وهم أصحاب الشمال. وانقسام الناس إلى هذه الأقسام في القسمة انقسام بحسب الذات والحقيقة لا بحسب العوارض الصنفية، بل لكل من هذه الثلاثة معنى جنسي تحته أنواع كثيرة مع أن نوع البشر بحسب الخلقة يكون واحداً وأفراده متماثلة^(٤) الحقيقة مادةً وصورةً، بدنًا ونفساً ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: الآية ١١٠] وهذا من العجائب التي لا يعلمها بالبرهان إلا الراسخون، وفي القرآن آيات كثيرة في هذا المعنى مثل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: الآية ٢١٣]^(٥) فاختلّفوا،

(١) اقتباس من سورة الأعراف، ٤٣.

(٢) م: لحن.

(*) أضن: أبخل، م: أظن.

(٣) م: بنسائم.

(٤) م: مماثلة.

(٥) ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۖ﴾ [الزلزلة: الآية ٦] ^(١)
 وقوله: ﴿وَأَمْتَرُوا الْقَوْمَ عَلَى الْقَرَارِ ۚ﴾ [يس: الآية ٥٩] ، وقوله في صفة
 المشركين وكفرة أهل الكتاب: ﴿أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: الآية ٦] وفي صفة
 المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: الآية ٧] ، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ
 أُمَّةٍ قَوْمًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ يُرْعَوْنَ ۚ﴾ [النمل: الآية ٨٣] ، وقوله في حق
 بعض النفوس: ﴿فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ ۚ﴾ [النمل: الآية ٨٥] ، وقوله: ﴿هل يستوى الذين
 يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] . فقولته بعد ذكر تقسيم للنبات والجماد
 [الف - ٩]: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ خُلُقَاتٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
 مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ﴾ [فاطر: الآية ٢٨] ، وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۚ وَلَا
 الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۚ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۚ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ﴾
 [فاطر: الآية ٢١] إلى غير ذلك مما لا يحصى .

فعلم إن الطبيعة الإنسانية فيها قوة أنواع كثيرة من الملائكة والشياطين والسباع
 والبهائم ثم تتصور في القيامة بصورة ما يغلب عليه* خلقه وملكته واعتقاده لأجل
 تكرار الأفاعيل وتقرر الأشواق والنيات الحاصلة منه المناسبة لذلك النوع، وإليه
 أشير بقوله ﷺ: «يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى صُورِ نِيَاتِهِمْ» ^(٢) ، وقوله: «يُخْشَرُ بَعْضُ النَّاسِ
 عَلَى صُورِ يَخْسُنُ عِنْدَهَا الْفِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ» ، وهذا هو التناسخ بالحقيقة، ما من
 مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ، وهو على غير هذا الوجه باطل مستحيل، ولنا
 في إبطاله برهان عرشي .

وأما على هذا الوجه أي بحسب الباطن فهو حق كما نص عليه القرآن والخبر،
 وإليه الإشارة بقوله تعالى في حق بلعم بن باعور: ﴿فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾
 [الأعراف: الآية ١٧٥] ، ﴿فَتَلَّهِمُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٦] ، وقوله في
 فسقة أهل الكتاب وكفرتهم: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠] هذا
 بحسب غلبة القوة الشهوية والغضبية فيهم: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] هذا

(١) في النسخ: يوم يصدر...

(*) كذا، وما بعده في الضمائر.

(٢) «المسند» لأحمد، ج ٢، ص ٣٩٢.

بحسب غواية القوة الوهمية، ولذا قال: ﴿أَوَلَيْكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَصْلٌ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِذَى يُبَقِّى يَأْ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَيْنَهُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٧١]. وقد رأى رسول الله ﷺ في رؤية الباطن عياناً إن قوماً من بني أمية ينزون* منبره نزو القردة، فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّثْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: الآية ٦٠] - الآية.

فنعود إلى ما كنا بصدده ونقول: إما العالون المقربون وهم الكاملون في العلم والعمل، فهم أصحاب المعارج، المتجردون بالكلية عن الأجسام وعوارضها والبرازخ ولوازمها، المنخرطون في سلك الملائكة العليين [ب - ٩] لفنائهم عن ذواتهم وبقائهم بالحق وعدم التفاتهم إلى ما سواه، فهم أجَلٌ قدراً من ملائكة الأفلاك ونفوس الأملاك.

وأما الإشكال الذي ذكره في صيرورة نفس الإنسانية^(١) أجَلٌ مرتبة وأعظم قدراً من النفوس الكلية^(٢) الفلكية، وأقرب منزلة إلى الحق الأول منها بعد أن نزلت منها في أول تكوّنها، فإنها صادرة عنه تعالى بهذه الوسائط، فكيف يكون المعلول أشرف من العلل؟ فإنما تنحل وتفكّ عقدته بأن النفوس الفلكية كانت مبدعة في أول نشأتها إلى أكمل حالها، لفعلية جواهرها، وتمامية صورها، وصفاء قوايلها، وعدم ورود الأضداد عليها، فليس لها الارتحال إلى درجة أخرى فوق ما هي عليها، بل كلّ له^(٣) مقام معلوم، إذ ليس حصولها من الجهات القابلة وحركاتها الاستعدادية الارتحالية من حال إلى حال، هي بحسب جواهرها صادرة عن الحق الأول بجهات فاعلية، وكلّ نوع منها منحصر في شخصه لتمامية الشخص، وكون الشخص فيه لازماً للنوعية، وإنما الحاجة إلى المادة فيها لقبول بعض أعراضها المتجددة كالأوضاع المختلفة وهي أيسر عرض وأدنى غرض. فجبهة القوة الاستعدادية فيها ليست لأجل جواهرها وكيفياتها ولوازمها القارة وكمياتها وأشكالها، فإنها حاصلة لها منذ أول فطرتها من غير مهلة واستعداد، وإنما هي لها في أمور

(*) في النسخ: يزوون.

(١) كذا، وفي ألف: نفس إنسانية.

(٢) ألف: الكلية.

(٣) كذاه والظاهر: لها.

منها يجري مجرى النسب والأوضاع، والنسبة من أخس الأعراض. فوجودها ليس بحسب التكون والتولد من صورة أولى^(١)، وعدمها أيضاً ليس بحسب الفساد إلى صورة أخرى، بل وجودها أيس من ليس مطلق بحسب ماهياتها، وزوالها ليس من أيس مطلق.

وأما الإنسان فقد مضى عليه برهة من الزمان لم يكن شيئاً محصلاً، ثم شرع في التكون في ضعف إلى قوة، ومن عجز إلى قدرة، لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝﴾ [الإنسان: الآية ١] [ألف - ١٠] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ۝﴾ [الإنسان: الآية ٣]. وهكذا يتدرج في الكمال عقيب كل فناء وزوال، ويتطور من حال إلى حال حتى يبلغ غاية الكمال، وذلك لتلاحق الاستعدادات بحسب توارد المعقبات. والسبب فيه في كل مرتبة غلبة جهة القبول والافتقار عليه والعجز والانكسار منه، فإن صيرورة الشيء تماماً في نوعه تمنعه^(٢) عن المزيد، فما دام الشيء في مقام العبودية والحاجة ترد عليه الواردات القيومية والخلع النورية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٢٨]. وليس لغيره من الموجودات ضعف الخلقة كما هو له، لأنه مسافر من مسقط رأسه إلى باب ربه، والحركة توسط ما بين المبدأ والمنتهى، والمتحرك ما دام كونه متحركاً له حالة بين صرافة القوة ومحوضة الفعل، لأن لكل^(٣) واحد من الموجودات صورة تامة يقف عندها، وله حدّ معين ومقام معلوم بخلاف صورته المتكونة من ماء مهين، وبهذا الضعف يستعد هو خاصة من بين سائر الموجودات لتحمل الأمانة المشار إليها في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] [وَالْمَلَائِكُ] [الحج: الآية ١٨] [فَأَيُّكُمْ أَن يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] [الأحزاب: الآية ٧٢]^(٤).

بار وجود خویش نتابد دلم ز ضعف لیکن ز بار عشق کشیدن ضعیف نیست

(١) ألف: أدنى.

(٢) م: بمنعه، ألف: يمنعه.

(٣) ألف: ولكل.

(٤) «الجبال» ساقط من النسخ.

فإن تلك الأمانة عبارة عن قبول الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سُمي بالأمانة، لأنه من صفات الحق فلا يتملكه أحد، وقد اختص لقبول هذا النور الإنسان وإن كان عرضه عاماً على الجميع، كما أشير إليه في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ فَقَدْ اهْتَدَى»^(١). فكل روح أصابه رشاش نور الله^(٢) صار مستعداً لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة، فكان عرض الفيض عاماً على المخلوقات، وحمل الفيض خاصاً بالإنسان الكامل، وبذلك النور صَحَّ له الخلافة الإلهية المختصة به من بين المخلوقات [ب - ١٠]. ولما لم يكن غيره من نفوس السماوات وأرواح الأرضين وملائكة الجبال منوراً برشاش نور الله^(٣) ما عرفوه حق المعرفة، فما كانوا مخصوصين بحمل الأمانة، ولم تكن لهم راحلة تحملها بقوة نفسه البهيمية، فما قصدوا، وعلموا^(٤) خطر حملها: «فَأَبَيَّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا» [الأحزاب: ٧٢]. وأشير بقوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [الأحزاب: ٧٢]. على صيغة المبالغة، إن الظالم من يظلم غيره، والظلوم من يظلم نفسه، والجاهل من يجهل غيره، والجهول من يجهل نفسه.

فأما ظلم الإنسان على نفسه فبحمل الأمانة الإلهية حيث وضع شيئاً في غير موضعه فأنسى نفسه فيها، أو لا ترى أنَّ آدم ﷺ لما زَلَّتْ قدمه من ثقل هذه الأمانة قال: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» [الأعراف: الآية ٢٣] أي بحمل الأمانة الثقيلة «وإنما اجتبه ربه فتاب عليه» بعد أن زَلَّتْ قدمه، لأنه لو لم يحملها لكانت الحكمة في عرضها مفقودة، ولكان العرض عبثاً، فغاية العرض ليس إلا الحمل، وجلّ جناب الإلهي عن أن يقع فعل من أفعاله عبثاً بلا غاية، فأدم ﷺ إنما ظلم نفسه بحمل الأمانة تاركاً لحظوظ نفسه مراعيّاً لحقوق الحق لئلا يقع عرض الأمانة من الله عبثاً، وأبى المخلوقات أن يحملنها لحظوظ أنفسهم، فلا جرم قَدَّمَ الله^(٥) على الملائكة وأمرهم بسجوده لظلمه على نفسه إثارةً لربه.

وأما جهله بنفسه فلأنه يحسب أنَّ نفسه هذه القوة البهيمية التي تشرب وتأكّل

(١) «الجامع الصغير» ج ١، ص ٩٦.

(٢) م: نورانية.

(٣) ألف: مما قعدوا واعلموا.

(٤) كذا.

(٥) قَدَّمَ الله - ظ.

وتنكح، وما علم أن هذه الصورة الحيوانية هي قشرة، ولها لب هو روحها، وله لب هو محبوب الحق كما قال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾. فمن أحب غير الله جهل نفسه وسفه ورغب عن ملة إبراهيم ﷺ وهي مقام الخلّة، ومن عبر عن قشره ووصل إلى لبّه الذي هو محب الحق ومحبيه^(١) فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربّه بعرفان لا يشرك^(٢) معه.

فعلم مما ذكر أن سبب ارتقاء الإنسان من طور إلى طور هو اشتماله على جهتي موت وحياة، وضعف وقوة، ونقص وكمال، وبقاء وزوال، وله روح حيواني فإن، وروح ملكي باقي، فبأحدهما [ألف - ١١] يقبل الموت والفناء، وبالأخر يقبل الحياة والبقاء. وليس لغيره هذه الخاصة، إذ الحيوانات اللحمية حية بروح فانية، والملائكة حية بروح باقية، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْكُمْ الْبَرِّ وَالْعَظِيمَ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٤] [من] ﴿بَعْدَ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الرُّوم: الآية ٥٤]^(٣). فالضعف أصله، ثم جعل له قوة عارضة، ثم رده إلى أصله من الضعف وهو الشيبة، فهذا الضعف الأخير إنما أعده لإقامة النشأة الأخيرة كما قامت النشأة الأولى على الضعف الأول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٦٢]، أي النشأة الثانية، وقد ذكرها المولوي المعنوي في «المثنوى»:

از جمادی مُردم ونامی شدم از نما مُردم ز حیوان سر زدم
إلى آخر هذه الأبيات. ولأمر ما وقع في القرآن تكرر ذكر خلقه الإنسان وكيفية ابتداء نشأته أولاً من فقدان والسيان وهو أبلغ في العدم حيث مضت عليه أزمنة لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم من التراب الممتزج والطين اللزج والحما المسنون، ثم من ماء مهين متردداً في أطوار الخلقة أياماً أربعين، ثم من علقه ثم من مضغة ثم من عظام، فيصير جنيناً في بطن أمه في ظلمات ثلاث، يتغذى بدم الحيض وهو أذى: ﴿فَاعْبَرُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٢]^(٤)، حتى يتولد، ثم يتغذى

(١) م: فمن أحب... محبوبه.

(٢) لا شرك معه.

(٣) «من» ساقط من النسخ.

(٤) الأولى الاستشهاد بالشرط الأول من الآية: يسألونك عن المحيض قل هو أذى.

بلين حاصل من بين فرث ودم، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيََكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: الآية ٦٧] ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [التحل: الآية ٧٠] .

كل ذلك لثلاث ينسى نفسه، ولم يذهل عن افتقاره الذاتي وإمكانه الأصلي وقصوره الاستعدادي، ولا يحجبه شيء من هذه المراتب عن ملاحظة العبودية والافتقار إلى عزيز^(١) الجبار مثل ما يحجبه بلوغ الأشد الصوري، واحتجابه بالقوى النفساني عند ذلك، وهو الذي يقيد بها نفسه ويبعدها عن سفر الآخرة فيحتاج إلى توفيق إلهي وجذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقليين، لأن النفس حينئذ منغمسة في البدن [ب - ١١] مستعملة للطبيعة في إصلاح البدن، ذاهلاً عن موطنها الأصلي.

ومما ينبته على ما ادعيته إن الإنسان بحسب الحيوانية أضعف من سائر الحيوانات لأنها مكثفة في ملبسها ومسكنها ومأكلها بما يجري مجرى الأمور الطبيعية، بخلاف الإنسان حيث يحتاج في كل منها إلى ملحقات وضمان وقشور تصونها عن الآفات، ولا توجد إلا بمعاونة أعداد كثيرة من غيره، فهو من حيوانيته شبيه بها^(٢) بالقوة، وإنما يستخر له الدواب والأنعام وغيرها بقوة أخرى عقلية لا حيوانية، وإنما كان هكذا لتلازم ذاته الافتقار والذلة والحاجة إلى خالقه الذي تهتئ له الأسباب بالاضطرار، ومع هذا يذهل عن منبته وأصله بما عرض له من القوة التدبيرية، ويقول إنا، ويمنى نفسه بمقابلة الأهوال ومقاتلة الأبطال، فإذا قرصه برغوث أظهر الجزع لوجود الألم، ويزاله^(٣) عن موضعه أدنى مولم، ولا يأخذه نوم، فأين تلك الدعوى وقد فضحه قرصة برغوث أو بعوضة!

وهذا أصله ليعلم أن اقدامه على الأمور العظيمة إنما هو بغيره لا بذاته كما قال: ﴿وَأَيَّدْتَهُ﴾ [البقرة: الآية ٨٧] . ولهذا شرع في كل ركعة: ﴿وَإِنَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥] ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فهذا بيان معاد

(١) العزيز - ط.

(٢) ألف: بما

(٣) ألف: زاله.

النفوس^(١) الكاملين في العلم والعمل، وكيفية رجوعهم إلى الحق ورجوعهم إليه، وحل الإشكال الوارد على تجردهم غاية التجرد وبراءتهم عن^(٢) الخلق غاية البراءة.

وأما أحوال النفوس المتوسطة والسافلة ففي معرفتها بحسب العقابة أيضاً صعوبة شديدة، إذ ليس لها درجة التجرد عن التعلق بالمواد بالكلية حتى تنخرط في سلك المفارقات العقلية، ولم يجز تعلقها بجرم آخر عنصري لإستحالة التناسخ، ولا بجرم فلكي كما زعمه الحكماء لما ستقف على إستحالاته، والأجسام منحصرة في هذين، ولنورد أحوال هذه النفوس حسب اختلاف أقسامها في مباحث خمسة:

الأول: في النفوس الساذجة.

والثاني: في النفوس العامة السليمة.

والثالث: في النفوس [ألف - ١٢] الشقية بحسب الجزء النظري.

الرابع: في نفوس الفسقة المعتادة بالشهوات بحسب جزئها العملي.

الخامس: في النفوس المتوسطة ومراتبها.

المبحث الأول: في النفوس التي لم تتصور بعد بالصور العقلية التي بها تقوم بالفعل جوهرأ روحانياً مستقلاً، فقد اختلفت الحكماء في قوامها دون البدن، فحكم بعضهم انها تفسد بفساد البدن، وهو رأى الإسكندر الافروديسي من تلامذة أرسطاطاليس الفيلسوف ومفسري كلامه، فإنه كان يرى إن هذه القوة الهولانية تبطل ببطلان البدن قبل استكمالها عقلاً بالفعل، وعليه يأول قول الفيلسوف^(٣) الأول. وأما ثامسطيوس فإنه يخالفه في هذا الظن، ويرى إن هذه القوة باقية أبداً، وعليه بأول قول الفيلسوف وهو القول الصحيح، وعليه اعتمد المتأخرون من حكماء الإسلام، وهو المطابق للشريعة الحقّة.

وكل من رأى من الحكماء كالشيخ الرئيس ومن في طبقته إن هذه القوة باقية رأى أنها سعيدة سعادة مّا، مستدلّين إن هذه القوة بذاتها مستعدة لقبول المعقولات

(١) نفوس - ظ.

(٢) م: غاية.

(٣) ألف: فيلسوف.

الأولية من الفيض الإلهي من غير حاجة إلى البدن وقواه وغيرها، وإنما كان يمنعها^(١) أول ما يقع من^(٢) الجسم الإنساني عجز الجسم^(٣) وقصوره عن التهيؤ لذلك لكونه غير مستحکم التركيب بعد، فإذا زال هذا المعنى سواء كانت في الجسم أو مباينة له وقعت فيها صور المعقولات الأولية، والتذت بذلك على حسب النيل، ولم تتمكّن من نيل المعقولات الثانية، لأنها محتاجة في ذلك إلى تقديم الحواس الباطنة والظاهرة واستعمال القياسات والبراهين، ولن تستعد لذلك إلا في الجسم الإنساني، فإذا ن هذه اللذات التي تنالها وإن كانت قليلة بحسب النيل فهي لذة ما وحالة عريّة عن الألم لأجل عدم المعاني المؤلمة، فهذه الحالة لا عريّة عن اللذة بالإطلاق، ولا نائلة لها بالإطلاق، ولذلك قيل: إن نفوس الأطفال [ب - ١٢] بين الجنة والنار.

هذا رأي الحكماء في النفوس الساذجة، وبناءه على عدم اطلاعهم لوجود عالم آخر بين العالمين ونشأة بين النشأتين وذولهم عن أنّ سعادة المتوسطين - وهم أكثر الناس - ليست بمشاهدة العقليات الصرفة وإن التجرد عن هذه الدنيا، والقوى المدركة لها لا يستلزم التجرد عن البدن الأخرى وقواه وآلاته. ثم ليت شعري أي لذة وسعادة في إدراك العمومات الأولية مثل «الكل أعظم من الجزء» و«النفى والإثبات لا يجتمعان»، بل السعادة إن كانت عقلية ففي إدراك الوجودات العقلية وهوياتها ونيل ذواتها لا إدراك مفهوماتها الكلية وماهياتها الذهنية، وإن كانت بدنية فبمشاهدة الحسيات ومشتبهات^(٤) لا بتصور مفهومها في العقل فقط، وكذا سعادة كل قوة بإدراك وجود يناسبها. فسعادة النفوس الساذجة بحسب ما تلائم جواهر نفوسها وتناسب وجودها، والوجود العيني سيصحب للخير العيني.

المبحث الثاني: في نفوس العوام وغيرها. إنّ النفوس العامية الضعيفة لم تكن تكتسب شوقاً إلى الكمال العلمي ولا متدّساً بالأخلاق الذميمة وملكة الصفات الحيوانية، وكذا من يجري مجراها من نفوس النسوان والمجانين وضعفاء العقول،

(١) في - ظ.

(٢) م: لمنعها. ألف: يمنعها.

(٣) م: + لها.

(٤) في النسخ: مشتبهات.

فلهم سعادة كسعادة الأطفال أو أقوى منها، فالقول فيها كالقول في نفوس الأطفال من أن لهم سعادة تليق بقواها الموجودة فيهم، ولذلك قيل: «أكثر أهل الجنة البله».

المبحث الثالث: في الجاحدين للحق. وأما النفوس التي كانت عارفة بشأن العقائد مشتاقة إلى نيل الكمالات التي تكون للعلماء ومعتمدة منها عقائد وهمية فاسدة وظنوناً غير صحيحة، أو صحيحة لكن حصولها على جهة التخمين والجزاف غير مستفيدة إياها على طريقة البرهان ولا سالكة فيها مسلك العرفان، فإذا فارقت البدن وتطلب الأوهام والظنون وبقيت مجردة عن الكمال مكتسبة شوقاً إليه [الف - ١٣] وقد زالت العوائق الملهية والشواغل المنسية عادت إلى الشوق الطبيعي لكمالها، لأنها كانت عرفت انتبه وأتى لها به وقد انفسخت العقائد الوهمية ولا سبيل إلى طلب الكمال لاضمحلال الآلات والقوى الفكرية؟ فهي أبداً متشوقة إلى الكمال وغير نائلة له^(١) في حال، فهي مريضة القلب، سقيمة الذات، مأوفة^(٢) في جوهرها صمّاً عمياً في سمعها وبصرها، لأقرار لها ولا راحة أبد الأبدین ودهر الداهرين إلا ما شاء الله، مشتاقة إلى حالتها الأولى والعود إلى الدنيا لطلب سعادة الآخرة والمنزلة العليا كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِي ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ [المؤمنون: الآية ٩٩، ١٠٠]. نعوذ بالله من هذه الحالة.

المبحث الرابع: في الفسقة والفجّار. وأما النفوس الطائعة للقوى البدنية في أفعالها الخبيثة وقد صارت كثيرة الشوق إلى الدنيا وشهواتها، عاشقة للجاه والترفع فيها والرياسة على الأقران، فإنها إذا فارقت البدن نزعت إليها وإلى استعمال القوى التي بها كانت تنال الشهوة والرياسة والإخلاق إلى الأرض، وأتى يكون لها، وقد بطلت القوى والآلات وحيل بينها وبين الشهوات؟ كقوله^(٣) تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤]، فهي ذلك^(٤) حليفة غصة وعذاب أليم، ورفيقة فجيعية ومحنة وغم، إلا إن هذا الخطب أهون من عذاب الجهل المضاد للعلم،

(١) ألف: منه.

(٢) أي فاسدة؛ من الآفة. وفي م: مأوفة.

(٣) لقوله - ط.

(٤) كذا.

لأن العادات قابلة للزوال بخلاف العقائد الراسخة، ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٢] .

ونسبة هذه الشقاوة إلى تلك الشقاوة كنسبة السعادة التي بإزائها إلى السعادة العلمية. فالجاهل بحقائق الدين الجاحد للحق، له الشقاوة العظمى والنار الكبرى وعذاب الاحتجاب والاحتراق بألم نار الفراق، ﴿ثَارَ اللَّهُ الْوَقْدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: الآية ٧، ٦] . والفاسق الحريص الشهوات عذابه دون العذاب الأكبر. وكيفية شقاوة هؤلاء يعلم بما يقابله^(١) من سعادة المتوسطين.

المبحث الخامس [ب - ١٣]: في نفوس المتوسطين وهم الكاملون في العمل دون العلم أو المتوسطون فيهما جميعاً. فأما الكاملون في العمل كالزهاد والعباد فهم أصحاب اليمين، وسعادتهم دون سعادة العلماء البالغين، ذوى ملكات شريفة وهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: الآية ١٠، ١١] . وقد يخالط لذات المتوسطين شوب من لذات المقربين بقدر تفتنهم بالعلوم الحقيقية، كما أشير إليه حيث قال الله تعالى في الأبرار: إنه ﴿مِنْ رَّحِيْقٍ﴾ [المطففين: ٢٥]، ﴿وَرَمَاهُمْ مِنْ تَنْزِيمٍ﴾ [٢٧] عِنَّا يَتَرَبَّطُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٧، ٢٨] ، وأولئك من أهل العروج إلى مشاهدة الحق الأول. وأما الأبرار فيتلذذون بصورة سيأتي ذكرها.

وأما أهل التوسط في العلم والعمل جميعاً، فتستفاد أحوالهم من أحوال ذوى الأطراف، فلهم مقامات بحسب العلم والعمل، ولهم بحسب زلاتهم^(٢) توقف في المواقف أو إنتظار في الحساب والسؤال حتى يلحقوا إلى سعادة أحد الفريقين.

وأما كيفية سعادة أهل اليمين، فالحكماء عن آخرهم لم يتيسر لهم الاطلاع على أحوال سعداء^(٣) الذين لم ينقطع لهم التعلق بجرم من الاجرام، وكذا الاشقياء الذين كانوا بإزائهم، فطائفة منهم اضطروا إلى القول بأن نفوس البله

(١) م: لا يقابله.

(٢) في النسخ: دون.

(٣) كذا، وفي ألف: ذلاتهم، والظاهر أن الصواب: زلاتهم.

(٣) السعداء - ظ.

والصلحاء والزهاد تتعلق في الهواء بجرم مركب من بخار ودخان يكون موضوعاً لتخيلاتهم لتحصل لهم سعادة وهمية، وكذلك لبعض الأشقياء تكون فيه شقاوة وهمية.

وطائفة أخرى زيفوا هذا القول بأن ما هو منه في الهواء لا يبقى فيه اعتدال يقبل به نفساً لتحرك الهواء السحابي بأدنى سبب وما هو منه قريباً من كرة الأثير فتحيله بسرعة إلى جوهرها. وإن كان دونه في الهواء فأما أن يتخلخل^(١) بحر أو يتكاثف ببرد، فينزل^(٢) وليس فيه جرم محيط يغلب عليه اليبس لحفظ عن التبدد ويصدّ غيره من الامتزاج معه، ويتعين فيه ما هو محل التخيل متشكلاً كجواهر الدماغ، إذ لا بد من جوهر ذي يبوسة للحفظ، ورطوبة للقبول. وصوبوا القول بكون جرم من الأجرام السماوية موضوعاً لتخيلات طوائف من السعداء والأشقياء، لأنهم [ألف - ١٤] لم يتصور لهم العالم العقلي، ولم تنقطع علاقتهم عن الاجرام، وهم بعد بالقوة التي احتاجت النفس بها إلى علاقة البدن.

والشيخ الرئيس نقل هذا الرأي من بعض العلماء، والظاهر أنه أبو نصر الفارابي، ووصفه بأنه قول من لا يجازف في الكلام، واستحسنه؛ وكذا صاحب «التلويحات» صوّب هذا الرأي في غير الأشقياء، وأما الأشقياء فليس لهم عنده قوة الارتقاء إلى عالم السماء ذوات نفوس نورانية وأجسام شريفة، والقوة تحوجهم إلى التخيل الجرمي. فذكر أنه ليس بممتنع أن يكون تحت فلك القمر وفوق كرة النار جرم كروي غير منخرق هو نوع بنفسه ويكون برزخاً بين العالم الأثيري والعنصري موضوعاً لتخيلاتهم، فيتخيلون من أعمالهم السيئة مثلاً خيالية من نيران، وحيات تلسع، وعقارب تلدغ^(٣)، وزقّوم يشرب، وغير ذلك. وقال تأكيداً لهذا الرأي: «إني^(٤) لست أشك^(٥) لما اشتغلت^(٦) به من الرياضات أنّ الجهال والفجرة لو

(١) في النسخ: يتخلّل.

(٢) م: فنزل.

(٣) في النسخ: تلذع.

(٤) «أسفار» - أئى.

(٥) في النسخ: أنبتك.

(٦) في النسخ: استعملت.

تجردوا عن قوة جرمية مذكرة لأحوالهم، مستتعبة لملكاتهم وجهالاتهم، مخصصة لتصوراتهم^(١) نحو^(٢) إلى^(٣) الروح الأكبر^(٤) انتهى.

وأتى لأتعجب من هؤلاء الأفاضل المشهورين بالحكمة والمعرفة كيف تحيروا واضطربوا في أمر المعاد حتى رضيت أنفسهم هذا القول السخيف، إذ لا يخفى على الرجل المتدرب في الصنائع الحكيمة ان كون جسم سماوي أو عنصري موضوعاً لتخيّل نفس إنسانية أو مرآة لمشاهدتها صور الأشياء لا يستتمّ إلا بأن تكون لها معه علاقة ذاتية أو وضعية^(٥) بتوسط ما هو لها معه تلك العلاقة الذاتية، والعلاقة الذاتية التي^(٦) تتصور لجوهر نفساني صوري مع جرم تام الصورة الكمالية غير عنصري لا يمكن أن يتصرف فيه متصرف بالتحريك والتصوير إلا صورته الحاصلة لها^(٧) بالإبداع لا من جهة الهيئة والاستعداد، وأي جسم موضوعاً لتخيّل نفس من النفوس فلا بدّ وأن يكون بسببه يخرج كمالات تلك النفس من القوة إلى الفعل في الحركات المناسبة للتخيّلات، والفلك لا يتحرك إلا حركة واحدة متشابهة وضعية حسب حركاته النفسانية [ب - ١٤] من جهة مدبر نفساني متشبه في تحريكاته بجوهر^(٨) عقلي كامل بالفعل وإلا لم يكن لتعلّقها به فائدة، وذلك بأن تتصرف النفس في مادته ويحركها ويخرجها من القوة إلى الفعل^(٩).

وبالجملة لا بد من أن يكون ذلك الجسم في تصرف النفس بوجه من الوجوه، وأقلّه كما يكون للمرايا التي لها علاقة وضعية بالنسبة إلى المادة البدنية الموضوعية لأفاعيل النفس وانفعالاتها؛ فإنك إذا أردت أن ترى صورة في مرآة فلا بد حينئذ أن تكون لتلك المرأة علاقة وضعية مع عينك التي هي أيضاً مرآة في تصرف

(١) ألف: لتصوراتهم.

(٢) في «الأسفار»: نحواً.

(٣) ألف: من.

(٤) قارن: «الأسفار» ج ٩/ ٤١.

(٥) م: وصفية.

(٦) م: أتى.

(٧) له - ذا.

(٨) ألف: كجوهر.

(٩) م: وإلا لم يكن... الفعل.

نفسك بعلاقة^(١) طبيعية. وليس الجرم الفلكي وما يجري مجراه بالقياس إلى النفس المجردة كإحدى هاتين المرأتين، لأن السماويات عندهم ليست مطيعة إلا لمبادئها الأولى وهي ملائكة السماويات بأمر ربها، ولا قابلة للتأثيرات الغريبة القسرية، وليست لهذه النفوس المفارقة عن هذه الأبدان أبدان أخرى على زعمهم حتى تكون لأبدانها بالنسبة إلى تلك العلويات علاقة وضعية لتكون هي لها المرأة^(٢) الخارجية حتى تشاهد ما فيها من الأشباح الخيالية.

ثم على تجويز كونها مرائي فرضاً فإنما يكون المثل المرتسمة فيها هي تخيلات الأفلاك وما في حكمها لا تخيلات هذه النفوس المفارقة عن الأبدان، لأن تخيلاتها غير تخيلات هذه، فكيف يحكمون بأن تلك الصور مما يتلذذ به السعداء أو يتعذب به الأشقياء.

ثم إن من المعلوم المقرر كما أومأنا إليه إن علاقة الجوهر الروحاني بجرم لا تكون إلا لنسبة طبيعية بينهما، فإية^(٣) نسبة حدثت بينهما^(٤) بالموت أوجبت اختصاصه وانجذابه من عالمه إليه دون غيره^(٥) من الأجرام، بل إلى حيثه دون سائر الأحياء من نوع ذلك الجرم.

ثم إن الأشقياء لا يتعذبون على ما اعترفوا به إلا بالصور المؤلمة التي^(٦) هي هياتهم الردية وتخيلاتهم المردية وعقائدهم الباطلة الحاصلة من أوهامهم الخبيثة الفاسدة دون الصورة النقية المطابقة لما هو الواقع في نفس الأمر، وذلك لأن الكائن في القابل الذي في غاية الخلو كالأجرام العالية من الفاعل الذي في غاية الشرف والبهاء كالمبادئ العقلية لا يكون من العلوم إلا أموراً مطابقة لما هي عليه الأمر في نفسه، فلا يستتم ما قالوه ولا يستقيم ما تصوره من كون جرم فلكي مما يتعذب به الأشقياء [و] كما لم يجز ذلك في الجرم الفلكي، فكذلك لا تصح في

(١) ألف: لعلاقة.

(٢) في النسخ: لمرأة.

(٣) ألف: فإية، م: إن.

(٤) م: منها.

(٥) ألف: غيرها.

(٦) م: التي.

جرم إبداعي^(١) غير منخرق منحصر نوعه في شخصه^(٢)، لأنه كما تصوره لا بد أن تكون له طبيعة خامسة - كالأفلاك - ممتنع^(٣) عليه الحركة المستقيمة، فيكون حكمه حكمها في دوام استدارة الحركات وإخراج الأوضاع والكمالات من القوة إلى الفعل على رأيهم سواء سُمى باسم الفلك أم لا، ولعل عدد نفوس الأشقياء غير متناه فكيف يكون جرم دخاني متناه [ألف - ١٥] موضوعاً لتصرفاتها وتصوراتها الإدراكية غير المتناهية، إذ لا أمكن^(٤) من أن يكون فيه بإزاء كل تعلق من نفس به أو لحصول صورة فيه قوة واستعداد خاص مخالف لاستعداد حصول نفس أو صورة أخرى بالفعل، فيلزم أن يكون في جرم واحد استعدادات غير متناهية مجتمعة، وذلك معلوم الفساد. وهذا ما أذت إليه^(٥) أفكار الحكماء، وليس المخلص منه إلا بالتشبه بأذيال الأنبياء، كما قيل:

فكر بهبود خود ای دل زدر دیگر کن درد عاشق نشود به بمداوی حکیم

تخلص قدسي

فألحق أن الصور التي يستلذها السعداء والتي يشقى بها الأشقياء ليست هي تصورات الأفلاك وما في حكمها، بل هي مما أعدت لهما في دار أخرى وصقع آخر كما وعداها الشريعة الإلهية، ولهم أبدان أخرى متنااسبة^(٦) لنفوسهم بهيئاتها وأخلاقها، وإنما تضاهي^(٧) تلك الأبدان والصور نفوس هاتين الطائفتين بضرب من الفعل والتأثير، كما أن المرائي مظاهر الصور التي يقع فيها بضرب من القبول للأثر، ولا منافاة بين صدور الفعل عن قوة بجهة وانفعالها عنه^(٨) بجهة أخرى، كما أن الصحة والمرض في هذه الدار تنشآن من النفس في البدن، كما هو التحقيق

(١) م: أبدأ عن.

(٢) م: تشخصه.

(٣) ألف: يمتنع.

(٤) كذا، والظاهر: لا يمكن.

(٥) ألف: أذت به.

(٦) ألف: مناسبة.

(٧) يمكن أن يقرأ «يظاھر».

(٨) م: فيه.

بواسطة سبق حركات وأفعال تغير^(١) المزاج، ثم تنفعل النفس منهما ويكون من أحدهما في راحة ومن الأخرى في تعب ومشقة، وذلك لكونها ذات جهتين قوة وفعل، وكمال ونقص، يفعل بإحدهما وينفعل بالأخرى.

وهكذا يكون حالها في الآخرة بحسب سابقة فعل الطاعات والحسنات أو اقتراف المعاصي والسيئات المؤديتين إلى الصور الحسنة والقبیحة عند تجسم الأعمال وتصور الأعمال، فيتنعم^(٢) بها أو يتعذب منها. وهاتان الجهتان لم تزالا موجودتين في النفس ما لم تصر عقلاً بسيطاً صرفاً يكون علاماً وفعلاً بجهة واحدة لما ثبت أن «عنه» و«فيه» في البسيط المحض شيء واحد.

فقد لاح من هذا أن جميع ما يلحق النفس في الدار الآخرة صور أعمالها وأفعالها، وظهر بطلان قول هؤلاء المتشبهين بأذيال أفكار الفلاسفة، الواقفين عن الارتقاء إلى ذروة قدس الملة المصطفوية وأوج عرفان الحكمة المحمدية - على الصادع بها وآله أذكى الصلوات الأبدية، وأطيب التقديسات السرمدية - . وهذا الذي أومأنا إليه ههنا لمعة يسيرة مما آنست به من جانب الطور الأيمن نار^(٣) قدماً^(٤) خرجت النفس مهاجرة إليه من بيت أهلها أطواراً. وتماهما تطلب بالمراجعة إلى الأصل، واللّه يهدي إلى الحق، وييده مقاليد الوصل والفصل، والسلام على من اتبع الهدى، ونهى النفس عن الهوى^(٥).

(١) م: لغير.

(٢) في النسخ: فيتنعم.

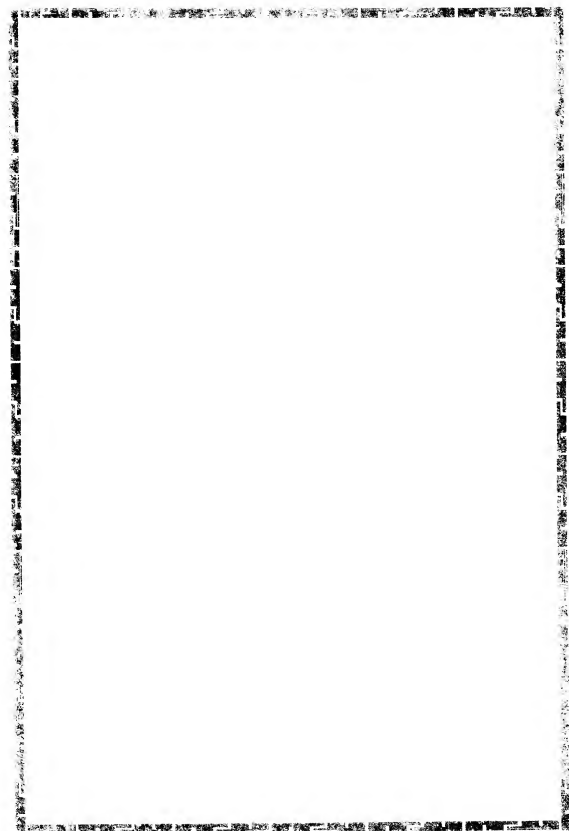
(٣) اقتباس من سورة القصص، ٢٩.

(٤) ناراً منذ ما - ظ.

(٥) اقتباس من سورة النازعات، ٤٠.

٤

أجوبة المسائل النصيرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمنور النفوس بأنوار العلم والإيمان، وهادي الخلائق بإرسال الرسول وإنزال القرآن، وصلى الله على نبيه سيد الإنس والجان، وآله وأولاده المطهرين عن أرجاس الجاهلية والطغيان، المقدسين عن أدناس الطبيعة والعصيان.

وبعد، فإن الحكيم الفاضل والأستاذ الواصل الكامل في تتبع الكمالات البشرية، والفائق في استخراج العلوم الإلهية والطبيعية واستنباط الأصول التعليمية والخلقية، نصير الملة والدين محمد الطوسي - نور الله عقله الشريف بالفيض [القدوسي]^(١) - قد بعث رسالة إلى بعض معاصريه وهو الفاضل النحرير والعالم البصير شمس الدين خسرو شاهي، وسأل عن ثلاث مسائل معضلة، وطلب عن الكشف عن وجوه أعضالها والحل لعقد إشكالها؛ فلم يأت ذلك المعاصر بجواب. ونحن نريد بعون الله وتأييده أن نتفضى عن تلك المضائق المعضلة الدقيقة، ونأتي بجواب شافٍ وكافٍ عن هاتيك المسائل المشككة العميقة، وأتى لمثلي مع قصور الخلقة وعجز القوة وضعف البشرية الخروج من هذه العهدة - كان الفضل بيد الله، والقدرة من عنده، والحكمة من فيضه، والحكم^(٢) من لديه ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤] - فلنذكر الرسالة بألفاظه^(٣) الشريفة، وعباراته اللطيفة؛ ثم نردف لها بالجواب مستمداً من فضل العليم الوهاب.

(١) الزيادة منا.

(٢) م: الحلم.

(٣) كذا.

الرسالة

لَمَّا كَانَتْ الْكِتَابَةُ وَسِيلَةً إِلَى تَوَاسُلٍ^(١) مِنْ دَانَتْ افْتَدَتْهُمْ وَتَفَاصَلَتْ امْكُنْتَهُمْ^(٢)، وَالسُّؤَالُ ذَرِيعَةٌ إِلَى اسْتِفَادَةِ الْخَيْرِ^(٣) لِمَنْ كَانَ حَرَصُهُ عَلَيْهِ شَدِيداً مِمَّنْ كَانَ بَاعَهُ^(٤) إِلَيْهِ مَدِيداً، رَأَى الْخَادِمُ الدَّاعِي مُحَمَّدَ الطُّوسِيَّ التَّوَسَّلَ بِهِمَا إِلَى جَنَابِ الْعَالِي الْفَاضِلِ الْمُحَقِّقِ الْمَدْقُقِ، شَمْسِ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ، بَرَهَانَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، قُدْوَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ، سُلْطَانَ الْحُكَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ - أَدَامَ اللَّهُ مِيَامِنَ أَيَّامِهِ، وَسَهَّلَ سَبِيلَ مَرَامِهِ، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ صَوْبَ إِنْعَامِهِ^(٥)، وَوَفَّقَ فِي افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرِهِ وَاخْتِتَامِهِ، سَيِّمًا لِإِدْرَاكِ مَبْتَغَاهِ، وَوَصَلَةَ إِلَى مَا يَتِمَّنَاهُ؛ فَهَذَا مَبْلَغُ التَّحِيَّةِ وَالْخِدْمَةِ وَالِدَّعَاءِ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَمَزِيدِ النِّعْمَةِ -. ثُمَّ جَعَلَ مِفْتَاحَ الْمُبَاسِطَةِ^(٦) مَسَائِلَ عِلْمِيَّةً وَمُصْبَاحَ الْمَفَارِقَةِ مُبَاحَثَ حِكْمِيَّةٍ لِلشَّيْخِ^(٧) - حَرَسَ اللَّهُ عَلَوَّهُ، وَقَرْنَ بِالسَّعَادَةِ عَشِيَّتَهُ وَغَدَوَهُ - بِإِفَاضَةٍ مَا لَدَيْهِ فِيهَا، وَيَنْعَمُ بِإِفَادَةِ مَا يَقَرِّزُ رَأْيَهُ^(٨) عَلَيْهِ مِنْهَا، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَحْرَمَ طُلَّابَهُ، وَمِنْ كِرَامَةِ الْفَضْلِ أَنْ يُتَفَضَّلَ بِهِ أَرْبَابُهُ؛ وَرَأْيُهُ الشَّرِيفُ أَعْلَى وَبِالإِضَافَةِ فِيمَا يَحَاوِلُهُ أَوْلَى. وَالْأَسْئَلَةُ هَذِهِ:

الأول:

لَمَّا امْتَنَعَ وَجُودُ الْحَرَكَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَدِّ مَعِينٍ مِنَ السَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ، وَجِبَ^(٩) أَنْ يَكُونَ لِلسَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ مَدْخَلٌ فِي وَجُودِ الْحَرَكَاتِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ شَخْصِيَّةٌ؛ وَالسَّرْعَةُ وَالْبَطْءُ غَيْرُ مُتَحَصِّلِي الْمَاهِيَةِ إِلَّا بِالزَّمَانِ، فَأُذِنَ لِلزَّمَانِ مَدْخَلٌ فِي عِلْيَةِ الْحَرَكَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَ حَرَكَةً مَعِينَةً عِلَّةً لَوْجُودِ الزَّمَانِ؟

(١) تراسل - ظ.

(٢) ويمكن أن يقرأ في جميع النسخ «الستهم» ولكن المتن أصح.

(٣) للخير - ظ.

(٤) الباع: اليد.

(٥) في أكثر النسخ: المذق عليه صوت إنعامه.

(٦) في النسخ: للباسطة، الفارقة.

(٧) ليسمح - ظ.

(٨) في النسخ: يقرر أنه.

(٩) ط: الوجوب.

ولا يمكن أن يقال: الحركة من حيث هي حركة علة للزمان، ومن حيث هي حركة ما متشخصة؛ كما أن الصورة من حيث هي الصورة سابقة على الهيولى؛ ومن حيث هي صورة ما متشخصة بها؛ لأن الحركة ليست من حيث هي حركة علة للزمان وإلاً لكان لجميع الحركات مدخل في علته، إنما هي علة للزمان من حيث هي حركة خاصة متعينة في الخارج. فما وجه حل هذا الإشكال.

الثاني:

ما بال القائلين بأن ما لا حامل لإمكان وجوده وعدمه فإنه لا يمكن أن يوجد بعد العدم أو يعدم بعد الوجود؟ حكموا بحدوث النفس الإنسانية، وامتنعوا عن تجويز فنائها! فإن جعلوا حامل إمكان وجودها البدن فهلاً جعلوه حامل إمكان عدمها أيضاً؟ وإن جعلوها لأجل تجردها عن ما يحلّ فيه عادم حامل لإمكان العدم كيلا يجوز عدمها بعد الوجود، فهلاً جعلوها لأجل ذلك بعينه عادم حامل لإمكان الوجود، فيمتنع وجودها بعد العلم في الأصل؟ وكيف ساغ لهم أن جعلوا جسماً مادياً حاملاً لإمكان جوهر مفارق مبائن الذات إياه؟ فإن جعلوها من حيث كونها مبدأ الصورة النوعية لذلك الجسم ذات حامل لإمكان الوجود، فهلاً جعلوها من تلك الحثية بعينها ذات حامل لإمكان العدم. بالجملة ما الفرق بين الأمرين في تساوي النسبتين؟

الثالث:

إن كان سبب صدور الكثير عن العلة الواحدة كثرة في ذات المعلول الأول كالوجوب والإمكان والتعقل على ما فعل، فمن أين جاءت تلك الكثرة؟ إن صدرت عن العلة فلا يخلو إما أن صدرت معاً أو على ترتيب. فإن صدرت معاً، لم يكن سبب صدور الكثرة عن العلة الأولى كثرة في ذات المعلول الأول، وإن صدرت على ترتيب، لم يكن المعلول الأول معلولاً أولاً. وإن لم يصدر عن العلة الأولى فمن الجائز أن يحصل كثرة من غير استناد إلى العلة الأولى^(١) وكلها محال.

(١) في النسخ: الأول.

فما وجه التفصي عن هذه المضائق؟ والمتوقع من كرمه العميم ولطفه الجسيم أن يعذر الخادم الداعي على هذا التجاسر، فيستخدمه فيما يستأهله، فإنه ممثّل لما يأمره، واللّه تعالى يمدّ في الأيّام العالية ويقربها بنعمه المتواليّة، إنه على كل شيء قدير، وبإجابة الدعاء جدير. والسلام.

* * *

أقول، ومن اللّه العصمة والتوفيق، وييده زمام الإلهام في التحقيق:

[الجواب ١]

أما الجواب عن المسألة الأولى^(١) فهو بتمهيد:

إن العارض على ضربين: عارض الوجود وعارض الماهية. أما عارض الوجود فكالسواد والحركة وغيرهما من عوارض الجسم وغيره سواء كانت مفارقة أو لازمة الوجود. وأما عارض الماهية فكطبيعة الفصل لطبيعة الجنس المتقوم بها في الوجود دون الماهية، فإن ماهية الجنس لا يحتاج إلى الفصل بحسب المعنى والمفهوم، فيكون كالعرض اللاحق لها، مع أنه لا يوجد إلا بأحد الفصول المحصّلة إياها في الكون، المقومة لها في التحقيق؛ وكالمشخصات، فإن نسبة الشخص إلى طبيعة النوع والماهية كنسبة الفصل إلى طبيعة الجنس، وماهيته في ذاته متحد في الوجود مع الماهية، وعند التحليل عارض للماهية مقوم لتحصلها؛ ومن هذا القبيل عروض الوجود للممكن، فإن وجود كل موجود ممكن من عوارض ماهيته الكلية لا من عوارض هويته الشخصية، وعارض الماهية أيضاً كعارض الوجود، وقد يكون لازماً ك لوازم الماهيات، وقد يكون مفارقاً كالفصل للجنس والمشخاص للنوع.

إذا تقرر هذا، فنقول*: عروض^(٢) الزمان المعين للحركة المعيّنة التي يتقدّر^(٣) بها ليس من قبيل عروض عارض الوجود لمعروضه، بل من قبيل عارض

(١) قارن: «الأسفار» ج ٣/ ١٩٩.

(*) قارن «الأسفار» ج ٣/ ١٧٩.

(٢) م: عرض.

(٣) في الأصل: يقتدر.

الماهية لتلك الماهية. فالحركة الخاصة تتقوم بالزمان المعين في الوجود، ولكن الزمان المعين عارض لماهية الحركة من حيث هي حركة، فهو كالعلة المفيدة لها بحسب الوجود، وهي كالعلة القابلة له^(١) بحسب الماهية. هذا كله في ظرف التحليل العقلي، وأما في الخارج كلاهما شيء واحد ذاتاً ووجوداً، لا علية ولا معلولية بينهما، ولا عارض ولا معروض أصلاً.

[الجواب ٢]

وأما الجواب عن المسألة الثانية، فنقول: إن البدن الإنساني استدعى باستعداده الخاص من واهب الصور على القوابل صورة مدبرة متصرف^(٢) فيه تصرفاً تحفظ بها شخصه ونوعه، فوجب صدورهما عن الواجب الفيض، لكن وجود صورة يكون مصدراً للتدبيرات البشرية والأفاعيل الإنسية الحافظة لهذا النوع^(٣) لا يمكن إلا بقوة روحانية ذات إدراك وعقل وفكر وتمييز، فلا محالة يفيض من المبدأ الفيض الذي لا بخل ولا منع ولا تقتير^(٤) فيه جوهر النفس وحقيقتها. فإذا وجد البدن بإمكانه الاستعدادي ما استدعى إلا صورة مقارنة له، متصرف فيه بما هي صورته مقارنة، ووجود المبدأ الفيض اقتضى صورة متصرف ذات حقيقة مفارقة أو ذات مبدأ مفارق؛ وكما أن الشيء الواحد يجوز أن يكون جوهرًا من جهة، وعرضًا من جهة أخرى كماهية الجواهر الموجودة في الذهن، لما تحقق أن صورتها العقلية جوهر بحسب الماهية، عرض بحسب الوجود الذهني العقلي، بل كيف وكذا يجوز أن يكون شيء واحد مجعولاً من جهة، وغير مجعول من جهة أخرى، كالوجود والماهية^(٥)، فكذا يجوز أن يكون شيء واحد كالنفس مجرداً من حيث كونه ذاتاً عقلية، ومادياً من حيث كونه متصرفاً في البدن. فإذا كانت النفس مجردة من حيث الذات والماهية، ومادية من حيث الفعل، فهي من حيث الفعل مسبقة باستعداد

(١) م: - له.

(٢) ط: متفرقة.

(٣) ط: المزاج الاعتدالي.

(٤) ط: لا تعير، لا الفتور.

(٥) ط: كوجود الماهية، خ: + شيء واحد.

البدن حادثة بحدوثه، زائلة بزواله. وأما من حيث حقيقتها أو مبدئها فغير مسبوبة باستعداد البدن إلا بالعرض، ولا فاسدة بفساده^(١) ولا يلحقها شيء من مثالب الماديات إلا بالعرض. فتدبر.

هذا ما سنعلم لنا في سالف الزمان على طريقة أهل النظر. وأما الذي نراه الآن* في تحقيق الحال ورفع الإعضال، فهو أن للنفس الإنسانية مقامات ونشآت ذاتية، بعضها في عالم الأمر والتدبير، ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، وبعضها في عالم الخلق والتصوير، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِلْآدَمِ﴾ [الأعراف: الآية ١١]. فالحدوث والتجدد إنما يطردان لبعض نشأتها. فنقول: لما كانت للنفس ترقيات وتحولات من نشأة أولى إلى نشأة ثانية وإلى ما بعدها؛ فإذا ترقّت وتحولت من عالم الخلق إلى عالم الأمر يصير وجوده وجوداً عقلياً إلهياً لا تحتاج حينئذٍ إلى البدن وأحواله واستعداده. فزوال استعداد البدن إياها لا يضرها دوماً وبقاء، إذ ليس وجودها الحدوثي هو وجودها البقائي، لأن ذلك مادي وهذا مفارق عن المادة فليس حال النفس في أول حدوثها كحالها عند الاستكمال ومصيرها إلى العقل الفعال، فهي بالحقبة جسمانية الحدوث وروحانية البقاء. ومثالها كمثال الطفل وحاجته إلى الرحم أولاً، واستغناؤه عنه أخيراً، وكمثال الصيد والحاجة^(٢) في اصطياده إلى الشبكة أولاً، والاستغناء في بقاءه عنها أخيراً. ففساد الرحم والشبكة لا تنافي بقاء المولود والصيد ولا يضره.

ثم اعلم أن العلة المعدة عند التحقيق علة بالعرض، وليست عليتها كعليّة العلل الموجبة حتى يقتضي زوالها زوال المعلول. وما ذكره من قولهم: «كل ما لا حامل لإمكان وجوده وعدمه فإنه لا يمكن أن يوجد بعد الوجود»* لا يستلزم القول

(١) خ: تفسده.

(*) قارن: «الأسفار» ج ٨/ ٣٩٠. و«تعلية الهيات الشفاء»، ص ١٧٠.

(٢) خ: في الحاجة.

(*) كذا في النسخ، والصحيح هو: «كل ما لا حامل لا مكان وجزؤه وعدمه فإنه لا يمكن أن يوجد بعد العدم، أو يعدم بعد الوجود» لا يستلزم القول بأن ما لا حامل لا مكان وجوده وعدمه فإنه لا يمكن أن يوجد بعد الوجود، إذ ربما... أيضاً قارن نفس السؤال ص ١٦٦.

بأن ما لا حامل لإمكان وجوده وعدمه فإنه لا يمكن أن يوجد بعد العدم، أو يعدم بعد الوجود؛ إذ ربما يكون وجوده السابق من غير حامل كافياً في رجحان وجوده اللاحق على عدمه، فلا يحتاج في وجوده البقائي إلى فاعل وحامل لإمكانه، [و] ومن نظر، وأمعن^(١) في مراتب الأكوان الخلقية الإنسانية قبل حدوث النفس وجد أن مادة النطفية، أي حامل إمكان الصورة الجمادية النطفية بعد أن تصورت بصورتها واستكملت بها زال عنها ذلك الإمكان؛ ولم تزل عنها تلك الصورة، بل صارت أقوى وأكمل مما كانت أولاً، حيث صارت صورة نباتية بحسب إمكانها الاستعدادي النباتي، وصورة النبات لا تقصر عن فعل الجماد أيضاً.

وكذا الحال في صيرورتها صورة حيوانية لما حقق في موضعه أن هذه الاستكاملات المترادفة والانقلابات ليس إلا ضرباً من الاشتداد الجوهرى، لا بأن تفسد صورة وتحدث صورة أخرى ماثلة للأولى، كيف؟ والحكماء أثبتوا للطباع حركة جبلية إلى غايات ذاتية، ولكل ناقص شوقاً غريزياً إلى كماله. وكل ناقص إذا وصل إلى كماله اتحد به وصار وجوده وجوداً آخر. وهذه الحركة الجبلية في هذا النوع الإنساني إلى جانب القدس معانٍ^(٢) مشهود لصاحب البصيرة. فإذا ترقّت^(٣) النفس الإنسانية في استكمالها وتوجهاتها إلى مقام العقل واتحدت بالعقل الفعّال بعد أن كانت عقلاً منفعلاً أخلعت عن المادة والحدثان، وتجرّدت عن القوة والإمكان، وصارت باقية بقاء الله من غير تغيير وفقدان.

وبالجملة تحقيق هذا المبحث ونتيجته إنما يتيسر لمن علم كيفية اتحاد النفس بالعقل الفعّال ومصيرها إلى المبدأ المتعال، وكلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ^(٤).

[الجواب ٣]

وأما الجواب عن المسألة الثالثة، فتبيين الحق فيه يحتاج إلى مقدمتين:

- (١) في النسخ: أمكن.
- (٢) «في الأسفار»: معلوم مشاهد.
- (٣) تلقت - خ ل.
- (٤) «المستند» لأحمد ج ١، ص ٨٣.

الأولى: إن كل ممكن في الخارج زوج تركيبى كما أورده الشيخ^(١) في الهيات الشفاء من قوله: «والذي يجب وجوده لغيره دائماً فهو أيضاً غير بسيطة الحقيقة؛ لأن الذي له باعتبار ذاته فإنه غير الذي له من غيره، وهو حاصل الهوية منهما جميعاً في الوجود، فلذلك لا شيء غير واجب الوجود يعرى عن ملاسة ما^(٢) بالقوة والإمكان* باعتبار ذاته»^(٣) هو ماهية الكلية، والذي له من غيره هو وجوده وتحصيله الشخصي؛ فهويته منظمة من هاتين الجهتين انتظام الجسم من المادة والصورة، ولهذا أسند القوة والإمكان إلى الماهية استنادهما إلى المادة؛ وأسند الفعلية والوجوب إلى الوجود استنادهما إلى الصورة وإن كان بين هذا التركيب وتركيب الجسم من المادة والصورة فروق مذكورة في مواضعها^(٤).

الثانية: إن الصادر من الجاعل وما هو المجعول بالذات والحقيقة من هاتين الأمرين - أعنى الماهية والوجود - هو الوجود لا الماهية؛ لأن الماهية هي التي له من نفسه، والوجود هو الذي من غيره، والصادر ما يكون من غيره لا ما يكون من ذاته. ونحن قد أثبتنا هذه الدعوى ببراهين كثيرة قطعية في كتبنا وتعاليقنا ورسائلنا مما^(٥) لا مزيد عليه^(٦).

ولقد أحسن بعض محققي العرفاء من فضلاء فارس حيث قال: «إن كل معلول فهو مركب في طبيعته من جهتين: جهة يشابه الفاعل ويحاكيه، وجهة بها يباينه وينافيه، إذ لو كان بكله من نحو الفاعل* كان نفس الفاعل لا صادراً منه، فكان نوراً محضاً، ولو كان بكله من نحو متباين الفاعل استحال أيضاً أن يكون صادراً منه فائضاً من عنده، لأن نقيض الشيء لا يكون صادراً عنه، فكان ظلمة محضة. والجهة النورانية تسمى وجوداً، والجهة الظلمانية هي المسمّاة ماهية.

(١) م: الشارح.

(٢) م: ملالة ما.

(*) مخ: يعرى عن ماله بالقوة والإمكان، فالذي له باعتبار ذاته.

(٣) «الشفاء» قسم الإلهيات، ط مصر، ص ٤٧. وفيه: باعتبار نفسه.

(٤) م: موضعها.

(٥) بما - ظ.

(٦) راجع: رسالة «أصالة جعل الوجود» و«المشاعر» ص ٣٧ و«الأسفار» ج ١، ص ٢٦٣.

(*) متشابه الفاعل - ظ.

فالمعلول من العلة كالظل من النور يشابهه من حيث ما فيه من النورية وبيانه من حيث ما فيه من شوب الظلمة. فكما أن الجهة الظلمانية في الظل ليست فائضة من النور، لأنها تضاد النور وبه تقع المباينة بينهما فكيف يكون منه؟ فلذلك الجهة المسماة ماهية في المعلول غير فائضة من العلة، إذ بها تقع المباينة بينهما. فثبت صحة قول من قال: إن الماهية غير مجعولة ولا فائضة من العلة، فإن الماهية ليست إلا ما به الشيء هو هو، فيما يمتاز به عن غيره من الفاعل ومن كل شيء» انتهى.

فثبت من إحدى هاتين المقدمتين أن الماهية لها تحصل في الخارج. هذا بحكم المقدمة الأولى، لأنها جزء الموجود في الجملة؛ وجزء الموجود في الجملة موجود في الجملة. ومن ثانيتهما إن الماهية غير صادرة ولا مجعولة، فثبت أن المعلول الأول مشتمل على أمرين: أحدهما الوجود وهو أمر بسيط صادر عن أمر بسيط هو المبدأ الأعلى، فالواحد من جميع الوجوه لا يصدر عنه بالذات إلا واحد بسيط، لكن هذا الواحد البسيط مما يتحقق^(١) في مرتبته أمران: أحدهما نفسه، والآخر هو الماهية؛ إذ لا تقدم ولا تأخر لأحدهما على الآخر وإلا لكانت الماهية على أي التقديرين مجعولة، بل الوجود فيما عدا الواجب تعالى مجعول بحسب مرتبة ذاته بذاته، مصداق لحمل الماهية عليه، ويطابق للحكم بها عليه.

فالمعلول من جهة وحدته الوجودي صادر عن العلة الأولى، ومن جهة كثرة الواقعة فيه لا بالجعل واسطة لصدور الكثرة الخارجية. فالكثرة سبب الكثرة، والوحدة سبب الوحدة، إلا أن جهة الوحدة في العلة أقوى، ولهذا صارت الكثرة العقلية - أي التحليلية - في المعلول الأول تنشأ^(٢) للكثرة التفصيلية فيما بعده، فصدر بتوسط وجوده من المبدأ الأعلى عقل آخر، وتوسط ماهية منه فلك. وكما أن الماهية النوعية مشتمل على مفهومي جنس وفصل، فما يوجد من جهتها كالفلك يشتمل على مادة وصورة، وهكذا الكلام في صدور ثالث المراتب. فبهذا^(٣) الطريق يمكن تصحيح صدور الأشياء عن المبدأ البسيط الأعلى.

(١) م: يحقق.

(٢) منشأ - ظ.

(٣) م: فهذا.

أما الذي ذكروه في الكتاب من غير هذا الطريق فشيء منها لا يخلو عن قصور وخلل، ولهذا لم يقنع هذا العلامة المحقق نصير الدين محمد الطوسي - نور الله عقله الشريف بالفيز القدوسي - بما ذكره من هذا البحث في شرح مقاصد الإشارات مع انه أجلى مما ذكره غيره بحسب التنقيح والتهذيب. أما الذي ذكره هناك ملخصاً^(١) فهو قوله: «إذا فرضنا مبدأ أول وليكن «أ» وصدر عنه شيء وليكن «ب» فهو في أولى^(٢) مراتب معلولاته. ثم من الجائز أن يصدر عن «أ» بتوسط «ب» شيء وليكن «ج»؛ وعن «ب» وحده شيء وليكن «د»، وعن «ب» بالنظر إلى «أ» شيء [آخر]، فصار في ثانية المراتب ثلاثة أشياء».

ثم ساق الكلام على هذا المنوال حتى ظهر جواز صدور أشياء كثيرة لا تحصى عددها في مرتبة واحدة. ثم قال بعد تمهيد هذا^(٣): «إذا صدر عن المبدأ الأول [شيء] كان لذلك الشيء هوية مغايرة للأول بالضرورة، ومفهوم كونه صادراً عن الأول^(٤) غير مفهوم كونه ذا هوية [ما]. فإذاً ههنا أمران معقولان: أحدهما الأمر الصادر عن الأول وهو المسمى بالوجود، والثاني هو الهوية اللازمة لذلك الوجود وهو المسمى بالماهية. فهي من حيث الوجود تابعة لذلك الوجود؛ لأن [المبدأ] الأول لو لم يفعل شيئاً لم يكن ماهية أصلاً، لكن من حيث الفعل^(٥) يكون الوجود تابعاً لها [لكونه صفة لها] ثم إذا قيست الماهية وحدها إلى ذلك الوجود عقل الإمكان، فهو لازم لتلك الماهية بالقياس إلى وجودها [وإذا قيست لا وحدها بل بالنظر إلى المبدأ الأول عقل الوجوب بالغير، فهو لازم لتلك الماهية بالقياس إلى وجودها] مع النظر إلى المبدأ الأول، [ولذلك جاز اتصاف كل واحدة من الماهية والوجود بالإمكان والوجوب]. وأيضاً إذا اعتبر كون الوجود الصادر عن المبدأ وحده قائماً بذاته لزمه تعقل ذاته، وإذا اعتبر ذلك له مع الأول لزمه أن يكون عاقلاً للأول. فهذه ستة أشياء؛ [وجود، وهوية، وإمكان، ووجوب، وتعقل

(١) «شرح الإشارات»: ج ٣، ص ٢٤٤.

(٢) م: «إذا فرضنا أن يصدر عن مبدأ أول وهو «أ» مثلاً شيء وليكن «ب» وهو أولى.

(٣) «شرح الإشارات»: ج ٣، ص ٢٤٥.

(٤) الزيادة هنا وما بعدها من المصدر.

(٥) في المصدر: العقل.

للذات، وتعقل للمبدأ] واحد منها في أول المراتب وهو الوجود، وثلاثة في ثانيتهما. إلى آخر ما ذكره. وأما الذي يرد عليه من القصور والخلل فهو من وجوه:

الأول: إن ما ذكره أولاً من انه من الجائز عن^(١) أن يصدر عن «ا» بتوسط «ب» شيء، وعن «ب» وحده شيء، ممنوع مقدوح في هذا المقام؛ فإن حيثية وجود المعلول الأول عن المبدأ الأول وحيثية كونه متوسطاً بينه وبين المعلول الثاني أمر واحد بلا تعدد لا في الذات ولا في الاعتبار؛ وكذا القول في تجويز أن يصدر عن «ب» بالنظر إلى «ا» شيء، فإن وجود «ب» في نفسه هو بعينه وجوده بالنظر إلى «ا»، إذ لو تغير وجود المعلول الأول في نفسه عن وجوده الارتباطي عند المبدأ الأعلى لكان هناك جعلان: جعل الوجود في نفسه، وجعله مرتبطاً إلى الحق؛ والمفروض خلافه.

الثاني: إن قوله: «تغير^(٢) الوجود والماهية بحسب الفعل، وإن الصادر هو الوجود بالذات دون الماهية» وإن كان صحيحاً حقاً كما سبق، إلا أن الحكم بكون الماهية تابعة له متأخرة عنه واقعة في ثانية المراتب، ليس بحق؛ إذ ليس في الخارج بينهما تقدم ولا تأخر، لأن الوجود الصادر عن المبدأ هو في نفسه وفي مرتبة ذاته بحيث يكون مصداقاً لحمل الماهية عليه والحكم بها عليه، كيف؟ ولو كانت متأخرة عن الوجود تابعة له لكانت معلولة له؛ فيلزم أن يكون أمر واحد - هو ذلك الوجود - بجهة واحدة مبدأ لصدور الكثرة عنه، وهي ماهية العقل الأول ووجود العقل الثاني. وكذا على ما قرره من حصول أشياء ثلاثة في ثانية المراتب عن وجود الصادر الأول صدور الكثرة عن البسيط بجهة واحدة وهو عين الوقوع في ما وقع الهرب عنه بعينه.

الثالث: إن اعتبار كون الصادر الأول وجوداً قائماً بذاته واعتبار كونه عاقلاً لذاته شيء واحد بالذات والاعتبار جميعاً بلا تقدم ولا تأخر أصلاً، كما حققه هو - قدس سره - وسائر الحكماء من أن وجود الجوهر المفارق بعينه وعقله لذاته وكونه عاقلاً ومعقولاً شيء واحد من غير تفاوت وتغير فيه، لا في الذات ولا في

(١) كلمة «عن» زائدة ظاهراً.

(٢) في النسخ: مغاير.

الاعتبار؛ وكذا كونه عاقلاً للأول تعالى، وكونه صادراً عنه شيء واحد وحيثية واحدة بلا اختلاف جهة وجهة. ألا ترى أن كونه تعالى موجوداً في ذاته وكونه عاقلاً لذاته بذاته، وكونه مبدءاً للأشياء ومريداً لها، كلها اعتبارات لشيء واحد بحيثية واحدة، إذ كثرة هذه الاعتبارات والاطلاقات لا يوجب انثلاماً في أحديته الحقّة وبساطته المحضة؛ تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

واعلم أنه ليس كل حيثية واعتبار منشأ لصدور أمر في الخارج، بل مبدء الشيء العيني لا بد أن يكون أمراً حاصلًا في الأعيان. ولو كان مجرد كثرة هذه الاعتبارات المذكورة في كلامه أو في كلام غيره منشأ لصدور أشياء كثيرة في الخارج لم تقع الحاجة في صدور الموجودات الجسمانية عن المبدء الأول إلى إثبات كثرة العقول، بل يكفي في صدور تلك الكثرات الخارجية عن المبدء الأول اعتبار كثرة وافرة من أمثال هذه الاعتبارات في المصادر الأول، ككونه موجوداً، وصادراً، ومعقولاً، ومعلولاً، وشيئاً، وأمراً، وممكناً عاماً، وممكناً خاصاً، ومفهوماً، وجوهرًا، ومجرداً عن المواد، وثانياً في الوجود، وجزءاً للمجموع الحاصل منه ومن مبدء، إلى غير ذلك من المفهومات التي كلها تصلح أن تكون حكاية عن وجود واحد، لكن الحكماء المحققين لم يعتبروا في المصادر الأول لأجل صدور الكثرة عن المبدء الأول إلا الوجود والماهية، وربما عبّروا عنهما بالوجوب والإمكان تعبيراً عن الشيء بلازمه الاعتباري؛ وربما عبّروا عنهما بالتعقليتين المذكورتين لما بيّنا؛ فجعلوا الوجود والوجوب مبدءاً لعقل آخر، والماهية والإمكان مبدءاً لفلک آخر. ثم جعلوا الماهية لتقومها من المختلفات مبدءاً لاختلاف المادة والصورة الخارجيتين في جوهر الفلك أعنى النفس والجسم. ولذلك قال الشيخ الرئيس في الإشارات^(١): «ومعلوم أن الاثنين إنما يلزمان من واحد من حيثيتين، ولا حيثيتي اختلاف هناك إلا ما لكل شيء منها إنه بذاته إمكاني الوجود، وبالأول واجب الوجود، وانه يعقل ذاته ويعقل الأول؛ فيكون بما له من عقله الأول الموجب لوجوده وبما له من حاله عنده مبدء الشيء^(٢)، وبما له من ذاته مبدءاً لشيء آخر».

(١) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٤٤ - ٢٤٧.

(٢) ط: للشيء.

فكلامه صريح في أن غير هذه الاعتبارات التي أوردها ليس بمعتبر عنده، وصريح أيضاً في أن اعتبار العقل الأول^(١) ووجوبه وكونه موجوداً عند الأول كلها حيثية واحدة، هي إحدى الحيثيتين اللتين في ذات الصادر الأول؛ وكذا القياس في اعتبار أن له ماهية، وإمكانه وتعقله لماهية حيثية واحدة، هي أخرى منهما.

ثم قال^(٢): «ولأنه معلول فلا مانع من أن يكون [هو] متقوماً من مختلفات» أي هو بحسب الماهية، إذ ماهيته بما هي ماهية متقوماً منها.

وقوله: «وكيف لا؟ وله ماهية إمكانية، ووجود من غيره واجب» إشارة إلى منشأ كثرتة بحسب الماهية من المختلفات كالجنس والفصل، لا إلى بيان تركبه من الماهية والوجود كما قدره الشيخ المحقق، لعدم الحاجة إليه بعد ذكره سابقاً.

ثم قال: «ثم يجب أن يكون الأمر الصوري منه مبدأ للكائن الصوري، والأمر الأشبه بالمادة مبدأ للكائن المناسب للمادة» انتهى.

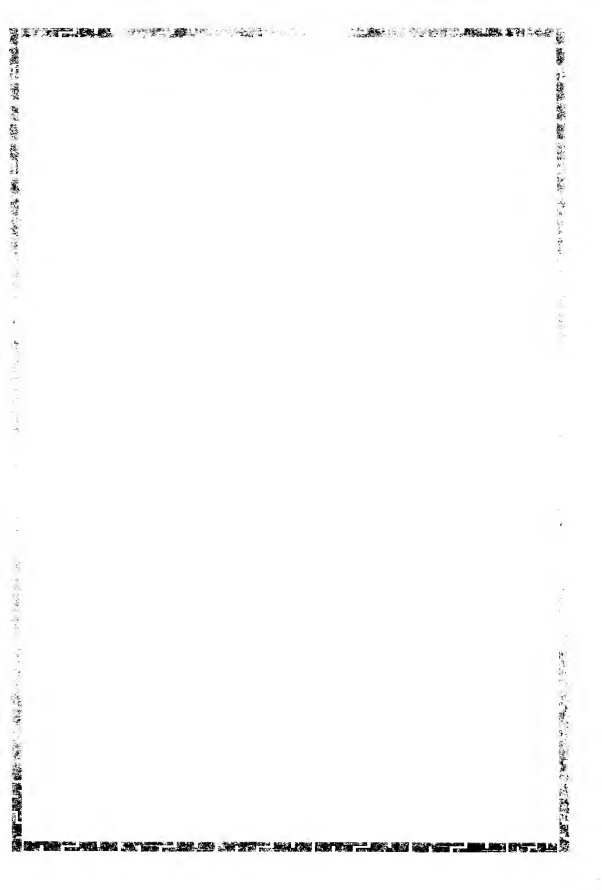
أقول: هذا الكلام يمكن أن يكون متفرعاً على أول ما ذكره من الاختلاف، أعنى وجوب الوجود بالغير وإمكان الماهية في نفسها من الصادر الأول، وعليه حمله المحقق في شرحه، فيكون في الإشارة إلى صدور العقل الثاني الذي هو صورة عقله في الخارج بلا مادة من جهة الوجود الذي هو أمر صوري لكونه محضاً للماهية، بل نفس ما به حصولها؛ وصدور الفلك الأول الذي هو صورة مادية ناقصة مفتقرة إلى ما يكملها ويخرجها من القوة إلى الفعل من جهة الماهية التي هي أمر مادي؛ إذ لا تحصل لها عقلاً وخارجاً إلا بالوجود. فالهيبولى التي لا تحصل لها في الخارج إلا بالصورة، إلا أن بين القبيلتين فرقاً^(٣) من وجوه بينت^(٤) في موضعها إن شاء الله تعالى.

(١) خ: الاعتبار عقله الأول.

(٢) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٤٨.

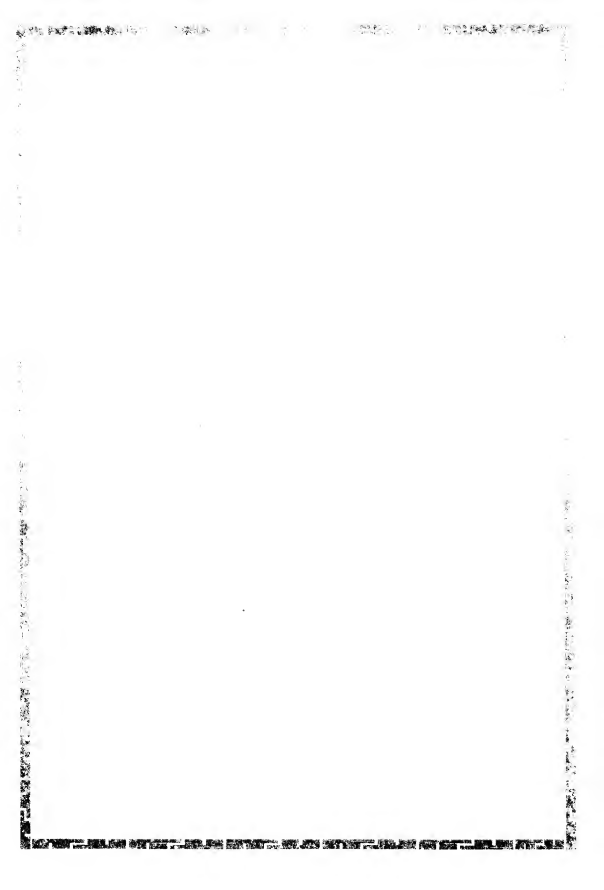
(٣) تبين - ظ.

(٤) في مقام - ظ.



٥

إصالة جعل الوجود



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لمفيض الوجود والخير والعقل، والصلاة على النبي والولى والأهل.

وبعد، فيقول الفقير المستهين محمد الشاهر بصدر الدين، لما هدّبت^(١) نفسي وفكري عن الأهواء ونقيت ذهني وخطري عن غشاوة المراء، لاح لي بفضل الله وقوته أن وجود الممكنات إنما هو بوجوداتها الخاصة الفائضة من الوجود الواجبي القيومي جلّ اسمه؛ وإن الموجود من كل شيء هو نحو وجوده، وهو المفعول بالذات جعلاً بسيطاً؛ وأما الماهية هو المفعول بالعرض تبعاً لجعل الوجود، وقد بسطت القول فيه في سائر كتبنا في تحقيق مسألة الوجود، وفي أن له صورة في الأعيان، وفي كونه مجعولاً في ذاته، متشخصاً بنفسه؛ وفي كون الماهية موجودة به متشخصة من جهته؛ وفي كيفية تقدمه على الماهية؛ وفي كيفية اتصال الماهية بالوجود التي حارت فيه العقول. فنذكر جملة من هذه المعاني في هذه الرسالة في أصول.

الأصل الأول

في أن للوجود صورة في الأعيان، وليس بمفهوم مصدري انتزاعي، وإن حقيقة كل شيء هو وجوده الذي به تترتب الآثار المخصوصة؛ لأن موجودة الشيء وكونه ذا حقيقة معنى واحد ومفاد واحد، لا اختلاف بينها إلا في اللفظ؛ فحينئذ لا بد أن يكون في الأعيان ما يصدق عليه هذا المعنى، أي معنى الحقيقة؛ وليس

(١) خ: ذهب.

مصادقه نفس الماهية من حيث هي هي؛ بل إما وجودها أو هي مع وجودها. فالوجود أولى بأن يكون له حقيقة من غيره، إذ غيره به يصير ذا حقيقة.

لست أقول: مفهوم الحقيقة يجب أن يكون مصداقاً لحمل هذا المفهوم عليه في الواقع، فالوجود يجب أن يكون بنفسه موجوداً في الواقع؛ لأنه فرد لمفهوم الحقيقة علة صورته عينية مع قطع النظر على اعتبار العقل إيّاه، وهو المعنى بكون الوجود موجوداً، لا إن له وجوداً زائداً - كما توهم - حتى يلزم منه المحذورات المشهورة.

الأصل الثاني

في أن أثر الجاعل هو الوجود دون الماهية؛ وكذا جاعل الأثر؛ فليست بين الماهيات جاعلية ولا مجعولية أصلاً، بل الوجودات اختلفت^(١) بالتقدم والتأخر كما اختلفت^(٢) بالشدة والضعف والأولية وعدمها؛ وعليه براهين وحجج قوية سأذكرها.

[البرهان الأول]

إن أثر الفاعل وما يترتب عليه لو كان ماهية شيء كالإنسان مثلاً من حيث هي دون وجوده، لما أمكن لأحد أن يتصور ماهية شيء من الأشياء قبل صدورها عن فاعلها، لما تقرر أن العلم بذی السبب لا يحصل إلا بعد العلم بسببه، ولما ثبت أن الحد والبرهان متشاركان [ب - ا] في الحدود، والمفروض خلافه؛ إذ كثيراً ما نتصور ماهيات الأشياء ولا يخطر ببالنا أن لها جاعلاً أم لا؛ بل للعقل أن يتصور ماهية كل شيء من حيث هي هي أو مجردة عن جميع ما عداها حتى عن هذه الملاحظة، فليست هي من هذه الحيثية موجودة ولا مجعولة ولا لا موجودة ولا لا مجعولة، وإن سألت عنها بطرفي النقيض لكان جوابك السلب لكل شيء بشرط تقديم هذه الحيثية؛ كما أفاده الشيخ^(٣) وغيره من محضلي الحكماء.

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: اختلف.

(٣) الهيأت «الشفاء»، ط الحجري، ص ٣٩٤.

فإن قال قائل: يلزمك هذا في القول بأن المجمعول هو وجود الشيء، إذ إنما نتصور وجود الشيء مع الذهول عن جاعله.

قلنا: إن الوجود نفس حقيقته الخارجية، لا يمكن لأحد العلم به إلا بالملاحظة الحضورية، إذ كل ما نتصور منه في الذهن فهو أمر كلي، والوجود هوية عينية متشخصة بذاته، صادرة عن هوية جاعلة إياه جعلاً بسيطاً فلا يمكن انكشافه وحضوره لأحد إلا من جهة حضور سببه. فكل ما يرتسم منه في الذهن فهو وجه من وجوهه، وهو بمعزل عن الحقيقة الخارجية.

البرهان الثاني

إن النوع المتكرر الأشخاص في الخارج تكون لماهيته^(١) النوعية حصولات متعددة، فلو كان الصادر عن الجاعل نفس الماهية من حيث هي هي فما معنى تعددها في نفسها؛ وقد تقرر أن لا ميزة في صرف الشيء ومعناه. وليس لقائل أن يقول: الامتياز والتعدد إنما يحصلان من جهة النسبة إلى الجاعل، فتعدد النسبة إلى الجاعل يوجب تعدد الأشخاص. لأننا نقول: متى كان الجاعل واحداً، والماهية من حيث هي حدها وحقيقتها واحدة كانت النسبة واحدة؛ فما معنى تعدد النسبة مع اتحاد الطرفين؟ فهذا مما يؤذن بأن موجودية الشيء ليست بنسبته إلى فاعله.

ولا له أن يقول: اختلاف استعدادات القوابل يستدعي اختلاف الإضافات - أي الحصولات -.. لأننا نقول: الاستعدادات والشرائط أمور خارجة عن نفس الحصولات، ولا شبهة في أن الإنسان متكرر الأعداد، وأشخاصها أمور متكررة في أنفسها؛ وليس تكررها بحسب الماهية، بل بحسب العدد والهوية، ولا يكفي في ذلك تكثر الرابط والمعدّات. وأما العوارض المسمّاة بالعوارض الشخصية فهي من لوازم الشخص وأمارات الهوية الشخصية عند المحققين، وليس شيء ههنا داخلاً في ذات الشخص الجوهرية، وكلامنا في مابه يمتاز الشخص عن شخص آخر من نوع واحد^(٢).

(١) في الأصل: ماهيته.

(٢) أيضاً «المشاعر» الشاهد الثالث، ص ٣٩.

البرهان الثالث

[ألف - ٢] إن العقل الأول مثلاً له ماهية نوعية، محتملة للصدق على كثيرين في العقل، والصادر الأول من الباري - جلّ اسمه - عندهم ليس إلا شخصاً واحداً من اعدادة المفروضة المشتركة من هذه الطبيعة؛ فكون الصادر الأول هذا الوجود الشخصي دون غيره لو كان بمجرد صدور الماهية النوعية عن الباري تعالى يستلزم الترجيح من غير مرجح، إذ الجاهل واحد والماهية واحدة، والنسبة بينهما واحدة، فكون هذا الفرد دون سائر الأفراد المفروضة، المتساوي والاستحقاق للاتحاد معها غير معقول. وكذا موجودة الشخص دون سائر الأشخاص بمجرد إبداع الباري نفس الماهية المشتركة بينها عند العقل غير صحيح. فالحق الحري بالتحقيق هو أن أول الصوادر هو وجود^(١) وماهيته تابعة له اتباع الكل* للشخص^(٢).

[البرهان الرابع]

هو أن موجودة الأشياء [١]: أما بانضمام الوجود إلى الماهية، أو بصيرورتها إياه، أو باتصافها به، أو ما يجري مجراه، كما هو المشهور من المشائين. [٢]: وأما بمجعولية نفس الماهيات جعلاً بسيطاً كما ذهب إليه أتباع الرواقيين [٣]: وأما بنفس الوجودات الخاصة الفائضة عن الباري - جلّ اسمه - المجعولة بالذات جعلاً بسيطاً كما ذهبنا إليه.

والأول مردود مقدوح بوجوه مشهورة مذكورة في مقامها. والثاني أيضاً باطل وإلا لزم أن لا يتحقق موجود في الخارج. واللازم ظاهر الفساد؛ فكذا الملزوم. فيبقى المذهب الثالث. أما بيان الملازمة في الشرطية المذكورة فبأن الوجود على ذلك الرأي أن كان عبارة عن نفس الماهيات من غير اعتبار أمر زائد أو شرط، فيكون كذلك من تصور الإنسان تصوّر انه موجود، ولم يكن فرق بين قولنا: «الإنسان إنسان» وقولنا: «الإنسان موجود»، والثاني باطل، والمقدم^(٣) مثله. وان

(١) في الأصل: أن أول الصوادر هو الصادر ووجوده.

(*) كذا، والظاهر: الظل أو الكلي.

(٢) راجع «المشاعر» ص ٣٩.

(٣) فالمقدم - ظ.

كان الوجود عبارة عن انتساب الماهية إلى الجاعل، والنسبة لا تتحقق إلا بعد تحقق الطرفين، لأنها عرض من أضعف الأعراض فهي متأخرة الكون عن معروضه وعن ما تُنسب إليه، فننقل الكلام في وجود معروضه؛ فيعود المحذور جذعاً.

فإن قيل: موجودة الماهية على هذا الرأي ليس بانتسابها إلى الجاعل بل يكون بحيث ينسب إلى الجاعل ويرتبط به. قلنا: فيكون المجمعول وما يترتب على الجاعل هو كون الماهية على هذه الحيثية المذكورة دون نفس الماهية بما هي هي، فتكون الماهية من حيث هي غير مجعولة بالذات وإنما المجعولة هو الكون المذكور، ونحن [ب - ٢] لا نعني بالوجود إلا ذلك. فثبت أن المجمعول هو الوجود دون الماهية^(١).

[البرهان الخامس]

هو أن وجود الأعراض عبارة عن حلولها في موضوعاتها، وهو بعينه عرضيتها كما تقرر عندهم. فنقول: لو كان جاعل العرض كالسواد جاعل ماهيته لا جاعل وجوده الذي هو حصوله في موضوعه يكفي في اتصاف الموضوع ثبوت ماهية السواد من حيث هي من غير اعتبار حلوله في موضوعه؛ إذ لا شبهة في أن حلول السواد في موضوعه أمر زائد على معناه ومفهومه وحده، لأن للعقل أن يعقل ماهية السواد بحده ورسمه مع عزل النظر عن موضوعه؛ لأنه خارج عن ماهيته وإن لم تكن ماهيته توجد في الخارج إلا في الموضوع. فالناعتية صفة وجوده لا صفة ماهيته، بل لا يتصور كون ماهية من الماهيات في نفسها صفة لشيء إلا إذا اعتبرت مع وجودها. وهذا معنى قولهم: «إن حقيقة العرض إذا أخذت بما هي هي تكون نعتاً لشيء آخر»؛ بل حَقُّها في الوجود الخارجي أن لا تكون إلا في موضوع، فيكون الفاعل إذا أفادها أفاد وجودها لأنفسها. وهذا هو المطلوب.

[البرهان السادس]

إن القوم استدلوا على زيادة الوجود على الماهية بقولهم: «إنا قد نتصور الماهية مع الغفلة عن وجودها، والمتصور المعقول غير المغفول عنها المجعول».

(١) أيضاً «المشاعر» ص ٣٧.

فلو كان موجودة الماهية بنفس ذاتها الصادرة عن الجاعل في الخارج أو في الذهن لَمَا صح الحكم بكونها متصورة مع الغفلة عن وجودها، إذ الوجود على هذا الرأي ليس إلا نفس صيرورة الماهية لا أن الجاعل أفاد هذا المعنى المصدري، ولا أن أفاد نسبتها إليه، بل أفاد نفس الماهية.

فإن قيل: معنى وجود الماهية هو منسوبته إلى الجاعل وهو غير الماهية من حيث هي. قلنا: الجاعل على هذا التقدير لا يخلو إما أن جعل الماهية نفسها، أو جعلها فنسبها، أو نسبها فجعلها، أو جعلها منسوبة. فالأول يقتضي أن يكون كل من تصور الماهية حكم بوجودها. والثاني أن تكون الموجودة لشيء غير الماهية، لكونها متأخرة عنها؛ هذا خلق. والثالث أن تكون نسبة الشيء سابقاً عليه. والرابع أن لا يكون الجعل بسيطاً بل مركباً؛ وهو خلاف المفروض، لأن المفروض كون الماهية في نفسها مجعولة.

[البَرهان السابع]

لو كان أثر الجاعل في كل شيء هو الماهية من حيث هي هي بنفسها متعلقة بالجاعل منسوبة إليه لكانت كل ماهية [ألف - ٣] واقعة تحت جنس المضاف؛ والملازمة واضحة وبطلان اللازم بين^(١).

[البَرهان الثامن]

إذا كان الجاعلية والمجعولية متحققة بين الماهيات لا بين الوجودات، يلزم التشكيك بالأقدمية وعدمها بين أفراد الجوهر عند عليّة جوهر لجوهر آخر كما في سببية العقل لعقل آخر. وهذا باطل عند المحققين من الحكماء، إذ لا أولوية لماهية جوهر على ماهية جوهر آخر في التقدم والتأخر لا في تجوهره في نفسه ولا في كونه جوهرأ أي محمولاً عليه هذا المعنى الجنسي؛ فلا يتقدم الإنسان الذي

(١) أيضاً «المشاعر» ص ٤١، الشاهد السادس: «أنّه لو تحققت الجاعلية والمجعولية بين الماهيات لزم أن تكون ماهية كل ممكن من مقولة المضاف واقعة تحت جنسه، واللازم باطل بالضرورة، فكذا الملزوم؛ أما بيان الملازمة فلما سبقت الإشارة إليه من لزوم التعقل الذاتي والارتباط المعنوي بين ما هو المجعول بالذات وما هو الجاعل بالذات...».

هو الأول مثلاً في إنسانيته - أي في حده ومعناه - ولا في صدق الإنسانية عليه على الإنسان الذي هو الابن مثلاً كذلك، بل يتقدم عليه إما في الوجود أو في الزمان أو في شيء آخر^(١).

[البرهان التاسع]

لو كان الجاعلية والمجعولية بين الماهيات يلزم أن يكون كل واحد من الممكنات ما سوى المعلول الأول من لوازم ماهية علته المقتضية له. أما الملازمة فمعلومة بما مر؛ وأما بطلان اللازم فلاستحالة كون الحقائق الامكانية أموراً اعتبارياً؛ لأن لوازم الماهيات أمور اعتبارية لا يتعلّق بها جعل ولا تأثير، كما حقّق في مقامه^(٢).

[البرهان العاشر]

قد تقرر عندهم أن مطلب «ما الشارحة» غير مطلب «ما الحقيقية»، وليست الغيرية بينهما في مفهوم الجواب عنهما - وهو الحد عند المحققين - بل في اعتبار الوجود في الثاني وعدمه في الأول. فلو لم يكن الوجود حقيقة لم يكن بين المطلبين والجوابين فرق معتدّ به كما لا يخفى.

[البرهان الحادي عشر]

لو لم يكن الوجود موجوداً لم يكن شيء من الأشياء موجوداً. والتالي باطل، فالمقدم مثله.

بيان الملازمة: إن الماهية قبل انضمام الوجود إليها أو اعتبار الوجود معها غير موجودة وهو ظاهر. وكذلك إذا اعتبرت بذاتها لا مع اعتبار الوجود معها فهي غير موجودة ولا معدومة؛ فإذا لم يكن الوجود موجوداً لم يمكن ثبوت مفهوم أحدهما للآخر؛ فإن ثبوت شيء لشيء أو انضمامه إليه أو اعتباره معه أو انتزاعه منه فرع لوجود المثبت له؛ أو لا أقل مستلزم للمغايرة بينهما في الثبوت، وليس

(١) أيضاً «المشاعر» ص ٤٢.

(٢) أيضاً «المشاعر» ص ٤٠.

للماهية من حيث هي هي مع قطع النظر عن الوجود ثبوت أصلاً، فكيف يتحقق هناك موجود وليست الماهية في نفسها ولا الوجود في نفسه موجوداً؟

فلا تكون الماهية معروضة للوجود كما اشتهر وذهب إليه الحكماء؛ ولا عارضة كما ذهب إليه طائفة من العرفاء [ب - ٣] إذ كل من راجع وجدانه وانصف في نفسه أدرك أن انضمام معدوم إلى معدوم في الخارج ولا انضمام مفهوم إلى مفهوم من غير وجود أحدهما للآخر أو قيامه أو قيامها بموجود خارجي غير صحيح ومما لا يجوزُه العقل بل يقضى بامتناعه. ولهذا قال بعض العلماء: بأن العقل الصحيح الفطرة يشهد بأن الماهية إذا كانت موجودة بنفس وجودها لا قبل وجودها بوجود آخر، يكون الموجود بالذات وبالإصالة ههنا لا محالة هو نفس الوجود لانفس الماهية، كما أن المضاف بالحقيقة هو نفس الإضافة لا ماهر المضاف المشهور؛ وكذا الواحد والنور وأشباهها^(١) الإضافة^(٢).

[البرهان الثاني عشر]

إن الشيخ الرئيس وغيره من الحكماء ذكروا في مباحث قاطيغورياس وغيره الفرق بين الجواهر الأولى والثانية والثالثة، وصرحوا بأن الأشخاص الجوهرية هي الجواهر الأولى، والأنواع هي الجواهر الثانية، والأجناس هي الجواهر الثالثة؛ وبينوا أن الأولية والثانوية والثالثة ليست باعتبار الماهية بل باعتبار الوجود، فلو لم يعتبر في الشخص أمر لا يعتبر في النوع لم يكن بينها فرق. ولو لم يكن الوجود أمراً زائداً على الطبيعة الشخصية والتنوعية والجنسية لم يكن في الوجود الذي بينها^(٣) ترتيب على هذا الوجه.

[البرهان الثالث عشر]

قد ارتكز في العقول ومدارك جمهور الحكماء أن في كل شخص من الأشخاص الواقعة تحت جنس ما أمراً نسبته إليه نسبة الفصل إلى النوع؛ ونسبته

(١) في الأصل: اشباهها.

(٢) أيضاً «المشاعر» ص ٤٣.

(٣) في الأصل: في الوجود بينهما.

إلى النوع نسبة الفصل إلى الجنس، فيكون هو الصادر قبل النوع، كما أن العقل يحكم بتقوم الفصل على الجنس عند التحليل؛ فلو كان أثر الفاعل نفس الماهية من غير أمر آخر لم تكن في الشخص زيادة على نوعه.

[البرهان الرابع عشر]

إن الحكماء اطبقوا أن الوجود خير محض والعدم شر محض بالبيانات^(١) التي ذكروها، بل ادعوا البدهاة في هذا الحكم وتنبهوا^(٢) عليه بالأمثلة الواضحة. وظاهر أن المحكوم عليه بالخيرية نفس مفهوم الوجود، وبالشرية نفس مفهوم العدم؛ فلو لم يكن الوجود غير الماهية المجعولة لم يكن لهذا الحكم معنى محصلاً. ثم من الأمور البينة عند العقل أن الشرف والسعادة والبهجة ليست في إدراك ماهيات الجزئيات [ألف - ٤] بل في وجوداتها، كما أن اللذة ليست في إدراك ماهيات اللذيق بل في حصوله للقوة المدركة له، فليس كل من تصور ماهية السلطنة سلطاناً، ولا من تصور ماهية القهر قهرماناً^(٣).

[البرهان الخامس عشر]

إن من البين أن الخارج والذهن في قولنا: «هذا موجود ذهني» ليس من قبيل الظروف والأواني، بل كون الشيء في الخارج معناه أن له وجوداً تترتب عليه الآثار المخصوصة، وتظهر منه الأحكام الخاصة، وكونه في الذهن أن لا يكون كذلك؛ وليس معنى الوجود الذهني للشيء مجرد كونه في النفس أو في قوة مدركة وإلاً لكانت الصفات النفسية كالعلم والقدرة للعلماء والقادرين كلها موجودات ذهنية، وليس كذلك؛ هذا خلف.

فإذن نقول: لو كانت موجودة الأشياء أمراً انتزاعياً عقلياً من غير اعتبار الوجود لم يبق فرق بين الوجود الخارجي والذهني، إذ الماهية منحفظة التقرر

(١) في الأصل: أما بالبيانات.

(٢) تنبهوا - ظ.

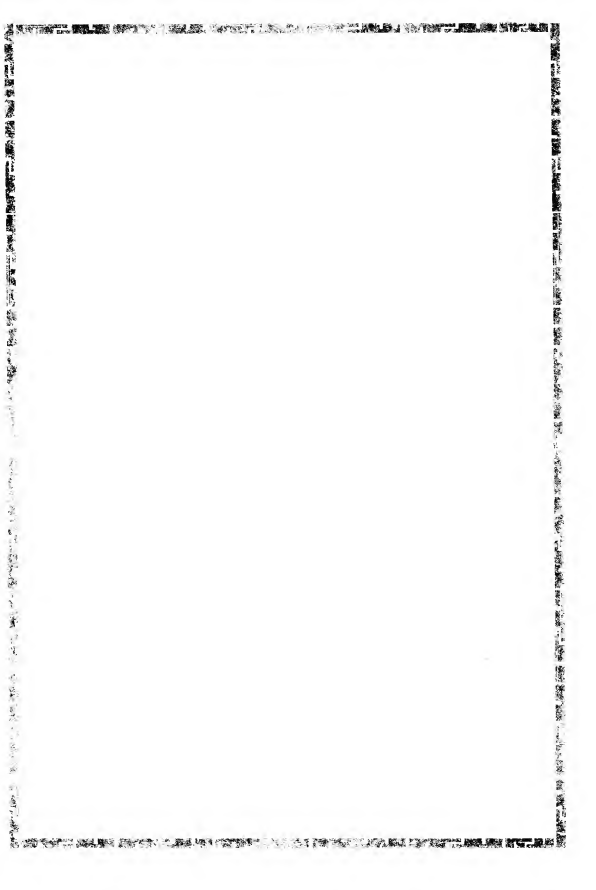
(٣) قهاراً - ظ.

فيهما، وهي بعينها على هذا الرأي مجعولة جعلاً بسيطاً، وهي بعينها وباعتبار ذاتها غير منفكة عن الحكم بعينها بالوجود، والوجود ليس إلا باعتبار ذاتها الصادرة عن الجاعل جل ذكره^(١) [ب - ٤].

(١) يوجد في «المشاعر» ص ٣٨، الشاهد الثاني، برهان آخر لم يتعرض له هنا.

٦

التنقيح في المنطق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع سماء العقل الهادي إلى أصول الرأي وفروع النقل، واقعده في سوق التصرف في مواد صور الأقيسة وكمياتها، وعناصر أمزجة الأدلة وكيفياتها، ليعتبر به نقد البراهين من زيفها، ويوزن ماثاقيل الحجج من ميلها وحيفها، ليأمن من النقص والخسران، ويحترز عن الجور والطغيان، فقال له: ﴿أَلَّا تَنْظُرُوا فِي آيَاتِنَا﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٨] . ﴿وَأَقِيمُوا الزُّكُوفَ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٩] .

فويل للمجادلين^(١) من أهل الشغب والفساد، والمراء واللداد^(٢) ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢] . ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: الآية ٣] .

والصلاة على براهينه^(٣) الباهرة، وحججه^(٤) الظاهرة، محمد وآله نتاج مقدمتي الولاية والنبوة، ووسائط حدود العصمة والعدالة، وشرائط انتاج العلم والعمل، والوصول إلى المبدأ الأول.

وبعد، فإني مهدي إليك وهادي إياك من المنطق إلى أصول، منقحاً فصولها عن فضول، فإن أخذت الفطانة بيدك سهل عليك السبيل إلى البسط والتحقيق والبحث والتفصيل. والله الهادي إلى طريق [ب - ١] الرشاد، وعليه التوكل وبه الاعتماد.

(١) ج: للمعادلين.

(٢) ج: السراد.

(٣) ج: البراهين.

(٤) ج: الحجج.

الإشراق الأول

في ايساغوجي

وفيه مقدمة ولمعات.

المقدمة

المنطق: قسطاس إدراكي يوزن به الأفكار ليعلم صحيحها من فاسدها. والفكر: انتقال الذهن فيما حضر عنده من صور الأشياء وهو المسمى بالعلم، لينتقل إذا كان على ترتيب خاص إلى ما لا يحضر من جهة ما لا يحضر، وهو الجهل. والمراد منه مجموع الانتقالين لا الذي بإزاء الحدس. وقد لا يكون الترتيب على نحو التأدية أو فيما يتأذى عنه، وهو الخطأ، فاحتيج إلى العاصم.

لمعة [١]

[في العلم وأقسامه]

العلم (١): إما تصديق وهو الاعتقاد الراجح، سواء بلغ حد الجزم، (ألف): فإن طابق الواقع فيقين، وإلا فجهل مركب، (ب): أو لا، فظن صادق أو كاذب. (٢): وإما غيره، فتصور. وقد يطلق على المعنى الشامل لهما فيرادف العلم.

وكل منهما فطري، وحدسي، ومكتسب يمكن تحصيله من الأولين أن لم يحصل بإشراق من القوة القدسية. والكاسب من التصور حد ورسوم، وكل منهما تام وناقص.

ومن التصديق قياس واستقراء وتمثيل، يعمها الحجة. فلا سبيل إلى إدراك غير حاصل إلا من حاصل، ولكن مع التفتن للجهة التي صار لأجلها مؤدياً إلى المطلوب.

فقصارى أمر المنطق أن يعرّف الكاسبين وأحوال أجزائهما ومبادهما ومراتبهما في القوة والضعف والصحة والفساد، فيجب عليه النظر في المعاني المفردة ثم

[ألف - ٢] في المؤلف منها لتقدمها عليه؛ وفي الألفاظ من حيث دلالتها على المعاني^(١)، إذ ربما يختلف باختلافها، غير مقيد بلغة دون لغة إلا نادراً.

لمعة [٢]

[في الدلالات وأقسامها]

الدلالة لفظية وغير لفظية، وكل منهما وضعية وطبعية وعقلية.

والأولى من الأولى^(٢) مطابقة أن دل اللفظ على معناه من حيث هو معناه، تضمن إن دل على جزء المعنى من حيث هو جزؤه. والتزام إن دل على خارجه من حيث هو خارجه بشرط اللزوم العقلي.

والأولى وضعية صرفة، والأخيرتان باشتراك الوضع والعقل، فيستلزمانها دون العكس^(٣)؛ فمدلول لفظ الإنسان بالأولى معنى الحيوان الناطق، وبالثانية أحدهما، وبالثالثة قابلية الكتابة.

لمعة [٣]

[في المفرد والمركب]

الدال بالمطابقة^(١): مفرد، إن لم يقصد بجزئه الدلالة على جزء معناه، أعم من أن يكون ذا جزء أو لا، ومن أن يكون دالاً بوجه أو لا، ومن أن يكون دلالاته جزء معناه مقصوداً أو لا، كهمزة الاستفهام، وزيد، وعبد الله، والحيوان الناطق علمين^(٤).

(٢): ومركب إن كان بخلافه، ويسمى قولاً.

(ألف): فمنه تام صحيح السكوت عليه، وأحد طرفيه اسم، وهو تام المعنى

(١) ج: المعنى.

(٢) أي اللفظية الوضعية.

(٣) أي دلالة التضمن والالتزام يستلزمان الدلالة المطابقة دون العكس.

(٤) ألف: علمياً.

دون مقارنة للزمان، سواء كان عينه كأمس وأمثاله أو لا، والطرف الآخر^(١) إما هو أو الكلمة، وهي تام المعنى مقترن بشيء من الزمان.

(ب): ومنه ناقص يتألف من أحدهما والأداة؛ أو منهما وهي غير تام المعنى، والتام: خبر وإنشاء. والناقص: تقييدي أو غيره.

لمعة [٤]

[في الكلّي والجزئي وأقسام الكلّي]

مجرد [ب - ٢] المعنى إن منع من وقوع الشركة فجزئي، وإلا فكلّي، (١): مستحيل أفراده (٢): أو ممكن معدوم (٣): أو موجود منتشر متناهيًا (٤): أم لا (٥): أو واحد (٦) حقيقياً (٦): أم لا، والحقيقي ممتنع الباقي أم لا.

والمنتشر متواطىء إن اتفق في الجميع؛ ومشكك إن اختلف بكمال أو نقص، أو تقدم وتأخر، أو أولوية وعدمها.

لمعة [٥]

[في الألفاظ ونسبتها]

المتكثر إذا اتحد معناه يسمى مترادفة، وإذا^(٣) تكثّر فمتباينة. والمتحد المتكثر المعنى مشترك إذا وضع للجميع؛ وحقيقة ومجاز إذا استعمل في الموضوع له^(٤) وفي غيره بعلاقة؛ والثاني مستعار إن كانت العلاقة مشابهة، ومرسل إن كانت دونها، فإن ترك استعماله في الأول فمنقول، سواء كان الناقل شرعاً، أو عرفاً خاصاً أو عاماً؛ فينسب إليه.

(١) ج: طرفه الآخر.

(٢) ج: واحداً.

(٣) ج: وإن.

(٤) ألف: موضوع.

لمعة [٦]

[في النسب الأربع]

الكليان مع تفارقهما كلياً متبائنان، مرجعه إلى سالتين كليتين؛ ومع تصادقهما كلياً من الطرفين متساويان - كنقيضيهما - مرجعه إلى موجبتين كليتين؛ وجزئياً من أحدهما فقط أعم وأخص مطلقاً - كنقيضيهما عكساً - مرجعه إلى موجبة كلية ونقيضها؛ ومنهما أعم وأخص من وجه، مرجعه إلى موجبة جزئية وسالتين جزئيتين، وبين نقيضيهما كالأولين تباين جزئي، مرجعه إلى سالتين جزئيتين.

فالنسب بين الكليين أربع؛ وبين الجزئيين لا يجري سوى الأولين، إلا أن يراد بالجزئي معنى آخر، أي الأخص [ألف - ٣] تحت الأعم.

لمعة [٧]

[في الحمل وأقسامه]

إذا قلنا «ج» «ب»، ف «ج» موضوع و«ب» محمول، والقول حمل متواطئ ويستمر حمل على هو وهو هو. أو اشتقاق، ويسمى حمل في هو وذو هو.

والحمل إما ذاتي أولى أو عرضي متعارف؛ والذاتي ما يكون الموضوع عين المحمول ذاتاً وعنواناً، فإن كان بينهما فرق بالإجمال والتفصيل، فيكون الحمل مفيداً وإلا فلا.

والعرضي ما يكون من أفراده، سواء كان محموله ذاتياً داخلاً فيه، أو عرضياً خارجاً عنه.

والحمل في الأول بالذات، وفي الثاني بالعرض؛ والمحمول العرضي (١): إما لازم في الوجودين كزوايا المثلث للمثلث. (٢): أو في العين دون الوهم كسواد الزنجي والفيل، وبالعكس ككلية الإنسان. (٣): وإما مفارق دائم (٤): أو غيره؛ (ألف): سريع الزوال (ب): أو بطيئه، كغضب الحليم وحلمه.

وجميع العرضيات يخالف الذاتي في تقدمه وتقومه وخروجها وتأخرها.

واللازم الأول يشارك^(١) الذاتي في وجوب نسبته وعدم تعلّله بأمر خارج. وقد يكون الشيء ذاتياً لأمر، عرضياً لآخر، كالسواد للأسود من حيث هو أسود، ولمعروضه؛ وكذا كل مشتق؛ والموجود كذلك عند الجمهور.

ومن العرضي ما لا واسطة له، (١)، أما في الثبوت فيسمى لازماً أولياً كما مرّ؛ (٢): أو في العروض فيسمى أولياً كالتعجب للإنسان: (٣): أو في الإثبات فيسمى بيتاً، كالتغير للعالم.

ومقابل كل منها يعلم بالمقايسة، فما يلحق الشيء لذاته أو لأمر يساويه جزءاً كان [ب - ٣] أو خارجاً يسمى عرضاً ذاتياً، وما لا يكون كذلك يسمى عرضاً غريباً. ومن الأول يبحث في العلوم لا من الثاني، وإلا لكان كل علم في كل علم.

لمعة [٨]

[في الأيساغوجي أو الكليات الخمس]

ذاتي الماهية كان تمامها فنوع. وإن كان جزءها، فالمشترك بين مختلفة الحقائق جنس، والمختص المميز فصل.

والنوع حقيقي إن كان متفق الأفراد في تمام الحقيقة، وإضافي إن كان تحت جنس، وبينهما عموم من وجه، إذ الأولى قد يكون بسيطاً، والثاني قد يكون جنساً. وعرضيّها^(٢) المختص خاصة والمشارك عرض عام. فالكليات خمس.

لمعة [٩]

[في معرفة الكليات الخمس]

السائل بـ «ما هو» (١): إما أن يطلب شرح اللفظ، (٢): أو تمام الماهية،

(١) ج: مشارك.

(٢) ج: عرضي.

(ألف): مختصة كانت (ب): أو مشتركة، فيجاب بما يدل عليه، أو عليهما مطابقة وعلى الأجزاء تضمناً؛ فيكون الجواب نوعاً أو جنساً.

والسائل بـ «أي شيء» (١): أما أن يطلب ما يميز بحسب ماهيته^(١) (٢): أو بحسب عارضة^(٢). فيجاب بالفصل أو الخاصة.

فالنوع هو المقول على الكثرة المتفقة الحقيقة في جواب ما هو.

والجنس هو المقول على المختلفة الحقائق في جواب ما هو؛ (١): فقد يكون قريباً إن كان الجواب - إذا سئل عن الماهية وأي مشارك لها فيه - واحداً، أو بعيداً إن كان متعدداً.

وعدد الأجوبة كعدد مراتب البعد زائداً عليها. الواحد للقريب^(٣).

ثم الأجناس يتصاعد في عمومها إلى جنس غير نوع، والأنواع يتنازل في خصوصها إلى نوع غير جنس، ولا بد من النهايتين؛ إذ لا أعم من الوجود وإن لم يكن جنساً ولا أخص من الشخص. والمراتب محصورة بينهما [ألف - ٤] المحصور متناه، وكل واحد من الأوساط جنس ونوع باعتبارين.

والفصل: هو المقول على الشيء في جواب أي شيء هو في جوهره.

فإن ميز عن المشارك في الجنس القريب فقريب، وإلا فبعيد.

وكل مقوم لما يميزه مقسم لما يميز عنه^(٤).

والخاصة: هو الخارج المقول على ما تحت حقيقة واحدة فقط من حيث هو كذلك في جواب أي شيء هو في عرضه (١): وهي شاملة؛ (٢): وغير شاملة.

والعرض العام: هو الخارج المقول عليها وعلى غيرها.

(١) ج: الماهية.

(٢) ج: العارضة.

(٣) أي للجنس القريب جواب واحد.

(٤) ألف، ب: وكل مقوم لا يميزه ومقسم لا يميز.

والخاصة الحقيقية للشيء قد يكون عرضاً عاماً لآخر؛ وبهذا الاعتبار لا يكون من المطلب، وإذا أخذت إضافية لم يكن بينهما فرق^(١).

لمعة [١٠]

[في أقسام الكلي]

هذه المعاني مفهوماتها منطقية؛ ومعروضاتها طبيعية؛ والمركب من العارض والمعرض عقلي لا وجود له. والطبيعي فيه خلاف^(٢)، والحق وجوده.

الاشراق الثاني

في الأقوال الشارحة

لمعة [١]

[في الحدود والرسوم]

معرف الشيء هو المحمول عليه، المفيد تصوره. وشرطه أن يكون مساوياً له في الصدق لا الأعم ولا الأخص، وأجلى منه في المعرفة لا المساوى والأخفى. وهو في المشهور حد إن كان بالفصل، ورسم ان كان بالخاصة. وكل منهما تام إن كان مع الجنس القريب، وناقص إن لم يكن معه.

وليس الغرض في الحد مجرد التمييز وإلا لحصل من العرضى، فلا يجوز في التام منه الإخلال بشيء من المقومات بل يجب إيرادها وإن كانت الدلالة على سبيل التضمن.

والإيجاز غير معتبر لعدم جواز طرح بعض المقومات؛ ولا الزيادة فيها،

(١) أي لا فرق بين الخاصة الإضافية والعرض العام.

(٢) أي في وجود الكلي الطبيعي اختلاف، هل هو موجود أم لا؟ وإن كان موجوداً هل له وجود لا بشرط أو بشرط شيء.

سواء قلت [ب - ٤] الألفاظ أو كثرت. فأخذ الوجيز في حد الحد خطأ على أنه إضافي مجهول.

لمعة [٢]

[في الحد ودلالته وتركيبه]

اسم الحد على التام والناقص بالاشتراك، للدلالة الأول على الماهية بالمطابقة، والآخر عليها بالالتزام؛ وعلى الحدود الناقصة بالتشكيك، لتفاوت مراتب التحليل في إيراد الأجزاء.

والماهية (١): إما حقيقية، وهي التي يتقوم جزؤها العام بجزئها الخاص. (٢): وإما غير حقيقية وهو ما لا يكون كذلك. وتركيب الحد في الأولى من الجنس والفصل الجامعين لجميع المقومات؛ والترتيب ليس بضروري كما توهم بل مستحسن.

وفي الثانية من الأمور الداخلة فيها وإن لم يكن جنساً وفصلاً، وليس كما ظن إن الحد لا يتركب إلا من الجنس والفصل.

خاتمة

في أمثلة من الخطأ في التعاريف

مهذبة للطبع

١- إهمال الحيثيات يوجب الغلط للماهية الجنسية؛ إذا أخذت متخصصة لا يقال على المختلفات، وإن أخذت مشروطة بلا تخصص فتتافى اقترانها بفصل، ولم يصدق على المجموع الذي هو النوع لأنها جزؤه. فعلى التقديرين لا يكون جنساً، بل يجب أخذها مطلقة إذا كانت جنساً، وبه يقاس حال البواقي.

٢- فمن الغلط في التعاريف أخذ الجزء مكان الجنس، إذ الجزء إذا حمل على الكل يكون تكراراً.

٣- ومنه أخذ الفصل مكان الجنس، كقولهم: «العشق إفراط المحبة». وإنما اللائق إنه محبة مفردة.

٤- ومنه أخذ الموضوع الفاسد مكان الجنس، كقولهم: «الرماد خشب محترق».

٥- ومنه تعريف الشيء مساويه في المعرفة والجهالة، كقولهم: «السواد هو ما يضاد البياض».

٦- أو بما هو أخفى، كقولهم [ألف - ٥] «النار هو الاسطقس الشبيهة بالنفس».

٧- أو بنفسه كقولهم: «الإنسان حيوان بشري».

٨- أو بما لا يعرف إلا به، كقولهم في حد الشمس: «كوكب يطلع نهاراً»، إذ النهار لا يعرف إلا بطلوع الشمس.

٩- أو بالمضاييف لكن المتضاييفين معاً^(١) في المعرفة والجهالة، فلا يوجد^(٢) في حد كل منهما إلا ما به يعرف لا ما معه، فيقال: «إن الأب حيوان يولد آخر عن جنسه»^(٣) من نطقته. بل يؤخذ في مثل هذه الحدود السبب الموقع للإضافة.

[تبصرة]: ويهجر في الحدود الألفاظ المجازية والمشتركة والأسماء الغريبة. فإن لم يوضع للمعنى اسم فليخترع ما يناسبه من الأسماء.

الإشراق الثالث

في بارير ميناس

تمهيد

وجود الشيء إما عيني أو ذهني أو لفظي أو كتبي. والأولان حقيقيان؛

(١) ج معين.

(٢) ج: لا يؤخذ.

(٣) ج: في جنسه.

والأخيران وضعيان، لاختلافهما بحسب الاعصار^(١) والأمم.

لمعة [١]

في أقسام القضايا وأجزائها

الخيري من المركب التام ما يكون لنسبته مطابق، فإن حكم فيه بثبوت أمر
لآخر أو نفيه عنه فحملى، وإلا فشرطي.

والمحكوم عليه في الحملى يسمى موضوعاً، والمحكوم به محمولاً، والدال
على النسبة في الملفوظ رابطة سواء كانت زمانية ككان وأمثاله أو غيرها، وقد
استعير لها هو، وقد يحذف أو يكتفي منها بحركة في بعض اللغات، فالقول يكون
ثنائياً.

وتأليف الشرطي من خبريتين^(٢)، يسمى الأول مقدماً والثاني تالياً، أخرجنا
عن خبريتها ليرتبط^(٣) أحدهما بالآخر فيكون خبراً واحداً.

(١): فمنه [ب - هـ] متصل: لزومي لعلاقة ذاتية^(٤)، أو اتفاقي ان كانت بين
جزئيه ملازمة.

(٢): ومنه منفصل: حقيقي مانع الجمع والخلو. وغير حقيقي مانع الجمع
دون الخلو أو بالعكس، إن كانت بين جزئيه معاندة بأحد الوجهين.

وإنما انحصرت الأخبار في هذه لأنها إما إن تنحل بطرفيها إلى مفردين
حقيقياً أو حكماً أو لا، والثاني إما أن يرتبط باللزوم أو العناد، ولكل من الثلاثة
إيجاب وسلب، هما كيفية النسبة.

والصوادي من الشرطيات قد يكون أجزاؤها كاذبة.

(١) ألف: في الإعصار.

(٢) ج: خبرين.

(٣) ج: ليربط.

(٤) ج: للعلاقة الذاتية.

لمعة [٢]

[في أقسام القضايا بحسب الموضوع]

موضوع الحكم إن كان (١): شخصاً فالقضية شخصية. (٢): أو طبيعة بشرط تعينها الذهني فطبيعية. (٣): أو بلا^(١) شرط فمهملة. (٤): أو الأفراد كلها أو بعضها فمحصورة كلية أو جزئية، موجبة أو سالبة. والمبين لكمياتها سور. وهي أربعة^(٢) للأربع.

لمعة [٣]

[في موضوع القضايا]

إيجاب القضية يقتضى وجود موضوعها، إذ المعدوم لا يثبت له شيء. إما محققاً كما في الخارجية؛ أو مقدراً كما في الحقيقة؛ أو ذهنياً كما في الذهنية. فالموجبة بحسب الموضوع أخص من السالبة مع مساواتهما الاتفاقية^(٣)، لتحقق المفهومات كلها في المبادئ العالية، ولاستدعاء مطلق الحكم الوجود الإدراكي، إذ المجهول مطلقاً لا حكم عليه بنفي أو إثبات.

[تذكرة وتكشاف]

والشبهة^(٤) به عليه مندفعة بما ذكرنا من الفرق بين الحملين، إذ الشيء قد يكذب عن نفسه بأحدهما ويصدق عليه بالآخر، على أن [ألف - ٦] الفرق لا يجري إلا في الشخصيات والطبيعات لاشتغال المحصورات على عقد وضع إيجابي وهو الاتصاف بالعنوان بالفعل. فإن قولنا كل «ج» «ب» ليس معناه الجيم الكلي وإلا لكانت طبيعية أو كلية أو كلاً، بل معناه كل ما يوصف بـ «ج»^(٥) ذهنياً أو عيناً دائماً

(١) ألف: بما.

(٢) ج: أربع.

(٣) أي مع مساوات السالبة والموجبة في احتياجهما إلى الموضوع.

(٤) أي شبهة المعدوم المطلق.

(٥) ج: به ج.

أو غير دائم محيئاً به أو لا فهو «ب».

لمعة [٤]

[في القضية المعدولة والمحصلة]

القضية إذا جعل حرف السلب جزءاً لجزئها أو لأحدهما فمعدولة الطرفين أو أحدهما. وإلا فمحصلة، وكل منها موجبة وسالبة. وما سَمَوَها سالبة المحمول حكموا انفصالها عن المعدولة في الاعتبار، وعدم اقتضاء موجبتها، كالسالبة لوجود الموضوع نفسه.

لمعة [٥]

[تبصرة في القضايا الشرطية]

الكلية والجزئية والإهمال والتعيين في الشرطيات باعتبار الأوضاع والأوقات لا الأعداد كما في الحملات؛ وسور محصوراتها أدوات معينة.

لمعة [٦]

[في تركيب القضايا الشرطية]

من الشرطيات ما يتركب من مثليه^(١) أو قسيميه أو خلط أو عن إحدى الشرطيتين مع حملة.

الاشراق الرابع

في جهات القضايا وتصرفات فيها

لمعة [١]

[في معرفة الجهات والقضايا الموجهة]

نسبة المحمول إلى الموضوع لا يخلو من الوجوب أو الإمكان أو الامتناع،

(١) ج: الحملة.

وهي مادة القضية. وقد يصرح بها في الملفوظة فيسمى موجهة؛ والمبين لها جهة، سواء طبقت^(١) المادة أم لا.

ويقابلها الإطلاق العام تقابل العدم والملكة، إذ نسبته إلى التوجيه كنسبة الإهمال إلى الكمية.

[أقسام القضايا الموجهة البسيطة]

١- فإن حكم فيها بضرورة نسبة المحمول إلى ذات [ب - ٦] الموضوع من غير شرط زائد فضرورية مطلقة (ألف): سواء كانت أزلية، كقولنا: «اللّه قيوم بالضرورة». (ب): أو ذاتية^(٢) مقيدة بما دامت الذات، كقولنا: «الإنسان حيوان» لأن ضرورتها غير متأبدة، بل مع بقاء الذات. (ج): أو مقيداً بوصف، أو بدوام فمشروطة عامة، (د): أو^(٣) في وقت معين فوقتية مطلقة، (هـ): أو مبهم فمتشعبة مطلقة.

٢- وإن حكم فيها بدوامها، (ألف): ما دامت الذات فدائمة مطلقة، (ب): أو ما دام الوصف فعرفية عامة.

٣- وإن حكم فيها بسلب ضرورة مقابلها فممكنة عامة.

[أقسام القضايا الموجهة المركبة]

وربما قيّدت بعض هذه البسائط فتصير مركبات، إما بلا دوام الذاتي كالعامتين فتسميان الخاصتين والوقتيتين المطلقتين، فحذف عنهما في التسمية الإطلاق للتقييد. والمطلقة العامة فتسمى الوجودية اللادائمة. أو بلا ضرورة الذاتية كهي^(٤) أيضاً، فيسمى الوجودية اللاضرورية. أو بلا ضرورة لجانب الموافق كالممكنة العامة فيسمى بالخاصة، إذ القيد إشارة إلى مطلقة أو ممكنة عامتين على عكس ما قيّد بهما في الكم والكيف.

(١) ج: طباقته.

(٢) ألف: ذاتي.

(٣) ألف: و.

(٤) أي كالوجودية اللادائمة.

لمعة [٢]

[في الإمكان]

الإمكان العام كان بإزاء الممتنع، فيدخل فيه الواجب.

والخواص وجدوا ثلاثة أقسام: (١): ضروري الوجود، (٢): ضروري العدم، (٣): وما لا ضرورة في وجوده وعدمه فخصوه باسم الإمكان. فالقسمة كانت عند الأولين ثنائية: ممكن وممتنع، وعند هؤلاء ثلاثية هما والواجب.

والعامي يصدق على طرفي الخاصي^(١) ألف - ٧ لصدق غير الممتنع على إيجابه وسلبه. وللإمكان محامل أخرى حذفناها لعدم الاحتياج إليها. ومن توهم أن شرط الممكن عدم وقوعه إذ الوجود يخرج به إلى الوجوب لم يعلم أنه لو كان كذا فالعدم يخرج به إلى الامتناع، فإن لم يضّر هذا لم يضّر ذاك. بل الممكن باعتبار ماهيته أبداً ممكن، وكل من الضرورية العدم والوجود إنما هي له بالغير؛ والأمهات من الجهات هي هذه الثلاث.

لمعة إشراقية [٣]

[في رجوع القضايا إلى الضرورية]

الامتياز بين القضايا بالعوارض دون الفصول ليرجع إلى موجبة كلية حملية ضرورية. فالأول: بالعدل.

والثاني: بالافتراض؛ وفي العلوم الحقيقية لا يبحث عن الشخصيات إذ لا برهان عليها، ولا يطلب حال بعض الشيء مهماً دون تعينه فلا يبقى إلا كلية.

والثالث: بقلب الشرطية حملية بالتصريح بلزومها أو عنادها؛ فإنها في الحقيقة حمليات حذف عنها التصريح بها وجعلت متصلة ومنفصلة بأداة الاتصال أو الانفصال.

(١) ج: الخاص.

والرابع: بجعل الجهة جزء المحمول فيصير الجميع ضرورية؛ إذ الإمكان للممكن ضروري كالامتناع للممتنع والوجود للواجب.

على أن المطلوب في العلوم الحقيقية ليس إلا الضروريات، وإن كان في الصورة غيرها؛ إذ الجزم لا يحصل إلا بها فالبواقي من الجهات أجزاء للمطالب لا غير؛ والجهة واحدة، أو لا ترى أن تقسيم الماهيات بالوجود والإمكان والامتناع - على نحو أليق^(١) - الضرورة [ب - ٧] في الجميع؛ وإلا اختل التقسيم الحاصر بالاتفاق. فافهم هذا، ودع عنك الإطنابات التي لا فائدة فيها سوى إفراغ أوعية الدماغ عن وساوس الخيالات.

لمعة [٤]

[في معرفة النقيض ونقيض الجهات]

التناقض اختلاف القضيتين يستلزم صدق كل منهما لذاته كذب الأخرى وبالعكس، فلا بد في الشخصية من تخالفهما في الكيف، واتحادهما في غيره من الموضوع، والمحمول، والشرط^(٢) والإضافة، والمكان والزمان، والكل والجزء، والقوة والفعل. وردها المتأخرون إلى وحدتي الطرفين، والفارابي إلى وحدة النسبة.

وفي المحصورات هذه مع زيادة شرط هو التخالف في الكم، لكذب الكليتين وصدق الجزئيتين فيما هو موضوعهما أعم. إذ النظر في أحكام المفهومات دون الذوات.

وفي الموجهات هي مع التخالف في الجهة لكذب الضروريتين وصدق الممكنتين في مادة الإمكان.

فالنقيض للضرورة والدوام: الإمكان والإطلاق العامين^(٣)، وللمشروطة

(١) ج: التحقيق.

(٢) ألف، ب: الربط.

(٣) ألف، ب: العامتين.

والعرفية العامتين: الحينيتان الممكنة والمطلقة. وللمركبة^(١):^(٢) المفهوم المردد بين جزئيهما. لكن في الجزئية بالقياس إلى كل واحد. ولا تناقض بين المطلقتين لعدم تعين الزمان.

لمعة حكمية [٥]

[في وحدة الحمل]

قد مرّ أن الشيء ربما يصدق ويكذب على نفسه بالحملين، فإن مفهوم الجزئي مثلاً يصدق على نفسه كسائر الأمور [ألف - ٨] لامتناع سلب الشيء عن نفسه، ويصدق عليه نقيضه أيضاً وهو مفهوم الكلى.

فلا بد في التناقض من وحدة أخرى فوق التمان المشهورات، هي وحدة الحمل، لثلا يصدق الطرفات. فالجزئي جزئي لا كلى بأحد الحملين وهو الذاتي الأولى، وكلى لا جزئي بالآخر وهو الشايع الصناعي. وكذا الحال في نظائره كاللاشيء، واللاممكن العام، واللامفهوم وعدم العدم والحرف.

لمعة [٦]

[في العكس المستوى]

العكس المستوى تبديل طرفي القضية مع بقاء الصدق والكيف.

(١) قوله: «وللمركبة»: أي يؤخذ نقيض الجزئين ويركب منهما منفصلة مانعة الخلو ويقال نقيض هذا المركب أما هذا النقيض أو ذاك، وأخذ المفهوم سهل بعد الإحاطة بحقائق المركبات وتناقض البسائط. (منه).

(٢) قوله: «وللمركبة»: يعني أن الحكم وهو أن الفهوم المردّد نقيض للمركبة يصحّ مطلقاً في المركبة الكلية، وأما في المركبة الجزئية فلا بد أن يعتبر بالنسبة إلى كل جزء، لأننا إذا قلنا: بعض الإنسان ضاحك بالفعل لا دائماً كان معناه أن بعض الإنسان يثبت له الضحك في وقت معين، فلا يثبت له في وقت آخر، فنقيضه أنه ليس كذلك، ومعناه أن كل واحد من أفراد الإنسان بالنسبة إلى كل فرد، وأما إذا لم يعتبر هكذا فلم يكن المفهوم المردّد نقيضاً للجزئية لجواز كذب المركبة الجزئية، مع كذب المفهوم المردّد لاحتمال أن يكون المحمول ثابتاً لبعض أفراد الموضوع دائماً مسلوباً عن الأفراد الباقية دائماً، فيكذب الجزئية اللادائمة. وكاذب أيضاً كل واحدة في الكلّيتين اللتين هما نقيض الجزئية. (منه).

فالسالبة كليتها تنعكس مثلها^(١)، لامتناع سلب الشيء عن نفسه، وجزئيتها لا تنعكس، لجواز عموم الموضوع والمقدم.

والموجبة بقسميها تنعكس جزئية، لجواز عموم المحمول والتالي. هذا بحسب الكم والكيف.

وأما بحسب الجهة فالموجبات من الدائمتين والعامتين تنعكس حينية مطلقة، فإنه إذا صدق كل «ج» «ب» أو بعض «ج» «ب» بإحدى الجهات الأربع وجب أن يصدق بعض «ب» «ج» حين هو «ب»، وإلا لصدق نقيضها التي هي العرفية، وهي قولنا: لا شيء من «ب» «ج» دائماً ما دام «ب»، وإذا صدق النقيض مع الأصل ينتج نقيض الأصل.

ومن الخاصتين: حينية لا دائمة، ومن الوقتيتين والوجوديتين والمطلقة العامة: مطلقة عامة.

والسوالب من الدائمتين تنعكس دائمة ومن العامتين: عرفية عامة، ومن الخاصتين: عرفية خاصة لا دائمة في البعض.

والبيان في [ب - ٨] الجميع كما ذكرنا[ه] من ضم نقيض العكس مع الأصل لينتج المحال، وهو سلب الشيء عن نفسه.

ولا عكس للممكنتين إيجاباً على المذهب المنصور، إذ مفهوم الأصل فيهما: كل ما هو «ج» بالفعل «ب» بالإمكان، ومفهوم العكس أن ما هو «ب» بالفعل «ج» بالإمكان، ويجوز أن لا يكون «ب» بالإمكان «ب» بالفعل، لعدم خروجه من القوة إلى الفعل أصلاً. فلا يصدق العكس؛ وأما على رأي الفارابي فينعكسان ممكنة.

(١) قوله: «تنعكس مثلها»: يعني لو لم تنعكس السالبة الكلية، كقولنا: لا شيء من الإنسان بحجر، سالبة كلية لزم صدق نقيضها، وهو قولنا: بعض الحجر إنسان، فيلزم منه سلب الشيء عن نفسه إذا جعلناه صغرى، بأن نقول: بعض الحجر إنسان ولا شيء من الإنسان بحجر، ينتج بعض الحجر ليس بحجر، وهو سلب الشيء عن نفسه. (منه).

ولا لهما وللبواقي سلباً، للتنقيض في بعض المواد مع وجوب عموم القوانين.

لمعة [٧]

[في عكس النقيض]

عكس النقيض تبديل نقيضي الطرفين مع بقاء الصدق والكيف.
وحكم الموجبات في أحد العكسين حكم السوالب في الآخر وبالعكس مع الاتحاد في البيان والنقض.
ومن كان ذا قريحة لا يصعب عليه أحكام الموجبات في باب العكوس وأمثلتها. والقاعدة الإشراقية أغنت من تعديد أصناف كثيرة كما أشرنا إليه.

الإشراق الخامس

في التركيب الثاني^(١)

لمعة [١]

[في القياس ومادته]

العمدة في الحجج القياس، وهو قول مؤلف من القضايا يلزمه من حيث الصورة قول آخر. فصحة القياس لا يستلزم صحة مواده من القضايا بل تسليمها. وبقيد اللزوم يخرج الاستقراء والتمثيل. وقياس المساواة من الأقيسة المركبة، فلا حاجة إلى قيد يخرجها، إذ^(٢) الوحدة معتبرة في صدق المعرف.

والقضية إذا جعلت جزء قياس سمّيت مقدمة، [و] أجزاؤها بعد التحليل

(١) إيضاح: التركيب الأول هو تركيب القضية من الموضوع والمحمول والنسبة، والتركيب الثاني هو تركيب القضايا - التي عبرنا عنها بالقياس - من الصغرى والكبرى، أو القدم والتالي.

(٢) ج: أما.

حدوداً. فإن اشتمل على أحد طرفي المطلوب مادة لا صورة فاقتراني حملى ان كان [ألف - ٩] مركباً من حمليتين؛ وشرطي إن كان غيره.
وإن اشتمل عليه مادة وصورة فاستثنائي.

ويوجد في الاقتراني حد مكرر في المقدمتين محذوف في النتيجة يسمى الأوسط، وحدان هما طرفا المطلوب، والرأسان^(١). فذات الموضوع - وهو الأصغر - صغرى؛ وذات المحمول - وهو الأكبر - كبرى؛ والتأليف يسمى قرينة وضرباً؛ وكيفية وضع الأوسط^(٢) عند الطرفين شكلاً، والقرينة بالنسبة إلى اللازم عنها لذاتها قياساً؛ واللازم بالنسبة إليها بعد اللزوم نتيجة وقبله مطلوباً.

لمعة [٢]

[في صور الأقيسة الاقترانية]

الأوسط إما محمول الصغرى وموضوع الكبرى فهو الشكل الأول؛ لظهوره في نفسه ويتبين غيره به، والسياق الاتم لانتاجه جميع المطالب من المحصورات الأربع، فقد علم أن حمل القياس على أفرادهِ بالتشكيك.

أو بالعكس، فالأخير لبعده عن الطبع وعدم التفطن لقياسيته إلا يتجشم، ولهذا أهمله المعلم الأول.

أو محمولهما؛ فالثاني، لموافقته الأول في أشرف مقدمتيه التي لا يكون إلا موجبة وهي الصغرى.

أو موضوعهما؛ فالثالث، لموافقته له في أخسهما التي لا يكون إلا كلية وهي الكبرى، ويكاد الطبع يتفطن لقياسيتهما دون حاجة إلى بيان.

[الشرائط العامة للقياس الاقتراني]

ويشترك الثلاثة في أن النتيجة فيها ليست^(٣) عن الجزئيتين؛ ولا عن [ب - ٩]

(١) وهما الأصغر والأكبر.

(٢) ج: واسط.

(٣) ج: ليست.

سالبتين؛ ولا عن سالبة صغرى وجزئية كبرى؛ إلا في سوالب هي في حكم الموجبات كما أشرنا [ه].

لمعة [٣]

[في الشرائط الخاصة للشكل الأول وضروبه]

شروط الأول: إيجاب الصغرى وفعليتها ليندرج الأصغر في الأكبر بالفعل؛ وكلية الكبرى ليتعدى الحكم من الأوسط إليه.

فانحصرت ضروبه في أربعة إذا كانت ستة عشر بحسب وجوده، تراكيب الأربع المحصورات في إحدى المقدمتين مع مثلها في الأخرى، فانهذف أحد المتقابلين من الكيف والكم في أحدهما ثمانية، ويحذف أحدهما من الأخرى أربعة.

والشخصى لا يبحث عنه في الحقيقيات. والإهمال مغلط. ولما كانت النتيجة تابعة لأحسن المقدمتين كمّاً وكيفاً فينتج الأول من الضروب من موجبتين كليتين: موجبة كلية. والثاني من كليتين والكبرى سالبة: سالبة كلية. والثالث من موجبتين والصغرى جزئية: موجبة جزئية. والرابع من موجبة جزئية صغرى، وسالبة كلية كبرى؛ سالبة جزئية.

لمعة [٤]

[في الشرائط الخاصة للشكل الثاني وضروبه وإثباته]

شروط الثاني: بحسب الكيف اختلافهما فيه، وإلا لزم اختلاف النتيجة الموجب للعقم. وبحسب الكم^(١) كلية الكبرى، وإلا لجاز توافق الطرفين كما إذا

(١) قوله: «وبحسب الكم»: وهو صدق القياس الوارد على صورة واحدة مع إيجاب النتيجة تارة ومع سلبها أخرى لاشتراك المتوافقين والمتعاندين في لازم واحد إيجابي وسليبي مع امتناع السلب في المتوافقين والإيجاب في المتعاندين، أما اختلاف النتيجة عند اتفاق المقدمتين إيجاباً، فكقولنا: كل إنسان حيوان وكل ناطق حيوان، فإن الصادق حينئذ الإيجاب؛ أما عند اتفاقهما سلباً، فكقولنا: لا شيء من الإنسان بحجر ولا شيء من الفرس بحجر؛ فإن الصادق فيه السلب. بخلاف قولنا لا شيء من الإنسان بحجر ولا شيء من الناطق بحجر، فإن الصادق منه الإيجاب. (منه).

سلب^(١) أحد النوعين عن الآخر وحمل على بعض جنسهما، أو حمل الفصل على نوعه وسلب عن بعض جنسه.

وتباينهما أيضاً كما إذا حمل النوع^(٢) المسلوب عن الآخر على بعض فصله؛ أو سلب الفصل المحمول [ألف - ١٠] على نوعه عن بعض نوع آخر. وبحسب الجهة أمران:

أحدهما: إما دوام الصغرى أو كون الكبرى منعكسة السالبة: كالدائمتين والمشروطتين والعرفيتين؛ إذ لو انتفيا لكانت الصغرى غير الضرورية والدائمة، وهي ثلاثة عشر اخصها المشروطة الخاصة والوقئية والكبرى من التسع غير المنعكسة السوالب، وخصها الوقئية الخاصة، واختلاط أحد الصغريين الخاصتين مع الكبرى الوقئية الخاصة غير منتج للاختلاف.

وثانيهما: كون الممكنة مع الضرورية أو مع كبرى مشروطة. فضروريه أيضاً أربعة: لخروج ثمانية من الاحتمالات الستة عشر بالشرط الأول. وأربعة بالثاني.

فالأول^(٣): من كليتين مع إيجاب الصغرى وسلب الكبرى. والثاني: منهما عكساً، ونتيجتهما سالبة كلية. والثالث: من مختلفتين كيفاً وكمّاً مع الإيجاب والجزئية في الصغرى. والرابع: منهما مع تبدلتهما. والبيان بالخلف في الكل، وهو ضم نقيض النتيجة إلى الكبرى لينتج ما يناقض الصغرى.

(١) قوله: «كما إذا سلب»: الأول إشارة إلى توافقهما عند إيجاب الكبرى؛ كقولنا: لا شيء من الإنسان بفرس، وبعض الحيوان فرس؛ والثاني إلى التوافق عند سلبها، كقولنا: كل إنسان ناطق، وبعض الحيوان ليس بناطق؛ فإن [الصادق] فيه على الوجهين الإيجاب، وهو قولنا: كل إنسان حيوان. (منه).

(٢) قوله: «كما إذا حمل النوع»: الأول إشارة إلى تباينها عند إيجاب الكبرى، كقولنا: لا شيء من الإنسان بفرس، وبعض الصهال فرس. والثاني إلى القياس عند سلبها، كقولنا: كل إنسان ناطق، وبعض الفرس ليس بناطق، فإن الصادق فيه على الوجهين السلب، وهو قولنا: لا شيء من الإنسان بفرس. (منه).

(٣) أي: الضرب الأول.

وبعكس الكبرى في الأول ليعود^(١) إلى الشكل الأول. وبه^(٢) وبافتراض في الثالث، وهو فرض موضوع المقدمة معيناً لتصير كلية يحصل المطلوب من قياسين، أحدهما من الشكل الأول والآخر من هذا ولكن من كليتين. وبعكس الصغرى في الثاني وجعلها كبرى ثم عكس النتيجة ليحصل المطلوب.

لمعة [٥]

[في شرائط الشكل الثالث وضروبه وإثباته]

شروط الثالث (١): إيجاب الصغرى، وإلاّ لجاز توافق الطرفين [ب - ١٠] بأن سلب النوع وفصله^(٣) عما يباين جنسه، أو^(٤) سلب أحد النوعين عن الآخر وحمل فصله عليه.

(٢): وفعليتها وإلاّ لزم الاختلاف.

(٣): وكلية أحديهما، وإلاّ لجاز أن يكون المحكوم عليه الأصغر غير المحكوم^(٥) عليه بالأكبر.

فضروره ستة لسقوط الثمانية بالشرط الكيفي؛ واثنين بالكمي، وهي الموجبتان من الكم مع الكليتين من الكيف؛ والموجبة الكلية مع الجزئيتين منه. وكيفية الترتيب لا يخفى على الفطن.

والنتيجة في الأوتار موجبة جزئية، وفي الأشفاع سالبة جزئية. وما لزمتم

(١) ألف: فيعود.

(٢) أي بعكس الكبرى.

(٣) قوله: «بأن سلب النوع وفصله»: أي الصغرى لو كانت ممكنة لزم الاختلاف الموجب للعقم كما إذا فرضنا أن زيداً ركب الفرس ولم يركب الحمار. وعمرو ركب الحمار ولم يركب الفرس صدق: كل ما هو مركوب زيد فهو مركوب عمرو بالإمكان، وكل ما هو مركوب زيد فهو فرس بالضرورة، وكان الصادق فيه السلب، ولو بدلنا الكبرى بلا شيء مما هو مركوب زيد بحمار بالضرورة كان الصادق فيه الإيجاب، والسر ظاهر. (منه).

(٤) ألف: بأن.

(٥) ج: البعض المحكوم عليه بالأصغر غير البعض المحكوم...

كلية ولو^(١) في الأولين فما ظنك بغيرهما، لاحتمال كون الأصغر أعم من الأوسط المساوي للأكبر؛ أو المشارك له في الاندراج تحت الأصغر؛ فامتنع إيجاب الأخص^(٢) لجميع الأعم أو سلبه عنها.

والبيان بالخلف في الكل، وهي ضمّ نقيض النتيجة إلى الصغرى لنتج نقيض الكبرى.

وبعكس الصغرى في الثلاثة الأول والخامس؛ وبعكس الكبرى وجعلها صغرى ثم عكس النتيجة في الرابع؛ وبالاتراض في الذي إحدى مقدمتيه موجبة جزئية.

فظهر أن الثالث لا ينتج إلا جزئية، كما أن الثاني لا ينتج إلا سالبة^(٣)، والأول ينتج الجميع.

وفي هذه الثلاثة كفاية لطالب الحق. ويمكن له بالعمل الإشراقي رد الضروب المنتجة من كل شكل إلى ضرب واحد، هو المركب من موجبتين كليتين ضروريتين؛ وذلك لرده القضايا [ألف - ١١] إلى الموجبة الكلية الضرورية كما مر. والضابط في شرائط الثلاثة بحسب الكم والكيف كلية ما موضوعها الأوسط كبرى الأول مطلقاً، وإحدى الثالثة^(٤)، مع اتحاده بالأصغر - وهو المفسر بالملاقاة بالأسر - وإما كلية ما موضوعها الأكبر مع الاختلاف في الكيف.

لمعة [٦]

[المقدمات الشرطية في القياس الاقتراضي]

قد تتألف من الشرطيات أقيسة اقتراضية، وأقسامها خمسة؛ لأنها إما عن متصلتين، أو منفصلتين، أو حملى ومتصل، أو حملى ومنفصل، أو متصل ومنفصل.

(١) ج: كلياً.

(٢) ج: الآخر.

(٣) ألف، ب: كلياً.

(٤) ألف، ب: الثالثة. أي لا بد بكلية إحدى المقدمتين من الشكل الثالث.

الأول - وهو الأقرب إلى الطبع - ثلاثة أصناف، إذ الأوسط فيها (١): جزء تام من كل واحدة من المقدمتين (٢): أو غير تام من كل منهما (٣): أو تام من احدهما غير تام من الأخرى.

فمن الأول ينعقد الأشكال الأربعة. والثاني كذلك^(١) بالبيان المذكور.

والثالث: أربعة؛ لأن الحملية فيه إما صغرى أو كبرى. وأياً ما كانت فالشركة بينهما إما في التالي أو المقدم. وينعقد الاشكال الأربعة في كل قسم منها؛ إلا أن الأفضل منها ما كانت الحملية كبرى والشركة مع التالي لقربه من الطبع ولمسيس الحاجة إليه في قياس الخلف؛ لانحلاله إلى هذا الاقتران. وشرطه إيجاب المتصلة، ونتيجته متصلة مقدمها مقدم المتصلة، وتاليها نتيجة التأييف بين الحملية والتالي.

والرابع: ستة، لأن الحملية إما بعدد أجزاء المنفصلة أو أقل أو أكثر. وأياً ما كان فالمنفصلة فيه إما صغرى أو كبرى، والمطبوع منه ما كانت الحملية [ب - ١١] بعدد أجزائها وينعقد فيه الاشكال الأربعة. وشرط اتجاها كون المنفصلة موجبة كلية مع منعها للخلو.

الخامس: أيضاً ستة لأن الاشتراك بينهما (١): إما في جزء تام منهما (٢): أو من احدهما (٣): أو غير تام منهما.

والمتصلة في كل من الثلاثة إما صغرى أو كبرى. والمطبوع ما يكون الشركة في الجزء التام مع اتصال الصغرى.

عقد وحل^(٢)

[الشبهة الأولى]: قد طعن في الأول بأن ملازمة الكبرى وإن كانت في نفس الأمر، لكن جاز أن لا يبقى على تقدير ثبوت الأصغر إذا امتنع في نفسه. كقولنا: كلما كان هذا اللون سواداً وبياضاً فهو سواد وكلما كان سواداً^(٣) لم يكن بياضاً.

(١) ج: كذا.

(٢) ج: حل وعقد.

(٣) ج: - فهو... سواداً.

فيجاب بأن الأوسط إن وقع منهما بنحو واحد كان الانتاج بيتاً، لكن كذبت النتيجة لكذب الكبرى؛ وليس من شرط انتاج القياس صدق مقدماته، إذ ربما ينتج مع كذبها ويستعمل إلزاماً. وإن لم يقع لم يكن الاقتران قياساً لعدم تكرار الأوسط.

[الشبهة الثانية]: وفي الثالث^(١) بأن الحملية الصادقة في الواقع جاز أن لا يبقى صدقها على تقدير صدق مقدم المتصلة. فلا ينتج كقولنا: إن كان الخلاء موجوداً فهو بُعد، وكل بعد فهو في مادة. فلو انتج لصدق: إن كان الخلاء موجوداً فهو في مادة. وليس كذلك.

والجواب: منع كذب النتيجة، إذ المحال لا يمتنع أن يلزم من وجوده نفيه. وقد عرفت أن صدق المتصلة لا ينافي كذب الاجزاء.

لمعة [٧]

[في القياس الاستثنائي]

الاستثناء في الاستثنائي [ألف - ١٢] وضع أو رفع لبعض أجزاء الشرطية لوضع أو رفع الآخر.

والبسيط منه يتركب من شرطية وحملية.

والمتمصلات يستثنى فيها عين المقدم فيتج عين التالي، أو نقيض التالي فيتج نقيض المقدم.

ولا يستثنى عين التالي لعين المقدم، ولا نقيض المقدم لنقيض التالي لجواز عموم التالي؛ فيلزم من رفع الأعم رفع الأخص، ولا عكس. ومن وضع الأخص وضع الأعم ولا عكس.

وفي مادة المساواة وإن صحت الأربعة لكنها لخصوص المادة فغير معتبرة لعموم قواعدهم.

(١) ج: وفي الرابع والثالث.

وفي المنفصلة يستثنى عين جزء لنقيض الباقي أو نقيض جزء لعين الباقي .
والانفصال فيه إن كان متعددأ أو في مانعة الجميع فقط^(١)، يستثنى العين
للتقيض لا غير . وفي مانعة الخلو فقط التقيضين للعين لا غير .

الإشراق السادس في الأقيسة المختلفة^(٢)

لمعة [١]

[في القياس المركب وتعداد مقدمات القياس]

لا قياس أقل من مقدمتين، فإن المقدمة إن اشتملت على كلية النتيجة فهي
شرطية يستثنى بقضية أخرى، وإن اشتملت على أحد جزئيه فلا بد من قضية
أخرى يشتمل على جزئها الآخر .

ولا قياس من أكثر من مقدمتين، إذ المطلوب له طرفان فقط، ولا بد لكل
منهما من مناسب لا غير، بل يوجد^(٣) مقدمات كثيرة لقياسات متعددة سابقة إلى
قياس واحد لمطلوب واحد فيسمى «قياساً مركباً» قد تطوى النتائج^(٤) فيه .

لمعة [٢]

[في قياس الخلف ومقدماته]

الخلف قياس بين فيه حقيقة المطلوب بإبطال نقيضه . ويتركب من قياسين :
استثنائي، واقتراضي، وقد يردّ الخلف إلى المستقيم بأخذ نقيض النتيجة المحالة
واقترانها [ب - ١٢] بالصادقة على ما يتفق من الاشكال ينتج المطلوب مستقيماً .

(١) ب : إذ الانفصال فيه إن كان في مانع الجمع فقط .

(٢) في الأصل : القياس الخلف .

(٣) ألف : لا يوجد .

(٤) ج : التابع .

واعلم إن في جميع الاقترايات إذا أخذ نقيض النتيجة أو ضدها وقرنت بإحدى المقدمتين ينتج^(١) نقيض المقدمة الأخرى أو ضدها على أي شكل يتفق. ويسمى عكس القياس ويستعمل في الجدال احتيالاً لمنع القياس.

لمعة [٣]

[في قياس الدور]

قياس الدور^(٢): هو أخذ النتيجة مع عكس إحدى مقدماتها لينتج الأخرى. فتكون النتيجة نتيجة ما ينتجها. ويستعمل جدلاً لمنع القياس. وإنما يمكن في موضوع يتعكس الحدود ليحفظ الكمية.

لمعة [٤]

[تبصرة كلية في القياس]

القياس الناتج لقضية بالذات ينتج بالعرض بطلان نقيضها وصحة عكسها.

الإشراق السابع

في أصناف ما يحتاج به

منها: الاستقراء، وهو الحكم على طبيعة كلية بما وجد في جزئياته الكثيرة، كحكمك بأن كل حيوان يحرك فكّه الأسفل عند المضغ بما شاهدت من الحيوانات. وهو غير مفيد لليقين إذ ربما يكون حكم ما لم يستقرأ^(٣) بخلاف ما استقرىء كالتمساح في مثالنا هذا.

(١) ألف: نتيجاً.

(٢) قوله: «قياس الدور»: مثاله كالإنسان متعجب، وكل متعجب ضاحك، فينتج كل إنسان ضاحك. فيعيد الدور يقتزن النتيجة بالصغرى المعكوسة باقية على الضرورة نتجت الكبرى أو تقتزن بالكبرى المعكوسة ما فيه كبرى نتجت الصغرى. (منه).

(٣) كذا صححناه، وفي ج: يستقرأ به. وفي ألف وب: لا يستقرأ.

ومنها: التمثيل، وهو ما يدعى شمول حكم أحد الأمرين لآخر يشاركه لمعنى جامع بينهما، ويستقى بالقياس عند الفقهاء. يستعملها الجدليون؛ وهو من أضعف الحجج، لجواز أن يكون الحكم في الأصل لخصوصية ماهيته.

ومنها: قياس الفراسة، وهو ما يكون الأوسط فيه هيئة بدنية موجودة في نوع من الحيوان يستدل بها على خلق، للزومها لمزاج واحد، فيستدل بوجود [ألف - ١٣] أحد المعلولين على الآخر كعرض الأعالي الموجود^(١) في الإنسان والأسد، يستدل به على وجود خلق الأسد للإنسان وهو الشجاعة.

الإشراق الثامن

في البرهان

تميهة

[في الصناعات الخمس]

القياس: إما أن يفيد التخيل أو التصديق؛ فالأول: هو الشعر. والثاني: إن أفاد يقيناً فهو البرهان؛ وإن أوقع ظناً فهو الخطابة؛ وإلا فإن اشتمل على عموم الاعتراف والتسليم فهو الجدل، وإلا فالسفسطة. فالصناعات خمس.

فالبرهان لكونه مفيداً لليقين وجب أن يكون صورته^(٢) يقينية الانتاج، فلا يكون إلا قياساً، ومادتها اليقينية من الأوليات والملاحظات والتجربيات والحدسيات والمتواترات والفطريات.

فالصناعات: يتألف البرهان من اليقينية؛ والجدل من المشهورات؛ والخطابة من المظنونات؛ والشعر من المخيلات؛ والمغالطة من الشبهة باليقينية في السفسطة، وبالمشهورات في المشاغبة.

ولم يعتبر المشابهة بالمظنونات والمخيلات اللتين هما مبادئ الخطابة والشعر؛ لأن المشابهة لهما إن أفاد ظناً أو تخيلاً فهو هو، وإلا فلم يكن معتداً بها.

(١) ج: الموجودة.

(٢) ج: صورتها.

وما نقل من المعلم الأول «إن مقدمات البراهين كنتائجها ضرورية» ليس معنى الضرورية - كما توهم قوم - ما يقابل الممكنة؛ بل معناها اليقينية الواجب قبولها، ضرورية كانت أو ممكنة.

ثم إن منفعة البراهين أو السفسطة عامة لجميع الناس؛ لأن من علمهما انتفع بهما. أما البرهان فبالاستعمال [ب - ١٣] لتحصيل الحق. وأما السفسطة فالاحتراز (= فللاحتراز) عن الباطل^(١)، بخلاف غيرهما، فإن الجدل للإلزام الغير، والخطابة لاقتناعه^(٢)، والشعر لتخييله.

وكل ذلك بحسب الغير والمشاركة معه في التمدن.

لمعة [١]

[في المطالب]

إن من المطالب العلمية تصورية. وأخرى تصديقية.

فمنها «هل» (١): بسيطة كانت إذا طلب بها وجود الشيء في نفسه. (٢): أو مركبة إذا طلب بها وجود الشيء على صفته، والجواب فيها أحد طرفي النقيض.

ومنها «ما» (١): شارحة كانت إذا طلب بها مفهوم الاسم. (٢): وحقيقية إذا طلب حقيقته. وطالبة المفهوم مقدمة على هل البسيطة، وطالبة^(٣) الحقيقة يتأخر عنها.

ومنها «أي»: ويطلب بها تميز الشيء عن غيره في ذاته أو عرضه.

ومنها «لم»: ويطلب بها (١): علة الشيء في نفسه. (٢): أو علة التصديق. وهذا المطلوب هو بالقوة بمطلب «ما»، لأنك إذا قلت: لم «ج» «ب» كأنك قلت:

(١) ج: عنه.

(٢) ج: للإقناع.

(٣) ج: طلبه.

ما سبب كون «ج» «ب»؛ إلا أنه بالفعل مطلب «لم»^(١) بالقياس إلى النتيجة، وبالقوة مطلب «ما» بالقياس إلى الحد الأوسط. وكذا مطلب «أي» داخل تحت هل المركبة.

وهذه هي أتمها المطالب وإن كانت مطالب غيرها مثل كيف، وكم، ومتى، وإين؛ وقد يستغنى عنها بأي.

لمعة [٢]

[في البرهان اللّمي والإثني]

الحد الأوسط في البرهان يجب أن يكون علة لثبوت الأكبر للأوسط، وإلا لم يكن البرهان برهاناً، فهو إما أن يعطى اللّمية في نفس الأمر أيضاً فهو «لّمي» وإلا فـ «إثني».

فإن كان معلولاً لنسبة الأكبر إلى الأصغر فهو «دليل»؛ وإلا فغيره. فالدليل يشارك [ألف - ١٤] برهان اللّمي^(٢) في الحدود. بل كل برهان لّم في الحدود إذا بذل فيه الأوسط بالأكبر يصير برهان «إن» و«دليلاً».

لمعة [٣]

[في أجزاء العلوم]

أجزاء العلوم: موضوعات ومبادئ ومسائل. فموضوع العلم ما يبحث فيه عن أعراضه الذاتية.

ومبادئه (١): التصورية هي حدود موضوعاته وأجزائها وأعراضها الذاتية. و(٢): التصديقية هي القضايا التي يتوقف عليها براهين مطالبه، ويسمى الأوضاع ويجب إصدار العلم بالمبادئ.

(١) ج: أنه مطلب ما.

(٢) قوله: «البرهان اللّمي»: مثال البرهان اللّمي: هذا الخشب اشتعل فيه النار وكل ما اشتعل فيه النار محترق، فهذا الخشب محترق. (منه).

ومسائله: هي القضايا التي يطلب التصديق بها فيه.

والمطلوب في العلوم الحقيقية إنما يستفاد من البرهان، يعطى للتمى الدائم مطلقاً. والطبيعي يعطى لَمَيّاً ما دامت الطبيعة والمادة موجودتين. فلا برهان على الشخص المتغير كما لا حد له. وحكمنا على الشمس والسماء وغيرهما ليس جزئياً لأن مفهوماتهما كلية.

وأيضاً الفاسدات لا برهان عليها، لأنها (١): إما معلومة فمحسوسة. (٢): أو غائبة فمحتملة الفناء، فلا برهان على التقديرين لعدم الدوام لتيقنهما. والعلوم متباينة إن تباينت موضوعاتها. وما موضوعه أخص من موضوع آخر فيسمى أسفل منه وتحت كالمجسمات تحت الهندسة، وكذا إن تباينت الموضوعات ولكن ينظر أحدهما في الآخر لأعراضه الذاتية، كالموسيقى تحت الحساب.

وكل أصل موضوع في علم، يبرهن في غيره. فالغالب أن يكون فيما فوقه. وقد يكون في العالي ما يبين في السافل بغير ما يبين منه في العالي ليدور. والعلوم تترتب^(١) [ب - ١٦] موضوعاتها في العلوم^(٢) حتى ينتهي إلى ما لا أعم من موضوعه؛ وهو «الفلسفة الأولى»، لأن^(٣) موضوعها الوجود.

لمعة [٤]

[في تلازم الحد والبرهان]

الحد لا يكتسب بالبرهان ولا يلزم الدور وتحصيل الحاصل؛ لأن الحد من حيث أنه حد - أي كونه إدراكاً تفصيلياً لمحدود - لو كان مطلوباً لكان معقولاً قبل البرهان؛ فلو حصل به لكان دوراً. أما المطلوب التصديقي فيراد فيه حال النسبة إلى تعقلها.

وأيضاً فتعقل الحد التام نفس تعقل المحدود تفصيلاً، ثم إذا صار المحدود

(١) ألف: بترتب.

(٢) ج: العموم.

(٣) ج: فإن.

أصغر والحد أكبر لكان بين الثبوت ذا وسط وهو باطل.

وكل ما يجعل أوسط فإن كان نسبة الأكبر إليه على أنه محمول فيتعدى إلى الأصغر بالمحمولية، فلا يلزم أن يكون حده. أو على أنه حدها الأوسط محموله، فيجوز أن يكون الأوسط محمولاً على غير الأصغر؛ فهو المصادرة على المطلوب الأول.

حد الشيء لا يكتسب من حد ضده، إذ لا أولوية، وليس لكل شيء ضد^(١).

والاستقراء أيضاً لا يفيد، إذ الأشخاص غير متناهية^(٢).

بل طريق اكتساب الحد تحليل صفات الشخص وتركيبه، بأن يعتمد فيه ويحذف ما ليس بذاتي له، وينظر انه من أي جنس من المقولات العشر، وإلى المرتبات في جواب ماهو، والمقسمات الحقيقية، حتى ينتهي إلى مقول لا مقول تحته. ويجمع المقومات العامة في اسم الجنس بشرط عدم التكرار وتوارد الفصول^(٣) فإذا جمعت [ألف - ١٥] هذه المحمولات ووجد منها شيء مساوٍ للمحدود في الحمل والمعنى جميعاً فهو الحد.

وقد يتفق التوافق في جواب «ما» و«لم» كما يقال: إن الكسوف ما هو؟ فيجواب: هو زوال ضوء القمر لتوسط الأرض بينه وبين الشمس. فإذا قيل: لم انكسف القمر؟ فيجعل توسط الأرض أوسط، فاشترك الحد والبرهان إذا كان الوسط من العلل الذاتية للشيء.

واعلم أن توقف ابتلال الأرض على المطر المتوقف على السحاب المتوقف على صعود الأبخرة المتوقف على ابتلال آخر ليس دوراً ممتنعاً؛ لأن الموقوف عليه غير موقوف عليه بالعدد.

فالبرهان الدوري المتحد الوسط مع النتيجة على هذا الوجه ليس في الحقيقة قياساً دورياً يؤخذ الشيء في بيان نفسه، لمغايرة الوسط للنتيجة بالعدد، وإن اتحدوا في النوع.

(١) ألف: لكل ضد شيء.

(٢) ج: يعتبر.

(٣) ج: التكرار والفصول. ب: ويورد الفصول.

الإشراق التاسع في سوفسطيقي أي المغالطة تمهيد

[في مقدمات المغالطة]

كل قياس ينتج ما يناقض وضعاً ما فيه تبكيت، فإن^(١) كان حقاً أو مشهوراً كان برهانياً أو جدلياً؛ وإلا ففسططي يشبه البرهان؛ أو مشاغب يشبه الجدل. كما علمت^(٢).

ولا بد فيهما من ترويج نقيضه، وتشابه^(٣) (١): أما في الصورة: بأن يشبه ضرباً منتجاً وليس إياه (٢): أو في المادة: بأن يشبه الحق أو المشهور، ولا يكون شيئاً منهما.

فالمغالطة قياس يفسد (١): صورته، (٢): أو مادته، (٣): أو هما جميعاً. والآتي به غلط في نفسه مغالط لغيره.

لمعة [١]

[أسباب الغلط في القياس]

فالغلط في القياس بسبب الصورة كما إذا لم يكن من شكل ناتج أو ضرب ناتج أو وقع ذهول عن مراعاة الشرائط المذكورة [ب - ١٥] في أحد التركيبين:

(١): كعدم مشابهة الأوسط في المقدمتين، كمن قال: «كل إنسان حيوان. والحيوان جنس، فالإنسان جنس». فالغلط فيه أن الحيوان في الكبرى مأخوذ بوجه كونه كلياً موجوداً في الذهن فقط، بخلاف ما في الصغرى فإنه حيوان باعتبار ماهيته.

(١) ج: وضعاً ما فإن.
(٢) في صدر الإشراق الثامن.
(٣) ج: متشابهته.

(٢): أو لعدم اتحاد أحد الطرفين في القياس والنتيجة. أو لعدم نقل الأوسط بالكلية.

وأما الغلط بحسب المادة:

١- فكالمصادرة على المطلوب الأول، وهو أن تكون النتيجة مقدمة في قياس ينتجها بلفظ آخر.

٢- وككون المقدمة أخفى من النتيجة.

٣- أو مساوية لها، فلا أولوية في التبيين من التعكس.

٤- وككذبها فيورد في القياس:

(ألف): إما لمشابهة لفظية، كما يرد الأسماء المشتركة مثل العين، والأداة مثل «الواو» تارة للقسم وأخرى للعطف.

(ب): أو بسبب في المعنى:

[١]: إما للجهة، [ألف]: كأخذ سوابل الجهات مكان السوابل الموصوفة بها، ونحوها. [ب]: أو للسور، كأخذ البعض السوري مكان البعض معنى الجزء. [ج]: أو أخذ أحد من الكل والكل، وكل واحد مكان الآخر.

[٢]: أو لإيهام عكس، كمن يرى «كل ثلج أبيض» فيأخذ «إن كل أبيض ثلج».

[٣]: أو لتركيب مركب كفولك: «الخمس زوج وفرد». فنفضل ونقول إنها زوج وإنها فرد.

[٤]: أو لأخذ ذاتي أو لازمه مكانه، كمن رأى الإنسان متوهماً مكلفاً، فظن إن كل متوهم مكلف.

[٥]: أو أخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل وبالعكس.

[٦]: أو أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات [ألف - ١٤] وبالعكس.

[٧]: أو أخذ الاعتبار الذهنية واقعة في الأعيان، كمن رأى أن الإنسان الكلي موجود في الذهن فحكم بكليته في العين.

[٨]: أو أخذ جزء العلة مكانها.

[٩]: أو أخذ ما ليس بعلة علة؛ وهذا يوجد في قياس الخلف، فيدعى أن الكذب لنقيض المطلوب ويكون لغيره.

وبعد مراعاة ما ذكرنا سهل عليك التحرز من الأغاليط.

ولولا القصور وعدم التميز لما تمت للمغالط صناعة. فهي ^(١) صناعة كاذبة تنفع ^(٢) بالعرض بأن صاحبها لا يغلط ولا يغالط، ويقدر على أن يغالط المغالط.

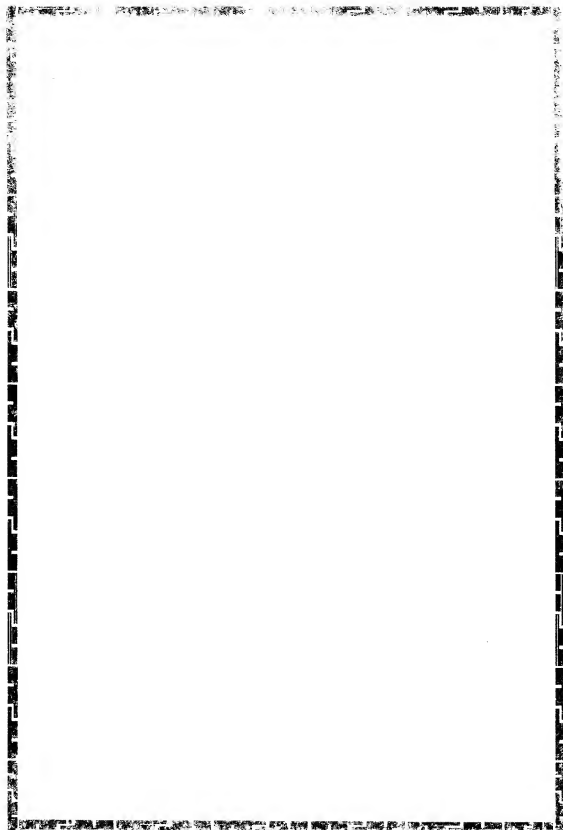
والعصمة من الله في كل الأمور، ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: الآية ٤٠] [ب - ١٦].

(١) ألف، ب: بل.

(٢) ألف، ب: تنفع.

٧

الحشرية



فصل [١]

في أن عذاب القبر حق بقول مجمل

كل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحوناً بأنواع المؤذيات وأصناف السباع، مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها؛ وهي التي لا تزال تفرسه^(١) وتنهشه أن سهى عنها بلحظة؛ إلا أن أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها، فإذا انكشف الغطاء ووضع في قبره عاينها، وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيتها، فيرى بعينه العقارب والحيات قد أهدقت [به]. وإنما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه، وقد انكشف له صورها الطبيعية^(٢)، فإن لكل معنى^(٣) صورة تناسبه. فهذا عذاب القبر إن كان شقيّاً، ومقابله إن كان سعيداً.

تحقيق ذلك على ما حققه بعض الأكابر^(٤) إن بالموت يتجرد النفس عن البدن ليس يصحبها شيء من الهياث البدنية، وهي عند الموت عارفة بمفارقة البدن عن دار الدنيا مدركة ذاتها بقوتها الوهمية عين الإنسان المقبور الذي مات على صورته. كما كان في الرؤيا تشاهد نفسها على صورتها التي كانت في الدنيا بعينها، وتشاهد الأمور مشاهدة عيناً لا بحسّها الباطن، فتري بدنّها مقبورة، وتشاهد الآلام الواصلة إليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الحقّة، وهو عذاب القبر. وإن كانت سعيدة فتتخيل ذاتها وصور أعمالها ونتائج ملكاتها وسائر المواعيد النبوية على فوق ما كانت تعتقدها من الجنّات^(٥) والأنهار والحدائق

(١) ش: تفرسه.

(٢) «الأسفار» ج ٩، ص ٢٢٠: صورها الباطنية الحقيقية.

(٣) ش: فعل.

(٤) هو الغزالي. (هامش م).

(٥) ش: الخيالات. وهو تصحيف.

والغلمان والحدور العين والكأس من المعين، فهذا^(١) ثواب القبر. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ^(٢). فالقبر الحقيقي هذه الهيئات، وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناه.

وأما البعث: فهو خروج النفس عن غبار هذه الهيئات المحيطة بها، كما يخرج الجنين من القرار المكين، وقد أشرنا سابقاً إلى أن دنياك ليست إلا خلقتك^(٣) قبل الموت، وآخرتك ليست إلا حالتك بعد الموت؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿إِنْس: الآية ٧٩﴾^(٤).

فصل [٢]

في الإشارة إلى حقيقة الحشر

اعلم إن الزمان علة التغير والتعاقب مطلقاً؛ والمكان علة الاختفاء والغيبه مطلقاً، فهما منشئان لاحتجاب الموجودات بعضها عن بعض، فإذا ارتفعا في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلائق، فيجتمع الخلائق كلهم الأولون والآخرون، فهو يوم الجمع: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [التَّغَابُن: الآية ٩]. وبوجه آخر يوم الفصل؛ لأن الدنيا دار اشتباه ومغالطة، يتشابك فيها الحق والباطل، ويعانق فيها الخير والشر، ويقابل المتخاصمان^(٥)، والآخرة دار الفصل والتميز والافتراق، ويتفرق المختلفان [ب - ١]: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ [يَوْمَئِذٍ] يَنفَرُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ١٤]^(٦) ويتميز المشابهات: ﴿لِيَسِيرَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٧]، وينفصل الخصمان، يحق الحق ويبطل الباطل: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] ﴿لِيَحْيِيَ الْحَقَّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ﴾ [الأنفال: الآية ٨]، ولا منافاة

(١) م: فهو.

(٢) «جمع الترمذي» ج ٤، ص ٦٤٠.

(٣) ش: حالتك.

(٤) «مفاتيح الغيب» ص ٦٣٨، «أسرار الآيات» ص ١٧٩، «المظاهر الإلهية» ص ٦، «شواهد الربوبية» ص ٢٨٦، «العرشية» ص ٢٥٧.

(٥) ش: يتقابل المتخاصمان.

(٦) وما بين المعقوفين زيد من المصحف الشريف.

بين هذا الفصل وذلك الجمع، بل هذا الفصل يوجب ذلك: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المُرسلات: الآية ٣٨] والحشر أيضاً بمعنى الجمع: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٧].

كشف حال لتتميم حال

حشر الخلائق على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وملكاتهم: فلقوم على سبيل الوفد: [يَوْمُ يُحْشَرُ الْمُتَّقُونَ] ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا﴾ ^(١) ولقوم على وجه التعذيب: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ [تُصَلَّتْ: الآية ١٩].

وبالجملة، لكل أحد إلى ما يعمل لأجله ويحبّه: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَعَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]، وكذا قوله [تعالى] سبحانه: ﴿فَوَرَّيْكَ لِحَشْرَتِهِمْ وَالشَّيَاطِينِ﴾ [مريم: الآية ٦٨] حتى إنه لو أحب أحدكم حجراً لحشر معه. وقد سبق إن تكرر الأفاعيل توجب حدوث الأخلاق والملكات، فكل صفة وملكة تغلب على الإنسان في الدنيا يتصور له في الآخرة بصورة تناسبها. ولا شك إن أفاعيل الأشقياء المدبرين إنما هي بحسب همهم الفاصرة عن الارتقاء إلى عالم الملكوت، النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية المقتضية للأعمال الشهوية والغضبية والبهيمية والسبعية، فلا جرم يكون تصوراتهم مقصورة على أغراض حيوانية تغلب على نفوسهم، ويحشر ^(٢) على صور تلك الحيوانات في الدار الآخرة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: الآية ٥] يُحْشَرُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى صُورَةِ يَحْسُنُ عِنْدَهَا الْفِرْدَوْسُ وَالْخَنَازِيرُ. وهكذا يتصورون بصورهم الحقيقية الأخروية لأهل الكشف وأصحاب الشهود ويعاينون لهم في صقع باطنهم على أشكال وهيئات تقتضيها صفات النفوس وهيئات الأرواح، وذلك لظهور سلطان الآخرة على قلوب أهل الحق، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: الآية ٤].

والتحقيق في ذلك: إن كمال الإنسان - بحسب الأعمال المتضادة الآثار - التخلص عن موجباتها والتشبه بالملائكة في التنزه عنها، وهم منفكون عن هذه

(١) كذا، وفي سورة مريم: ٨٥: يوم نحشر المتقين...

(٢) يحشرون - ظ.

الأوصاف المتضادة؛ وليس في وسع الإنسان إمكان الانفكاك عنها بالكلية، فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وما هو بمنزلته وهو المتوسط؛ فإن المتوسط بين الضدين كأنه خالٍ عنهما كالماء الفاتر لا حار ولا بارد مع عدم خروجه بالكلية عن جنس الحرارة والبرودة، كالجرم الفلكي؛ فنسبة المعتدل العنصري في الأوصاف الجسمانية إلى الفلك كنسبة العدل في الأوصاف النفسانية إلى الملك؛ لأن الملك متقدس عن الأخلاق المتضادة بالكلية، والمتوسط فيها متشبه به نازل منزلته فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين هذه الأطراف، ولا عرض له، فهو أدق من الشعر، ولذلك [ألف - ٢] خرج من القدرة البشرية الوقوف عليه، فلا جرم يرد أمثالنا وروداً ما يقدر الميل عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مریم: الآية ٧١] ^(١).

فصل [٣]

في الإشارة إلى الصراط

الصراط طريق الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْ يَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [الشورى: الآية ٥٢، ٥٣]. وهو أدق من الشعر وأحد من السيف. أما الدقة فلأن الانحراف منه إلى أحد الطرفين يوجب الهلاك: ﴿وَلَا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ [هود: الآية ١١٣]، وأما الحدة فلأن الوقوف عليه أيضاً مما يقتضي الهلاك، ومن وقف عليه شقه. فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم حت عليه، ومن مرّ مستويّاً على ذلك الصراط ولم يمل إلى أحد الجانبين ^(٢) وذلك لأجل تعوّده على التحفظ عن الميل مدة الكون في الدنيا حتى صار طبعاً له، فإن العادة طبيعة خامسة؛ كما قال الله تعالى حكاية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٣] أي مروا ^(٣) على صراط الآخرة مستويّاً من غير ميل وانحراف؛ وجاء في الخبر:

(١) مریم: ٧١، أيضاً «المظاهر الإلهية» ص ٧٤، «أسرار الآيات» ص ١٨٧، «مفاتيح الغيب» ص ٦٣٩.

(٢) كذا، والجزاء إما مقدر أو ساقط.

(٣) كذا في النسخ، وهو تفسير «فاتبعوه».

يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَى الصُّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ^(١).

وأما أهل الجحيم، فلأجل انحرافهم عن الصراط المستقيم وصدّهم عن جادة اليقين وضلالهم عن الطريق القويم، يقفون في الحميم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ﴾ [المؤمنون: الآية ٧٤] ، وكلا جانبي الصراط جحيم، بالقياس إلى طائفة هم أهل الأعراف وهم الموحدون. اليمين والشمال مَضَلَّةٌ^(٢) الجنة على يمينهم والنار على شمالهم، وإن كان اليمين والشمال - الَّذِينَ على وجه أعلى وارفح مما يفهم - كلاهما يمين: كَلْنَا يَدَيِ الرَّحْمَنِ يَمِينٍ^(٣).

فصل [٤]

في الإشارة إلى كيفية وزن الأعمال وذكر الميزان

﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٩٠، ٨] .

إن كل أثر وفعل ينشأ من فاعله الطبيعي المناسب له يوجب الاطمئنان في نفس فاعله، ويقتضى له القوة والاستقرار، فإن كل فاعل يقوى بفعله الذاتي؛ أو لا ترى أن كثرة الأفكار العلمية توجب قوة في العاقلة، وإن الطباع العنصرية يتقوى ذاتها - بل من غيره^(٤) - قسراً، ومنه عند حصولها في أحيائها الطبيعية يستقر عند ذلك ويسلب عنه الاضطراب والتزلزل.

وكل أثر وفعل ينشأ من فاعله الطبيعي بسبب مصادفة أمور غريبة يوجب الاضطراب والتزلزل في نفس فاعله، كحركة المرتعش الحاصلة لعضو الإنسان يقتضى^(٥) طبيعة العضو عن قبول ما يوجبه النفس الحيوانية، وهما مختلفان^(٦) في

(١) «البحار» ج ٨، ص ٦٧ ما يقرب منه. «الدر المنثور» ج ٤، ص ٣٣٩.

(٢) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة الخطبة ١٦.

(٣) أيضاً «المظاهر الإلهية» ص ٧٧، «أسرار الآيات» ص ١٩٣، «شواهد الربوبية» ص ٢٩١، «الأسفار»

ج ٩، ص ٢٨٥، «مفاتيح الغيب» ص ٦٤٤، «العرش» ص ٢٦٣.

(٤) من هنا إلى آخر الفقرة خلط في العبارة كما لا يخفى.

(٥) يتعضى - ظ.

(٦) ش: متخالفان.

الفاعلية، وهذا هو السبب في حصول الإعياء لطباع المركبات. فالنفس الإنسانية لكونها من عالم القدس تتقوى ذاتها عند أفاعيلها الخاصة من [ب - ٢] اكتساب العلوم والخيرات، فيحصل لها الاطمئنان والاستقرار. وتضعف ذاتها عند الأفاعيل الشهوية والغضبية لأجل مقارنة القوى الحيوانية، فيحصل لها الاضطراب والتزلزل.

فنسبة ما يوجب للنفس الاطمئنان والاستقرار إلى الثقل أولى. أو لا ترى أن الأثقال والمثقلات تسكن السفائن^(١) عن الحركات المختلفة والاضطرابات؟ ونسبة كل ما يقتضى بحر^(٢) النفس وضعفها واضطرابها ومتابعتها الأهواء المختلفة والأغراض المتفرقة إلى الخفة أولى؛ فإن الخفيف يتغير بأدنى حركة وتغير يحدث في الهواء ويكون حركاته^(٣) خالية عن النظام.

ثم إن اطمئنان القلب يوجب الرضاء، فلا جرم ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ فهو في عيشته راضية^(٧). [الفارغة: الآية ٦، ٨] واختلاف حركات النفس بمتابعة الهواء ينجر^(٤) ويذهب بها إلى الهاوية، فلا جرم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فَأَثَمُهُ حَاوِيَةٌ^(٨). [الفارغة: الآية ٨، ٩]. وأيضاً خلق الله سبحانه الشيطان من النار والإنسان من الطين: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]. ومقتضى طبيعة النار الخفة والحركة، ومقتضى طبيعة الأرض الثقل والسكون. فالأفاعيل الأبلسية يوجب الخفة والاضطراب، والأعمال الإنسانية يقتضى الاستقرار والاطمئنان: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ﴾ [الإسراء: الآية ٨٤].

قال بعضهم: الميزان كلمة «لا إله إلا الله»، وعلامة هذا المعنى ومصادقه إن الوجود في كفة وجانب منه، والعدم في كفة أخرى وجانب آخر منه، وحرف الاستثناء التي لها وجه إلى عدم ووجه إلى الوجود بمنزلة الشاهين، وهو العمود الذي تقوم به الكفتان. وهذه الكلمة فاصلة بين الكفر والإيمان، فارقة بين الجحيم والجنان، من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة^(٥). وأما ما ورد من أن هذه كلمة

(١) م، وش: النفس.

(٢) م، ش: «تحرير» وهو بمعناه.

(٣) م، ش: حركاتها.

(٤) م: يعجز.

(٥) «التوحيد» للصدوق، ص ٢٢ و ٢٧.

خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، فلأنها هي بالنسبة إلى طائفة موزون وميزان، وهما واحد في حقهم^(١).

فصل [٥]

في الإشارة إلى صحائف الأعمال وكرام الكاتبين

ونزول الملائكة على الأخيار ونزول الشياطين على الأشرار

إن القول والفعل ما دامت حقيقتهما في أكوان الأصوات والحركات فلا حظ لها من البقاء والثبات، فإذا تكوّنت بالوجود الكتبي حصل لها مرتبة من البقاء والثبات، وكذا كل من فعل فعلاً وتكلم بكلام حصل منه أثر في نفسه وحال يبقى زماناً. وإذا تكررت الأفاعيل والأقاول استحكمت الآثار في النفس وصارت الأحوال ملكات يصدر بسببها الأفعال بسهولة من غير روية وقصد وحاجة إلى تجشّم اكتساب ومزيد أعمال^(٢) بعدما لم يكن كذلك. ومن هذا النمط يستنبط الصنائع ويتعلم المكاسب العلمية والعملية؛ ولو لم يكن للآثار الحاصلة في النفس من الأعمال والأقوال دوام وثبات وقوة واشتداد في الحصول يوماً فيوماً إلى حد يصير [ألف - ٣] ملكة راسخة فيها لم يكن لأحد تعلم شيء من الحرف والصنائع، ولم ينجع فيه التأديب والتهذيب، ولم يكن في تأديب الأفعال وشمّتهم^(٣) الأعمال فائدة ولا لهم تفاوت في الأحوال من أول الحداثة إلى آخر حد الكمال.

فعلم إن الآثار الحاصلة في الأفعال والأقوال في القلوب والأرواح بمنزلة النقوش الكتابية في الألواح، ﴿أَوَلَيْكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنُ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢]. وتلك الألواح النفسية يقال لها صحائف الأعمال. وتلك الصور والنقوش الكتابية يحتاج في حصولها وانتقاشها في تلك الأرواح^(٤) إلى المصور

(١) أيضاً «المظاهر الإلهية» ص ٨٢، «مفاتيح الغيب» ص ٦٥١، «العرشية» ص ٢٧٠.

(٢) ش: اعتمال.

(٣) ش: تعرينهم.

(٤) الألواح - ظ.

والكاتب^(١)، لأنها معلولة، والمعلول لا ينفصل عن علة قريبة من جنسه. فالمصورون والكتاب هم الكرام الكاتبون، وهم ضرب من الملائكة المتعلقة بأعمال العباد وأقوالهم؛ وهم طائفتان:

ملائكة اليمين، وهم الذين يكتبون أعمال أصحاب اليمين. وملائكة الشمال، وهم الذي يكتبون أعمال أصحاب الشمال: ﴿إِذْ يَتْلَى التَّوْرَاتُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِطْعٌ ۝﴾ [ق: الآية ١٧]. وفي الخبر: إن كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يُثَابَ بِهِ. ومن اقترف سيئة يخلق الله منها شيطاناً يُعَذَّبُ بِهِ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا نَنْزِلْ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ إِلَّا تَحَاوُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ تَحْنُ أُولَئِكَ كَافِرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۝﴾ [فصلت: الآيتان: ٣٠، ٣١]. وفي مقابلة: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ۝﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿الشُّعْرَاءُ: الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢﴾ كذلك: ﴿وَمَن يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝﴾ [الزخرف: الآية ٣٦]، وقد مرّ منا القول آنفاً في بيان السبب الملهم للخير المسمى بالملك، والسبب الموسوس للشر المسمى بالشیطان. فتذكره لينفعك في هذا المقام.

وبالجملة هذا هو المبدأ المؤثر في النفوس، الداعي لفعل الخير، ومقابله الداعي للشر^(٢) وهو المسمى بالملكة عند الحكماء وباسم الملك أو الشيطان في لسان الشريعة، والمعنى واحد. ولم يكن لتلك الملكات من البقاء والثبات ما يبقى أبد الآباد لم يكن لخلود أهل الطاعات والمعاصي في الثواب والعقاب وجه، فإن منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل والقول على سبيل الإيجاب وهما زائلان، فكيف يتصور بقاء المعلول [والمسبب] مع زوال السبب والموجب؟^(٣) وإن كان منشأهما تلك على سبيل الإعداد والمعد، لا يغنى عن السبب المقتضى، فلا بد من موجب قريب يكون باقياً أبداً. والفعل الجسماني الواقع في زمان معين قليل المقدار، كيف يكون [منشأ] للجزاء الواقع في الزمان غير المتناهي؟!

ثم إن مثل هذه المجازاة والمكافأة لا تليق بالحكيم الذي لا يكون شيء من

(١) م: المكاتب.

(٢) م، ش: الشر.

(٣) خ: العلة.

أفعاله على وجه الاتفاق والجفاف، بل جميعها على سبيل الأحكام والإلزام، وقد قال [ب - ٣]: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ق: الآية ٢٩]. وقال: ذلك ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمُ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٥]^(١) ولكن إنما يخلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالثبات والدوام الحاصلين للأخلاق والملكات الموجبة للثواب والانتقام. فكل من فعل مثقال ذرة في^(٢) الخير والشر يرى أثره ومكتوبه في صحيفة ذاته أو صحيفة أرفع من ذاته مخلداً أبداً. وإذا حان وقت إن يقع بصره على وجه ذاته - عند فراغه من اشتغاله الحياة^(٣) الدنيا وما يورده^(٤) الحواس - والتفاتته إلى صفحة^(٥) باطنه ووجه قلبه، وهو المعبر عنه بقوله: ﴿وَإِذَا الْأَشْهُفُ نُفِثَتْ﴾ [التكوير: الآية ١٠]، فمن كان في غفلة عن أحوال نفسه وروحه يقول عند حضور ذاته لذاته ومطابقة صفحة قلبه: ﴿مَالِ هَٰذَا الصِّكْرِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَٰصِرًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْصَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: الآية ٣٠]. وفي الخبر: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ فَعَلَ حَسَنَةً، يَخْلُقُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النُّحُورِ الْعَيْنِ مَنْ يَتَمَتَّعُ بِهِ أَبَدًا.

وكذا الحكم في جانب السيئة، فيخلق الله من سيئات المجرمين والمنافقين ما يكون سبب عقوبتهم وآلامهم دائماً أبداً إلا ما شاء الله، كما قال سبحانه في قصة ابن نوح: ﴿إِنَّهُ عَلَّمَ عِبَادَ عَصَىٰ مَلِكٍ﴾ [هود: الآية ٤٦]. وفي الخبر: خُلِقَ الْكَافِرُ مِنْ ذَنْبِ الْمُؤْمِنِ. ويؤيد هذا كلام فيثاغورس الحكيم: إنه سيعرض لك في أقوالك وأفعالك وسيظهر لك في كل حركة قولية أو فكرية أو فعلية [صور روحانية وجسمانية] إلى آخره. ونظائره كثيرة في الأحاديث والأخبار والآثار، ومنشأ ذلك كما نبهنا لك مراراً إن من^(٦) كيفية تجسم الأعمال والأخلاق في الآخرة ليست من جنس هذه الدار، بل هذه دار الشهادة وهي دار الغيب، وهذه هي الماهية الجاهلية

(١) البقرة ٢٢٥، بدون «ذلك». وفي آل عمران، ١٨٢: «ذلك بما قدّمت أيديكم».

(٢) من - ظ.

(٣) بالحياة - ظ.

(٤) ش: يؤده.

(٥) م: صحيفة.

(٦) من أن - ظ.

وهي الجنة العالية، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٤] .

وذلك لأن مواد الأشخاص الأخروية هي التصورات الباطنية والتأملات القلبية كما يظهر من كلام فيثاغورس وغيره من الأخبار والأحاديث، كحديث: إِنَّ الْجَنَّةَ قَاعٌ مَصْفُوفٌ، إِنَّ غِرَاسَهَا شُبْحَانُ اللَّهِ^(١) . فالإنسان إذا انقطع عن الدنيا وانكشف عنه الغطاء وتجرد عن مشاعر هذا العالم، كانت رؤيته الباطنية ناهضة، وكان الغيب بالقياس إليه شهادة: ﴿فَكُنْفَنَا عَنْكَ غِطَاءٌ فَصَرَّكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ﴾ [ق: الآية ٢٢] .

وللتنبية على أن الحياة الدنيا واستعمال هذه الحواس مانعة عن الوصول إلى الحياة الأخروية واستعمال المشاعر الباطنية وإن الإنسان ما لم يمت عن هذه الحياة لم يحى بحياة الآخرة قال سبحانه: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا [فَأَخْيَيْنَاهُ] وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]^(٢) فعند غلبته^(٣) سلطان الآخرة على باطن الإنسان ينقلب العلم في حقه عيناً، والغيب شهادة، والسر علانية، ويرى الأشياء كما هي . فكل أحد [ألف - ٤] من الناس يكون بعد كشف غطاءه ورفع حجابيه ومدّ بصره مبصراً لنتائج أعماله، مشاهداً لآثار أفعاله، قارئاً لصفحة كتابه، مطلقاً^(٤) على حساب حسناته أو سيئاته؛ ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لَحْوُهُ فِي عُرْوَةٍ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا﴾ [أقرأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا] [الإسراء: الآيتان: ١٣، ١٤] .

ثم إن الإنسان: إما أن تكون أفكاره الباطنية وتصوراته من باب التعقلات الكلية والخيرات والأمور القدسية، فيكون إما السابق بالخيرات وهم المقربون، أو من أصحاب اليمين وهم السعداء، وإما أن تكون أفكاره وتخيلاتهِ من باب الأعراض الجزئية والشرو الدنيوية، فيكون من أصحاب الشمال . فبحكم المناسبة

(١) راجع «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٥١٠.

(٢) الأنعام: ١٢٢. وفي النسخ: مَيِّتًا فجعلنا... .

(٣) كذا، والصحيح: فعند غلبه.

(٤) مطلقاً - ظ.

والجنسية، وبحسب [ما ورد]: كَمَا نَعِشُونَ تَمُوتُونَ، وَكَمَا تَمُوتُونَ، تُبْعَثُونَ، أوتى كتابه من الجهة التي يناسبه.

فمن كان من أصحاب اليمين والأبرار أوتى كتابه بيمينه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابَهُ﴾ [الحاقة: ١٩]. أو كان من السابقين المقربين يكون كتابه في عليين: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنِ، وَمَا أَدْرِيكَ ﴿مَا عَلِيُّونَ﴾ [المطففين: الآية ١٩] ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ [المطففين: الآية ٩] ﴿يَشْهَدُهُ الْمَلَكُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢١]. ومن كان من أصحاب الشمال والمنكوسين والفجار المنافقين، فقد أوتى كتابه بشماله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَقُولُ يَبْتَغِي لِرَأْسِهِ كِتَابَهُ﴾ [الحاقة: الآيتان: ٢٥، ٢٦] أو من وراء ظهره ويكون كتابه في سجين: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَاجِرِ لَفِي سَجِينٍ﴾ [المطففين: الآية ٧]، لأنه من المجرمين المنكوسين، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرَمُونَ تَاكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: الآية ١٢] (١).

فصل [٦]

في الإشارة إلى طبقات أهل الحساب

الناس يوم الحساب على طائفتين:

إحدهما: طائفة يرزقون فيها بغير حساب. وهم على ثلاثة أصناف. [ألف]: منهم المقربون وأهل الأعراف، الكاملون في المعرفة الحقّة والتجرد للشهود، فهم لتنزههم عن الحساب والشواغل يدخلون الجنة بغير حساب، كما ورد في الخبر (٢) في باب حساب الفقراء يوم القيامة: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

[ب]: ومنهم جماعة من أهل اليمين، وهم الذين لم يقدموا في الدنيا على معصية، ولم يقتربوا سيئة لصفاء قلوبهم واقتدار نفوسهم بحسب القوة العملية على فعل الطاعات والاجتناب عن المناهي والسيئات.

(١) أيضاً «أسرار الآيات» ص ٢٠٢. «مفاتيح الغيب» ص ٦٤٦. «العرشية» ص ٢٦٦.

(٢) كذا.

[ج]: ومنهم جماعة تكون صحيفة أعمالهم ساذجة عن الأعمال، ونفوسهم خالية عن النقوش الحاصلة من الأفعال، [فتنالهم رحمة من الله، لأن جانب الرحمة أرجح من الغضب بعد ثبوت الإمكان والقابلية وعدم المنافي].

والطائفة الثانية: هم أهل الحساب، وهم أيضاً على ثلاثة أصناف:

[ألف]: منهم من تكون صحيفة أعمالهم خالية عن الحسنات.

[ب]: ومنهم من وقع فيهم حبط: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَدِّلَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ [هود: الآية ١٦] ، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٣] .

[ج]: ومنهم قوم هم المحاسبون في الحقيقة حيث ﴿حَاطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرٍ سَيِّئًا﴾ [التوبة: الآية ١٠٢] . وهم على قسمين، أحدهما^(١): من يحاسب مع نفسه في الدنيا بقبوله وامتناله أمر حاسبوا أنفسهم قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا^(٢)؛ فعمل بمقتضاها، وهو من الذين يعرفون أن لكل فعل حسن أو قبيح خاصية وعاقبة يترتب عليه، فيخافون سوء [ب-٤] العاقبة إذا اقترفوا فعل معصية على سبيل الهوى وعجز النفس عن معصية^(٣) الدواعي الشيطانية، فلا جرم لا يعدّبون كثيراً بالمناقشة [معهم] في الحساب. وثانيهما: ما يقابلهم ممن نوقش^(٤) معهم في الحساب.

والحساب عبارة عن جميع^(٥) آثار الحسنات أو السيئات الواقعة في الحياة الدنيا، لتجزى كل نفس بما^(٦) عملت. ومن كانت له أعمال متفرقة نافعة وضارة^(٧) مقربة ومبعدة، لا يعرف فذلكتها وقد لا تحضره آحاد متفرقاتها؛ فإذا حضرت المتفرقات وجمع^(٨) مبلغها كان حساباً. فلا شك إن في قدرة الله تعالى أن يكشف

(١) م: أحديهما.

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة ٨٨. «الكافي» ج ٨، ص ١٤٣. «أمالي الطوسي» ج ٢، ص ٢٢.

(٣) م، وش: معاصيه.

(٤) م، وش: والقسم الثاني يقابلهم فمن نوقش.

(٥) م: جمع.

(٦) م، وش: معاً.

(٧) م، وش: نافعة وصارت.

(٨) ش: أحضرت المتفرقات وجمع.

في لحظة واحدة للخلق متفرقات أعمالهم ومبلغ آثارها المترتبة عليها من غير غلط وتشويش، فهو إذن من (١) أسرع الحاسبين.

وأما أهل الكشف والإيقان فهم لا يزالون يشاهدون موقف الحساب، فلا جرم لا يؤخر حساب الموقن إلى يوم القيامة (٢).

فصل [٧]

في ذكر أصناف الخلائق يوم الآخرة (٣)،

وذكر الجنة والنار بوجه سرّي

قال بعض الحكماء: الناس بالقياس إلى سلوك الآخرة على ثلاثة أصناف: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) ﴿فَأَصْحَابُ النَّيِّتِ﴾ مَا أَصْحَابُ النَّيِّتِ (٨) ﴿وَأَصْحَابُ الْمُنَافِقَةِ﴾ مَا أَصْحَابُ الْمُنَافِقَةِ (٩) ﴿وَالنَّاسِغُونَ الشَّيْغُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾ (١١) [الواقعة: الآيات: ٧ - ١١].
كذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: الآية ٣٢].

فالسابقون هم أهل التوحيد والعلماء بالله والأحرار المرتفعون عن عالم السلوك والسير لوصولهم إلى فهم المقصود الحقيقي بل هم مقصد السالكين، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. وهم الذين قيل في وصفهم: إِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرِفُوا، وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْقَدُوا (٤).

وأما أهل اليمين، فهم أهل السلوك والعمل، وهم الأبرار. ولهم مراتب على حسب أعمالهم [لهم] درجات في مثوباتهم حسب درجات الجنان: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩].

وأما أهل الشمال، فهم الأشرار المقيّدون بالسلاسل والاعلال. ولهم أيضاً

(١) م: - من.

(٢) أيضاً «المظاهر الإلهية» ص ٨٥. «أسرار الآيات» ص ٢١٥. «مفاتيح الغيب» ص ٦٥٤.

(٣) كذا.

(٤) «الكافي» ج ٢، ص ٢٣٩.

درجات بحسب درجات الجحيم، وكلهم في العذاب مشتركون.

واعلم: إن كلاً من الثلاثة لا بد لهم من ورود^(١) الجحيم كما أشرنا إليه سابقاً: ﴿وَلَنْ يَنْكَرَ إِلَّا وَأَرْدَاهَا كَانَ عَلَى رِجْلِكَ حَتَّىٰ مَقْضِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧١]. لكن السابقين يَمُرُّونَ على الصراط كالبرق الخاطف من غير أن يصل إليه^(٢) أثر من حرّها، كما قال واحد من أهل بيت النبي ﷺ: جُزْنَاهَا^(٣) وَهِيَ خَامِدَةٌ^(٤). وأما أهل الشمال فيقيّدون^(٥) فيها: ﴿ثُمَّ نُجِى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدْرُ الْفَالِغِيوتِ فِيهَا جَنَّةٌ﴾ [مريم: الآية ٧٢].

والسابقون أهل الأعراف: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ يَحَاطُّ بِمَرُؤَةٍ كَلَّا يَسْمَعُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦]. ومن علاماتهم تشابه أحوالهم، لارتفاعهم بحسب علومهم الحقّة عن تغيرات المواد والأجسام، وإطلاعهم على سرّ القدر: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٢٣]؛ ولاطمئنان أرواحهم ورسوخ علومهم وارتفاع منزلتهم عن التغير في الأحوال واستقامة ذاتهم عن التبدل والتحول [ألف - ٥] من حال إلى حال والتجدد في الأوضاع والأفعال، وتساوى نسبتهم إلى جميع الأمكنة والجهات والأزمنة والآجال؛ كانت الأمكنة كلها بالقياس إليهم معبداً واحداً ومسجداً ومحراباً واحداً، والأوقات كلها عيداً واحداً وجمعة واحدة، وهم في صلواتهم دائمون.

وهذه الحالة لهم على ضد أحوال الشمال، فهؤلاء أهل التضاد كما أن أولئك أهل التوحيد، لتعبدهم بعالم الأجساد المتضادة المتخالفة الصور والمواد المنقلبة في أحوالها المتناقضة كالوجود والعدم، والكون والفساد، والحياة والموت، والنوم واليقظة، والصحة والمرض، والقدرة والعجز، واللذة والألم، والراحة والتعب؛ وذلك لتعبدهم بذواتهم وهوياتهم الكائنة المستحيلة بحيث لم يرتفعوا عن خصوصيات هوياتهم.

(١) ش، م: من دون.

(٢) إليهم - ظ.

(٣) م: مرناها.

(٤) «الجامع الصغير» ج ١، ص ١٣٢: نقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي.

(٥) م: فيعتدون.

وإذ لا نجاة للشخص من نفسه وذاته، فكيف من لوازمه وحالاته؟ ﴿كُلَّمَا نَضَيْتُمْ جُلُودَهُم بِأَذْنَتِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] . وأي عذاب أشد من أن يكون الشخص متعذباً^(١) من نفسه، فكيف معاقباً بمعصية هي ذاته ووجوده؟! «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب». فلا جرم يكونون أبداً في الجحيم بين أمور متضادة كالسموم والزمهرير، يترددون في الهاوية بين طرفي التضاد، فإن الهاوية من سنخ هذه الدار، كما أشير إليه، يبرز يوم القيامة عند كشف الغطاء: ﴿وَرَزَقْنَا الْجَحِيمَ لِمَنْ يَرَى﴾ [التازعات: الآية ٣٦] . فمن كان فيها فهو متعذب تارة بأحد الضدين وتارة بالآخر: ﴿لَهُمْ فِي قُوفِهِمْ ظُلُلٌ مِثْلَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ﴾ [الزمر: الآية ١٦] . وإنهم لما كانوا أول الأمر في الدنيا خارجين عن قيد الشرع وعقال العقول، مسترحين^(٢) في أرض الشهوات، خالعين عذار العقل وزمام الشرع، فلا جرم يقيدون في الآخرة بالسلاسل والاعلال، يعذبون بفنون العذاب والنكال، يحتجبون^(٣) بأنواع الحجب: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: الآية ٢٠] . وأما الأبرار فلهم الارتقاء من كمال إلى كمال، لهم من فوقهم غرف ومن تحتهم، وهم المتخلصون المتزهون من عذاب أهل التضاد. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: الآية ٦٢] .

وهنا دقيقة لأهل الاعتبار، وهي أن السعداء حيث كانوا في الدنيا مجبورين على طاعة الحق وامثال أوامر الله ورسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦] ، فلا جرم تكون لهم الخيرة في الآخرة مطلقاً: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: الآية ٣١] ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]^(٤) .

وحال الأشقياء بالعكس من ذلك كما مرّ، حيث كانوا في الدنيا متمردين عن طاعة الله، مستبدين^(٥) برأيهم، غير مقيدين بقيود شرعية ولا عقلية. وفي الآخرة على ضد ذلك، يكونون مجبورين بالعذاب الشديد، المضطرين بالمحن العظيمة،

(١) م: معذباً.

(٢) مسرحين - ظ.

(٣) محتجبون.

(٤) الزخرف: ٧١. وفي النسخ: تشتهي.

(٥) مستبدين.

معلقين بيد المالك بالسلاسل والاغلال، ليكون لكل من السعداء والاشقياء نصيب من الاختيار.

مكاشفة

لَمَّا بَيَّنَّ [ب - ٥] في مقامه إن جميع ما هو ثابت في العالم الأدنى^(١) والمرتبة السفلى من الأحوال والصفات فهو ثابت في العوالم الأعلى والمنزلة القصوى على وجه أرفع وأصفى، حتى أن التضاد الواقع في العالم الأدنى الذي يتصف به أصحاب الشمال ويكون منشأ تعذيبهم يوجد في أهل الجنان وأصحاب اليمين، لكن ملابتهم إياه ليس على وجه التضاد الحقيقي، بل على وجه شبّح ومثال للتضاد، فإن التضاد في عالم التفرقة يوجب الفساد والزوال، وفي عالم الجمعية يوجب التمام والكمال، ولا يوجب العذاب والنكال. فتضاد أهل الجحيم كحرارة السموم وبرودة الزمهرير، وتضاد أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝﴾ [الإنسان: الآية ٥] ﴿وَيَشْرَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝﴾ [الإنسان: الآية ١٧]. فالكافور والزنجبيل ليسا متضادين في حقهم، لأن عالمهم أرفع من عالم التضاد، وكذلك التنازع الواقع بينهم ليس إلا تنازعاً مجازياً مثالياً لا حقيقياً، ﴿يَشْرَوْنَ فِيهَا كَأْسًا لَا تَوَلَّى فِيهَا وَلَا تَأْيِيثٌ ۝﴾ [الطور: الآية ٢٣]، لصفاء قلوبهم وارتفاع جواهرهم عن^(٢) عالم التضاد ومضيق التصادم. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۝﴾ [الطور: الآية ٢٣].

وأما مخاصمة أهل النار فهي حقيقية: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۝﴾ [ص: الآية ٦٤]. ولذلك: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۝﴾ [الأعراف: الآية ٣٨]. فقد علم مما ذكر أن المتضادين قد يكونان منشأ لارتياح بعض النفوس الذين هم في مقام الجمعية الوجودية، كما ذكرنا في مثال^(٣) الكافور والزنجبيل، وذلك لأن كلا من المتضادين [لهما] نحو من الوجود، والوجود مطلقاً خير محض، وبانجاء* توجب الارتياح ما لم يكن الشخص تضيق وجوده مختصاً بأحد الأطراف، ولذلك يكون كلا الطرفين موجباً للسلامة بالقياس إلى قوم: ﴿يَنَارُ كُوفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ

(١) م، وش: الأولى.

(٢) م، وش: من.

(٣) ش: المثال.

﴿إِذْ هَبْنَا﴾ [الأنبياء: الآية ٦٩] ، لكونهم من أهل برد اليقين، وقد يكون كل من الطرفين موجباً للعذاب بالقياس إلى مَنْ يقابلهم، ﴿أَلْفَايَتِكَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوءُ﴾ [الفتح: الآية ٦] ^(١) . .

فصل [٨]

في الإشارة إلى خازن الجنة وخازن الجحيم، وكيفية وصول الخلق إلى الفطرة الأصلية التي لهم في النشأة الأولى لحصول التطابق التعاكسي بين النسأتين

اعلم أن الخلق كالإنسان اتصف أولاً بالوجود، ثم بالقدرة، ثم الإرادة، لأنه قد ﴿أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يَنْ أَدَّهَرٍ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: الآية ١]. وهو - أي عدم كونه شيئاً مذكوراً - أشد مرتبة له في المعدومية والفقدان؛ ثم صار أمراً ما بالقوة كالهوى الأولى والجسمية المبهمة الوجود، ثم تصدر بصورة التراب وهي أحسن الصور، ثم بصورة سلالة من ماء مهين، وهكذا حتى صار جنيناً تلجه الحياة والروح وقوة الحركة، ثم يصير طفلاً سمياً بصيراً، ثم يقوى ويبلغ أشده، ويظهر منه، ويخرج من ^(٢) القوة إلى الفعل، القوة العقلية المميزة بين الضار والنافع، فيصير بعد [ألف - ٦] حصول هذه القوى مريداً للنافع وكارهاً للضار.

وحيث كان المعاد عوداً ورجوعاً إلى الفطرة الأولى فينبغي أن ينتفى منه أولاً الإرادة حتى تستهلك إرادته في إرادة الحق، موحد ^(٣) الواحد المطلق، ويستغرق فيها بحيث لم تبق منه إرادة أصلاً، لأن وجود جميع الممكنات إنما يقع تبعاً لإرادة الحق سبحانه الذي هو الفياض الحق. وإذا ثبت وتحقق له هذا الاعتقاد وتيقن به حصل له مقام الرضا بما قضى الله، واستراح* نفسه من الآلام والأحزان،

(١) أيضاً «الأسفار» ج ٩، ص ٣٠٥. «مفاتيح الغيب» ص ٦٤١.

(٢) م: فيه.

(٣) كذا، والظاهر: بانحائه.

(٣) م: موجد.

فيكون^(١) في الجنة لكونه مطيعاً لأمر الله، راضياً بقضائه، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]^(٢).

والدليل على أن مَنْ رضى الله^(٣) بما قضى الله تعالى يكون أبداً في الجنة هو أن رحمته واسعة والفيض عام، وكلّ ما قضى الله تعالى يكون خيراً وكمالاً بحسب الواقع، والشروع الجزئية الواقعة في الدنيا والآخرة حاصلة بالعرض. أما الواقع منها في الدنيا فلأجل مصادمات أسباب اتفاقية وعلل قسرية وجودها يكون على سبيل الندرة لبعض الأشخاص، لازمة لأمر في وجودها خير كثير يتبعه شر قليل. وأما في الآخرة فحيث لا تكون الأسباب والعلل هناك إلا ذاتية، فسبب الشر هناك ليس إلا الكفر والمعاصي المؤدية إلى رداءة^(٤) الخلق، وكل ذلك ينافي صفة الرضا بالمقضى. فمن يرضى بقضائه تعالى لا يصادف شراً ولا يصادفه شر في الآخرة، لانتفاء ذينك السببين للشر بالقياس إليه؛ كيف وقد ثبت إن وضع العوالم والنشآت على أبلغ نظام في الخير والتمام، فلا قصور ولا شر إلا في نظر المحجوبين؛ فإذا خلص من أغاليط الوهم ووساوس الشيطان وصح إدراكه العقلي رأى الأشياء في غاية الحسن والجودة والنظام والخير، وكل خير لذيد لا محالة لمن أدركه ملائماً وحسناً فيكون راضياً به^(٥).

فمن كان رأى جملة العالم على أحسن الوجود^(٦) في الكمال والخيرية ملتذاً بها^(٧) راضياً، فيكون في جنة عرضها السموات والأرض. ولهذا الوجه يُسمى خازن الجنة رضواناً، لأن الإنسان ما لم يصل إلى هذا المقام في المقام في المعرفة بالله تعالى وبكيفية إيجاد الموجودات وبأنها على أحسن الوجوه في الخير والتمام، ولم تكن راضياً بقضائه مطمئناً بقدره، لم تكن له لذة في نعيم الجنان،

(١) م: فيكون أبداً.

(٢) وفي النسخ: لهم فيها ما يشاؤون.

(٣) كذا، والظاهر زيادة «الله».

(٤) م، وش: إرادة.

(٥) م، ش: راطباً.

(٦) الوجوه - ظ.

(٧) م، وش: يلتذ بها.

﴿وَرِضْوَنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: الآية ٧٢] ^(١). وفي الحديث القدسي: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَضْبِرْ عَلَى بَلَائِي، فَلْيَعْبُدْ رَبًّا سِوَانِي، وَلْيَخْرُجْ مِنْ أَرْضِي وَسَمَاي» ^(٢).

ثم بعد ذلك المقام لا بد وإن ينتفى عن السالك القدرة، حتى لا يرى لنفسه قدرة مغايرة لقدرة الحق سبحانه التي لا تبالي ^(٣) عنه شيء من المقدرات، فيكون في مقام التوكل، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴿[الطلاق: الآية ٣].

ثم بعد ذلك المقام لا بد وإن ينتفى عنه العلم ويستهلك علمه في علماً تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض [ب- ٦] ولا في السماء ^(٤). حتى لا يرى لنفسه بنفسه علم بالأشياء. وهذا مقام التسليم: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

ثم بعد ذلك لا بد أن ينقضى وجوده في وجود الحق الأول الذي به وجود كل شيء لثلا يكون له بنفسه عند نفسه وجود. وهذا مقام أهل الوحدة وأولياء الله، أولئك الذين أنعم الله عليهم ^(٥). وكل من لم يسلك طريقة أهل الوحدة وكانت أفعاله على حسب إرادته فلا محالة تقتضى إرادته الأهواء المختلفة المخالفة لإرادة الحق ومشيته؛ ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: الآية ٧١]. فبالضرورة يصير ممنوعاً مما استدعاه وهواه، محروماً عما اقتضاه ومغيا ^(٦) ومشتهاه، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤]. فوقع لا محالة في سخط الله، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٢]، ويضلل ويهوى به الهوى إلى الهاوية؛ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَاجٍ﴾ [الحج: ٣١]. ففي هذه الحالة يكون محبوساً عن جميع الحظوظ التي كان قصورها ^(٧)، مغلولاً بالسلاسل والاغلال كما

(١) في النسخ: والرضوان.

(٢) «الجامع الصغير» ج ٢، ص ٨٠. «بحار الأنوار» ج ٥، ص ٩٥، وفيه: فليخذ رباً سوائى.

(٣) كذا.

(٤) اقتباس من سورة يونس: ٦١.

(٥) اقتباس من سورة النساء: ٦٩.

(٦) م: مَبْنَاهُ. والكلمة ساقطة من ش.

(٧) تصوّرها - ظ.

هو صفة المماليك المجرمين: ﴿إِذْ الْأَعْتَلُّ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۖ﴾ (٧١) في لَعِيمٍ ثَمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۖ﴾ [غافر: الآيتان: ٧١، ٧٢]. ولهذا الوجه يُسمى خازن الهاوية بالمالك، فيكون لها بإزاء درجة التوكل دركة الخذلان: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٠]. وبإزاء درجة التسليم دركة الهوان: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۖ﴾ [الحج: الآية ١٨]. وبإزاء درجة الوحدة درجة اللعنة: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۖ﴾ [البقرة: الآية ١٥٩]. فكما ان انتفاء (١) القدرة والعلم والوجود في الطائفة يقتضى لهم القدرة غير المتناهية والعلم الذاتي والوجود الأبدي، فكذلك في هذه الطائفة بإزاء ذلك ينتج استبدادهم (٢) بهذه الصفات عجزاً غير متناهٍ وجهلاً كلياً وهلاكاً سرمدياً، و﴿ذَلِكَ الْخُرَى الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ٦٣].

فصل [٩]

في الإشارة إلى حالات تحدث يوم القيامة

وإلى وقوف الخلق في العرصات

الشمس تفيض منها الأنوار الحسية الكلية على الأشخاص في هذا العالم، والقمر خليفة لها في إفاضة الأنوار عند غيبتها، والكواكب هي مبادئ أنوار جزئية، فمن مات قامت عليه القيامة - سواء كانت الصغرى عند موته، والكبرى عند فناء الكل في الواقع، أو العظمى عند فناء الكل في شهوده - ظهر له نور الأنوار (٣). وانكشف عليه ضوء الوجود الحقيقي، وتجلّى له وجه القيوم الأحدي، فلم يبق لأنوار الكواكب عنده ظهور: ﴿إِذَا أَلْتَمَسُ كُرْسِيَّ ۖ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ﴾ [التكوير: الآيتان: ١، ٢]. بل لم تكن لها وجود: ﴿وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْزِلَتْ ۖ﴾ [الانفطار: الآية ٢]، ومحى نور القمر. وإذا اتحد ذو النور مع النور لم يبق من الإفاضة أثر، ولا من الاستفاضة خبر: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَيْئًا وَلَا زُنْهَرًا ۖ﴾ [الإنسان: الآية ١٣].

(١) ش: بانتفاء.

(٢) م: استبدادهم.

(٣) م: له أنوار الأنوار.

والجبال لكونها من ذوات الأوضاع الشخصية المجمعة في مواد وصور وأعراض مختلفة الحقائق [ألف - ٧] التي يكون لها نحو وجود محسوس مظهره الحس وانفعاله للغير^(١)، فليس لها في مشهد آخر هذا النحو من الوجود الذي ينفعل ويتأثر منه الحس، بل يدرك ويشاهد من سبيل آخر بمشعر أخروى ويتنور بنور الملكوت شأنه التحليل إلى البسائط، فينتفش فيه مرة كالعهن المنفوش^(٢) وينسف في الآخر: ﴿وَيَتَكَلَّوْكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ﴾ [طه: الآيات ١٠٥ - ١٠٧] .

والبحار التي لا يمكن العبور عليها إلا بركوب السفينة والاستدلال بثواب الكواكب، يرفع من البين: ﴿وَإِذَا أَلْبَاؤُا شُجِرَتْ ۝﴾ [التكوير: الآية ٦] ، ليتصل البر والبحر ويتحد الفوق والتحت، والسماء والأرض، ويحضر الخلاق كلهم في عرصات القيامة: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾ [النازعات: الآية ١٤] ، وتنكشف الأغطية وترفع^(٣) الحجب لأهل البرازخ، وترفع الحواجز: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝﴾ [الانفطار: الآية ٤] . ويقام الخلاق من مواقف الحجب إلى مواقف كشف الأسرار: ﴿وَقَفُورًا ۖ إِنَّهُمْ مُّسْتَوُونَ ۝﴾ [الصافات: الآية ٢٤] . فالمتخلصون عند ذلك من مجالس البرازخ يتوجهون إلى الحضرة الربوبية: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْجَبَدَاتِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ۝﴾ [يس: الآية ٥١] . ويسلب ويقطع ويكسر السموم والآلام والقرون، من السوام والهوام والأنعام لينهدم أطراف التضاد وينقطع أسباب التنازع والعناد من ذوى الشرور والآفات والمعاصي والسيئات. وفي الحديث: يُؤْخَذُ السَّمُ مِنَ الْعَسَلِ، وَالتَّابُ مِنَ الذُّبِّ، وَالْقَرْزُ مِنَ الْكَبْشِ. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝﴾ [الإنسان: الآية ١٣] .

والموت لكونه سبب هلاك الخلق لكل^(٤) واحد من طرفي التضاد يقام بين الجنة والنار في صورة كبش أملح، ويذبح لتظهر الحياة الحقيقية، والوجود المطلق لموت الموت وحياة الحياة. والجحيم تظهر وتحضر في العرصة على صورة بعير:

(١) م: لا غير.

(٢) ش: كالقوش.

(٣) م: ستر.

(٤) م: بكل.

﴿وَيَأْتِيَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمُ السَّيْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الفجر: الآية ٢٣] ، ليشاهدها أهل العيان: ﴿وَيُرْزَقُ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَى﴾ [التأذيات: الآية ٣٦] ، حتى يطلع الخلائق من هول مشاهدتها على عدمهم وفعالهم^(١) ، فنشر شررة لولا أن صيَّنها الله لأحرقت^(٢) السماوات والأرض^(٣).

(١) م: فعالها.

(٢) م: لا حترقت.

(٣) «الأسفار» ج ٩، ص ٣٠٦ ج «رسالة العرشية» ص ٢٦٧. «المظاهر الإلهية» ص ٧٩. «أسرار الآيات» ص ١٩٩.

٩/٨

الجلسة
ديباجة عرش التقديس



بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط جدى إمام العلماء وصدر المتألهين - نور الله تربته الشريفة -
ما حاصله؛

إنني رأيت في المنام ليلة ثلاثين من شهر الله شهر الصيام، لعام ثمان وعشرين وألف من هجرة سيد الأنام - عليه وآله الصلاة والسلام - وقد كنت صليت بعض النوافل من غير نشاط، أني ذاهب إلى موضع عالٍ في طريق ضيق واقع بين جبلين مستطيلين أو تلّين طول الطريق شمالاً وجنوباً، راكباً بعض الأوقات وماشياً في بعض، وكان المركب شاة ضعيفة الجثة، تعدو تارة عدواً سريعاً وتعجز أخرى، وأنا اركب تارة وأنزل أخرى عند تعضيها عن الحمل وإعيائها، وهكذا حتى ظهرت لي غاية عجزها، فبينما^(١) إذ عن رجل غزير المحاسن يقول: هذه البهيمة غير خليفة لهذا، وكأنني كنت إلى الآن ذاهلاً متوقفاً عنها قوة التحمل. فإذا ظهر إلى عجزها، خلّيتها وكنت أذهب بنفسي مع نشاط تام وقوة بلا عجز.

فاستيقظت عند ذلك وخطر ببالي في التعبير إن الذهاب إلى موضع عالٍ هو السلوك إلى عالم الملكوت الأعلى، والذاهب هو الروح النطقى، وضيق الطريق دقة المسلك إلى الحق، والمركب هي النفس الحيوانية المسخرة للروح، وكونها في صورة شاة عبارة عن سلامتها وانقيادها أمر الحق في طريق العبودية وسعيها للروح، وكون الطريق بين جبلين أو تلّين مستطيلين هو وقوع الصراط بين طرفي الإفراط والتفريط أو وقوعه بين طرفي التضاد من الأمور المتقابلة كالصحة والمرض والفرح والغم والراحة والمحبة واللذة والألم والسموم والزهرير، أو وقوعه بين النفس

(١) الظاهر أن هنا سقطاً وهو: «أنا كذلك».

والبدن، لأن الأخلاق والملكات إنما تحصل بمشاركة النفس والبدن، والعدالة هي الطريق الضيق.

وأما الركوب بعض الطريق والمشى في بعض عبارتان عن الأعمال البدنية المقرّبة إلى الله، والأعمال القلبية من الأفكار والتأملات المزلفة لديه، وأما ذلك الرجل الصبيح الوجه فهو الروح القدس الملهم للحقائق على القلب الصافي بإذن ربه الأعلى.

وقوله: «إن هذا المركب ضعيف لا يحتمل الركوب» فهو عبارة عن استشعار القلب بإلهامه أن تقليل النوافل مع ضعف البدن وقوة اليقين ومحوضة العمل عن شوب الشك والرياء ما لا يضر بالعبودية، بل الأولى الإكثار في التأملات القدسية لمن له قلب عارف بالحقائق وبدن ضعيف عن البعث والمَشاق. وتركى الركوب أخيراً وتحركى ماشياً فهو إشارة إلى ما سيؤول إليه حالي من غلبة السلوك القلبي والعروج الروحي إلى عالم الملكوت من غير حاجة لروحي إلى البدن في طلب الكمال والسفر إلى الله المتعال.

انتهى والحمد لله وحده، والصلاة على أهلها^(١).

(١) في آخر الكتابة: رأيت بخط العلامة صدر العرفاء.. شهر شوال سنة ١١١٤، وأنا عبدالله بن الصدر الشيرازي إبراهيم.

هو الحكيم العليم

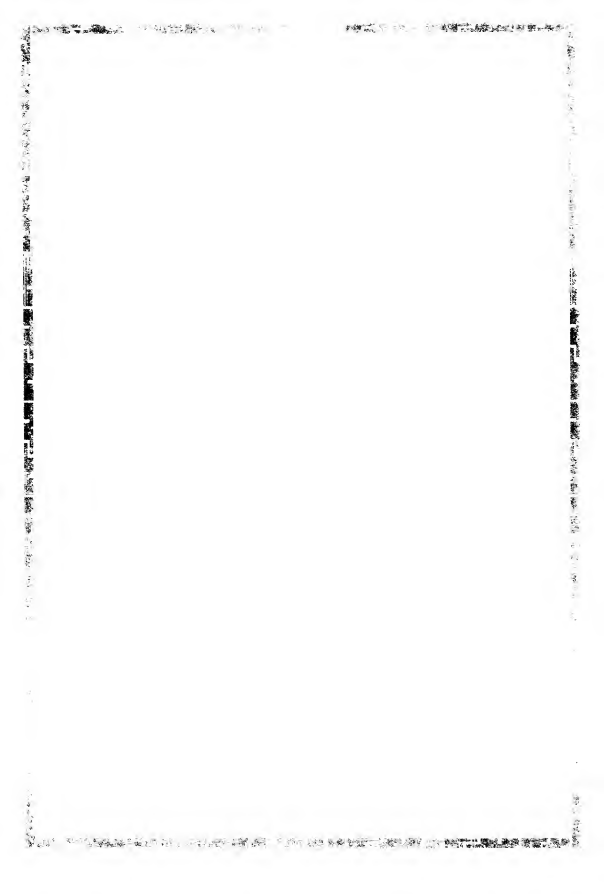
هذه رسالة شريفة ألهمه، ومقالة جلييلة ربّانية مسمّاة - «عرش التقديس»، فارق بين الحق والتدليس، طلعت عن مطلع العرفان والتحقيق، ولمعت عن منبع الإيقان والتدقيق. لعمري لولا أن الجاهل عنود، والإنصاف في الخلق مفقود لحرّيت بها أن تكتب نقوشها في صفحات الأبصار ظاهراً، وثبتت معانيها في ألواح البصائر باطناً، ولكن الجاحدين الغافلين المغترّين بلامع السراب لمحرومون من رحيق هذا الشراب، فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون، لأنهم عن السمع لمعزلون وعن آيات ربهم لمحجوبون، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: الآية ٧].

ولو كان يتيسر لكل عاجز السياحة في فضاء عالم الملكوت والسير، لما كان سليمان - صلوات الله على نبينا وعليه - مختصاً بفهم منطق الطير. فهؤلاء هم محقّقون معذورون في أمرهم هذا لو لم يسمّوا جبنهم حزماً، وفتورهم نفوراً. ونعم ما قيل:

تري الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم
ولكن الكل ميّسر لما خلّق له^(١).

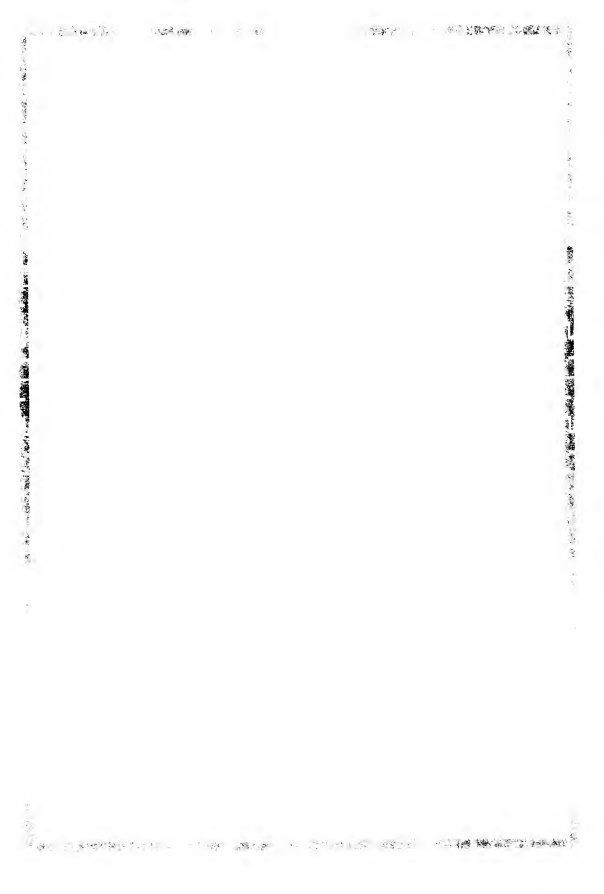
وكتب هذه الأحرف خادم القوى العالية الروحانية محمد بن إبراهيم، الشهير بالصدر الشيرازي. أحسن الله أحوالها، حامداً لله، مصلياً على نبيه، مستغفراً لذنبه.

(١) اقتباس من حديث النبي ﷺ: فكلّ ميّسر لما خلّق له.



١٠

خلق الأعمال



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من تنزه عن الفحشاء، ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء^(١). والصلاة على صاحب شريعته^(٢) البيضاء، وآله مصابيح الدجى وأئمة الابتداء.

اعلم أيها الخائض في لجج هذا البحر العميق بقوة الإيمان والتحقيق، إن^(٣) مسألة القدر في الأفعال من الغوامض التي تحيرت فيها الأفهام، واضطربت فيها آراء الأنام، وليس لنا رخصة في إفشاء سرها بالكلام، لكننا ننقل مذاهب ذهب إليها^(٤) علماء الإسلام، ثم نشير إلى لمعة يسيرة من طريق أهل الله ﷺ.

[المذهب الأول]

فنعول: ذهب جماعة إلى أن الله - جل جلاله - أوجد العباد وأقدرهم على بعض الأفعال، وفوض إليهم الاختيار على وجه الاستقلال، فهم مستبدون^(٥)

(١) هذه العبارة إشارة إلى حكاية وقعت بين القاضي عبد الجبار المعتزلي وأبي إسحاق الإسفراييني الأشعري. وهي: إن القاضي عبد الجبار دخل يوماً على صاحب بن عباد وعنده أبو إسحاق، فحينما رآه القاضي قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء. فأجاب الإسفراييني بديهية: سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء راجع: «شرح الديوان» للمبيدي، ص ٤٠.

أقول: في عبارة المصنف ﷺ إشارة إلى المذهب الحق وهو الجمع بين الجبر والتفويض، والتشبيه والتنزيه، كما مطق به صاحب الولاية الإلهية. انظر: طبع الروضاتي، ص ٧ ناقلاً عن «الكشكول» للشيخ الهائي ﷺ وغيره.

(٢) ألف: شريعتنا.

(٣) من هنا كلام السيد الشريف الجرجاني في بعض تصانيفه، على ما نقل الفاضل البسطامي في «رسالة القضاء القدر»، راجع طبع الروضاتي، ص ١.

(٤) ألف: فيها.

(٥) ألف: مستقلون.

بإيجادها على وفق مشيتهم وطبق قدرتهم^(١)، وزعموا أنه أراد منهم الإيمان والطاعة وكره منهم الكفر والمعصية. قالوا: وعلى هذا يظهر أمور:

[١]: منها: فائدة التكليف بالأوامر والنواهي، وفائدة الوعد والوعيد.

[٢]: ومنها: استحقاق الثواب والعقاب.

[٣]: ومنها: تنزيه الله تعالى عن إيجاد القبائح والشرور التي هي أنواع الكفر والمعاصي، وعن إرادتها.

ولكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا إليه من إثبات شركاء لله في الإيجاد حقيقة؛ ولا شبهة في أنه أشنع من جعل الأصنام شفعاء عند الله. وأيضاً يلزمهم أن ما أراد ملك الملوك^(٢) لا يوجد في ملكه، وإن ما كرهه يكون موجوداً فيه، وذلك نقصان شنيع في السلطنة والملكوت: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[المذهب الثاني]

وذهبت طائفة أخرى إلى أن لا مؤثر في الوجود إلا الله المتعالى عن الشريك في الخلق والإيجاد، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: الآية ٤٠]، و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: الآية ١] ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ﴿لَا يَسْتَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]، ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بالنسبة إليه، بل يحسن منه كل ما يفعل في ملكه؛ لأنه يفعل في ملكه لا في ملك غيره؛ وهذه الأسباب التي ارتبط بها وجود الأشياء بحسب الظاهر ليست أسباباً بالحقيقة ولا مدخل لها في الوجود لشيء، بل إنما هي أسباب عادية جرت سنة الله وعادته بأن توجد تلك الأسباب، ثم توجد عقيبتها مسبباتها، وكلها صادرة منه ابتداءً من غير ترتب بعضها على بعض وتوقف بعض على بعض. وقالوا: في ذلك تعظيم لقدرة الله وتقديس له عن شوائب النقصان في الحاجة إلى غيره.

ولا شك إن هذا المذهب فيه إبطال للحكمة والترجيح، وعزل للعقل عن قضاياها على الرأي الصحيح، وسد لإثبات الصانع، وغلق لأبواب الفكر في

(١) ط: إرادتهم.

(٢) ألف: مالك الملوك.

الصانع. وأيضاً فيما ذكره تجويز للظلم على الباري، ووضع^(١) الأشياء في غير مواضعها، حتى أنه يجوز عليه عندهم تعذيب الأنبياء ﷺ عقلاً، وتكريم الكفار في دار القرار، وأخذ الصاحبة والولد والشريك، إلى غير ذلك من المفاسد القبيحة التي مبناها على إبطال الحكمة والعقل، وفي إبطاله إبطال النقل أيضاً، لأن إثبات النقل إنما يكون بالعقل. تعالى الباري القيوم عما يقولون علواً كبيراً.

[المذهب الثالث]

وذهب آخرون إلى أن الله تعالى قادر على كل شيء، لكن الأشياء في قبول الوجود متفاوتة، فبعضها لا يقبل الوجود إلا بعد وجود الآخر، كالغرض الذي لا يوجد إلا بعد وجود الجوهر، وكالمركب الذي لا يوجد إلا بعد وجود البسيط. فقدرته تعالى في غاية الكمال تفيض الوجود على الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة. فبعضها صادر عن قدرته بلا سبب، وبعضها بسبب أو أسباب. وليس في ذلك لزوم الاحتياج له تعالى في إيجاد ذي الوسط إلى ذلك الوسط حتى يكون ذلك الوسط كآلة فيمن يفعل شيئاً بالآلة، كفعلنا الكتابة بالقلم والإحساس بالحنس. حاشا القيوم عن ذلك. وكيف يتصور ذلك في حق من يصدر عنه السبب المتوسط وذا السبب^(٢) جميعاً، فهو مسبب الأسباب من غير سبب.

فالله سبحانه يوجد الممكنات على أبلغ النظام وأفضل الوجوه، فالصادر منه إما خير محض كالملائكة ومن والاهم، وإما ما يكون الغالب فيه الخير على الشر؛ فيكون الخيرات داخلة في قدرة الله تعالى بالإصالة، والشروع اللازمة للخيرات التي من القسم الثاني للخير داخلة فيها بالتبع.

ومن ثم قيل: إن الله يريد الكفر والمعاصي^(٣) الصادرة عن العباد، لكن لا يرضى، على قياس من لدغ^(٤) الحية أصبعه يختار قطعها^(٥) بإرادته لكن بتبعية

(١) ط: وضعه.

(٢) ألف: ذي السبب.

(٣) ألف: الشرور.

(٤) ألف وط: لسعت.

(٥) ط: قطعها.

إرادة السلامة للشخص، ولولاها لم يرد القطع أصلاً، فيقال هو يريد السلامة ويرضى بها، ويريد القطع ولا يرضى به، إشارة إلى هذا الفرق الدقيق.

وأنت تعلم إن هذا المذهب أصح من الأولين، وأسلم من المفسد، واصون عند ذوي البصائر النافذة على حقائق المعارف وقواعد العقائد، فإنه متوسط بين الجبر والتفويض، فخير الأمور أوسطها^(١).

[المذهب الرابع]

ذهبت طائفة أخرى - وهم الراسخون في العلم - إلى أن الموجودات على تفاوتها وترتيبها في الشرف الوجودي وتخالفها في الذات والأفعال وتباينها في الصفات والآثار تجمعها حقيقة واحدة إلهية^(٢)، جامعة لجميع حقائقها ودرجاتها وطبقاتها، مع أن تلك الحقيقة في غاية البساطة والأحدية، ينفذ نوره في أقطار جميع الموجودات من السماوات والأرضين، لا ذرة من ذرات الأكوان الوجودية إلا ونور الأنوار محيط بها وقاهر عليها، ﴿هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: الآية ٣٣].

وهذا الذي ذهبوا إليه مما أقيم عليه البرهان طبق ما شاهدوه بالبصيرة والعيان. فإذاً كما إنه ليس شأن إلا وهو شأنه فكذلك ليس فعل إلا وهو فعله، ولا حكم إلا لله؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يعنى كل حول حوله، وكل قوة قوته مع علوه وعظمته، فهو مع علوه وعظمته ينزل منازل الأشياء، ويفعل فعلها كما انه مع غاية تجرده وتقديسه عن جميع الأكوان لا يخلو منه أرض ولا سماء، وكما قال إمام الموحدين علي عليه السلام: ﴿مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ﴾^(٣).

فإذا تحقق هذا المقام ظهر ان نسبة الفعل والإيجاد إلى العبد صحيح، كنسبة الوجود والتشخص إليه من الوجه الذي ينسب إليه تعالى. فكما أن وجود زيد بعينه

(١) هنا نهاية كلام السيد المحقق الشريف، المنقول في رسالة الفاضل البسطامي.

(٢) في سائر النسخ: الإلهية، وفي ط: المهمة.

(٣) «نهج البلاغة» الخطبة ١.

أمر متحقق في الواقع وهو شأن من شؤون الحق الأول، ولمعة من لمعات وجهه، فكَذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقبة لا بالمجاز؛ ومع ذلك ففعله أحد أفاعيل الحق الأول بلا شوب نقص^(١) وشين. تعالى الواحد القيوم عن نسبة النقص والشين إليه.

والتنزيه والتقديس بحاله، فإن^(٢) التنزيه والتقديس يرجع إلى مقام الأحدية التي يستهلك فيه كل شيء، وهو الواحد القهار الذي ليس أحد غيره^(٣). والتشبيه راجع إلى مقامات الكثرة والمعلولية، والمحامد كلها راجعة إلى وجهه الأحدى، وله عواقب الثناء والتقديس؛ وذلك لأن شأنه أفاضة الوجود على الكل، والوجود كله خير محض وهو المَجْعول، والشرور أعدام، والأعدام غير مجعولة؛ وكذا الماهيات ما شمت رائحة الوجود. فعين الكلب نجس، ووجوده الفائض عنه تعالى عليه طاهر، والكافر نجس العين من حيث ماهيته وعينه الثابت لا من حيث وجوده، لأنه الطاهر الأصل، كتور الشمس الواقع على القاذورات والارواث، فإنه لا يخرج عن نورانيته وضيائه وصفائه بوقوعه عليها، ولا يتصف بصفتاتها من الرائحة الكريهة والكدورة الشديدة.

فكَذلك كل وجود وكل أثر وجود من حيث كونه وجوداً له، ومن حيث كونه أثر وجود خير محض وحسن ليس بشر ولا قبيح، ولكن من حيث نقصه عن التمام شر، وفي حيث منافاته لخير آخر قبيح. وكل من ذلك راجع إلى نحو عدم؛ والعدم غير مجعول لاحد. فالحمد لله العلي الكبير.

[الحكومة]

فهذا حاصل هذا المذهب، ولا شبهة في أن الأخير عظيم الرتبة، شديد^(٤) المنزلة، لو تيسر الوصول إليه لأحد ينال الشرف الأعلى والبهجة الكبرى؛ وبه تندفع جميع الإشكالات والشبه الواردة على خلق الأعمال، وبه يظهر معنى كلام

(١) ألف: قصور وتشبيه.

(٢) ألف: فالتنزيه والتقديس بحاله، لأن...

(٣) ألف: غيره في الدار.

(٤) في ط هنا وفيما يأتي: شديد.

الإمام عليه السلام: لَا جَبَرَ وَلَا تَقْوِضَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ^(١).

إذ ليس المراد به أن في فعل العبد وقع تركيب بين الجبر والاختيار، ولا معناه أن فعله خالٍ^(٢) عن الجبر والاختيار، ولا أيضاً أن العبد له اختيار ناقص وجبر ناقص، ولا أنه اختيار^(٣) من جهة واضطرار من جهة أخرى، ولا أنه مضطر في صورة الاختيار، كما وقع في عبارة الشيخ أبي علي عليه السلام بل المراد أنه مختار من حيث هو مجبور، ومجبور من حيث هو مختار؛ بمعنى أن اختياره بعينه اضطراره.

ولنذكر لهذه المذاهب الأربعة أمثلة، فنقول: مثال المذهب الأول: كالحرارة النارية. ومثال المذهب الثاني: كالبرودة المائية. ومثال المذهب الثالث - وهو قول مَنْ يقول إذا نُسب الفعل إلى فاعله القريب كالعبد، حكم عليه بأنه مختار؛ وإذا نسب إلى جميع الأسباب السابقة عليه من سلسلة الموجودات السالفة حكم عليه بأنه مجبور عليه - كالكيفية التي في الماء الفاتر فإنه يقال لا حَارَ ولا بارِد، بل فيه حرارة ضعيفة وبرودة ضعيفة. ومثال المذهب الرابع: كحال الفلك عند التحقيق، فإن التحقيق أن الفلك جامع لهذه الكيفيات على وجه البساطة، بمعنى أنه له كيفية واحدة بسيطة هي بعينها كل كيفية توجد في العناصر متفرقة، لنقص وجود العنصر. فحرارة السماء ليست ضد برودتها وبالعكس، وكذا رطوبتها ليست ضد يبوستها وبالعكس، بل الجميع واحدة بسيطة. وليس الفلك كالمعتدل العنصري الذي يوجد فيه الكيفيات مكسورة الشدة، لأنه شديد القوى لكمال صورته الفلكية الخارجة عن جنس هذه الصور العنصرية ذاتاً وكيفية.

وأنت أيها الراغب إلى تحقيق الحق، الساعي إلى ساحة عالم التقديس، لا تكن ممن اتصف بأنوثة التشبيه المحض، ولا بفحولة التنزيه الصرف، لا بخنوثة الجمع بينهما كمن هو ذو الوجهين؛ بل كن مقتدياً بسكان صوامع الملكوت الذين هم من العالين^(٤)، ليست لهم شهوة أنوثة التشبيه، ولا غضب ذكورة التنزيه، ولا الخلط والامتزاج بين الصفتين، وإنما هم من أهل الوحدة الجمعية الإلهية، فإن

(١) «التوحيد» ص ٣٦٢. «الكافي» ج ١، ص ١٦، «البحار» ج ٥، ص ١٧.

(٢) ط: إن فيه خلواً.

(٣) إن له اختياراً - ظ.

(٤) خ: العالمين.

اللَّهُ سبحانه عالٍ في دنوّه، داني في علوّه، واسع برحمته كل شيء، لا يخلو منه أرض ولا سماء، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] .

[تمثيل]

إن أردت مثلاً لأن تعلم به كيفية كون الأفعال الصادرة عن العباد هي بعينها فعل الحق، لا كما يقوله الجبري، ولا كما يقوله القدرى، ولا كما يقوله الفيلسفي، فانظر إلى افعال الحواس والقوى التي للنفس الناطقة^(١) التي خلقه الله مثلاً له تعالى ذاتاً وصفة وفعلًا، لقوله ﷻ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ^(٢). فإن التحقيق عند النظر العميق ان فعل كل حاسة وقوة - من حيث هو فعل تلك القوة - فعل النفس. فالابصار مثلاً فعل البصر، وكذا السماع فعل السمع بلا شك، لأنه لا يمكن^(٣) شيء منها إلا بانفعال جسماني، وهو بعينه فعل النفس بلا شك، لا كما اشتهر في الحكمة الرسمية أن النفس تستخدم القوة كمن يستخدم كاتباً أو ناقشاً، والفرق بأن الاستخدام ههنا طبيعي، وهناك غير طبيعي. بل كما حقق في مقامه من أن النفس بعينها تكون عيناً باصرة وأذنًا سامعةً، وكذا تكون قوة باطشة في اليد، وقوة ماشية في الرجل؛ فبها يبصر العين الباصرة، وبها يسمع الأذن السامعة، وبها يبطش اليد الباطشة، وبها يمشى الرجل الماشية.

فالنفس مع تجردها وتنزهها عن البدن وقواه لا يخلو منها جزء من أجزاء البدن عالياً كان أو سافلاً، ولا تقومها قوة من اقوى بمعنى أن لا هوية للقوى غير هوية النفس؛ لأن النفس هوية أحدية عقلية، جامعة لهويات سائر القوى والأجزاء، تستهلك عندها وتضمحل لديها هويات سائر القوى والأجزاء، لأنها محيطة بها قاهرة عليها، منها مبدؤها وإليها منتهاها، كما أن النفس من الله مشرقها وإلى الله مغربها، وكذا جميع الأشياء منه تبتدىء وإليه تعود وتصير، فالنفس - وهي القلب المعنوي - أمير الحواس والجوارح، فلا يكون من الجارحة فعل إلا بإرادة النفس،

(١) ط: للنفس الإنسانية.

(٢) «المناقب» للخوارزمي، فصل ٢٤. «مصباح الشريعة» ص ٤١.

(٣) ط: لا يكون.

ولولا إرادة النفس كانت الجارحة جماداً لا حركة فيها .

ثم إرادة النفس كوجودها لا تنشأ من ذاتها، وإنما تنشأ من إرادة الله تعالى التي هي عين ذاته، وإنما الله يخلق فيها إرادة ومشية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية ٣٠] . فكما ينشأ من النفس في الباصرة شعاع* تدرك به الألوان والأضواء، وفي السامعة قوة تدرك بها الأصوات، فكذلك يخلق الله تعالى في النفس إرادة وعلماً تدرك وتتصرف في الأمور .

وعند هذا التحقيق ينكشف سرّ قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: الآية ١٧] . فسلب الرمي منه ﷺ من حيث أثبت له . وكذا قوله تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٤] . فنسب القتل إليهم والتعذيب إلى الله تعالى بأيديهم، والتعذيب هناك عين القتل .

فهذا ما سنع لنا في مسألة «خلق الأعمال» مما ألهمني الله تعالى المدرك الفعال عند تصادم الشكوك والأهواء من تراكم^(١) البدع والآراء في زمان، شاع فيه الجهل والأضرار لأبنائه، وانتشر فيه الانكار والاستنكار إلى حيث يعدّ اكتساب العلوم الإلهية من جملة الشين والعار، وبإنكار المعارف الحقيقية يكتسب الجاه والافتخار، ويكاد أن ينقرض أهل علم التوحيد من البلاد والديار، ويحقّ القول الحق عليهم بدعوة المحقّ^(٢): ﴿زَيْ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] . ولكل قهوة شاربون وعلى سكرهم ساربون^(٣)، و ﴿كُلُّ جَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٣] ؛ ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَمَّرَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٢]^(٤) .

(١) ط : وتراكم .

(*) في النسخ : شعاعاً .

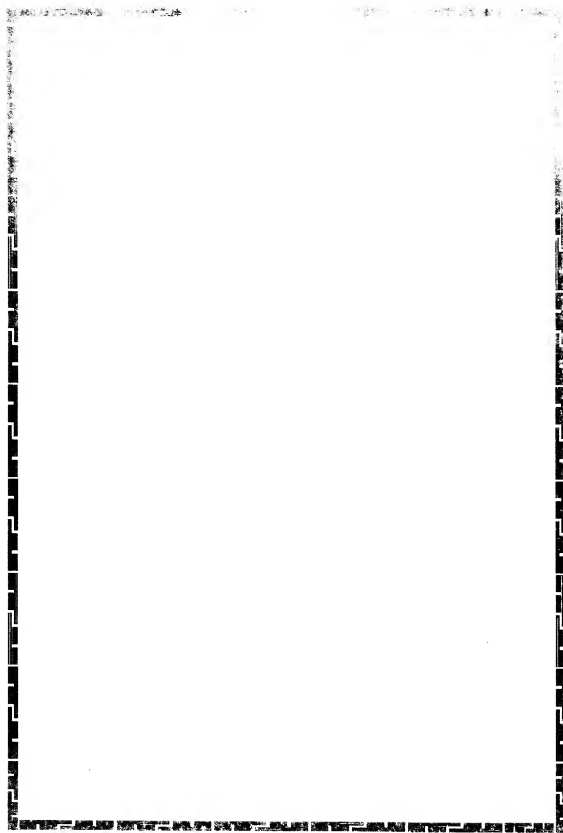
(٢) خ : الحق .

(٣) ط : على شكرهم شاكرون .

(٤) وفي النسخ : المشركون .

١١

شواهد الزبوبيّة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل نور معرفته نتيجة إيجاد الأرواح والأجساد، وتجلى بقدسه لقلوب العارفين بأسرار المبدأ والمعاد، وأوحى في كل سماء أمرها لإدارة المتجسدة الكوكبية ليتنور بها هذه البقاع والبلاد، وينشأ منها تعمير الأرض بالحيوان والنبات والعجماد، والغرض الأصلي منها نشوء الآخرة بخلقه الإنسان ليستكمل بنور العلم والإيمان، ويعمل بما يجرده عن الاكوان، ويستعد لمجاورة الرحمن، وإنما خلق من فضالته سائر المركبات من الأركان، فسبحان من فاطر ما أقده وأعظمه! فأشكره على نعمائه المترادفة المتصلة، وآلائه المتتالية المتوافرة، واستعيذ^(١) به من مس الشيطان في تحرير هذه العجالة، وأصلي علي نبيه وآله المطهرين عن أرجاس الخواطر المضلة، المحروسين في سماء قدسهم وطهارتهم عن طعن أوهام الجهلة الضالة.

وبعد، فهذا^(٢) موجز^(٣) إشارات إلى جواهر نفيسة زاهرة، وتلميحات [ألف - ١] إلى فرائد ثمينة باهرة، ترشحت بإمداد فضل الله العزيز المنان في سحاب عالم العقل والجود والإحسان، وترسخت وانعقدت في صدف النفس الناطقة بالصدق والايقان، ثم استخرجت بوساطة غوامض القوة الفكرية من قعر بحر الحكمة إلى سواحل النطق والبيان، ثم ثقت^(٤) الناطقة^(٥) كلاً منها بمثقب التدبير والتحقيق وقوة التأمل والتدقيق، حتى اتسمت بسمة الاتساق والانتظام، واتصفت بصفة

(١) ش: استفيد.

(٢) م: وهذه.

(٣) م: مؤخر.

(٤) م: نقلت، ش: يقثب.

(٥) م: الناقلة.

الائتلاف والالتئام، وصارت بحمد الله صالحة لأن تكون سبحات يسبح بها المستبحون في جوامع القدس، أو قلائد يتزين بها الحور العين في مجامع^(١) الأنس.

فأقول وأنا الفقير محمد الشهير بصدر الدين الشيرازي - نور الله بصيرته وشرح صدره -: اني بفضل الله وتأييده وحسن هدايته وتسديده قد اطلعت بسبب كثرة المراجعة إلى عالم الأمر، والعكوف على باب الإفاضة^(٢) والرحمة، وطول المهاجرة عما أكب إليه^(٣) الجمهور وتلقفوه^(٤) كما هو المشهور على مسائل شريفة إلهية وغوامض لطيفة سبحانية، قلما تيسر لأحد الوقوف عليها [من] الأفاضل الحكماء ممن كثرت رياضته وأعظمت عند الناس منزلته، بل تفردت بمقاصد عالية لم يتفق الاطلاع على فحواها والاهتداء إلى مغزاها، إلا ممن امتحنت^(٥) نفسه بالانقطاع عن أغراض الدنيا وماتت غريزته عن الشهوات والهوى. قد أودعنا بعضاً من هذه المسائل متفرقة في [ب - ١] كتب عديدة ورسائل، وكثيراً^(٦) منها لا يمكنني النص عليها خوفاً عن الانتشار في الاقطار وقصور الطبائع عن دركها من المقال من غير تهذيبها بنور الأحوال؛ وذلك مما يوجب الضلال والإضلال^(٧) وهذه هي التي سأذكرها على سبيل الحكاية مجردة عن البراهين في مشاهد مشتملة على شواهد، وكنيتها^(٨) شواهد الربوبية، رجاء أن تصير باعثة على تشويق الطالبين لسلوك منهج اليقين بالتحصيل، والله يقول الحق ويهdy السبيل، المشهد الأول^(٩) وفيه شواهد:

(١) م: جوامع.

(٢) م: الإضافة.

(٣) عليه - ظ.

(٤) «تلقف من فيه كذا»: حفظه.

(٥) امتحنت - ظ.

(٦) كثير - ظ.

(٧) م: الاختلال.

(*) توجد الخطبة في نسخة «ش» على الترتيب التالي: «الحمد لله الذي... الجهلة الضالة، فأقول وأنا

الفقير... الضلال والإضلال، وبعد فهذه موجز... مجامع الأنس، وهذه هي التي...

(٨) م: كميتها.

(٩) م: - والله... الأول.

[١]: مسألة التوحيد الخاصى الذي ذهب إليه العرفاء، ولم يبلغ إلى دركه أفهام جمهور الحكماء، ولم يتفق لأحد فيها الكشف والعيان مع إقامة الحجة والبرهان.

[٢]: مسألة التوحيد العامي الحكمى، والبرهان العرشى عليه بوجه لا يرد عليه الشبهة المشهورة المنسوبة إلى ابن كمونة.

[٣]: تحقيق لوجود المثل الأفلاطونية^(١)، وهذا مما لم يصل إليه أحد من الحكماء الذين جاؤوا بعد «افلاطون» الإلهي، بل كل من أتى بعده أنكر هذه المسألة إلى هذا الزمان، وكثير من الحكماء شنعوا عليه بها، وأبلغوا في التشنيع، سيما المعلم الأول في تعليمه، وربما أولوها تأويلات عائدة غير مرضية.

[ألف]: منها: إنها عبارة عن العلوم التفصيلية الحصولية القائمة بذاته تعالى، على ما ذهب إليه المشاء، أتباع المعلم الأول، كالشيخين أبي نصر وأبي علي ومن في طبقتهم، وبه أول المعلم الثاني كلام «افلاطون» في رسالة «الجمع بين الرأيين»^(٢).

[ب]: ومنها: إنها عبارة عن عالم [ألف - ٢] المثل، كما زعمه بعضهم.

[ج]: ومنها: إنها إشارة إلى طبائع الأنواع من حيث هي هي، ظن إنه ذهب إلى أن الكلى الطبيعي موجود في الخارج بشرط لا شيء، بناءً على أنه موجود إذا أخذ لا بشرط، ولم يفرق بين أخذ الشيء مع قطع النظر عن كل ما يقارنه وين أخذه مجرداً عنها؛ وبهذا الوجه أول الشيخ في الهيات «الشفاء»^(٣) المثل الافلاطونية.

[د]: ومنها: ما ذكره صاحب «حكمة الإشراق» من انها عبارة عن العقول التي هي واقعة في سلسلة العرض، بناءً على مذهبه^(٤) من ان الأجسام المخالفة نوعاً يجب أن يكون مبادئها القريبة عقولاً متكثرة بحسب تكثر^(٥) أنواعها، فكل نوع

(١) راجع «الأسفار» ج ٢، ص ٥٣ - ٧٨.

(٢) «الجمع بين رأيي الحكيمين» ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) الهيات «الشفاء» ط مصر، ص ٣١١.

(٤) «حكمة الإشراق» ص ١٤٤، وقارن «الأسفار» ج ٢، ص ٥٣.

(٥) م: يكثر.

جسماني نور عقلي هو مبدأ وجوده^(١) ورب نوعه ومدبر أشخاصه. وهذا أقرب الوجوه المذكورة، إلا أنها ليس ما رامه؛ فإن لكل نوع عنده فرداً قائماً بذاته من سنخ سائر الأفراد.

[هـ]: ومنها: انها عبارة عن نفس هذه الصور المادية الشخصية من حيث كونها حاضرة عنده، [و] من تلك الحثيثة لها ثبوت على وجه آخر غير محتجب بالأغشية المادية. فهذه هي الوجوه المذكورة في تأويل كلامه، وليس شيء منها غرض افلاطون الإلهي؛ وقد خصنا الله تعالى بإلهامه وإكرامه في تحقيق هذا المقام، فالمسألة عندي في غاية الوضوح والإنارة، وذكرنا البرهان عليها في كتابنا المسمى بـ «الأسفار الأربعة»^(٢).

[٤]: إن أثر الجاعل هو نحو الوجود الخاص الصادر [ب - ٢] عن الواهب جعلاً بسيطاً، وليس المجهول نفس الماهية مع قطع النظر عن الوجود، كما زعمه الإشراقيون؛ ولا صيرورة الماهية موجودة كما ذهب إليه المشاؤون، فالوجود هو الصادر من الفاعل لأنه الموجود بالذات دون المسمى بالماهية لأنها الواقع بالعرض بمنزلة الظل من ذي الظل، فهي المجهولة بالعرض كما حققناه في موضعه، وقد اتقنا^(٣) على هذا المطلب براهين قطعية ذكرناها في أسفارنا وفي «الحكمة القدسية»^(٤).

[٥]: إن الوجود حقيقته^(٥) بسيطة واقعة في الخارج بجميع أشخاصه وخصوصياته، والتفاوت بين أشخاصه وخصوصياته يكون بالتأكيد والضعف، والتقدم والتأخر، والغنى والفقر؛ وليس الوجود في نفسه كلياً ولا معروضاً للكليّة حتى يكون كلياً طبيعياً، ولا جزئياً واقعاً تحت معنى نوعي أو جنسي، وليس شموله لجميع الموجودات كشمول الكلي لجزئياته، بل شموله وانبساطه على هياكل الممكنات على نحو آخر لا يعلمه إلا الراسخون في العلم.

(١) م: موجودة.

(٢) راجع: «الأسفار» ج ٢، ص ٦٢.

(٣) أفمنظ - ظ.

(٤) «الأسفار» ج ١، ص ٤١٤، و«المسائل القدسية» ص ١١ - ١٨.

(٥) ش: حقيقة.

[٦]: إثبات نحوين آخرين من التقدم سوى الخمسة المشهورة بين الفلاسفة، أحدهما التقدم بالحقيقة، والثاني التقدم بالحق؛ وقد ذكرناهما حداً وبرهاناً في مقامهما.

[٧]: إن الصادر بالذات عن الحق الأول وجود المعلول الأول، وأما ماهيته المركبة من جنسه وفصله فهي غير صادرة عنه، لكنها لازمة لوجوده، واللوازم عندنا غير محتاجة إلى جعل وتأثير، وبهذا [ألف - ٣] يستقيم التثليث المذكور في صدور الموجودات الثلاثة عن المعلول الأول، أي الفلك الأول ونسه وعقله، كما عليه الحكماء.

[٨]: إن طبيعة الوجود وإن كانت واحدة بسيطة بحسب الحقيقة، لكنها مختلفة بحسب الماهيات المتعددة^(١) كل منها مع مرتبة من مراتبه سوى الوجود الأول الذي لم يشوبه^(٢) ماهية أصلاً، لأنه صرف الوجود الذي لا أتم منه وهو الوجود غير المتناهي شدة، وفوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى، فلا يحده حد، ولا يضبطه نعت ذاتي، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: الآيتان: ١١٠، ١١١].

[٩]: تحقيق علمه تعالى بالأشياء على وجه عرشي اختصاصي، ليس كما ذهب إليه المشاؤون من إرتسام صور الأشياء في ذاته وتقرير ورسوم الممكنات قائمة بذاته؛ ولا كما ذهب إليه الإشراقيون من كون مناط علمه الذاتي بالأشياء الخارجة عن ذاته نفس وجودات تلك الأشياء؛ ولا ما ذهب إليه المعتزلة القائلين^(٣) بثبوت المعدومات؛ ولا ما ذهب إليه افلاطون من كون علمه عبارة عن المثل القائمة بذاتها؛ ولا ما رآه فرفوريوس القائل باتحاد العقل [والعقل] والمعقول؛ ولا الذي عليه المتأخرون من العلم الاجمالي على النحو الذي قرروه في كتبهم، بل كما أفادنا الله سبحانه بطريق آخر غير شيء من هذه الطرق المذكورة.

[١٠]: تحقيق القول في الوجود الذهني من أن قيام الصور الخيالية بالنفس

(١) في النسخ: المتحدة.

(٢) لم يشوبه - صح.

(٣) القائلون - ظ.

ليس بحسب الحلول حتى تكون النفس قابلة إياها، بل بحسب الصدور [ب - ٣] حتى تكون النفس فاعلة لها.

[١١]: تحقيق القول باتحاد العاقل بالمعقول، حسبما هو المنقول عن فرغوريوس، بوجه شديد، لا يرد عليه ما أورده الشيخ الرئيس ومن تأخر عنه، وهذا أيضاً من المسائل الشريفة التي لا يصل إليها الإنسان بقوة الفكر البحثي [من] غير تصفية الباطن وتهذيب السر.

[١٢]: تحقيق القول باتحاد النفس بالعقل الفعال بعد خروجها عن غشاوة الطبع واتصافها بالكمال العقلي.

[١٣]: كيفية إثبات أن العقل الفعال مع كونه سبباً فاعلياً للنفوس الإنسانية ومتقدماً عليها، كذلك غاية مترتبة على وجودها وكمالها؛ وثمرة حاصلة من استكمالها وانتقالها من ادون حالها^(١) إلى أعلى منازلها في ارتحالها. وهذا أمر عجيب في غاية الغرابة كيف يكون جوهرأ واحداً فاعلاً متقدماً على وجود شيء وغاية متأخرة عن وجود ذلك الشيء من غير أن يتغير ذلك الجوهر في ذاته وصفاته المتغيرة في ذاته، لتعاليه عن الوقوع في التجدد والاستحالة! وذلك لغاية سعة وجوده وبسط حقيقته، لكونه أثراً من آثار قدرته تعالى ومن سكان عالم جبروته.

[١٤]: إن وحدة الموضوع - المعدودة من جملة الوحدات الثمانية - المعتمدة في شرائط التناقض يجب أن يقيد بكونها في موضوع جسماني محسوس وإلا فوجود التقيضين ليس مستحيلاً في الموضوعات العقلية التي لها نحو من الوجود، لا [ألف - ٦] يتزاحم فيه الموجودات، ولا يتزاحم فيه المتقابلات. فللوجود مراتب عجيبة ولكل مرتبة نحو آخر غريبة.

وبما ذكرنا ينكشف تجرد النفس وكونها في ذاتها غير جرمية، وبذلك يندفع بعض شبه الوجود الذهني.

[إيضاح]: إن الصور النوعية للجواهر الجسمانية ليست مندرجة تحت جنس الجوهر ولا واقعة في مقولة أخرى من المقولات التسع العرضية، بل كل منها

(١) م: خالها.

حقيقة بسيطة لا جنس لها ولا فصل، كالوجود.

[١٥]: تجويز الحركة من مقولة الجوهر، وإنقلاب الشيء في الأطوار الجوهرية الجمادية والنباتية كمادة الإنسان المنقلبة في الأطوار، لا على طريق الفساد والكون بل على نهج الاستكمال، كما أشير إليه في القرآن العظيم: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَاوِجٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَٰكًا فَمَلَقِيهِ ۝﴾ [الانشقاق: الآية ٦].

[١٦]: إن عروض الموت الطبيعي للإنسان ليس لأجل ما زعمته الطبيعيون والأطباء من أن موجه تناهي القوى الجسمانية وانحلال القوى واضمحلال المواد، لاحتمال ورود الامدادات المتوالية^(١) على المادة القابلة^(٢) من المبادئ المجردة على سبيل الوساطة من النفس، كما في تحركات قوى الأفلاك لموادها على سبيل توارد الإشراقات العقلية والتفسية مما فوقها. بل موت البدن إنما يعرض للإنسان لأجل توجه النفس توجهاً غريزياً إلى النشأة الآخرة، وسلوكها سلوكاً ذاتياً إلى جهة المثالي، ورجوعها إلى عالم الحق، فإذا ارتحلت من الدنيا إلى الآخرة يعرض [ب - ٤] الموت الطبيعي للبدن. فهذا معنى الموت الطبيعي للإنسان.

وبيّنا كما أشرنا استقلال النفس شيئاً فشيئاً بحركتها^(٣) الذاتية، وترك استعمالها لآلات البدنية كذلك، حتى تتفرد بذاتها، ويخلع البدن بالكلية. وهذا المعنى لا ينافي الشقاوة الأخروية بل يوجبه، فإن الاتصاف بذمائم الصفات الحاصلة من كثرة المعاصي والتعذيب بالجهل والكفر وأمثالهما مما يستلزمه قوة الوجود وشدة الفعالية والتحصل وحدة البصر الباطني - كما في قوله تعالى: ﴿فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ كَرِيمٌ﴾ [ق: الآية ٢٢]. وكشف^(٤) الغطاء يحصل بالانسلاخ عن لباس البدن وحدة البصر بقوة جوهر النفس.

[١٧]: إن حقيقة كل ماهية تركيبية ليست إلا فصله الأخير، وأما سائر الأجناس القريبة أو البعيدة وباقي الفصول فهي من باب اللوازم، فهي وإن كانت

(١) م: توالية.

(٢) م: المقابلة.

(٣) م: ش: بحيوتها.

(٤) م: ش: فكشف.

داخلة في حد الشيء لكنها خارجة عن ذات المحدود، وهذا مما جوزه المنطقيون في بعض الحدود وقد ذكره الشيخ في «الشفاء»^(١) ومثل ذلك ياصبع الإنسان وقوس الدائرة حيث إن مفهوم الإنسان داخل في حد الاصبع خارج عن حقيقتها.

[١٨]: إن صور العناصر غير داخلة في حقيقة المركب الطبيعي كالجماد والنبات والحيوان، بل هي من شرائط وجودها الكوني، وليست داخلة في قوام المركب كما هو المشهور وعليه الجمهور، ولا متخلفة عنه كما زعمه بعضهم، وحكاها الشيخ الرئيس^(٢) [وآلف - ٥] ذكر إن هذا المذهب أحدث في زمانه وذلك لشواهد^(٣) التحليل بألة القرع والإنيق على بقاء تلك الصور.

[١٩]: مسألة المعاد الجسماني^(٤) وهذا مما ألهمني الله به وفضلني على كثير من خلقه تفضيلاً، ولم أجد في كلام أحد من الإسلاميين والحكماء السابقين واللاحقين في هذه المسألة ما يشفي العليل ويروى الغليل. نعم استفدناها من كتاب الله وحديث نبيه وعترته ﷺ ووجدنا لمعات متفرقة في كتب أكابر الصوفية رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه.

[٢٠]: تحقيق ماهية القبر وعذابه وكونه إما روضة من رياض لجنة أو حفرة من حفر النيران.

[٢١]: إن النفس الإنسانية إنما تكون في أول نشأتها بادية مادية كسائر الصور النوعية ثم تصير مجردة ذاتاً لا فعلاً، ثم تصير مفارقة عن الأجسام المحسوسة الكثيفة المادية ذاتاً وفعلاً جميعاً عند الموت، فهي إما سعيدة وإما شقية - إن بقيت علاقتها مع تلك الأجسام - وإما من جملة المقربين أن تجردت عن الاجرام وعلاقتها جميعاً بالكلية.

النفس الآدمية ما دام كون الجنين في الرحم درجتها درجة النفوس النباتية، وإذا خرج الطفل من بطن أمه صارت نفسه بمنزلة نفوس سائر الحيوانات إلى أوان

(١) الهيات «الشفاء» ط مصر، ص ٢٣٠ و ٢٤٨.

(٢) طبيعات «الشفاء» ط مصر، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) م: الشواهد.

(٤) م: - مسألة المعاد الجسماني.

البلوغ الصوري، ثم تصوير ناطقة بعد ذلك، فإن كان فيها استعداد الارتقاء إلى حد النفس القدسية والعقل بالفعل، فإذا بلغت حد الأربعين وهو أول [ب - ٥] البلوغ المعنوي صارت نفساً قدسية إن ساعدها التوفيق الإلهي. فالجنين ما دام في الرحم نام بالفعل، حيوان بالقوة؛ وإذا خرج من بطن أمه قبل البلوغ فهو حيوان بالفعل، إنسان بالقوة؛ وإذا بلغ حد البلوغ الصوري فهو إنسان بالفعل ملك بالقوة. وأما مرتبة القوة القدسية فربما لم يبلغ من ألوف من أفراد الإنسان واحد إليها.

[٢٢]: مسألة المعراج الإنساني وتحقيق عروج رسول الله ﷺ ببدنه الشريف وهيكله المحسوس إلى عالم السماء، على وجه لا يوجب خرق الأفلاك ولا فقدان بدنه المبارك في المدينة الطيبة.

وقع الشك لبعض العرفاء، [في] أنه عرج رسول الله ﷺ بقلبه في طبقات الأجرام العالية، أو اتسع عرصة قلبه وانشرحت حتى أدرجت فيه السماوات. والمذهب المنصور أنه عرج بقلبه المتصف بصفة قلبه، لغلبة روحانيته على جسمانيته، كقول القائل^(١)...

رقّ الزجاج ورقّت الخمر فتشابهها وتشاكل الأمر ... سوى في جسمه وشخصه، ونهض طائر همتة وذكره وتعظله، وازعجه فرط حياته وشوقه من الأمن والبين^(٢) حتى وطن وتوطن حريم قاب قوسين.

[٢٣]: إن النفس الإنسانية مشتملة على أجزاء ثلاثة، لكل^(٣) منها نشأة أخرى، أحدها: في جواهر هذا العالم؛ وثانيها: في عالم البرزخ؛ وثالثها في عالم القدس. فالأول: [ألف - ٦] طبع؛ والثاني: نفس؛ والثالث: عقل بلسان الحكمة، وروح بلسان الشريعة. وإن شئت قلت الأول صدر؛ والثاني قلب؛ والثالث نور.

[٢٤]: إن حقيقة الإنسان نوع واحد في هذه النشأة، وأنواع كثيرة في النشأة الثانية غير محصورة في عدد، إلا أن أجناسها أربعة^(٤)، لأنها أما أن تصير من

(١) هو صاحب بن عبّاد ككلمة.

(٢) هذه الفقرة لا تخلو من تصحيف وتخليط.

(٣) م: كل.

(٤) ثلاثة - ظ.

جنس الملائكة إذا غلبت عليه صفة العلم والحكمة؛ وإما أن تصير من جنس الشياطين إذا غلبت عليها الشهوة، أو من جنس السباع إذا غلبت عليها صفة الغضب والانتقام وحب الرئاسة.

[٢٥]: إن النفس الإنسانية تنزل إلى درجة الحواس عند إدراكها لمحسوسها فتصير عند الإبصار عين القوة البصرية، وعند السماع عين القوة السمعية، وهكذا في بواقي الحواس، حتى القوة الإلهية والقوة التي تبشر التحريك في العضلات. وكذا ترتفع عند إدراكها للمعقولات إلى درجة العقل الفعال وتتحد به على نحو يعلمه الراسخون في العلم، ومن لم يبلغ إلى مقامهم يزعم أنه يلزم من اتحاد النفوس الآخرة^(١)، وكذا لزوم تعقل النفس جميع ما يعقله العقل الفعال. وبينما كل ذلك على القصور عن نيل هذا المرام وعدم الاطلاع على البرهان النير العرشي الكاشف لحجب الأوهام.

[٢٦]: الصور لمريئة في المرايا^(٢) ليست منطبعة فيها، سواء كانت في^(٣) سطوحها أو في أغوارها كما زعمه [ب - ٦] الطبيعيون. ولا موجودة [منها] كما ذهب إليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع البصري واتصالها بالأشخاص الخارجية. وليست موجودة في عالم المثال كما رآه الإشراقيون؛ بل موجودة في هذا العالم وجوداً بالعرض لا بالذات، فوجودها ظل لوجود الشخص^(٤) الخارجي بحسب الخارج لا بحسب نشأة أخرى، ولو كانت كما ظنه الإشراقيون لكانت من قبيل سائرة النائم في نومه حيث لم يكن له وضع خارجي، وهذه ليست كذلك لكونه قابلة للإشارة الحسية.

[٢٧]: لمية اختصاص المنطق بموضع جزء معين من الفلك دون غيرها مع بساطة جسمه ووحدانية طبيعته، وكذا اختصاص كل فلك بجهة معينة في حركة^(٥) الخاصة دون سائر الجهات، وكذا حصول كوكب أو تدوير في جانب مخصوص

(١) كذا.

(٢) م: - الصور... المرايا.

(٣) ش: من.

(٤) م: ش: الشخص.

(٥) الحركة - ظ.

دون سائر الجوانب، وكل ما يجري هذا المجرى في الأجسام البسيطة؛ فحققنا الأمر وبيّنا الحكمة والسر على وجه^(١) تطابق الأصول والقوانين، ولم يلزم ما توهمه المتكلمون من جواز الترجيح من غير مرجح أصلاً.

[٢٨]: كشف الحقيقة فيما ورد في مواضع من الكتاب العزيز من ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: الآية ٥٩]؛ وهذا شيء عجزت عن بيانه أهل التفسير واعترفوا بالعجز عن فهمه.

[٢٩]: حمل متشابهات القرآن على ظاهر معناه، وحمل ألفاظ التشبيه على مفهومه الأول [ألف - ٧] من غير لزوم التجسم والتشبيه على الباري كما ذهب إليه الحنابلة والمجسمة تعالى: «عما يقول الظالمون علواً كبيراً»^(٢). وهذا من عظائم العلوم الكشفية، فإن الناس من باب متشابهات القرآن بين حيارى وعميان. فمنهم من أول الجميع بتأويلات عقلية حتى الأمور الأخروية من الجنة والنار والحساب والميزان. ومنهم من حمل الجميع على المفهوم الأول كأصحاب أحمد بن حنبل من دون محافظة على تنزيهه سبحانه عن الجسمية ولوازمها. ومنهم من أول البعض وقرر البعض، فكل ما ورد في باب المبدأ أولوه، وكل ما ورد في باب المعاد قرروه^(٣) وأبقوه على ظاهر مفهومه، لأنهم لم يدخلوا البيوت من أبوابها، ولم يأخذوا علم القرآن من الله ورسوله، بل أخذوه من الألفاظ ونقل محسوس عن محسوس، وأخذ بيت عن بيت كأبدان وأجساد يتكئ بعضها على بعض ويتصل بعضها ببعض.

[٣٠]: إثبات كون العقل كل الموجودات كما ذهب إليه الأوائل بوجه برهاني.

[٣١]: تحصيل التركيب الاتحادي بين المادة والصورة، وكذا اتحاد النفس والبدن على وجه وجيه، لا كما قرره صدر المدققين في حاشية «التجريد».

[٣٢]: إثبات حركة النمو والذبول في النبات والحيوان على وجه لا يرد عليه

(١) م: توجه.

(٢) اقتباس من الإسراء: ٤٣.

(٣) م: قرره.

الإشكات التي عجزت كافة المتأخرين^(١) عن حلها حتى أنكر [ب - ٧] صاحب الاشراف الحركة الكمية في النمو والذبول^(٢)، وأرجعها إلى الحركة الاينية لإجراء الغذاء في الدخول أو لإجراء المغتذى في الخروج.

[٣٣]: إقامة البرهان العرشي على ثبوت العلم الحضوري الإشرافي للباري جل ذكره.

[٣٤]: إثبات العلم الحضوري النوري للنفس بالنسبة إلى الحواس الظاهرة، وإن فاعليته في استعمال الحواس ليست بالطبع ولا بالجبر ولا بالقسر ولا بالقصد ولا بالتسخير ولا بالعناية، بل بالرضاء.

[٣٥]: المبدأ الفاعلي بالنسبة إلى الماهية الموجودة فاعل، وبالنسبة إلى نفس الوجود المفاض عليها مقوم لا فاعل، لأن هذا الوجود غير مباين له، وأما بالنسبة إلى الماهية إذا أخذت من حيث هي فلا يوصف بسببية ولا تقويم، ولهذا ما شمت الأعيان الثابتة رائحة الوجود: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَمَّاءٌ سَيِّئُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ [النجم: الآية ٢٣].

[٣٦]: اتصاف العقول المفارقة بالإمكان ليس في نفس الأمر بل بحسب اعتبارها بذاتها، مع قطع النظر عن استنادها إلى جاعلها فهي ممكنة بحسب مرتبة من مراتب نفس الأمر لا في نفس الأمر؛ ولا محذور فيه؛ وذلك لأن الامكان عبارة عن سلب ضرورة الوجود والعدم، وسلب الشيء عن بعض مراتب نفس الأمر لا يوجب سلبه عن الواقع؛ فالمبدعات ضرورية الوجود في الواقع وهي ممكنة الوجود في بعض الاعتبارات.

[٣٧]: في [ألف - ٨] إن أصحاب النار بالإصالة هي النفس والهوى والشیطان وغير هؤلاء ليس من أصحاب النار الذين هم أهلها، فإن النفس ما دامت متعلقة بأمور الدنيا ولذاتها هي نار معنوية محرقة به تطلع على الأفئدة، والهوى شعلة منها، والشیطان أصل النيران الأخروية والدينية؛ وفي الحديث: «إِنَّ نَارَكُمْ غَسِلَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً» - الحديث.

(١) م، ش: المتأخرون.

(٢) في النسخ: الكمية وأرجعها في النمو والذبول.

[٣٨]: دفع^(١) الشبهة الواردة على قاعدة الإمكان، وهي لزوم تحقق ممكن أشرف من النور الأقرب، وكذا لزوم أنوار عقلية غير متناهية واقعة بين كل نور عقلي علة ونور عقلي آخر معلول له، متفاوتة في شدة النورية وضعفها، وكون غير المتناهي محصوراً بين حاصرين.

[٣٩]: تحقيق كون هبولى العناصر واحدة بالشخص مع كونها معنى جنسياً مبهماً باعتبار، وقوة محضة باعتبار آخر.

[٤٠]: تحقيق كون صورة الجوهر في الذهن جوهرًا بالماهية وكيفاً أيضاً بالذات لا بالحقيقة كما رآه سيد المدققين، ولا بالمجاز والتشبيه كما رآه العلامة الدواني، فمذهبنا ههنا أمر بين أمرين وتوسط بين الطرفين. هذا في بحث الأفكار البحثية. وأما مذهبنا من جهة العلوم المتعالية عن أسلوب المناظرين في هذه المسألة فشيء آخر، وهو أن للنفس^(٢) عند إدراكها للحقائق الجوهرية العقلية وطبائع أنواعها يقع بصرها العقلي على جواهر مفارقة ومثل نورية، يكون [ب - ٨] هذه الجواهر المحسوسة ظلال تلك المثل النورية فيعلمها علماً حضورياً شهودياً، إلا أنها لما كانت عالية بعيدة السمك عن عالم النفس الإنسانية المتعلقة بالغواشي المادية، لم يكن للنفس أن تنالها كما هي عليها من شدة التحصيل وكمال الوجود بل على وجه الإبهام واحتمال الشراكة بين كثيرين - كسائر المعاني الذهنية - فإن ضعف الإدراك ربما يوجب تطرق الإبهام والاشتراك في المدرك بحسب اعتقاد المدرك وإن كان هو في نفسه أمراً متعيناً شخصياً، أولاً ترى إنك إذا رأيت شبحاً من بعيد كيف يجوز حينئذ كونه زيداً أو عمراً أو حيواناً غير إنسان أو نباتاً أو حجراً، فكلما قرب منك أو أخذت بصرك قل الاشتراك وسقط الاحتمال حتى يختص بواحد معين كما هو في الخارج، وكذلك إدراكها للأمور المتعالية والجواهر العقلية.

[٤١]: تحقيق ما ذكره المنطقيون من أن الحد والبرهان متشاركان في

الحدود.

(١) م: دفعة.

(٢) النفس - ظ.

[٤٢]: إثبات حدوث العالم الجسماني ببرهان عرشي.

[٤٣]: كون موضوع العلوم الطبيعية^(١) نفس الحركات أو المتحركات بما هي متحركات، وإن جميع الجواهر الحسية من حيث كونها حسية وكذا اعراضها واقعة في الإستحالة والإنقلاب والسيلان، فهي دائمة في الحدوث والتجدد، وكل ما هذا شأنه فهو من الدنيا، والآخرة دار القرار.

[٤٤]: دار [ألف - ٩] الآخرة نشأة أخرى ليست منسلكة مع هذه الدار في مسلك واحد، فمكانها ليس من جنس أمكنة هذه الدنيا ولا في جهة منها وكذا زمانها ليس من جنس هذه الأزمنة، ولا واقعاً منها في استقبالها بل كل من الدنيا والآخرة عالم تام لا يعوزه شيء من خارج.

[٤٥]: الدنيا والآخرة متضافتان، من فهم مفهوم الدنيا ومسماها فهم مفهوم الآخرة^(٢) ومسماهما ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٦٢].

[٤٦]: تحقيق كون الآخرة في داخل حجب السماوات لا في خارجها. أجساد هذا العالم قابلة لنفوسها على سبيل الاستعداد، ونفوس عالم الآخرة فاعلة لا بذاتها على سبيل الإيجاب واللزوم، ففي هذا العالم ترتقى الأبدان في استعداداتها لموادها إلى حدود النفوس، وفي الآخرة تنزل النفوس إلى منازل الأبدان.

[٤٧]: الفعل في هذا العالم أشرف من القوة، والقوة في الآخرة أشرف من الفعل، والقوة ههنا لأجل الفعل، والفعل هناك لأجل القوة، لأن هذا العالم دار الانعكاس.

[٤٨]: جوهر النبوة مشتمل على مراتب ثلاثة، كل منها شخص كامل في نوعه، فالنبي ﷺ مَلِكٌ وَفَلَكٌ وَمَلِكٌ، كما فصلناه وأوضحناه في تفسيرنا لسورة الجمعة^(٣).

(١) في الأصل: الطبيعة.

(٢) م: متضافتان... الآخرة.

(٣) «تفسير سورة الجمعة»، ص: ١٥٤.

[٤٩]: تحقيق ان النبي ﷺ خادم للقضاء الإلهي كما أن الطبيب خادم للطبيعة، كما أشار إليه صاحب «فصوص الحكيم» رضى الله عنه.

[٥٠]: تحقيق قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عِزَّ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨].

[٥١]: بيان اجتماع الخلائق كلهم من أول [ب - ٩] الدنيا إلى آخرها في ساهرة^(١) واحدة يوم الحشر عند الرب تعالى.

[٥٢]: تصحيح كون مبادئ الموضوع لعلم واحد قد تكون من عوارض الذاتية من غير لزوم توقف الشيء على نفسه، كإثبات المبادئ الفاعلية والغائية والمادية والصورية في العلم الإلهي للموجود بما هو موجود، وهو موضوع هذا العلم^(٢)، ولا حاجة في ذلك إلى العذر الذي ذكره الشيخ الرئيس في الهيات «الشفاء»^(٣) من أن المبادئ المذكورة ليست مبادئ لجميع الموجودات بل لبعضها، وهو الوجود المعلوم.

[٥٣]: الكلى الطبيعي - أي الماهية لا بشرط شيء - ليس موجوداً في الخارج بالذات كما عليه جمهور الحكماء، ولا هو معدوم فيه أصلاً كما عليه المتكلمون، بل هو موجود في الخارج بالعرض أي بتبعية الوجود كالظلال، وكذلك في الذهن موجود بالعرض.

[٥٤]: معنى وجود الأشياء في الذهن وانحفاظ ماهياتها في نحو الوجود عندنا ليس إلا أن الإنسان مثلاً إذا تصوره العقل حصل عنه شيء ويصدق عليه مفهوم الحيوان الناطق بالحمل الأولي الذاتي لا بالحمل المتعارف حتى يكون الموجود في الذهن جوهرًا ناميًا متحركاً حساساً ناطقاً، فالموجود من الإنسان في الذهن عندنا فرد من الكيفيات النفسانية، ومفهوم جوهري وليس من أفراد الجواهر.

[٥٥]: الأجناس العالية ليست معانيها أفراداً لأنفسها وهو ظاهر [ألف -

(١) الساهرة: وجه الأرض.

(٢) في الأصل: العالم.

(٣) راجع الهيات «الشفاء» ط مصر، ص ٨ و ١٤.

[١٠]، ولا المعاني الكلية المترتبة منها ومن معاني الفصول أفراداً لأنفسها، بل يحمل أنفسها عليها حملاً أولاً ذاتياً لا غير.

[٥٦]: تحقيق أن علمه تعالى بالجزئيات المادية على وزان فاعليته لها على وجه عرشي.

[٥٧]: إثبات الشعور والتسبيح في جميع الموجودات حتى الجماد والنبات على وجه لم يتيسر لأحد من قبلي من الحكماء والصوفية إلا الأولياء من أهل الله.

[٥٨]: العالم كله تسبيحة واحدة للباري - جل اسمه - بوجه، ومستبح له باعتبار آخر.

[٥٩]: البرهان العرشي على كون الجسمية المقدرارية مناط الموت والجهالة، لأن كل جزء منه مفقود عن سائر الأجزاء، وهي أيضاً مفقودة عنها، وهكذا الكلام في أجزاء الأجزاء، وأجزاء أجزاء الأجزاء إلى غير النهاية، فالكل غائب عن الكل، وليس الكل إلا عين الأجزاء، وكل أمر جسماني من حيث كونه جسمانياً حاله هذا الحال من كونه غائباً عن ذاته غير شاعر بذاته إلا أن الجسم هكذا بالذات والجسماني هكذا بالعرض، فالنفس بقدر تعلّقها بالبدن تكون مائة، ويقدر تجردها عنه حية ذرّة فعالة.

[٦٠]: الوجود في كل شيء عين العلم والقدرة وسائر الكمالات الوجودية اللازمة للموجود بما هو موجود، في كل بحسبه.

[٦١]: وجود الجسم بما هو جسم عين اتصاله وامتداده، وكذا الوحدة الشخصية فيه: فلا يرد نقصاً على برهان النفس من جهة إدراكها للمعاني غير المنقسمة [ب - ١٠]، بناء على أنها لو انقسمت يوجب انقسامها انقسام ما حلّ فيها من المعاني، وقد فرضت غير منقسمة؛ هذا خلف، وذلك لأن وحدة^(١) الجسم نفس الجسم كما أصلناه.

[٦٢]: إبطال ما ذكره المحقق الخفري فيما ادعاه من البرهان على وجود^(٢)

(١) في النسخ: وجود.

(٢) م: الوجود.

الصانع من غير الاستعانة بإبطال التسلسل، وهو قوله: «لو انحصرت الموجودات في الممكنات لكان وجود ما متوقفاً على إيجاد ما، وإيجاد ما على وجود ما»، وكذا قوله: «للموجود بما هو موجود علة، وإلا لزم تقدم الشيء على نفسه»، وذلك لما أشرنا إليه سابقاً: أن تقدم الشيء على نفسه إنما يستحيل في الواحد العددي لا في الواحد النوعي وأشباهه، ومرجع التناقض إلى الأول لا إلى الثاني.

[٦٣]: القول بنفي التشكيك بالأقدمية لا يجمع القول بالجاعلية والمجعولية بين الماهيات الجوهرية، كما عليه بعض المتأخرين كصاحب حواشي «التجريد» ومن وافقه من الجمع بين هذين القولين.

[٦٤]: تحقيق كثرة الصفات الكمالية والأسماء الحسنى لله سبحانه، لا كما ذهب إليه الصفاتيون من الأشاعرة، ولا كما هو طور الحكماء القائلين بنفي الصفات الحقيقية وإرجاعها إلى نفس الذات الواجبة؛ وليس المراد من قول أمير المؤمنين (عليه السلام): كَمَالُ التَّوْحِيدِ نَفْيُ الصُّفَاتِ [عنه] (١) ما يرجع إلى قول الحكماء بل أمر آخر احتجبت عن دركه الأفهام ولا يبلغ إلى غوره عقول الأقوام.

[٦٥]: ذات الباري جلَّ اسمه [ألف - ١١] لا حدَّ له كما لا برهان عليه ولا وضع له اسم، وأما صفاته الكمالية فمما يوجد لبعضها حد وبرهان. وأما مفهوم لفظة الجلالة ومعناها فوجود جميع الموجودات برهانه، وحدود جميع الممكنات واقعة في حدوده؛ وهذا أيضاً من الأمور التي يحوج دركها إلى فطرة أخرى.

[٦٦]: إن الإنسان يتنوع باطنه ونفسه في كل حين كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿بَلَّغْهُمُ فِي لَيْسَ مِنَّ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: الآية ١٥]. وأكثر الناس في لبس وغطاء من الاعتراف بهذا التجدد والتبدل حتى الشيخ الرئيس على ما صرح في مفاوضة بهمنيار تلميذه، والحق ههنا مع التلميذ في تجويزه تبدل الذات ما دام الكون الدنيوي، وعليه برهان عرشي تعضده آيات كثيرة، واصل هذا التبدل من صفة إلهية أشير إليه بقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٢٩]، وقوله: ﴿سَتَفَرِّغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٣١].

(١) «نهج البلاغة» الخطبة الأولى. وفيه: «الإخلاص له».

[٦٧]: تحقيق مسألة البداء التي نقلت إلينا من أئمتنا المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وكشف الحقيقة فيها على وجه يطابق الأصول والقوانين.

[٦٨]: تفسير قدرته تعالى بصحة الفعل والترك لا يوافق مسلك الفلاسفة، وقد نهى عن ذلك العلامة الخفري في حاشية الهيات «التجريد».

[٦٩]: إثبات قدرته تعالى على معنى صحة الفعل والترك التي عليها جمهور المسلمين بوجه لا يوجب الكثرة والتغير في ذاته تعالى ولا ينلزم به توحيده تعالى على ما اعتقده الحكماء المتوحدون [ب - ١١].

[٧٠]: كما أن هيولى كل فلك مباينة لهيولى الفلك الآخر لا بذاتها بل بالصور النوعية المخالفة الذات للأفلاك، كذلك عقل كل فلك غير العقل الآخر [لا] لذواتها بل بسبب تعدد الجهات الفاعلية، فكثرة الصدور هناك لكثرة القبول وهنا، فالعقول لفرط الفعلية والكمال والتحصل كأنها شيء واحد، والهيوليات لفرط الانفعال والقصور والنقص كأنها واحدة. وكون العقل شيئاً واحداً يناسب لسان الشريعة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً﴾ [الْقَمَر: الآية ٥٠]. حيث يشار فيه إلى عالم العقل بالروح الأعظم والقلم الأعلى كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [التَّبَا: الآية ٣٨]، وقوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [الْعَلَق: الآية ٤].

[٧١]: تحقيق كون العالم صورة الحق واسمه، ومعنى الاسم الظاهر، ومعنى الاسم الباطن.

[٧٢]: كيفية تخلق الإنسان بأخلاق الله بالحقيقة كما ورد في الحديث المشهور^(١).

[٧٣]: إثبات إن في باطن كل إنسان وفي إهابه حيواناً إنسانياً لجميع أعضائه وحواشيه وقواه، وهو لا يموت بموت هذا البدن، بل هو الذي يحشر في القيامة ويحاسب، وهو الذي يثاب ويعاقب في أكثر الناس، وحياته ليست كحياة هذا البدن عرضية واردة عليه من خارج، بل حياته كحياة النفس ذاتية^(٢)، وهو حيوان متوسط بين النفس الناطقة والبدن العنصري يحشر في الآخرة على [ألف - ١٢] صور

(١) يعني قوله صلى الله عليه وآله: تخلقوا بأخلاق الله.

(٢) م: الذاتية.

الأعمال والنيات وعلى صور الحيوانات المناسبة للصفات الغالبة في الإنسان. وهذا يرجع ويأول التناسخ الوارد في لسان الأقدمين من الحكماء المعظمين كـ «أفلاطون» ومن يحدو حدوه؛ وكذا ما ورد في ألسنة الشرائع الحقّة، وذلك للقواطع البرهانية الدالة على بطلان غير هذا المعنى.

[٧٤]: مبدأ الفصل^(١) الأخير لا في كل ماهية يتركب من الأجناس والفصول، بمعنى أن ذلك الفصل بنفسه تصدق عليه جميع هذه المعاني من غير اعتبار أمر آخر معه، وقد أقمنا البرهان عليه في مقامه.

[٧٥]: معنى الجوهر الذي صيرورة^(٢) جنساً للأنواع الجوهرية ليس جزء وجوداتها بل لماهياتها، وإذا علم نحو من أنحاء وجوداتها بالعلم الحضوري الشهودي الوجودي أمكن الشك في جوهريتها، وكون الذاتي بين الثبوت لذي الذاتي لا يقتضى إلا عدم الشك في ثبوت مفهوم الذاتي لماهية الذات لا بوجودها، ولهذا ربما توقفت أقوام من أرباب الفكر في باب جوهرية النفس مع عدم غيبته عن شهود أنفسهم، لأن مفهوم الجوهر أمر ذهني، وكل صورة ذهنية يحتمل الشركة بين كثيرين؛ ووجود كل نفس - أي ما يشار إليه بـ «انا» - أمر لا يحتمل الشركة، فيمكن الشك في جوهرية النفس مع شهود رجوعها.

[٧٦]: تحقيق ما ذكره الحكماء في العرض الذاتي من انه الخارج المحمول الذي يلحق الشيء لذاته، من غير حاجة إلى تعميم ذكره العلامة الدواني وتزييف [ب - ١٢] مقالته في نسبة المساهاة^(٣) إلى رؤساء الحكمة، ودفع التناقض الذي توهمه بين كلامي الشيخ من حكمه بأن ما يلحق الشيء بواسطة أمر أخص عرض قريب، ومن تمثيله العرض الذاتي بالاستقامة والاستدارة للخط.

[٧٧]: إقامة البرهان العرشي على كون القوة الخيالية مجردة عن البدن المادي الحسي غير مجردة عن البدن الأخروي.

[٧٨]: تحقيق ما ذكره الشيخ في «القانون» من ان اللذة البصرية والسمعية

(١) م: هذا الفصل.

(٢) في النسخ: صيرورة. صيره - ظ.

(٣) م: وتزييف مقالة في نسبة لمساماته. ش: تذهب... المسألة.

والألم المقابل لكل منهما إنما يختص بنيلها النفس دون الحاستين، بخلاف الملائم والمنافى في مدركات الحواس الثلاث الباقية فإنها يختص بنيلها تلك الحواس. والنفس لا تتألم ولا تتلذذ بها. وقد تحيرت أفهام شراح «القانون» في وجه التفرقة في هذا المقام.

[٧٩]: تحقيق ما أفاده الشيخ^(١) وغيره من الحكماء في نفى الحركة في مقولة متى، وتوضيح قوله: إن الانتقال من سنة إلى سنة أو من شهر إلى شهر دفعي.

[٨٠]: التوفيق بين ما ذكره المحقق الطوسي في «شرح الإشارات»: «إن النفس تتعلق أولاً بالقلب بل الروح البخاري، وهما أجراها في البدن»، وبين ما ذكره الشيخ وغيره: «إن متعلق النفس مجموع البدن لا عضو من الأعضاء».

[٨١]: إثبات الشوق في الهولي مع إنها في ذاتها قوة محضة، ودفع ما ذكره الشيخ على استحالة في طبيعيات «الشفاء»، ويان أنها مشتاقة بكل صورة حادثة قبل حدوثها، وقد [ألف - ١٣] عملنا في بيانه رسالة منفردة.

[٨٢]: تحقيق القول في اتصاف الماهية بالوجود، وقد اضطربت أفهام المتأخرين في اتصاف الماهية بالوجود وصارت أذهانهم بليدة عن تصويره من جهة أن ثبوت الشيء للشيء فرع على ثبوت ذلك الشيء، فيلزم أن تكون الماهية قبل وجودها موجودة. فتارة أنكروا قاعدة الفرعية وانتقلوا منها إلى الاستلزام؛ وتارة خصصوا هي^(٢) بما سوى الوجود؛ وتارة جعلوا مناط الموجدية الاتحاد مع مفهوم الوجود؛ وتارة جعلوا مناط الموجدية الاتحاد مع مفهوم الوجود المشتق من غير أن يكون ههنا وجود ثابت، ولم يحققوا كنه الأمر في هذا الموضع من أن الوجود نفس موجدية الماهية لا موجدية شيء آخر هو الوجود للماهية كسائر الأعراض حتى يكون اتصاف الماهية به فرع تحققها، فالقاعدة على عمومها باقية من غير حاجة إلى الاستثناء في العقليات كما في النقلات عند تعارض الأدلة النقلية.

(١) طبيعيات «الشفاء» ج ١، ص ١٠٣.

(٢) خصصوها - صح.

هذا على الطريقة المشهورة بين القوم، وأما على طريقتنا وهي^(١) أن الوجود في الأعيان هو عين الوجود بالذات، وأما المسمى بالماهية فهو أمر متحد مع الوجود ضرباً من الاتحاد، كما أوضحناه في مسفوراتنا مشروحاً.

[٨٣]: تحقيق إن الإنسان إذا انتقل عن الدنيا إلى عالم الآخرة زالت السماوات والأرض عن مكانهما، وبطلت الأوضاع الجسمية، وخرب هذا [ب - ١٣] العالم، وباد أهله، فتقوم الساعة. وهذا أيضاً من الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً^(٢).

[٨٤]: في أن أكثر الناس يعبدون غير الله إلا المؤمن الحقيقي، بل يعبدون ما يخلقون من أصنام ينحتونها بألة الأوهام.

[٨٥]: في أن عبدة الأصنام إنما يعبدون أصنامهم لظنهم الألوهية فيها، فهم أيضاً يعبدون الله بوجه، إلا أن كفرهم لأجل غلطهم في المصداق، وإسنادهم التجسم والنقص إلى المعبود، فلا فرق يعتد به بينهم وبين كثير من الإسلاميين. قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]^(٣).

[٨٦]: في أن لجميع الموجودات طاعة جبليّة ودين فطري^(٤) لله سبحانه، لا يتصور منها تمرد ولا عصيان أصلاً، لأن أمره سبحانه ماض وحكمه جار، لا مجال لأحد في التمرد والعصيان، أعنى بذلك الأمر التكويني؛ وأما الأمر التشريعي والنهي الذي يقابله فيقع فيهما القسمان الطاعة والمعصية، والمكلف بها الثقلان خاصة، ويتبع المعصية فيهما الوهم والشيطان.

[٨٧]: في أن مآل الكل إلى الرحمة الواسعة كما حققه بعض أعظم المحققين من الصوفية كما قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، [الأعراف: الآية ١٥٦] ، وهذا لا ينافي العذاب الدائم والخلود في النار للذين هم أهلها، وهم الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، وانهم لا يؤمنون أصلاً لا في

(١) الواو زائدة، أو الصحيح: فهي.

(٢) اقتباس من البقرة، ٢٦٩. وفي م: أنتها.

(٣) في المطبوع: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا الله».

(٤) ديناً فطرياً - ظ.

الدنيا ولا في الآخرة، ﴿صُمُّ بُكُمْ عُنَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٧١] [ألف - ١٤].

[٨٨]: في أن البرزخ^(١) الذي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من الدنيا هو بعينه العالم الذي كان الأرواح فيها من حيث موطنها الأصلي قبل هذا الكون، لا كما ذكره الشيخ الأعظم محيي الدين الاعرابي من أن أحدهما غير الآخر إلا أن أراد تغييراً بالاعتبار. وأما التعويل على أن تنزلات الوجود معارضة دورية، وعلى أن الصور التي تلحق الأرواح في البرزخ إنما هي صور الأعمال ونتيجة الأفعال بخلاف صور العالم الذي هو متوسط بين عالم المفارقات وهذا العالم، فلا يضرنا لما حققنا في مقامه أن المبادئ عين الغايات بالذات وغيرها بوجه، فلا يلزم أن يكون في الوجود عالمان تامان من جنس واحد، وقد برهن أن كل عالم من العوالم لا يكون إلا واحداً.

[٨٩]: إثبات معاني جميع المقولات العشر من الجوهر والكيف والكم والابن وغيرها من أسماء الله تعالى. وكذا إثبات أقسامها الجنسية والنوعية فيها على ما عليه أعظم أهل الله.

[٩٠]: إثبات كون الدنيا دار انتقال وزوال، والآخرة دار قرار وثبات.

[٩١]: كون علمه سبحانه تابعاً للمعلوم بوجه عرفاني، متبوعاً بوجه آخر حكيم؛ وكونه تعالى مرآة لضوء الممكنات، وكون حقائقها مرآة يشاهد فيها وجود الحق جل ذكره.

[٩٢]: لوازم الوجودات الخاصة كلوازم الماهيات في استحالة بخلاف^(٢) جعل وتأثير بينها وبين ملزوماتها، فكما أن لوازم [ب - ١٤]: الماهيات لا تحتاج إلى فاعل أو فاعلية جديدة فكذاك لوازم كل وجود مخصوص.

[٩٣]: بيان أن البحث عن وجود الواجب وأحواله كيف يورد في العلم الطبيعي الباحث عن عوارض الجسم، وكذا الكلام في إثبات العقل الفعّال في علم النفس من الطبيعي، وإثبات العقول الفعّالة أيضاً من علم السماء والعالم منه.

(١) م: البروج.

(٢) كذا.

[٩٤]: دفع اعتراضات في «شرح الإشارات»^(١) على الشيخ الرئيس في بـمـاـحـث علم الباري تعالى وجواب نقوضه^(٢) التي أوردها على القول بتقرير صور المعلومات في ذاته تعالى، ثم إبطال القول بالارتسام بوجه آخر غير ما وجهه ذلك المحقق وتحقيق الحق في علم الفاعل المطلق على وجه لا يشوبه شك وريب، ولا يعتريه وصمة قصور وعتب^(٣).

[٩٥]: في أن للفلك نفساً عقلية ونفساً حيوانية وطبيعة سارية في جسميته لا على إنها أمور متفاصلة متباينة الوجود كالقوى الحيوانية، وإلا لكان الذات الواحدة ذاتاً متعددة؛ ولكان لحيوان واحد نفوس متعددة؛ ولا أن^(٤) ذات الفلك إحدى هذه الأمور، والباقية بمنزلة القوى العرضية والآلات الخارجة عن ذات الشيء، بل هي كلها أمور موجودة بوجود واحد، وذلك الوجود ذا^(٥) مراتب متفاوتة، مرتبة آثار ولوازم، وهذا شديد الغموض إدراكه، لطيف المسلك غوره.

[٩٦]: تحقيق إضافة التقدم والتأخر في أجزاء الزمان، وحل الإشكال الذي [ألف - ١٥]: لم يتيسر لأحد حله، من حيث أن المتضايفين يجب أن يكونا معاً في درجة الوجود والعقل جميعاً، بأن معية أجزاء الزمان هي عين التقدم والتأخر الزمانيين بينها.

[٩٧]: تحقيق كون وجوده تعالى عين كونه فاعلاً للأشياء متقدماً عليها، ودفع مفسدة كونه تعالى من مقولة المضاف.

[٩٨]: دفع الإشكال^(٦) في علم النفس^(٧) بذاتها وبغيرها من جهة أن العلم بذئ السبب لا يحصل إلا من جهة العلم بسببه، والواجب بذاته سبب جميع الموجودات مع أننا لا نعرف ذاته بكنهه.

(١) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٢٠٤.

(٢) «الأسفار» ج ٦، ص ٢٥٦. «المبدأ والمعاد» الطبع الحجري، ص ٧٢.

(٣) عيب - ظ.

(٤) في الأصل: لأن.

(٥) ذو - صح.

(٦) م: لإشكال.

(٧) م: النفس.

[٩٩]: دفع لزوم التناسخ في تعلق النفس بالبدن الأخرى بوجه عرشي، لا كما فهمه بعض علماء الإسلام كالشيخ الغزالي وغيره من كون التعلق بمادة البدن الأول باقياً للنفس.

[١٠٠]: الوجود الواجبي ليس في ذاته مصداقاً لسلب شيء من الأشياء، بل شيء من الوجود - سواء كان واجباً أو ممكناً - لا يكون بذاته مصداقاً لسلب شيء آخر، وإلا لزم من تعقله تعقل ذلك السلب والمسلوب أيضاً؛ وتحت هذا سرّ عظيم.

[١٠١]: بين الوجود ذي الماهية وتلك الماهية ملازمة ما، لا بالمعنى الاتفاقي بل باللزوم العقلي المصطلح، فلا بد أن يكون أحدهما متحققاً بالآخر، أو هما جميعاً متحققين بأمر ثالث. والثاني باطل، لأن أحدهما - وهو الماهية - غير مجعولة كما برهن عليه؛ فبقي القسم الأول. ثم لا يجوز أن تكون الماهية مقتضية للوجود، وإلا لكان قبل الوجود موجودة، هذا محال.

فالحق: أن المتقدم منهما هو الوجود، لكن لا بمعنى انه [ب - ١٥] مؤثر في الماهية لكونها غير مجعولة كما مر، بل بمعنى أن الوجود هو الأصل والماهية تابعة له، كما يتبع الظل للشخص^(١) من غير تأثير، فيكون الوجود^(٢) موجوداً بنفسه، أي بالذات، والماهية موجودة بالعرض، فهما متحدان في الموجودية.

[١٠٢]: المعاني الكلية لا تقبل الأشد والأضعف سوى الوجود، سواء كانت ذاتيات للشيء أو عوارض، والوجود بذاته مما يتفاوت كمالاً ونقصاً، لأنه يتعين بذاته، بل ذاته بذاته عين المتقدم والمتأخر. وأما المعاني والمفاهيم العقلية الكلية فليست هي في ذاتها، والكمال والنقص والتقدم والتأخر إنما يلحقها بواسطة أنحاء وجوداتها الخاصة، فالنور مثلاً لا يتفاوت في مفهومه وهو نفس الظهور بالمعنى الكلي والمفهوم العقلي، وإنما تتفاوت الأنوار الخارجية التي هي عبارة عن أنحاء وجوداتها.

وصاحب الإشراق^(٣) رأى أن الوجود معنى انتزاعي لا صورة له في الأعيان،

(١) الشخص - ظ.

(٢) م: الموجود.

(٣) راجع «حكمة الإشراق» ص ٦٤.

وزعم أن الماهيات كماهية النور وماهية الجوهر وغيرها مما تقبل الأشد والأضعف والتقدم والتأخر بذواتها، أي بمعناها النوعي والجنسي؛ وهذا غير صحيح عندنا. وكذا المشاؤون زعموا أن القابل للتشكيك معاني السواد وغيرها من الكيفيات التي يقع فيها التشكيك. وجميع ذلك عندنا يرجع إلى أنجاء الوجودات المتفاوتة في الوجودية. لست أقول في هذا المعنى الكل^(١)، لأنه كسائر الماهيات الكلية، بل فيما يتحقق به الشيء. وهذا أيضاً من العلوم [ألف - ١٦] المتعالية عن ظهور الأذهان.

[١٠٣]: الإنسان ما دام كونه الدنيوي يكون احساسه متقدماً على تخيله وتخليه متقدماً على تعقله، وإذا انتقل إلى النشأة الأخرى يكون معقوله متقدماً على تخيله إن كان من أهل الكمال، وتخليه متقدماً على^(٢) محسوسه، بل يكون متخلية عين محسوسه، لأن قوة خياله قوة حسه^(٣)، كما هو محقق عند أهل الكشف.

[١٠٤]: كل ما يراه الإنسان في هذا العالم - فضلاً عن عالم الآخرة - فإنما يراه في ذاته وفي عالمه، ولا يرى شيئاً خارجاً عن ذاته وعالمه، وعالمه أيضاً في ذاته.

[١٠٥]: النفس الإنسانية من شأنها أن تبلغ إلى درجة يكون جميع الموجودات العينية أجزاء ذاتها، وتكون قوتها سارية في جميع الموجودات، ويكون وجودها غاية الخلقة.

[١٠٦]: البدن الذي يتعلق به النفس ويتصرف فيه ويستعمله ليس هذا البدن المشاهد الثقيل الغليظ المركب من الأمور المتخالفة والمتضادة، بل هذا بمنزلة الوعاء والوقاية لذلك البدن اللطيف الحار المتشابه الأجزاء.

[١٠٧]: الوحدة^(٤) عندنا في الأشياء نفس وجودها، وللشيخ الرئيس حجة على أن الوحدة في الشيء مغاير لوجوده، وهي أن الكثير من حيث أنه كثير موجود

(١) كذا.

(٢) م: - تخيله أن... على.

(٣) م: قوة خيالية قوة حسية.

(٤) م: الواحدة.

في الخارج، وليس الكثير من حيث هو كثير واحداً. ونحن قد فككنا عقدها وحسمنا مادة هذه الشبهة في «الأسفار الأربعة»^(١)، عناية من الله سبحانه.

[١٠٨]: البرهان العرشي على وجود النفس من جهة غاية حركة [ب - ١٦] العناصر إلى الاجتماع.

[١٠٩]: البرهان العرشي على وجود الملائكة العقلية، لا الوجود من جهة حركات التنمية والتغذية والتوليد في الأجسام النباتية. وهذا النحو من البرهان على وجود الملك الروحاني والمدير العقلي لا يتمشى من جهة حركات الإنسان والحيوان بل من سبيل آخر، لأن مبدأها القريب فيهما ذات شاعرة جزئية.

[١١٠]: لكل ناقص عشق وشوق غريزي^(٢) يلقي إليه من ما فوقه^(٣) أودعهما الباري في ذاته لتنظيم العالم، كما برهن عليه في موضعه، ومن ههنا سلكننا مسلكاً أيقناً في إثبات الغايات العقلية العلوية للحركات والأشواق الطبيعية والنفسانية.

[١١١]: الحركات الطبيعية والنباتية والحيوانية كلها منتهية إلى الخير الأقصى، والإله الأعلى خالق الأرض والسماء، الذي بيده ملكوت الأشياء، وإليه يرجع الأمر كله، ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [مُود: الآية ٥٦].

[١١٢]: تحقيق ما ذكره الشيخ في «التعليقات»^(٤) وتوجيهه إلى غير ما هو المشهور مما وجهه إليه الجمهور، وهو قوله: «وجود الأعراض في أنفسها هو وجودها في موضوعاتها، سوى أن العرض الذي هو الوجود لما كان مخالفاً لها لحاجتها إلى الوجود حتى يصير موجودة واستغناء الوجود عن الوجود حتى يكون موجوداً، لم يصح أن يقال: إن وجوده في موضوعه هو وجوده في [الف - ١٧] نفسه، بمعنى أن للوجود وجوداً كما يكون للبياض وجود، بل بمعنى أن وجوده

(١) «الأسفار» ج ٢، ص ٩٠.

(٢) م: غريز.

(٣) م: إلى ما.

(٤) راجع «الأسفار» ج ١، ص ٤٨.

في موضوعه نفس وجود موضوعه وغيرها^(١) من^(٢) الأعراض، وجوده في موضوعه وجود ذلك * [الغير] انتهى. وكذا قوله: «فالوجود الذي للجسم هو موجودة الجسم لا كحال البياض والجسم في كونه أبيض، لأن [الأبيض] لا يكفي فيه البياض والجسم».

[١١٣]: إبطال كلام بهمنيار في تحصيله^(٣): «إن الوجود الخاص يتقوم بإضافته إلى موضوعه، لا أن تكون الإضافة تخصه من خارج»، ودفع ما استدل به على ذلك في قوله: «فإن وجود المعلول عرض، وكل عرض فإنه متقوم بوجوده في موضوعه، وكذلك حال الوجود؛ فإن وجود الإنسان متقوم بإضافته إلى الإنسان، ووجود زيد متقوم بإضافته إلى زيد لا كما يكون الشيء في مكان ثم يعرض له الإضافة من خارج» انتهى، إذا ما ذكره غير سديد، لأن الوجود بالقياس إلى الماهية ليس كالأعراض بالقياس إلى موضوعاتها؛ بل الوجود متحد مع الماهية في الأعيان، وأما إذا حلل العقل الموجود العيني إلى شيء ووجود فهما بالمادة والصورة أشبه منهما بالموضوع والعرض؛ وقد مر أن وجود الماهية ليس إلا نفس موجوديتها لا كحال البياض والجسم، فكما أنه فرق بين كون الشيء في المكان أو في الزمان، وبين كون الشيء في الموضوع وعلى ما ذكره هذا القائل، فكذلك فرق بين كون الشيء في الموضوع [ب - ١٧] بين كون الموضوع نفسه؛ والوجود هو نفس كون الموضوع، وموضوعية الماهية للوجود بمعنى كونها مادة عقلية لصورة الوجود إذا حلل العقل الموجود إلى أمرين شبيهين بالمادة والصورة في الذهن.

[١١٤]: الوجود عندنا حقيقة بسيطة لا جوهر ولا عرض في ذاته؛ وجود الجوهر جوهر ووجود العرض عرض كذلك، وبمعنى أنه في نفسه حاصل في موضوع، لا أن له وجوداً حاصلًا في موضوع.

[١١٥]: حل جميع الاشكالات والنقوض التي ذكرها الشيخ المقتول في

(١) غيره - ظ.

(٢) م - من.

(٣) «التحصيل» ص ٢٨٢.

(*) : في هامش ش: أي غير الموضوع (منه).

سائر كتبه^(١) من كون الوجود غير واقع في الخارج بل هو أمر اعتباري ذهني كالإمكان والشيئية ونظائرها. وهذه الإشكالات والشبه قوية^(٢) لم يتيسر لأحد حلها، وقد تفحصنا عن الكل، وذكرنا فيها وجه الحل بفضل الله وحسن توفيقه في أسفارنا الأربعة^(٣).

[١١٦]: المتأخرون قد حاولوا تعريف الأمور العامة التي يبحث عنها في إحدى الفلسفتين الإلهيتين أعنى تقاسيم الوجود، ولم يتيسر؛ فعرفوها تعريفات غير سديدة مدخولة، ولم يتفطنوا بأنها من المعاني الكلية العارضة للموجود بما هو موجود، أي لا يحتاج عروضها للموجود إلى أن يصير نوعاً خاصاً من الأمور الطبيعية أو التعليمية.

[١١٧]: إن الله خلق الجنة والنار من أعمال بني آدم، وإن المؤمنين عمار الجنة، والكافرين والمنافقين والمجرمين [ألف - ١٨] عمار النار.

[١١٨]: تحقيق ما ورد في الحديث عنه ﷺ: «إِنَّ الْجَنَّةَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالتَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(٤).

[١١٩]: إثبات إن لكل مؤمن جنة عرضها كعرض السماء والأرض وهي معه، إلا أن ظهورها التام لا يكون إلا بعد قيام الساعة، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣].

[١٢٠]: إن للإنسان الكامل في أوقات كونه الدنيوي أربع نشآت، وأربعة وجوه من الحياة، وإن كان اثنان منها يرجعان إلى نشأة واحدة وحياة واحدة، وهما الحياة النباتية والحيوانية، والباقيتان هما الحياة النفسانية والقدسية، فإذا مات فانت منه الأوليان وبقيت الآخرين الأخرويتان. وللحياة النباتية والحيوانية قبرٌ بغير الأوليين أي قبر الجسد والقلب، مقدار تكونهما التدريجي ومدة حركتهما الاستكمالية في دار الدنيا التي هي مغايرة مع ما في علم الله من صور الأكوان

(١) «راجع حكمة الإشراق» ص ٦٤ - ٦٦.

(٢) راجع «الأسفار» ج ١، ص ٥٤.

(٣) في النسخ: قوته.

(٤) «صحيح البخاري» ج ٨، ص ١٢٥، «مسند أحمد» ج ١، ص ٣٨٧، ٤١٣، ٤٤٢.

الحادثة الموجودة في علمه سابقاً ولاحقاً، أزلاً وأبداً.

وأما قبر النفوس والأرواح فلإلى ماوى النفوس ومرجع الأرواح، فإذا بلغ أجل الله الذي هو آت وقرب موعد الممات للملاقاة والحياة، رجعت الأرواح إلى رب الأرواح قائلين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٦]، وعادت الأشباح إلى التواب الرحيم^(١)، ﴿وَمِنهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: الآية ٥٥].

[١٢١]: المقابر بعضها فرشية وبعضها عرشية، فإن الله تعالى بقدرته الكاملة أبداع دائرة العرش بعقلها ونفسها، وجعلها [ب - ١٨] مأوى القلوب والأرواح في المعاد، وأنشأ بحكمته البالغة نقطة العرش وجعلها مسكن القوالب والأجساد، وجعل الوسائط الحاكمة الناقلة لتنوعات عوالم الإنسان بليّة ملك الموت ونفخة الفزع ونفخة الصعق. فالموت للأجرام، ونفخة الفزع للنفوس، ونفخة الصعق للأرواح.

[١٢٢]: إقامة البرهان للعقل من جهة الغايات للحركات الطبيعية للمركبات.

[١٢٣]: قول الحكماء: «تشخص كل عقل من العقول لازم لماهيته»^(٢) غير صحيح، لأن التشخص مساوق للوجود، وقد ثبت عندهم بالبراهين إن الوجود ليس من لوازم الماهية.

[١٢٤]: ذكر الشيخ الرئيس: «إن الشيء يتشخص بالوضع من الزمان، ولولا أن يكون الشيء مشخصاً بذاته لما تشخص به شيء آخر، فالوضع يتشخص بذاته»، وهذا غير سديد، لأن الوضع كسائر الأشياء الموجودة له وجود وشيئية أي ماهية، وكل ماهية إذا لوحظت في ذاتها لم تمتنع الشركة، وإذا أخذت مع نحو وجودها العيني امتنعت الشركة، فالوجود لأي ماهية كانت هو المتشخص بذاته، وكذا في ما لا ماهية له على الطريق الأولى.

[١٢٥]: ليس فيما ذكره العلامة الدواني في حاشية «التجريد» وسمّاه ذوق المتألهين من كون موجودة الماهيات بالانتساب إلى الوجود الحقّ معنى التوحيد الخاصّ أصلاً ولا فيه ذوق من أذواق الإلهيين، بل كل من زعم أن الوجود

(١) كذا في النسخ، والظاهر: التراب الرميم.

(٢) م: لماهية.

الخاص لكل موجود ممكن أمر اعتباري عقلي [ألف - ١٩]، وإن الواقع في العين هو ذاته لا وجوده، فله أن يدعى ما ادعاه هذا الفاضل، ولا فرق إلا بتسمية هذا الأمر الاعتباري المصدّر بالانتساب إلى الجاعل وعدمها^(١)... والأمر فيه سهل، على أن في صحة هذا الاطلاق محل نظر^(٢).

[١٢٦]: تحقيق كون نبينا ﷺ معلماً للأنبياء السابقين وللأولياء اللاحقين إلى يوم الدين، ومقدم الجماعة في فتح باب الشفاعة.

[١٢٧]: إقامة البرهان على وجود العقل ذي القوة غير المتناهية، المأخوذ من جهة استقامة بسائط العناصر الطبيعية أو القسرية، ومبادئها المستدعية لإثبات السماء المحددة للضوءين الأعلى والأسفل الحقيقيتين.

[١٢٨]: قد بيّنا في بعض رسائلنا بالبرهان إن للوجود ثلاث مراتب: أولها^(٣): الموجود الذي لا يتعلق بغيره، ولا يتقيد بقيد أصلاً. ثانيها: الموجود^(٤) الذي يتعلق^(٥) بغيره، وهو الوجود المقيد من العقول والنفوس وطبائع الأفلاك والكواكب والعناصر والمركبات. وثالثها: الوجود المنبسط الذي ليس عمومته على سبيل الكلية ولا خصوصه^(٦) على سبيل التقيد بقيد مشخص أو مخصص، وهو أصل العالم ومحض النور والحياة السارية في جميع السماوات والأرض، وهو غير الوجود الانتزاعي الذي هو كسائر المعاني الكلية الموجودة في الذهن، وله أيضاً وجود خاص مقيد به. وإلى هذه المراتب وقعت الإشارة في كلام بعض العرفاء^(٧) حيث قال: «الوجود الحق هو الله، والوجود المطلق فعله، والوجود المقيد أثره»، ومراده من الأثر نفس الماهية التي بمنزلة القيود

(١) هنا عبارة لا ربط لها بما قبلها وهي: «والعرش على وجود شخص هو أفضل الخلق وأعلم الرسل - صلوات الله عليهم - وأن به يختم النبوة، فلا يكون بعده رسول أصلاً».

(٢) هنا في النسخ خلط بين العناوين.

(٣) م: أولاً. وش: أولها.

(٤) م: الوجود.

(٥) ش: الموجود المتعلق: م: لا يتعلق.

(٦) ش: خصوصية.

(٧) هو الشيخ علاء الدولة السمناني، كما ذكر اسمه في «الأسفار» ج ٢، ص ٣٣٥ و«إيقاظ النائمين» ص ١١.

والوجودات الخاصة، وهي ليست مجعولة إلا بالعرض.

[١٢٩]: تحقيق إن صورة الإنسان آخر [ألف - ٢٠] المعاني الجسمانية^(١) وأول المعاني الروحانية، ولهذا سماها بعضهم طراز عالم الأمر. وقد بينّا في مواضع أن المرتبة المسماة بالعقل الهولاني صورة كل مادة في هذا العالم، ومادة كل صورة في عالم آخر، أي عالم العقول.

[١٣٠]: طريق معرفة الحق من جهة معرفة النفس بذاتها يرجع على ما في طريق الطبيعيين وغيرهم الذين يستدلون من جهة الحركة أو من جهة حدوث الأجسام، أو تركبها من المادة والصورة، بأن سالك هذه الطريقة هو عين المسلك فإن النفس هي صراط الله المستقيم.

وأما طريقة الصديقين الذين يلاحظون حقيقة الوجود المطلق ويصلون إلى شهود الحق فيفضل على سائر الطرق، بأن الوجود ههنا هو الطالب والمطلوب والطلب^(٢)، وهو الشاهد والمشهود والشهادة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: الآية ١٨] ثم به يعرف كل شيء على اليقين، وهو البرهان على كل شيء، إذ العلم به يستلزم العلم بكيفية الصدور على الترتيب^(٣) السببي والمسببي في النظام الوجداني^(٤)، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُضِّلَتْ: الآية ٥٣].

[١٣١]: دفع إشكال أورده الإمام الرازي في تعيين الطبائع، وهو انضمام التعيين إلى الطبيعة ما يحتاج إلى كون تلك الطبيعة متعينة بتعين آخر. وما ذكره المحقق الطوسي في النمط الرابع من «شرح الإشارات»^(٥) غير واف بحلّ هذا الإشكال. الجواب الحاسم لمادة الشبهة موكول إلى تحقيق^(٦) مسألة الوجود وكيفية انضمامه [ب - ٢٠] بالماهية*.

(١) م: الجسمية.

(٢) في الأصل: الطريق.

(٣) ترتب، تراتب - خ ل.

(٤) م: الواحد.

(٥) «شرح الإشارات» ج ٣، ص ٥٢.

(٦) م: تحقق.

(*) توجد بعد هذه المسألة، مسألة في نسخة ش، المصدرة ب «قالت الأطباء» ونحن نقلناه في آخر

[١٣٢]: تحقيق إن طاعة الملائكة لرب العالمين غير طاعة البشر بالنوع، لأنها اضطرارية وهذه اختيارية، وإنما مثلها كطاعة الحواس الخمس للنفس الناطقة من حيث أنه^(١) لا تحتاج في إيراد أخبار مدركاتها إلى النفس إلى أمر ونهي ووعيد، بل كلما همت النفس بأمر محسوس أتت الحاسة لما همت به وأوردته إليه بلا زمان ولا تهاون ولا عصبان، وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: الآية ٦]. وأيضاً إن الحواس لا تعلم للمحسوس وجوداً في الخارج بل هذا شأن النفس، وبهذا الوجه مثلها كمثل الملائكة المهمة على ما ورد في الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَذَرَّيَّتَهُ».

[١٣٣]: توجيه ما ذكره الشيخ في «القانون» إن الجليدية خلقت في فرطحة^(٢) الشكل ليكون أوفر انبساطاً لصور^(٣) المبصرات إلى^(٤) غيرها، وجه العلامة الشيرازي في شرحه للكلبيات واعترض عليه؛ ودفع ما أجاب به غياث الحكماء عن ذلك في رسالة له في الهيئة بمقدمات هندسية مناظرية ذكرناها في شرحنا^(٥) لـ «الهداية الأثيرية»^(٦).

[١٣٤]: تحقيق ما ذكره الشيخ - قدس سره - من أن الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر، ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص واللوازم، وتوجيهه على غير ما أول به القوم.

[١٣٥]: تحقيق كلامهم [ألف - ٢١] إن العلم بالسبب التام يوجب العلم التام بالمعلول.

[١٣٦]: وجود كل معلول من لوازم حقيقة العلة له من جهة كونها علة،

الرسالة.

(١) آتيا - ظ.

(٢) فرطحة: عريض.

(٣) م: انشباط الصور.

(٤) من - ظ.

(٥) م: شرحاً.

لست أقول من جهة إضافة العلية وإلا لكانت العلة ومعلولها في درجة واحدة من الوجود كسائر المتضايفين.

[١٣٧]: [تحقيق] قولهم: «العلم بذی السبب لا يحصل إلا من جهة العلم بسببه»، مما يشكل في علم النفس بذاتها الذي هو عبارة عن وجودها الفاض من الحق تعالى؛ وفيه سرّ عظيم.

[١٣٨]: دفع ما احتج به الشيخ الإشراقي على كون الجنس والفصل غير متحدین في المركبات من بقاء الجنس مع زوال الفصل؛ كالجسم النامي إذا قطع والحيوان إذا مات زال الفصل كالنامي والحساس وبقي الجسم، وهو الجسم والبدن؛ وذلك لأن الباقي^(١) هو الجسم بالمعنى الذي هو مادة ما^(٢) لم يبق الجسم بالمعنى الذي هو جنس؛ وقد ثبت الفرق بين المعنيين في علم الميزان، ولا يبعد كون الشيء باقياً بأحد الاعتبارين زائلاً بالاعتبار الآخر.

[تتمة]: ومثل هذا الاشتباه وقع لصاحب «روضة الجنان» حيث اعترض^(٣) على ما قاله شارح «التجريد» وغيره في إثبات بقاء الموضوع في حركة النمو والذبول: «إن زیداً الشاب هو بعينه زید الطفل، وإن عظمت جثته، وزید الشيخ بعينه زید الشاب وإن صغرت جثته» بأن المراد من بقاء زید إن كان بقاء نفسه فليست نفسه نامية [ب - ٢١] وإن كان بقاء بدنه فليس بدنه باقياً لاستيلاء الحرارة الغريزية والغريبة والمطيفة به عليه بالتحليل، كما بنى عليه تجرد النفس. فإن ما ذكره مغالطة نشأت^(٤) من سوء الاعتبارات وأخذ مادة الشيء مكان جنسه؛ إذ لا شبهة في أن زیداً مثلاً جسم نام ناطق. فالجسم بالمعنى الذي هو جنس يصدق على مجموع بدنه ونفسه، والذي لا يصدق عليه هو الجسم بالمعنى الذي هو به مادة وهو جزؤه، فما هو الجزء غير محمول عليه، وما هو محمول عليه ليس بجزء. وعلم بهذا أن قسمته غير حاصرة أيضاً.

[١٣٩]: إنا قد وضعنا قاعدة في استعلام كون الجزء الصوري للشيء جوهرأ

(١) «شرح الهداية» الطبع الحجري، ص ٦٤.

(٢) م: الثاني.

(٣) ش: ما.

(٤) م: اعترضه.

أو عرضاً مقوماً للجزء المادي^(١) في وجوده أو متقوماً به؛ عليك بها فإنها كثيرة النفع، ذكرناها في مباحث الصور النوعية في كتابنا الكبير^(٢).

[١٤٠]: مذهبنا أن الجوهر الصوري قابل الاشتداد والتضعيف، وكذا المتضاد. ولو لم تكن صور العناصر قابلة لهما ولم يوجد لها في انقلاباتها مرتبة هي آخر المراتب بعضها بحسب القوة، وأولى المراتب للأخرى بحسب الضعف أو بالعكس، لكان يلزم خلق المادة في زمان عن صور العناصر كلها، وهذا ممتنع. فيجب أن الماء إذا استحال هواء بلغ في لطافته إلى درجة هي آخر درجات الماء في اللطافة، وأول درجات الهواء في الكثافة [ألف - ٢٢]: وإن الهواء إذا انقلب ماء بالتكثيف يجب بلوغه إلى درجة هي آخر درجات كثافة الهواء، وأول درجات لطافة الماء.

[١٤١]: تحصيل ما ذكره فيثاغوريون: «إن مبادئ الموجودات هي العدد» بوجه برهاني.

[١٤٢]: مقتضى كون الشمس بمنزلة القلب في الإنسان الكبير - أي مجموع عالم الجسماني، و - كون الأنوار فائضة على سائر الكواكب من المبدأ الفياض بسببها، كما يقتضي الحرارة الغريزية على باقي الأعضاء بوساطة القلب، هو أن تكون أنوار سائر الكواكب من المبدأ الفياض بسببها ذاتية، لا كوجه الأرض وصفحة القمر، على خلاف ما توهمه بعضهم واستدل بذلك عليه.

[١٤٣]: تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية ٤٦].

[١٤٤]: تحقيق كون الفاعل والغاية والمادة والصورة للشيء كلها حقيقة واحدة متفاوتة في الكمال والنقص، كمالها بالغاية ونقصها الأخس بالمادة.

[١٤٥]: مقعر فلك المنازل سقف جهنم، وهذه الكواكب كلها جمرات نار الجحيم موقدة تحت الجنة، أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن، كما ورد في

(١) م: نشأ.

(٢) م: لجزء المبادئ.

الخير: وَبِهَذِهِ الْجَمَرَاتِ الْمُوقَدَةِ بِحَمَّةِ الْقَدْرِ يُطْبَخُ طَعَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَنْضَجُ قَوَائِمُهُمْ.

ولا يعرف قدر هذه المعاني إلا أهل الكشف والشهود، وعندنا برهان عليها، وكتاب ينطق بالحق وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ [الواقعة: الآية ٧٩]. [الف - ٢٢].

[١٤٦]: تعريف الجسم بالجواهر القابل للأبعاد الثلاثة تعريف حدى لا يرد عليه إيراد الإمام الرازي: أن القبول من المضاف، لا لما ذكره المحقق الطوسي في جوابه: إن جزء التعريف هاهنا هو القابل لا^(١) القبول، إذ لا فرق بينهما في كونهما من باب المضاف^(٢) إذا كان المراد نفس^(٣) مفهوم الصفة^(٤)؛ لأن المراد منه ما من شأنه القابلية، وكثيراً ما يعبر عن مبادئ الفصول الذاتية باللوازم الإضافية كالناطق والحساس والنامى وغيرها.

[١٤٧]: الحق عندنا أن النفس تفعل حركة الانتقال بتوسط الطبيعة، بالمعنى الذي تكررت الإشارة إليه مثلاً. وأما قول بعض الحكماء: لولا استحالة الطبيعة محركة للأعضاء خلاف ما يوجبها ذاتها^(٥) طاعة للنفس لما حدث إعياء^(٦) عند تكليف النفس إياها، ولما تجاذب مقتضى النفس ومقتضى الطبيعة عند الرعدة.

فالجواب عنه يحتاج إلى زيادة كشف حكمى، وهو أن الطبيعة التي هي قوة النفس وتفعل بتوسطها الأفاعيل النفسانية هي غير الطبيعة التي توجد في بسائط العناصر ومركباتها وتسخير النفس هي غير الطبيعة التي^(٧) توجد في بسائط العناصر ومركباتها وتسخير النفس لأحديهما ذاتي وللأخرى قسرى، والطبيعة التي تفعل النفس بها حركة الانتقال الإرادي هي متحدة الذات بوجه مع النفس، بمعنى أن النفس نازلة في مرتبتها؛ وأنا^(٨) الأخرى التي يقع بسببها الإعياء والرعدة فهي جزء البدن.

(١) «الأسفار» ج ٥، ص ١٧١ - ١٧٤.

(٢) ش: إلى.

(٣) م: - لا لما ذكره... المضاف.

(٤) ش: ليس.

(٥) أيضاً قارن: «شرح الإشارات» ج ٢، ص ٧.

(٦) م: ذاته.

(٧) الإعياء التعب، وهو دون المعجز.

(٨) م: هي قوة... التي.

ثم اعلم أيضاً إن المادة التي تتصرف فيها النفس أولاً ليس هذا البدن الثقيل الذي يقع لها بسببه الإعياء، بل هو الروح الدماغي اللطيف، وهو البدن الأصلي وهذا بدن البدن وغلافه^(١) ووعاؤه، ولا يحصل بسببه ذلك^(٢) الإعياء ولا الرعشة، لأنه [ألف - ٢٣] مناسب لجوهر النفس.

[١٤٨]: مفهوم المشتق عند جمهور علماء اللسان مركب من الذات والمبدأ والنسبة، وعند بعض المحققين هو عين مبدأ الاشتقاق بالذات. والفرق بين العرض هو العرضي بالاعتبار، فإن أخذ لا بشرط شيء فهو عرضي محمول، وإن أخذ بشرط لا شيء فهو عرض غير محمول؛ والشئ ههنا هو الموضوع، وهذا كالفرق بين الفصل والصورة؛ [و] عند استاذنا - دام ظله - هو الموضوع، من حيث نسبته إلى مبدأ الاشتقاق. وعند هذا الفقير إن المشتق ما ثبت له الصفة سواء كان من قبيل ثبوت الجزء للكل أو ثبوت الشئ لنفسه أو ثبوت العارض للمعروض. فالقدر^(٣) المشترك بين هذه المعاني الثلاثة هو مفهوم المشتق، وهذه^(٤) الثلاثة أفرادها.. والدليل على صحة ما ذكرناه اطلاق المنطقيين الكلي على العارض والمعروض والمجموع منهما، فيقولون للأول: الكلي المنطقي، وللثاني: الطبيعي، وللثالث: العقلي.

[١٤٩]: مبني^(٥) قول الحكماء في إثبات الشكل^(٦) الكرى للجسم البسيط ليس كما توهمه الناس امتناع صدور الكثير عن الطبيعة الواحدة^(٧) مطلقاً، حتى يرد الاعتراض عليهم بأن تلك القاعدة إنما تجري في الواحد الحقيقي الذي لا كثرة فيه أصلاً لا بالذات ولا بالجهات والحيثيات، والطبيعة يكون^(٨) فيها اختلاف^(٩)

(١) ش: - ثم.

(٢) ش: علاقة.

(٣) م: ذلك بسبب.

(٤) ش: فلقدر.

(٥) ش: هذا.

(٦) م: يبنى.

(٧) ش: - الشكل.

(٨) م: - الواحدة.

(٩) ش: يجوز.

الحيثيات، أو [ب - ٢٣] لا ترى أن العقل الذي هو أبسط منها يفعل أموراً كثيرة بواسطة جهات كثيرة كالماهية والإمكان والوجوب؟ وأيضاً يلزم أن لا يكون في الجسم البسيط كالأرض مثلاً صفات متكررة لطبيعته كالثقل واليبوسة والبرودة والسكون والشكل واللون وغير ذلك.

بل مقصودهم ومبنى^(١) كلامهم أن البرهان قائم على أن تكثر أشخاص نوع واحد يفتقر إلى اختلاف المواد أو اختلاف استعدادتها - كما بين في مقامه - فإذا فرض الفاعل واحداً والقابل واحدة فلا يمكن أن يفيض منه إليها من كل نوع إلا شخصاً واحداً، أو غير الكرة من الأشكال المضلعة أو المفرطة^(٢)، توجد فيها أشياء من نوع واحد، وأقلها الاختلاف في الامتدادات.

[١٥٠]: لا يوجد جسم من الأجسام بسيطاً كان أو مركباً إلا وله نفس وحياة، لأن مصور الهولي بالصورة لا بد وأن يكون أمراً عقلياً، والعقل لا يفعل^(٣) صورة في الهولي إلا بواسطة النفس، لأن الاجرام كلها سيالة متغيرة متحركة في ذاتها.

[١٥١]: حقيقة الهولي هي الاستعداد والحدوث، فلها في كل آن من الآتات صورة أخرى مثل الصورة الأولى، ولتشابه الصور في الجسم سيما البسيط خاصة ظن أن فيه صورة واحدة مستمرة، وليس كذلك بل هي صورة متفاوتة على نعت الاتصال، لا بأن يكون متفاصلة متشافة حتى يلزم تركب^(٤) الزمان والمسافة من غير المنقسمات. وإليه الإشارة في قوله تعالى [الف - ٢٤]: ﴿وَرَوَى الْجَبَالُ نَحْبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّعَابِ﴾ [التل: الآية ٨٨].

[١٥٢]: ذهب صاحب «التلويحات» إلى أن تشخص الأشياء وامتناعها من قبول الشركة إنما يكون بهوياتها العينية؛ وهذا في الحقيقة يناقض قوله بعدم حصول الوجود في الأعيان، وان^(٥) أثر الجاعل نفس الماهية دون وجودها، وليس

(١) م: الاختلاف.

(٢) م: بينى.

(٣) م: المخروطة.

(٤) م: لا يعقل.

(٥) م: مركز.

بمطلوب^(١) غير الماهية، والوجود شيء يسمى بالهوية. من العجب أن الشيخ الاشراقي أقام حججاً كثيرة في أوائل الهيات «التلويحات»^(٢) على^(٣) أن الوجود أمر اعتباري لا صورة له في الأعيان، ثم صرح في أواخر هذا الكتاب بأن النفوس الإنسانية والعقول المفارقة كلها وجودات عينية بلا ماهية. وهل هذا إلا تناقض صريح وقع من هذا العظيم!

[١٥٣]: حكم الشيخ الرئيس في مباحث العلة من الهيات «الشفاء»^(٤) بأن العلة الفاعلة لا يجب أن يفعل ما يشابهه ويناسبه، ومثل ذلك بالنار فإنها تسود، وبالحركة فإنها تسخن؛ ثم حكم في رسالة «العشق»: «إن كل مفعّل عن مفعّل فإنما ينفعل بتوسط مثال واقع من المفعّل فيه، وكل مفعّل إنما يفعل في قابل الانفعال بتوسط مثال يقع منه فيه»^(٥)، ومثل ذلك بأمثلة حيث قال: «ذلك: مبيّن»^(٦) الاستقراء، فإن الحرارة النارية إنما يفعل في جرم من الأجرام بأن يضع فيه مثالها وهو السخونة، وكذلك سائر القوى من الكيفيات، والنفس الناطقة إنما تفعل في نفس ناطقة مثلها بأن تضع فيها مثالها، والمسّن^(٧) إنما يحدد السكين بأن يضع في جوانب حده مثل ما يناسبه [ب - ٢٤] وهو استواء الأجزاء وملاستها»^(٨).

وأجاب عن النقض بأن الشمس تسخن وتسود من غير أن تكون السخونة والسواد مثالها، ب «أن كلامنا في المؤثر القريب المباشر». ولا شبهة في أن هذين الحكمين منه متناقضان، والحق أن الفاعل يؤثر بوجوده في وجود المعلول^(٩)، والوجودات من حيث كونها وجوداً متماثلة، متفاوتة.

[١٥٤]: اعترض الفاضل الخفري على القائلين بحصول صور الموجودات

(١) ش: إنما.

(٢) ش: ههنا.

(٣) أيضاً «الأسفار» ج ١، ص ٣٨ - ٣٩، ولم نثر عليه في المصدر بألفاظه المنقولة.

(٤) ش: مع.

(٥) راجع الهيات «الشفاء» الفصل الثالث من المقالة السادسة، ط مصر، ص ٢٦٨.

(٦) راجع «الرسائل» لابن سينا، رسالة العشق، ص ٣٩٤.

(٧) م: بين.

(٨) المسن: آلة تصقل بها.

(٩) الملاسة: ضد، الخشونة وأيضاً لمس الأرض: سواها.

في ذاته تعالى بـ «ان تلك الصور أما جواهر أو أعراض، فإن كان الأول لزم أن يكون موجودات عينية لا بد لها من صور آخر للعلم بها، والكلام في ذلك كالكلام في أصل الصور. وإن كان الثاني لزم أن يكون الواجب بالذات محلاً لها وفاعلاً لها، والقول لكون الواجب فاعلاً لها لا محلاً لها^(١)، لكونه غير متأثر عنها، قول بكونه جوهر^(٢) لها» انتهى. وقد أجبنا عنه في المبدأ والمعاد^(٣) وبينّا وجه المغالطة والاشتباه في كلامه وعدم اطلاعه على كيفية هذا المذهب، وإن كان غير صحيح عندنا بوجوه أثبتناها في مواضع تليق بها.

[١٥٥]: قال صاحب «روضة الجنان» معترضاً على الشيخ الرئيس: «إن ما قرره من أن حصة الجنس تبطل بزوال فصله وإلا لكان الفصل عرضاً، مقدوح منقوض بمواضع: منها: الشجر المقطوع زال فصله وهو النامي، وبقي جنسه وهو الجسم. ومنها: ابدان موات الحيوانات»، انتهى. [و] قد أخذ هذا [ألف - ٢٥] الاعتراض من كلام شيخ الاشراقين، وقد مرّ وجه الدفع^(٤).

[١٥٦]: قال الحكيم الفيلسوف: «مطلب لم هو واحد في العالم العقلي» يؤكد ما قرناه [و] ثبوت^(٥) ما أثبتناه من أن أثر الجاعل المبدع وجود المعلول لا ماهيته، فتدبر. وإنما وقع الاختصاص بذلك العالم، لأن الماديات تسبقها مادة حاملة لإمكاناتها وماهياتها قبل وجود^(٦) الحاصل من الفاعل.

[١٥٧]: عند المشائين إن التفاوت بين الأشد والأضعف في^(٧) السواد يرجع إلى فصول السواد. حتى لا يلزم عليهم خلاف الفرض وهو وقوع التشكيك في أمر خارج من السواد. واعترض عليهم صاحب «المطارحات»: بـ «إن الفصل لطبيعة الجنس، وهو في مفهومه غير مفهوم الجنس، فصار حال الفصل كحال العرضي^(٨) الآخر، لأنه من جملة العرضيات وهو خاصة للجنس، فإذا الاشتداد

(١) ش: يؤثر بوجود المعلول.

(٢) م: - وفاعلاً... لها.

(٣) م: جواهر.

(٤) «المبدأ والمعاد» الطبع الحجري، ص ٦٥. «الأسفار» ج ٦، ص ٢٢٣.

(٥) راجع المسألة ١٣٤.

(٦) م: ثبور.

(٧) الوجود - ظ.

(٨) ش: من.

به، فيكون فيما وراء السواد^(١).

وقد وقع منا^(٢) دفع هذا الاعتراض في سالف الأوقات، بأن الفصل في ذاته أمر بسيط يلزمه مفهوم الجنس، ففصل السواد وإن كان في اعتبار ذاته من حيث هي هي غير معنى السواد إلا أنه بنفسه مصداق حمل السواد عليه، لأن السواد يلزم ذاته في الواقع وإن لم يلزمه في مرتبة من مراتب الواقع، والواقع أوسع من هذه المرتبة. ونقول بلسان هذا^(٣) الوقت: إن فصل الشيء هو بعينه نحو وجوده - كما الهمننا الله به - فالوجود وإن كان غير الماهية بوجه إلا أنه عينها في نفس الأمر، وإليه يرجع أحكامها الخارجية وآثارها. ففصل^(٤) السواد سواد ولا يؤخذ^(٥) في حده السواد، كما أن فصل [ب - ٢٥] الجوهر ولا يؤخذ^(٦) في حده الجوهر، إذ لا حد للفصل كما لا حد للوجود، فتفكر وتؤور.

[١٥٨]: قال صاحب الإشراق: «إذا لم تكن لفصول الجواهر جوهرية في ذاتها بل تكون جوهرًا بجوهرية الجنس، فهي في ذاتها إذا لم تكن جواهر كانت اعراضًا».

ونقول - كما أشرنا إليه سابقاً -: إن معنى كون فصل الجوهر ليس بجوهر أن الجوهرية غير داخلية في حده، وعدم دخول معنى في حد الشيء لا يستلزم اتصافه بما ينافيه، وإلا لكانت الأعراض جواهر، لأن مفهوم العرض غير داخلية في حد شيء من الأعراض، لأنه عرض عام لجميع المقولات العرضية. والحل في الموضوعين: أن الواقع أوسع من مرتبة الواقع، فربما تخلو المرتبة من النقيضين ولا يخلو الواقع منهما.

[١٥٩]: واعلم أن الصور النوعية لما كانت عين حقائق الفصول الجوهرية فهي ليست بجواهر في ذاتها أعراض^(٧)، لأن حقائقها بسيطة وجودية تلزمها

(١) م: - لطبيعة الجنس... العرضي.

(٢) «المطارحات»، مجموعة مصنفات الشيخ، ج ١، ص ٢٩٥ بالتلخيص.

(٣) ش: هنا.

(٤) م: في.

(٥) ش: بفضل.

(٦) ش: لا يوجد.

(٧) ش: لا يوجد.

الجوهرية، كما تلزم الأعراض العرضية، فليست هي حدود، وانها^(١) جواهر^(٢) ولا أعراضاً.

[١٦٠]: قول بعض الحكماء: «إن نفوس البله والضعفاء تنتقل إلى عالم الأفلاك، ويصير بعض الاجرام الفلكية موضوعاً لتخيلاته» ليس بصحيح وإن كان قد استحسسه الشيخ الرئيس، وقال «إنه كلام من لا يجازف في الكلام»؛ وقال المحقق الطوسي: «إن المراد منه الفارابي»؛ وذلك انها إن كانت ستصير نفساً لها فيلزم منه محالات: أحدها: التناسخ. وثانيها: كون الجرم الإبداعي موضوعاً لتصرف أمر [ألف - ٢٤] مباين لنفسه. وثالثها: حركته حركة مخالفة لحركته البسيطة الدائمة، إذ الادراكات الجزئية والانتقالات الخيالية^(٣) لا تخلو عن حركة آلة الإدراك^(٤)، وإن لم - تصر نفساً فأى علاقة يكون لها؟ والعلاقة أما^(٥) نفسانية وأما بدنية بمشاركة أوضاع البدن، فالنفس لا تقع لها نسبة إلى غير بدنها إلا بواسطة نسبة وضعية لبدنها إلى غير بدنها، فلو كان بعض تلك الاجرام بمنزلة مرآة تشاهد النفس فيها مثل المحسوسات، فإن كان آلة طبيعية للنفس كالدماغ فلا بد أن تتصرف النفس فيها كما تتصرف في الروح الدماغي، وقد علمت استحالتها بوجوه ذكرناها؛ وإن كانت آلة خارجية كالمرائي المتخذة^(٦) من الأجسام الصقيلة مثل الزجاج والحديد والماء الصافي^(٧) فلا بد من آلة طبيعية قبلها تكون لها نسبة وضعية إليها حتى تشاهد النفس ما ينعكس من الصور في المرآة الخارجية^(٨) إلى المرآة الداخلية^(٩)، فتعود مفسدة التناسخ.

[١٦١]: اعتقادنا ان السماء في النشأة الأخرى تزول عنها هذه الأوضاع

(١) كذا، والظاهر: لا أعراض.

(٢) كذا، والظاهر، لا أنها.

(٣) م: جواهرأ.

(٤) م: الكلية.

(٥) ش: الإدراكات.

(٦) م: - نفساً فأى... أما.

(٧) ش: المتحدة.

(٨) ش: أيضاً في.

(٩) ش: الخارجة.

وتقف عن الحركات وتنفك عنها^(١) الهيئات والأشكال، والكواكب تسقط منها وتهبط وتصير بلا أنوار وتلتهب ناراً، فتصير متصلاً بعضها ببعض حتى تكون كالدائرة حول الأرض، وإنما يهبط منها ما كان ناراً محضة، ويصعد منها ما كان نوراً محضاً، فتبقى النفوس الشريرة الدنسة^(٢) الخبيثة^(٣) حول جهنم حيث أحاطت بهم خطيئاتهم، واحترقت بالنار إلى الأبد في عقاب السرمد، وتصعد النفوس الشريفة الخالصة النقية إلى عالم النور [ب - ٢٦] والحسن والبهاء، وغشيمهم أنوار الملكوت في ثواب السرمد، وهناك الصور الحسان^(٤) واللذات المتوافرة في الجنان ومجاورة الرحمن.

[١٦٢]: لو لم تكن الطبيعة أمراً سيالاً متجدد الذات لم يمكن^(٥) صدور الحركة عنها، لاستحالة صدور المتغير عن الثابت، وكذا حال القابل لها كالجسم. وأما ما في المشهور من أن الطبيعة لا تقتضى الحركة ما لم يلحقها أمر غريب عن ذاتها، مثل الخروج عن مكانها الطبيعي، فبحسب درجات القرب والبعد في الحدود الواقعة في أجزاء المسافة تنبعث منها أجزاء الحركة، وبحسب جزئيات الحركة تنبعث منها درجات القرب والبعد وهكذا، فليس ببالغ^(٦) حد الأجداء، ولا يقع للبصير المحدث به الاكتفاء. فالحركة^(٧) بمنزلة شخص روحه الطبيعة، كما أن الزمان بمنزلة شخص روحه الدهر، والطبيعة بالنسبة إلى النفس كالشعاع من الشمس.

[١٦٣]: الفاعل المباشر لجميع الحركات هي الطبيعة، أما الحركة الطبيعية^(٨) فليس فيها كلام، وأما القسرية ففاعلها طبيعة مقسورة مجبورة، وأما الإرادية ففاعلها طبيعة مسخرة مطيعة خادمة للنفس.

(١) ش: الداخلة.

(٢) م: - هذه الأوضاع... عنها.

(٣) ش: الدنة.

(٤) م: الخبيثة.

(٥) ش: الجان.

(٦) م: لم يكن.

(٧) م: يبلغ.

(٨) في بعض النسخ جعل «الحركة...» مسألة مستقلة.

[١٦٤]: للنفس في هذا العالم في أفاعيلها الجسمانية طبيعتان مقهورتان تخدم أحدهما لها طوعاً والأخرى كرهاً، كطاعة السماء والأرض للباري جلّ مجده، فإن إتيان السماء له تعالى طوع وإتيان الأرض له كره بوجه وطوع بوجه آخر، ولهذا قال: اثْبِيتَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً - ثم قال [ألف - ٢٧] ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ١١]. فإن مقتضى طبيعة الأرض أولاً الجمود والتسفل والتعصّي عن قبول الاستحالات والانقلابات، ثم بعد قبول الاستعدادات ولحوق الصور والكمالات صارت كالسما قابلّة لأنوار المعرفة والاهتداء. أما الطبيعة التي تخدم النفس طوعاً فهي ما تفعل الأفعال الطبيعية في البدن كالجذب والدفع والهضم والإحالة والإلصاق والتمدد والقبض وغير ذلك، وأما التي تخدمها كرهاً فهي التي يتركب منها البدن وتفعل بها الأفاعيل الخارجة كالمشي والكتابة والصلاة والطواف وغير ذلك من الصنائع البدنية.

[١٦٥]: الوجود عندنا كلّهُ نور، والإشراقيون وحكماء الفرس وافقونا في البارّي والعقول والنفوس والأنوار العرضية التي يدركها البصر كنور الكواكب والسرّج دون الطبائع والأجسام، ولو لم تكن الطبيعة نوراً في أصلها لما وجدت بين النفس وبين الهيولى، فإنها فائضة من النفس وتنبعث منها الهيولى، وهي أول ما ظهر من الظلام، فهو جوهر مظلم فيه ظهرت الأجسام الكثيفة والشفافة، وكل ظلام في العالم من جوهر الهباء الذي هو الهيولى، وبما هي في أصلها من النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة، فانتفت ظلمتها بنور صورها، فإن الصورة أظهرتها، فنسبت^(١) الظلمة إلى الطبيعة في اصطلاح العقلاء؛ وعندنا ليست كذلك.

ثم إن كل جسم نسب إلى الظلمة إذا تلطّف يصير مستنيراً [ب - ٢٧]، أو لا ترى أن الحطب وهو جسم مظلم كما يترأى، فإذا لطّفته مجاورة النار يصير دخاناً مشتعلًا نيراً. وههنا سرّ آخر وهو أن حركة الإنماء في النباتات ينتهي بها^(٢) إلى تحصيل البذور واللبوب التي في الثمار، والغاية في البذر واللب^(٢) هو الذي تحصله الطبيعة النباتية. والدهن بمجاورة النار التي فعلها التلطّف يصير نيراً. فعلم أن غاية فعل الطبيعة التي في النبات هو^(٢) النور، كما أن الفاعل هو النور وهو

(١) ش: الطبيعة. كذا، والأصح: الطبيعة.

(٢) ش: فنسبة.

الطبيعة كما مر. فإذا كانت غاية فعل الطبيعة وفاعله النور فما ظنك بغاية فعل الحيوان وفاعله، فالوجود كله نور، والظلمة عديمة.

[١٦٦]: ما ذكره صاحب الإشراق في كتابه المسمى بـ «المشارع» في جواب من شكك في تجرد النفس^(١) يقول القائل: «دخلت وخرجت وجلست وقمت من الأفاعيل التي تنسب إلى الجسم» من انه إذا حققت الحقائق وقام البرهان على تجرد النفس، فالتمسك بهذه الألفاظ لا حاصل له؛ مراده إن هذه الاطلاقات اللفظية مجازات في النسبة؛ وعند العرفاء ليست كذلك بل كلها حقيقة لغوية، فإن النفس من جهة الأفاعيل مادية، وبناء ما ذكره على الذهول عن حقيقة النفس وشؤونها.

[١٦٧]: قول الاسكندر الافروديسي وغيره من الأقدمين بقاء النفوس الناقصة التي لم^(٢) تصر مدركة للمعاني العقلية ولم تكتسب كمالاً علمياً عند فقدان البدن قوي، إلا إن مبناه على عدم الوقوف على نشأة أخرى متوسطة بين [ألف - ٢٨] نشأة العقلية ونشأة الدنيا، وهي معاد النفوس المتوسطة بين^(٣) المجردات وبين الحيوانات اللحمية^(٤)، فهي مع تجردها عن هذا البدن غير متجردة عن التعلق بالأبدان المعلقة، فتبقى بحيوانيتها في دار الجزاء أبداً، فتشأب أو تعاقب، وإليها وقعت الإشارة^(٥) بقوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [العنكبوت: الآية ٦٤].

[١٦٨]: النفس من حيث هي نفس حقيقتها نار معنوية، ولهذا خلقت من نفخة الصور^(٦)، فإذا نفخ في الصور المستعدة للاشتعال النفساني تعلق بها نار النفس، والنفس بعد استكمالها وترقيها إلى مرتبة الروح المنفوخ تصير نارها نوراً محضاً لا ظلمة فيه ولا إحراق معه.

[١٦٩]: النفخة نفختان: نفخة تطفئ النار، ونفخة أخرى تشعلها. فوجود

(١) كذا.

(٢) م: + إلا.

(٣) ش: لم.

(٤) م: - نشأة العقلية... بين.

(٥) ش: اللمية.

(٦) م: إليهما الإشارة.

النفس من النفس الرحماني وكذا هلاكها؛ وتحت هذا سر آخر. فعلم أن ما ورد في لسان بعض أساطين الأقدمين إن النفس نار أو شرار أو شعلة ليس مجرد تمثيل أو مجاز لفظي، وكذا الحال فيما ورد من صاحب شريعتنا.

[١٧٠]: اعتقادنا في أفاعيل العباد مفاد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: الآية ١٧] ، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية ٣٠] . فاحمد ضرام أوهامك أيها الجبري، فالفعل ثابت لك بمباشرتك إياه. وسكن جأشك* أيها القدرى، فإن الفعل مسلوب عنك لأن وجودك إذا قطع النظر عن ارتباطه وافتقاره إلى وجود الحق فهو باطل، فكذا فعلك، إذ كل فعل يتقوم بفاعله؛ وانظرا بعين الاعتبار في فعل الحواس كيف انمحت واندرجت في [ب - ٢٨] إرادة النفس وتصورها، واتلوا جميعاً قوله تعالى: ﴿فَتَلَوْتُمْ بِمِيزَاتِهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٤] ، وتصالحا بقول الإمام بالحق ﷺ: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ، بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ^(١).

[١٧١]: الاعتقاد في الكلام ليس ما يقوله الأشعري من انه المعاني القائمة بذاته تعالى، وإلا لكان علماً لا كلاماً؛ ولا مجرد خلق الأصوات والحروف الدالة على المعاني، وإلا لكان كل كلام كلام الله؛ بل عبارة عن إنشاء كلمات تامات وإنزال آيات محكمات وآخر متشابهات في كسوة الألفاظ والعبارات؛ والكلام قرآن بوجه وفرقان بوجه، وهما جميعاً غير الكتاب، لأنه من عالم الخلق وهما من عالم الأمر، والكتاب يدركه كل أحد^(٢)، والكلام ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٧٩] من أدناس الطبيعة، والقرآن خلق النبي دون الكتاب.

[١٧٢]: البرهان العرشي على أن القوة الخيالية جوهر مجرد عن البدن وعوارضه وسائر الأجسام الطبيعية وعوارضها، بأنها قوة تدرك الصور والأشباح المثالية التي هي غير محسوسة بالفعل ولا قابلة للإشارة الحسية، أي ليست من ذوات الأوضاع أصلاً، وكل جسم وجسماني فهو من ذوات الأوضاع بالذات أو بالعرض، فلو كان الخيال قوة جسمانية لكانت الصور القائمة بها من ذوات

(١) ألف: من نقخة الصور جميع الصور.

(*) الجأش: القلب، الصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٣٦٢. «أصول الكافي» ج ١، ص ١٦٠. وفيهما: أمر بين أمرين.

الأوضاع في الجملة، وليست كذلك؛ هذا خلف.

[١٧٣]: قد أشرنا إلى حقيقة التناسخ بحسب الباطن، ومسخ البواطن قد كثر في هذا الزمان كما ظهر المسخ في الصور الظاهرة في [ألف - ٢٩] بنى إسرائيل [يقوله]: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ أَفْرَدَةً وَلَحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: الآية ٦٠]، لا بمعنى انتقال نفوسهم من أبدانهم إلى أبدان مبيّنة، لأن ذلك مستحيل بالبرهان، بل بأن ينقلب القلوب، حوّل الله قلوبهم بما كسبت أيديهم وجبلت^(١) عليه نفوسهم بسبب مزاوله أعمال شهوية أو غضبية أو شيطانية قلوب البهائم والسباع والشياطين، وكان قوة نفوسهم بغلبة الملكات البهيمية والسبعية والوهمية أثرت في أبدانهم فصيرها كأبدان هذه الحيوانات الهالكة.

وقال بعض أئمة الكشف والشهود: «انه لا بد في آخر الزمان أن يظهر المسخ في هذه الأمة، ولكن في اليهود متا^(٢) لا في المسلمين، فإن الإيمان يحفظهم لأجل نور التوحيد، فما يمسخ^(٣) من هذه الأمة إلا يهودي أو منافق» انتهى. أقول: يهود هذه الأمة كل من جحد وجود الملائكة العقلية، وأنكر وجود عالم الغيب، ولم يخرج قدم ذهنه من عالم المحسوسات: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨].

[تكملة]: وإنما يظهر المسخ منهم خاصة لغاية تعلق نفوسهم بتلك الهيئات الخسيسة، حتى تصير صور ذواتهم مبادئ تلك الصفات الحاجبة لنفوسهم عن الارتقاء إلى عالم الملكوت، فتؤثر في أبدانهم لما تقرر أن بدن كل شخص صورة ذاته، وإن ظاهر كل أحد^(٤) عنوان^(٥) باطنه، وإن الخلق - بالضم - تؤثر في الخلق - بالفتح -.

[١٧٤]: الوحدة ليست عرضاً من الأعراض اللاحقة، ووحدة [ب - ٢٩] الجواهر كوجودها ليست زائدة على ذواتها في الأعيان، بل إنما زيادتها في

(١) ش: واحد.

(٢) ش: وصلت.

(٣) ش: ما.

(٤) فلا يمسخ - ظ.

(٥) ألف: كل أحد ظاهره.

التصور. والعجب من الشيخ كيف ذهب عليه هذا المعنى، وأعجب منه انه قد صرح في المواضع بأن الوحدة في الجوهر^(١) المتصل عين متصلته، والاتصال بالمعنى الذي هو فصل الجسم لا شك أنه جوهر عنده وسائر الحكماء من اتباع ارسطاطاليس. فالحق أن الوحدة كالوجود من مقومات الوجود العيني لا من عوارضه، وأما إذا أخذت ماهية ما من حيث هي هي فتكون الوحدة خارجة عنها لاحقة بها، وهذا بعينه حال الوجود، فهما واحد.

[١٧٥]: معنى قول الحكماء الهولي موجودة، والحركة موجودة، والإضافة موجودة في الخارج، إن في الأعيان أشياء تصدق عليها حدود هذه الأشياء، فالهولي مثلاً وإن كانت أمراً عديمياً، لأن معناه^(٢) قوة قبول أشخاص الجسم وصورها وأعراضها، لكنها موجودة في الأعيان بمعنى أن في الأعيان تتحقق أشياء يصدق عليها هذا الحد، وكذا الإضافة موجودة بمعنى أن في^(٣) الخارج أموراً كثيرة يصدق عليها حد المضاف، وهو كون الشيء بحيث إذا عقل، عقل معه شيء آخر. وكذا معنى كون الحركة موجودة في الخارج، معناه أن حد الحركة - وهو الخروج من القوة إلى الفعل أو كمال أول لما بالقوة من حيث هو بالقوة - يصدق على أشياء كثيرة في الخارج، لأن في الخارج أشياء [ألف - ٣٠] كثيرة بصفة كذا، أي خارجة من القوة إلى الفعل، ولها كمال أول من حيث كونها طالبة للكمال الثاني.

[١٧٦]: العاقلية عبارة عن الوجود المفارق للمادة وغواشيها، فالعقول إدراكها لذاتها عين وجود ذاتها في الخارج، وليست العاقلية والمعقولة عين ماهياتها، ولا من لوازم ماهياتها. فعلى هذا سقط اعتراض الإمام الرازي بأن علوم^(٤) المجردات لو كانت بذواتها عين ذواتها لكان كل من عقلها عقلها عاقلة لذواتها. وسقط أيضاً قول من قال: إن علومها لو كانت عين وجوداتها لكان من عقلها موجودة عقلها عاقلة لذواتها، ولم يحتج إلى استئناف برهان على كونها عاقلة بعد أن أثبت وجوداتها.

(١) ش: عيون.

(٢) ش: الجوهر.

(٣) كذا.

(٤) م: - الأعيان ... في.

وذلك لأن من عقل أمراً يكون هو في نفسه عاقلاً لذاتها، فلا يقع في نفسه من ذلك الأمر إلا ماهية من شأنه كذا، ومعلوم أن الوجود ليس من لوازم [يكون هو في نفسه^(١) ماهية شيء من الأشياء؛ فالماهية إذا وجدت في الذهن كانت موجودة له لا لنفسها، فيكون وجودها منشأ عاقلية الذهن له لا غير. نعم من علم أن الأمر المفارق موجود في الخارج، وعلم أن الوجود^(٢) المفارقي لشيء مناط معقوليته له لكان عالمياً بأن ذلك الأمر عالم بذاته، ومع ذلك ليس الوجود الذي يكون المفارق به معقولاً لذاته عين الوجود الذي يكون به محكوماً عليه بالمعقولة عند آخر من العقلاء الذين عرفوا الأمور بقياس وفكر، ولا [ب - ٣٠] لازماً له؛ فبعد ثبوت الأول يحتمل الشك في الثاني إلى أن يقام البرهان.

[١٧٧]: لنا برهان عرشي على أن علمه تعالى بالأشياء الخارجية نفس صورها الخارجية من جهة أنها لوازم ذاته، وليس لزومها مثل لزوم اللوازم الذهنية كالكلية للإنسان مثلاً، إذ ليس للباري تعالى وجود ذهني، ولا كلزوم لوازم الماهية كالزوجية للأربعة، إذ لا ماهية له تعالى غير الوجود البحت، فكل ما هو لازم له يكون لازماً لوجوده العيني لزوماً خارجياً، فلا يكون حصولها له تعالى إلا حصول الصور العينية للفاعل المقتضى، لا حصول الصور الذهنية للقابل المستفيد.

[١٧٨]: المشهور أن مذهب المعلم الأول واتباعه أن علمه تعالى بارتسام صور المعلومات في ذاته، وهو^(٣) خلاف ما وقع التصريح به في أواخر كتاب «اثولوجيا»، قال الفيلسوف في آخر الميمر العاشر: «فأما الباري فإنه إذا أراد فعل شيء فإنه لا يمثل في نفسه ولا يحتذى صنعة خارجة منه، لأنه لم يكن شيء قبل أن يبدع الأشياء، ولا يتمثل في ذاته لأن ذاته مثال كل شيء، فالمثال لا يتمثل». وقال أيضاً قبيل هذا: «ليس لقائل أن يقول: إن الباري روى في الأشياء أولاً ثم أبدعها، وذلك انه هو الذي أبدع الروية، فكيف يستعين بها في إبداع الشيء وهي لم يكن بعد، وهذا محال. ونقول: إنه هو الروية والروية لا تروى أيضاً، وإلا^(٤)

(١) م: علم.

(٢) ألف: يكون هو في نفسه.

(٣) ش: للوجود.

(٤) ش: + غير.

يجب أن يكون تلك الروية تروى، وهذا إلى غير النهاية^(١).

[١٧٩]: ما من شيء في هذا [ألف - ٤١] العالم إلا وله نفس في عالم آخر وعقل في عالم ثالث، حتى الأرض التي هي أبعد الأجسام عن قبول الفيض، فإنها ذات حياة ما وكلمة فاعلة. وقد استدل على ذلك الفيلسوف الأعظم^(٢) بأنها: «تنمو وتنبت الكلاً وتنبت الجبال فإنها نبات أرضي، وفي داخل الجبال حيوانات كثيرة ومعادن، وإنما تكون هذه فيها من أجل الكلمة ذات النفس، فإنها هي التي تصور في داخل الأرض، وهذه الكلمة هي صورة الأرض التي تفعل في باطن الأرض كما تفعل الطبيعة في باطن الشجر، فإن الكلمة الفاعلة في باطن الأرض تشبه طبيعة الفاعلة في باطن الشجر، فإن الكلمة الفاعلة في باطن الأرض تشبه طبيعة الفاعلة في باطن الشجر، وعود الشجر يشبه الأرض^(٣) بعينها، والحجر الذي يقطع من الأرض يشبه الغصن^(٤) الذي يقطع من الشجر».

ثم قال: «إن الكلمة الفاعلة في الأرض الشبيهة لطبيعة الشجر هي ذات نفس، لأنه لا يمكن أن يكون ميتة ويقبل^(٥) هذه الأفاعيل العجيبة العظيمة في الأرض، فإن كانت حية فإنها ذات أنفس لا محالة، فإن كانت هذه الأرض الحسية التي هي صنم حية فبالحري أن تكون تلك الأرض العقلية حية أيضاً، وأن تكون هي الأرض الأولى، وهذه أرضاً ثانية لتلك الأرض شبيهة بها».

[١٨٠]: أن بعض أجلة المتأخرين^(٦) قد اشتبه عليه الأمر في تعريف العرض الذاتي باللواحق العارضة لذات الشيء أو لما يساويه، لما رأى أنه ما من علم إلا ويبحث فيه عن عوارض أنواع الموضوع وأنواع [ب - ٣١] أنواعه وأنواع عوارضه، ولم يدبر القول فيه، ولم يعلم أن جميع هذه الأمور مما يمكن أن يكون من العوارض الأولية لذات موضوع العلم، كما سيظهر لك. فتارة نسب إلى رؤساء العلم التسامح والمساهلة في هذا الموضوع، وتارة فرق بين موضوع العلم

(١) المصدر: - إلا.

(٢) «أثولوجيا»، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) الظاهر هو أرسطاطاليس.

(٤) م: - نشبه... الأرض.

(٥) م: القطن.

(٦) كذا في النسخ، والظاهر: تفعل.

وموضوع المسألة كما فرق بين محموليهما، ثم زعم أنه قد وقع التدافع في كلام الشيخ حيث صرح بأن ما يعرض الشيء لأمر أخص - أي يحتاج في عروضة له إلى أن يصير ذلك الشيء نوعاً متخصصاً - فهو عرض غريب، مع انه مثل العرض الذاتي بالاستقامة والاستدارة للخط.

وليت شعري أي تدافع في كلام الشيخ إلا ما يوجبه سوء فهم هذا القائل حيث لم يفرق بين الأخص من الشيء وبين العارض له لأمر أخص منه، ولم يعلم أن الفصول المقسمة للجنس أعراض أولية له، لأنها من عوارضه اللاحقة لذاته.

[١٨١]: إن القوم قد عرّفوا الحلول بتعريفات مقدوحة منقوضة، والتعريف الصحيح ما هذان الله إليه وهو كون أحد الشئيين بحيث يكون وجوده في نفسه هو وجوده للآخر. وهذا تعريف سالم عن النقوض والاعتراضات.

[١٨٢]: البرهان العرشي على وجود الصور^(١) المفارقة من طرق: أولها: طريق الحركة، وهو أن طبيعة كل نوع عبارة عن مبدأ حركته [ألف - ٣٢]، والطبيعة ما لم تتحرك في ذاتها لا تحرك شيئاً آخر، فهي في ذاتها أمر متجدد. فالجوهر المتجدد بنفسه هو الطبيعة، فلا بد لها من حافظ تكون الطبيعة بها ذات وحدة شخصية مستمرة، فينتظم^(٢) كل صورة طبيعية من جوهر ثابت غير جسماني وجوهر متغير جسماني، وليس ذلك هو المادة لأنها في الوجود والتغير تابعة للطبيعة، ولا النفس لأنها من حيث نفسيتها كالطبيعة، فلا محالة يكون جوهرًا مفارقًا حافظًا لنوع هذه الطبيعة ذو عناية بأشخاصها ومراتبها وحدودها.

وثانيها: طريق الإدراك والمدركية، وهو أن في الوجود إنساناً محسوساً مثلاً مع مادته وعوارضه المحسوسة وهذا هو الإنسان الطبيعي، وإن ههنا شيئاً هو إنسان منظوراً إلى ذاته من حيث هو من غير اعتبار الأعراض الزائدة على الإنسانية. وإن في العقل شيئاً آخر يشترك فيه الكثيرون ويحمل على كل واحد منهم بهو هو، ولا محالة يكون مفارقاً عن الخصوصيات والعوارض، وإلا لم يكن يتساوى إلى الجميع مع اختلاف مقاديرها وأعراضها، فذلك الوجود المفارقي أما أن يكون في

(١) راجع الأسفار ج ١، ص ٣٠.

(٢) م: - الصور.

الخارج أو في الذهن؛ فإن كان في الذهن يلزم أن تكون. حقيقة الجوهر عرضاً مع أن حقيقة الجوهر أولى بالجوهريّة أي بكونه موجوداً لا^(١) في موضوع؛ هذا محال.

أما اعتذارات المتأخرين عن ذلك فقد زيتفناها و[ب - ٣٢] مزقناها كل ممزق، فصارت أوهن^(٢) من بيت العنكبوت.

وثالثها: طريق الإمكان الأشرف، والقاعدة الموروثة من الفيلسوف الأقدم استاذ الفلاسفة.

[١٨٣]: البرهان العرشي على اتحاد العاقل والمعقول. قد^(٣) علمت أن الصورة المعقولة هي كل صورة فارقت المادة وعلاقتها، فإن كل صورة اقترنت^(٤) المادة اتصفت بعوارضها فهي محسوسة لا معقولة، وكما أن المحسوسات تنقسم إلى ما هي محسوسة بالقوة وإلى ما هي محسوسة بالفعل. والمحسوس بالفعل متحد مع الحاس، إذ الإحساس ليس كما هو المشهور من أن الحس يجرد صورة المحسوس من مادته ويأخذها مع عوارضها، لما تعلم من استحالة انتقال المنطبعات من مادتها، ولا بأن تنتقل الحاسة إلى أن تدرك وجود المحسوس في مادته، بل بأن تفيض من الواهب صورة نورية لها يتحصل الإدراك، فهي الحاسة بالفعل والمحسوسة بالفعل، المعرفة عن الصور. وأما قبل حصولها فلم تكن القوة القابلة حاسة بالفعل ولا محسوسة بالفعل.

وهذا مع ظهوره قد غفل عنه جمهور الحكماء وزعموا أن الجوهر الحاس بذاته المعرفة عن الصورة يدرك الصور الحاضرة أو الحاصلة. ولت شعري إذا لم تكن في ذاته له صورة المحسوس فبأي شيء تنالها^(٥) بذاته^(٦) العارية شيئاً لم يحصل بعد لذاته، أو ينال الصورة بالصورة، فتكون الصورة حاسة ومحسوسة، والمفروض خلافه؛ هذا خلف.

(١) ألف: فالمنتظم.

(٢) م: إلا.

(٣) في الأصل: أوهى. وهو بمعناه، وما في المتن أصح على الاقتباس من الآية الشريفة.

(٤) م: قد.

(٥) م: أقرت.

(٦) ينال - ظ.

لا يقال [ألف - ٣٣] إنه إذا حصلت الصورة للجوهر الحاس لم يكن^(١) عارياً عنها؛ لأنني أقول: لو كان حصوله كحصول الصورة للمادة والمادة^(٢) بها يصير شيئاً بالفعل، فكما ليست المادة شيئاً من الأشياء المعينة إلا بالصورة، فهكذا ينبغي أن تكون القوة الحاسة حاسة بالفعل بهذه الصورة المحسوسة لا قبلها؛ وإن كان حصولها كحصول الأشياء الخارجة عن ذات الشيء، كوجود السماء والأرض لنا، فليس هذا بالحقيقة إلا إضافة محضة. فالموجود لنا ههنا نفس الإضافة، وهي من أضعف الأعراض ولا صورة لها في الأعيان، وحصول الإضافة إلى شيء^(٣) غير حصول ذلك الشيء، فإن إضافة الدار والفرس والعبد لنا لا يوجب وجود هذه الأشياء لنا وحصولها في أنفسنا. نعم ربما تحصل صورها فينا، والكلام عائد في تلك الصور وكيفية حصولها لنا أهي بمجرد الإضافة أو بالاتحاد معنا؟ فإن كان بمجرد الإضافة فلا يحصل بواسطتها حصول وهكذا حتى يتسلسل، وإن كان بالاتحاد فهو المطلوب.

فهكذا القول في كل صورة مجردة عن المادة وعوارضها إذا اتحدت بالقوة العاقلة صيرتها عقلاً بالفعل لا بأن العقل بالقوة يكون منفصل الذات عنها انفصال مادة الأجسام عن صورتها التي يلحقها، فإن العقل بالقوة إن كان منفصلاً عن الصورة المعقولة بالفعل وتعقلها، كان ينال منها صورة أخرى معقولة؛ والكلام في [ب - ٣٣] تلك الصورة كالكلية فيها، وهكذا ذهب الأمر إلى غير نهاية. وكل من انصف من نفسه يعلم أن النفس الجاهلة ليست في ذاتها كأنفس التي صارت عالمة، وليست الصورة العلمية كالمال والعروض والأمتعة المنسوبة إلى الشخص ولا كالأعراض التي تلحق وتزول والموضوع على ما كان.

تنبيه

افتح بصرك الحسي الظاهر لظاهر الوجود، تجده ثابتاً على الوصف الذي انتهى بصرك إليه، ثم أرخ جفنيك على بصرك، تجد الوجود قد انحبس عنك،

(١) م: بذاتها.

(٢) م: لم يكن.

(٣) م: - والمادة.

وليس إلا ستر جفنيك لعينيك، فحجابك أنت^(١) ومنك، لم يتجدد للموجود ظهور ولا حجاب منه، كذلك بصيرة القلب إذا نورّت بأنوار العلم الملكوتي تشهد الملكوت ثابت الوجود لم يتجدد عليه في نفسه متجدد، واعبر بذلك إلى سواء^(٢) الحق القائم بك، إذا غيبت أنت عنه وكشفت عن حكم سرّيته شهدت وجوداً متصلاً بصفة الربانية التي هي [ألف - ٣٤] اتصالاً لم يكن بعد أن لم يكن^(٣).

تنبيه ينبّه على معرفة فناء الدنيا وبقاء الآخرة

إن ما أوجده الحي الباقي فهو حي باق، والدنيا والآخرة موجودتان من الحي الباقي سبحانه، عن علمه ظهورتا، وإبرادته تكوّنتا، وبمشيئته وقدرته وجدتا، فلا فناء لشيء منهما في الحقيقة، وإنما إحداهما خفيت أو تخفى^(٤) بظهور الآخرة، والآخرة اليوم موجودة قائمة بباطن الدنيا خفية بظهورها^(٥) خفاء الثمرة في الأكمام والجنين في بطن الحامل، وهي العالم الملكوتي الروحاني، وهي أسرار الموجودات الظاهرة الدنيوية، عنها تنزل الأحكام لظاهر الوجود. فما كان في هذا العالم من العلوم والمعارف والرسل والكتب والرحمة والبركة والطاعة المشروعة وما يشبهه فهو من آثار ظهور الجنة وباطن الأمر؛ وما كان من كفر وجحود وطغيان ودجال^(٦) وشياطين^(٧) مردة وسيئات ومؤذيات ومكروهات فهو من آثار ظهور النار في باطن الأشرار.

فلا يزال الأمر كذلك - وهو سرّ توالج الوجود وتداخل العوالم المقدمة - الخلط إلى أن يتم الكلمة ويكمل الدائرة، ويظهر ما سبق الحكم^(٨) به من ظهور الآخرة إذا انقلب الوجود وظهر باطنه بأحكامه المحققة ومراتبها المقررة وخفى

(١) كذا، والظاهر: لشيء.

(٢) كذا، وفي نسخة ألف: عنك.

(٣) ألف سرّ.

(٤) كذا.

(٥) م: - أو تخفى.

(٦) م: بظهور.

(٧) م: دجاللة.

(٨) م: شيطان.

ظاهره لاستيلاء ظهور باطنه^(١) فبدت الحقائق الكليات والمعاني المتزوجات والأسرار الخفيات بمعاني روحانياتها وسعة دوائرها وبسطة عوالمها [ب - ٣٤] ورجعت الفروع إلى أصولها، والجزئيات إلى كلياتها؛ فما كان من سماوات علويات وروحانيات نورانيات وما ينزل عنها من رحمة كليات وتفضليات جنان فردوسيات وعدنيات وانجمع إليها^(٢) ما كان بطريق الخلط والمزج مشاركاً للثفلات السفليات ودركاتها السجّينيات^(٣) «ظلمات بعضها فوق بعض»^(٤)، طباق جهنمات بما ظهر عنها مما ناسبها عن الموزيات والمكروهات؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَرْضَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]. فالتبديل بمعنى التقلب لخفاء الظواهر بظهور البواطن، بين ذلك بقوله: ﴿وَلِئَلَّهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٢١]، «لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» [يونس: الآية ٦٤]. ولا عدم لما أوجده الحق القديم من الموجودات. والله أعلم.

وارد تقديسي

التكلم صفة^(٥) نفسية مؤثرة، معناه إنشاء الكلام، لأنه مشتق من الكلم وهو الجرح، وهو الإعلام والإظهار. فمن قال: «إن الكلام صفة المتكلم» أراد به المتكلمية. ومن قال: «انه قائم بالمتكلم» أراد به قيام الفعل بالفاعل، لا قيام الصفة بالموصوف والمقبول بالقابل. ومن قال: «إن المتكلم من أوجد الكلام» أراد من الكلام ما يقوم بنفس المتكلم من حيث هو متكلم لا ما هو مبائن له مباءة الكتاب للكتاب، والبناء للبناء.

وأول كلام^(٦) قرع أسمع الممكنات كلمة «كن»، فما ظهر العالم [ألف - ٣٥] إلا عن صفة الكلام، بل العالم عين الكلام، وأقسامه بحسب مقاماته في نفس الرحمن، كما أن الكلمات والحروف الصوتية قائمة في نفس الإنسان بحسب منازل ومخارجه.

(١) م: العلم.

(٢) م: - بأحكامه... باطنه.

(٣) ألف: - إليها.

(٤) ألف: التحيات.

(٥) اقتباس من سورة النور: ٤٠.

(٦) ألف: صفة المتكلم.

فالغرض من المتكلم أولاً إيجاد أعيان الحروف وانشاؤها من المخارج وهو عين الاعلام؛ وأما ترتيب^(١) الأثر على الأمر والنهي والاختبار وغير ذلك من التمني والترجي فهو مقصود ثان، وهذا أيضاً في بعض ضروب الكلام، فإن الكلام على ثلاثة أقسام: أعلى وأوسط وأدنى.

فأعلاها ما يكون عين الكلام مقصوداً أصلياً ولا يكون بعده مقصود آخر لشرف وجوده وتمايمته وكونه غاية لا يكون فوقه غاية. وهذا مثل إبداعه تعالى المبدعات، وهي عالم الأمر الكائن بأمر «كن». فالغرض من إنشاء^(٢) أمر «كن» ليس سوى نفس ذلك الأمر.

وأوسطها ما يكون لعين الكلام مقصود آخر، إلا أنه يترتب عليه على اللزوم من غير تخلف، كأمره تعالى للملائكة المدبرين في طبقات السموات والأرض بما لهم أن يفعلوا؛ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التخريم: الآية ٦]. وذلك لأن أوامر الله تعالى وصلت إليهم أما بلا واسطة أو واسطة أمر آخر بواسطة الخلق وإلا لأمكن العصيان.

وأدناها ما يكون لعين الكلام مقصود آخر و^(٣) قد يتخلف عنه وقد لا يتخلف، وفيما لا يتخلف يمكن أن يتخلف^(٤) أيضاً إن لم يكن له حافظ عاصم من الخطاء، وهذا كأوامر الله تعالى وخطاباته للمكلفين من الجن والإنس أجمعين بواسطة [ب - ٣٥] إنزال الكتب وإرسال الرسل وهما مخلوقتان. ففي هذا الخطاب وهذا الأمر بالواسطة يحتمل الطاعة والعصيان، فمنهم من أطاع، ومنهم من عصى؛ ومع عدم الواسطة لا سبيل إلا الطاعة.

فالأعلى من ضروب الكلام والأمر هو الأمر إلا بداعي والقضاء: ﴿وَفَعَّلَ رَزَّاقُكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]. والأوسط هو الأمر التكويني والقدر: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨]. والأدنى هو الأمر التشريعي: ﴿شَرَعَ

(١) م: والكلام وأول الكلام.

(٢) ق: ترتيب.

(٣) م: - بأمر... إنشاء.

(٤) ألف: - و.

لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴿الشورى: الآية ١٣﴾ .

وكما علمت هذه الأقسام الثلاثة في الكلام الإلهي، ففي الإنسان الكامل لكمال نشأته الجامعة للنشآت الثلاث من الأمر والخلق والبرزخ المتوسط بينهما يوجد أيضاً مثل هذه الأقسام، لكونه مثلاً لباريه، هو^(١) مخلوق على صورته وهو على بيئة من ربه^(٢).

فأعلى ضروب الكلام له هو ما يكون عند تكلمه مع الله ومخاطبته الروحانية، وهو تلقى المعارف الإلهية من لدن حكيم عليم. فتكليم الله إياه عبارة عن إفاضة الحقائق الربانية على ذاته ومقارعته بها سمعه القلبي. وتكلمه مع الله عبارة عن استدعائه الذاتي بلسان القابلية إياها عنه تعالى؛ وهكذا إذا بلغ درجة العقل البسيط الذي يصور النفس بتفاصيل صور المعقولات، فهو بما صار عقلاً بسيطاً من شأنه تصوير الحقائق قد صار جوهرأ ناطقاً بالعلوم الحقّة، متكلماً بالمعارف الحقيقية فليس [ألف - ٣٦] لكلامه هذا مقصود ثان غيره.

والثاني عبارة عن أمره ونهيه للأعضاء والآلات الطبيعية، فيجري حكم النفس على الأعضاء والآلات الطبيعية سواء كانت داخلة أو خارجة، فلا يستطيع كل من القوى والأعضاء تمرداً عن طاعة النفس ولا عصياناً لها فيما أمرت به أو نهيت عنه، فأمرت العين للانفتاح انفتحت، وإذا أمرت [للاتقباض انقبضت].

[تأييد عرشي]

قال الشيخ الكبير في الباب السادس والستين وثلاثمائة^(٣): «إن الحق إذا كان هو المتكلم عبده في سرّه بارتفاع الوسائط، فإن الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه فإن تأخر عنه فليس هو كلام الله. ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام أحد^(٤) عباده. فإذا كلمه بالحجاب الصوري بلسان نبي أو من شاء الله من العالم فقد يصحبه الفهم، وقد يتأخر

(١) م: - يمكن أن يتخلف.

(٢) ألف: - هو.

(٣) اقتباس من سورة هود. ١٧.

(٤) «الفوتوحات المكية» ج ٣، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

[عنه]. هذا هو الفرق بينهما، انتهى كلامه.

وفيه إشارة إلى أعلى ضروب كلام الله. وللإشارة إلى الضروب الثلاثة من كلامه سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: الآية ٥١] ^(١).

فالأول إشارة إلى الكلام الحقيقي الذي يكون عين الكلام مقصوداً حقيقياً وغاية أصلية لا يكون فوقه غاية أخرى. والثاني إشارة [إلى] كلام يكون المقصود منه شيء آخر، لكنه غاية عرضية ^(٢) للكلام غير منفكة. وفي كل من الضربين يكون الفهم [ب - ٣٦] لازماً، سواء كان عيناً أو غيراً. والثالث إشارة إلى أدنى الثلاثة، وهو الذي يكون لعين الكلام مقصود مبادئ الذات عنه جائز التخلف متطرقاً فيه الطاعة والعصيان، فمنهم من أطاع، ومنهم من عصى*.

[١٨٤]: في أن جميع الموجودات متوجهة نحو الأول تعالى متحركة إليه طالبة إياه. قال الله سبحانه: ﴿تَتَجَنَّوْنَ لِلْمَلَأِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ فَأَصْبَحَ صَبْرًا جَبِيلًا ۝ إِنْهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَوْهُ قَرِيبًا يَوْمَ يَكُونُ السَّمَاءُ كَالذِّهَبِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَنْتَلِ حِمِيدٌ حَمِيمًا ۝﴾ [المعارج: الآيات: ١٠-٤].

وقال في سورة نوح ^(٣): ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝﴾ [نوح: الآيات: ١٣، ١٤].

وقال في سورة الحاقة: ﴿إِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَجِدَةٌ ۝ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَجَلَّالَ فَذُكُّا ذِكُّهُ وَجِدَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الرُّافِعَةُ ۝ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَهُ بِرَبِّهِ ۝﴾ [الحاقة: الآيات: ١٣-١٩]. - إلى آخره.

سورة التغابن: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ [التغابن: الآية ٣] ... ﴿يَوْمَ يَصْعَكُ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

(١) ألف: فليس عنده علم بكلام الله عباده.

(٢) في «م»: «لا حد» مكان «البشر».

(٣) م: لعرشه.

[التغابن: الآية ٩].

سورة الروم: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: الآية ١١]، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَفِي مَآبِنِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: الآية ١٩، ٢٠]، ﴿وَفِي مَآبِنِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: الآية ٢٥]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: الآية ٥٤]، ﴿فَانظُرْ إِلَى مَائِرٍ رَحِمَتْ اللَّهُ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْعَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: الآية ٥٠].

سورة لقمان: ﴿يَبْنِيْ اِيَّاهَا اِنْ تَكُ مِنْكَ وَثَقَالُ حَبَرٌ مِنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي اَلْسَمَنْوَتٍ اَوْ فِي اَلْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: الآية ١٦]، ﴿وَأَنْبِئْ سَيِّدَ مَنْ آتَاكَ اِلَيَّ ثُمَّ اِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: الآية ١٥].

يا مبدع العجائب وصانع الغرائب، أعنى يا إلهي على تهذيب النفوس من الغشاوة، وتنوير القلوب بنور الهداية^(١). [ب - ٣٧].

[١٨٥]: قالت^(٢) الأطباء عند بيان سبب الموت الطبيعي إنه من جهة استيلاء الحرارة الغريزية على رطوبات البدن، وإن ما هو سبب الحياة هو بعينه سبب الموت، ومثلوه بحرارة السراج ودهنها^(٣)، وأنا أقول: بعد تحقيقنا لعروض الموت الطبيعي إن ما هو سبب الموت هو بعينه سبب الحياة، وبقائها وكمالها بعكس ما ذكروه؛ لأن الحرارة في الأجسام النباتية والحيوانية كلما حُلَّت المادة ولطفنتها^(٤) أعدها الله تعالى بانضيف مادة أخرى إليها بحرارة جديدة باستخدام القوة الغذائية، وهكذا إلى أن كملت الصورة التي هي مخدومة هذه القوى بأفاعيلها، واستفيت عن أصل تلك المادة أما بمادة أخرى كالنفس النباتية من غير تناسخ، أو بذاتها ومبدأ

(*) ألف: - والآلات الطبيعية... عصى.

(١) ألف، ش: - يا مبدع... الهداية.

(٢) قد وردت هذه المسألة بعد مسألة ١٣١ في نسخة ش فقط ونحن أوردناه هنا.

(٣) ش: دهنتها.

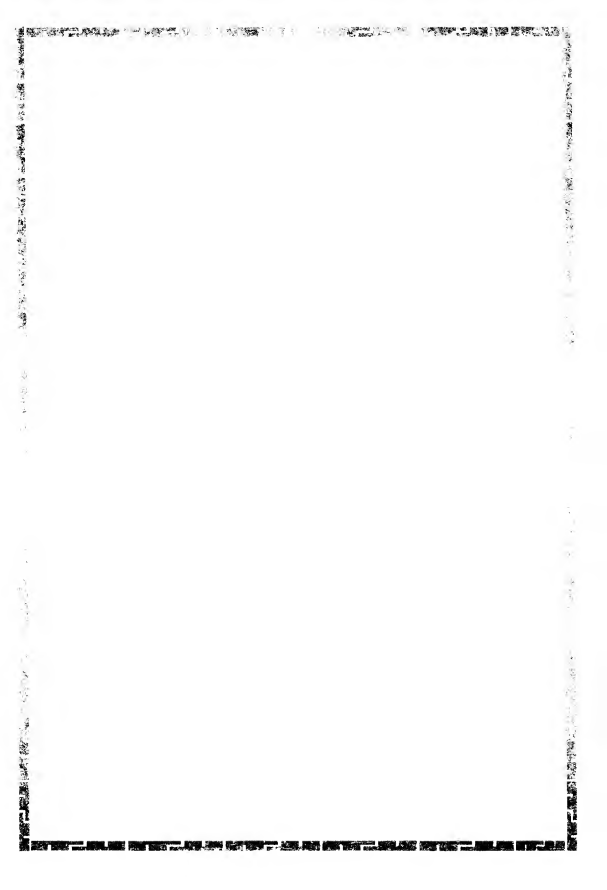
بقائها كما في النفس الإنسانية، وأما سائر النفوس الحيوانية فيها سر^(١) آخر^(٢)،
 [١٨٦]: (٣) ومما يدلّ على تجدد الطبيعة وسيلانها كلام أمير المؤمنين - عليه
 السلام - في «نهج البلاغة»، قال: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذرکم الدنيا،
 فإنّها دار شخوص، ومحلة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها
 ميدان السفينة، تقصفها العواصف في لجج البحار».*

(١) الكلمة في النسخة مصحّفة.

(٢) ش: سر.

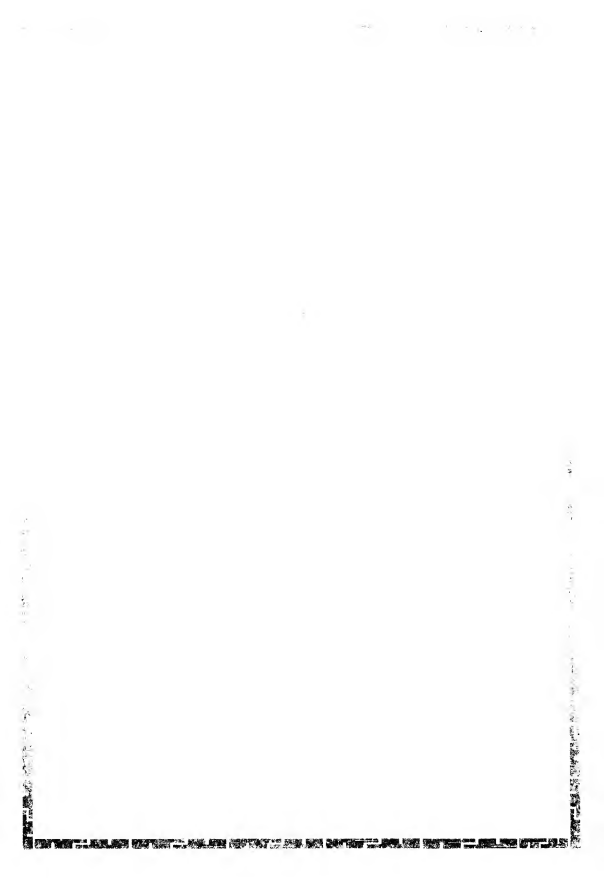
(٣) راجع: مسألة ١٦ من هذه الرسالة وقارن «الأسفار» ج ٨، ص ١٠١ و ١٠٥.

(٤) قد وردت هذه المسألة بعد مسألة ١٧٨ في نسخة ش فقط، وبها تمت النسخة «ش».



١٢

[فائدة ١] ردّ الشبهات الابليسية



بسم الله الرحمن الرحيم

[فائدة]

ردّ الشبهات الإبليسية

إضاءة عرشية وضياء مشرقية:

كانت هذه المسألة من مزالق الأقدام ومزالق الإفهام حتى أكثر الناس في إثبات الإرادة الجزافية ونفى الإيجاب الكلية؛ حكمهم حكم الأشاعرة وإن كانوا منتسبين إلى مذاهبهم الأمامية، وذلك لرفضهم طريق العلم والحكمة، واشتغالهم بفروع الفقه عن أصول الدين وأحكام اليقين، فلا بأس بأن نزيدها^(١) إيضاحاً وإشراقاً بالبيان، ونبيّن الحق الصريح كاشفاً على العقول.

أقول: مما يتعلق بهذا الباب إنه نقل صاحب كتاب [الملل والنحل]^(٢) ان^(٣) أول شبهة وقعت في البرية شبهة إبليس - لعنه الله - ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلّق منها - وهي النار - على مادة آدم - وهي الطين - وانشعبت هذه الشبهة بسبع شبهات^(٤)، وسّرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال. وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه، [قال] كما نقل عنه: اني سلّمت أن البارئ تعالى إلهي وآله الخلق، عالم قادر، وانه مهما أراد شيئاً قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية ٨٢]، وهو حكيم في فعله إلا أنه ساق [على]

(*) «نهج البلاغة»، الخطبة ١٩٦.

(١) في الأصل: يزيدها.

(٢) «الملل والنحل» المقدمة الثالثة، ج ١، ص ٢٣.

(٣) في الأصل: أنه.

حكيمته^(١) اسئلة. قالت الملائكة ماهي؟ وكم هي؟ قال لعنه الله: هي سبع.

الأول^(٢) منها: إنه علم قبل خلقي انه أي شيء يصدر عني ويحصل مني، فلم خلقتي أولاً، وما الحكمة في خلقه إيتاي؟

والثاني: إذ خلقتني على مقتضى إرادته ومشيتته، فلم كلّفني بمعرفته وطاعته؟ وما الحكمة في التكليف بعد أن لا يتنفع بطاعة ولا يتضرر بمعصيته؟

والثالث: إذ خلقتني^(٣) وكلّفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة، فعرفت وأطعت، فلم كلّفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي؟

والرابع: إذ خلقتني^(٤) [وكلّفني] على الإطلاق وكلّفني بهذا التكليف على الخصوص [ب - ١] فإذا لم أسجد، فلم لعني واخرجني من الجنة؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلاّ قولي لا أسجد إلاّ لك؟

والخامس: إذ خلقتني وكلّفني مطلقاً وخصوصاً، فلم اطع، فلعني وطرّدني، فلم طرّفني إلى آدم حتى دخلت الجنة [ثانياً، وغدرته بوسوستي، فأكل من الشجرة المنهى عنها، واخرجه من الجنة] معي، وما الحكمة في ذلك بعد انه لو منعني من دخول الجنة [استراح مني آدم وبقي فيها خالداً فيها؟

والسادس: إذ خلقتني وكلّفني عموماً وخصوصاً ولعني ثم طرّفني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلم سلّطني^(٥) على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني، تؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر فيّ حولهم وقوتهم وقدرتهم^(٦) واستطاعتهم؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحالهم^(٧) عنها فيعيشون طاهرين سامعين [مطيعين]، كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟

(١) أشار الحكيم إلى أصل هذه الشبهات في التفسير، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٢) في «الرياض»: إلاّ أنه يتوجه على وجه حكيمته.

(٣) كذا مذكراً وفي باقي الأرقام أيضاً، والصواب مؤنثاً كما في الرياض.

(٤) في الأصل: خلقتني.

(٥) في الأصل: خلقتني.

(٦) في الأصل: سلّطني.

(٧) في الأصل: قدرتهم وذريتهم.

والسابع: سلّمت هذا كله، خلّقني وكلّمني مطلقاً ومقيداً فإذا لم أطلع لعنني وطرّدني، وإذا أردت دخول الجنة مكّنتني وطرقني، وإذا عملتُ علمي أخرجني ثم سلّطني على بني آدم، فلم [إذا] استمهلتني أمهلني، فقلت: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٨﴾ [الحجر: الآيات: ٣٦ - ٣٨] ^(١) وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني، وما بقي شرّ ما في العالم، أليس بقاء العالم على بقاء الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟ قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة.

قال شارح الأناجيل: فأوحى الله إلى الملائكة: قولوا له إنك في تسليمك الأول إنني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص، إذ لو صدقت إنني إله العالمين ما حكمت عليّ بلمّ، فأنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون.

قال الفخر الرازي: لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق لم يجدوا من هذه الشبهات مخلصاً إلا ^(٢) الجواب الإلهي. وغرض الفخر الرازي إثبات مذهب أصحابه من القول بالفاعل المختار ونفى التخصيص في الأعمال، وقد علمت [أن] ذلك مما ينسب به باب إثبات المطالب بالبراهين كإثبات الصانع وصفاته وأفعاله، وإثبات البعث والرسالة، إذ مع تمكين هذه الإرادة الجزافية لم يبق اعتماد على شيء من اليقينيّات، فيجوز أن يخلق الفاعل المختار الذي يعتقدونها ^(٣) هؤلاء الجدليون فينا أموراً يرينا الأشياء لا على ما هي عليها.

فأقول: [ألف - ٢] إن لكل هذه الشبهات التي أوردها اللعين جواباً برهانياً حقاً [ينتفع] به من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ^(٤)، ولا ينتفع المريض النفس والجدلي الذي غرضه ليس إلا المماراة والمجادلة، فلا يمكن إلزامه إلا بضرب من الجدل، ولهذا أجيب اللعين من قبل الله تعالى بما يسكته، وهو بيان حاله وما هو

(١) في الرياض: يختالهم.

(٢) الحجر: ٣٨ وص: ٨١. وفيهما: فإنك.

(٣) في الأصل: من الإشكالات إلّا.

(٤) كذا والصحيح ما في الرياض: المختار بالإرادة التي يعتقدها هؤلاء الجدليون.

عليه من كفره وظلمة جوهره عن إدراك الحق كما هو، وإن ليس غرضه في إبداء هذه الشبهات إلا الاعتراض وإغواء من يتبعه من الجهال الناقصين والغاوين الذين هم من جنود إبليس أجمعين.

ف قيل له: إنك لست بصادق في دعواك معرفة الله ولربوبيته، ولو صدقت لم تكن معترضاً على فعله، ولكنك عرفت أنه لا لمة لفعله المطلق إلا ذاته، فإن إيجاده للأشياء ليس له سبب ولا غاية إلا نفس ذاته بذاته من غير قصد زائد ولا مصلحة ولا داع ولا معين ولا صلوح وقت ولا شيء آخر أي شيء كان إلا الذات الأحدية، فإن علمه بذاته هو عين ذاته، يوجب علمه بما يلزم خيرية ذاته من الخيرات الصادرة، فيجب صدورها عنه على وجه علمها، وهو بعينه إرادته لها؛ فثبت أن لا لمة لفعله، ولا يسأل عما يفعل فعلاً مطلقاً، وإنما ثبت الغاية للأفاعيل المخصوصة الصادرة عن الوسائط وسائر الفاعلين كما مر، وهو قوله في القرآن: ﴿وَمَنْ يَسْأَلْكُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]. وفي هذا الحديث: والخلق مسؤولون.

ومعلوم عند أبواب البصائر الثاقبة وأصحاب الحكمة المتعالية أن الموجودات الصادرة منه على الترتيب من الأشرف فالأشرف والأقرب فالأقرب إلى الأخس فالأخس والأبعد فالأبعد حتى ينتهي إلى أخس الأشياء وهي الهاوية والظلمة، والعائدة إليه تعالى على عكس ذلك الترتيب من الأخس فالأخس والأبعد فالأبعد إلى الأشرف فالأشرف والأقرب فالأقرب إلى أن ينتهي إليه سبحانه، كما أشير بقوله: ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: الآية ٥] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٩]. فلكل منها غاية مخصوصة ينتهي إليها، ولغايتها أيضاً غاية أخرى فوقها، وهكذا حتى ينتهي إلى غاية لا غاية بعدها كما ابتدأت من مبدأ لا مبدأ قبله.

وأما الأجوبة الحكمية عن تلك الشبهات على التفصيل لمن هو أهلها ومستحقها، فهي هذه:

أما الشبهة الأولى: وهي السؤال عن الحكمة والغاية في خلق إبليس؛ والجواب عنه: إنه من حيث إنه من جملة الموجودات على [ب - ٢] الإطلاق فمصدره وغايته ليس إلا ذاته تعالى التي تقتضي وجود كل ما يمكن وجوده، يفيض

عنها^(١) الوجود على كل قابل ومنفعل. وأما من حيثية كونه موجوداً ظلماً ذاتاً شريرة وجوهرأ خبيثاً [فليس ذلك بجعل جاعل، بل هو من لوازم هويته النازلة في آخر مراتب النفوس] وهي المتعلقة^(٢) بما دون الأجرام السماوية وهو الجرم الناري الشديد [القوة]، فلا جرم غلبت عليه الأنانية والاستكبار والافتخار والإباء عن الخضوع والانكسار.

وأما الشبهة الثانية: وهي السؤال عن حكمة التكليف بالمعرفة والطاعة، والغاية في ذلك، وكذا ما يتوقف عليه التكليف من بعث الأنبياء والرسول وإنزال الوحي والكتب؛ فالجواب عنه: إن الحكمة والغاية في ذلك تخلص النفوس من أسر الشهوات وحبس الظلمات، ونقلها من حدود البهيمية والسبعية إلى حدود الإنسانية والمَلَكِيَّة، وتطهيرها وتهذيبها بنور العلم وقوة العمل عن درن الكفر والمعصية ورجس الجهل والظلمة؛ ولا ينافي عموم التكليف عدم تأثيره في النفوس الجاسية والقلوب القاسية كما أن العلة في إنزال المطر هو إخراج الحبوب وإنبات الثمار والأقوات منها؛ وعدم تأثيره في الصخور القاسية والأراضي الخبيثة لا ينافي عموم النزول. والله أجل من [أن] يعود إليه فائدة في هداية الخلق كما في إعطائها أصل [خلقه]، بل هو ﴿الَّذِي أَنْعَمَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: الآية ٥٠] من غير غرض أو عوض في فضله وجوده.

وأما الشبهة الثالثة: وهي السؤال عن فائدة تكليف إبليس^(٣) بالسجود لآدم والحكمة فيه؛ إنا الجواب [عنه] أولاً: أنه ينبغي أن يعلم أن لله في كل ما يفعله أو يأمره أو يأمر به حكمة بل حكماً كثيرة، لأنه تعالى منزه عن فعل العبث والاتفاق والجزاف وإن خفى علينا وجه الحكمة في كثير من الأمور على التفصيل بعد أن علمنا القانون الكلّي في ذلك على الاجمال؛ وخفاء الشيء علينا لا يوجب انتفاء. وهذا يصلح للجواب عن مثل هذه الشبهة ونظائرها.

وثانياً: إن التكليف بالسجود كان عاماً للملائكة، وكان إبليس معهم في ذلك الوقت فعمّه الأمر بها تبعاً وبالقصْد الثاني، لكنه لما تمرد وعصى واستكبر وأبى

(١) اقتباس من ق، ٣٧

(٢) في الأصل: الذي يقتضي وجود كل ما يمكن وجوده يقبض عنه.

(٣) في الأصل: المعلقة.

بعد ما اعتقد في نفسه انه من المأمورين صار مطروداً وملعوناً.

وثالثاً: إن الأموال الإلهية والتكاليف الشرعية مما يمتحن به جواهر النفوس ويعلن ما في بواطنهم ويبرز ما في مكان صدورهم من الخير والشر والسلامة والسعادة والشقاوة، فتتم به [ألف - ٣] الحجة وتظهر المحبة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٤٢].

وأما الشبهة الرابعة: وهي السؤال عن لمة تعذيب الكفار والمنافقين وإيلامهم بالعقوبة وتبعيدهم عن ديار الرحمة والكرامة؛ [فالجواب عنها]: إن العقوبات الأخروية من الله تعالى ليس باعنها الغضب^(١) والانتقام وإزالة الغيظ ونحوها - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - وإنما هي لوازم وتبعات ساق إليها أسباب داخلية نفسانية وأحوال باطنية، انتهت [إلى] التعذيب^(٢) بنتائجها من الهوي إلى الهاوية والسقوط في أسفل درك الجحيم^(٣)، ومن مصاحبة المؤذيات والعقارب^(٤) والحيات وغيرها من المولمات. ومثالها في هذا العالم الأمراض الواردة على البدن الموجبة للأوجاع والآلام بواسطة نهمة سابقة. فكما أن وجع البدن لازم من لوازم ما ساق إليه الأحوال الماضية والأفعال السابقة من^(٥) كثرة الأكل وإفراط الشهوة ونحوهما من غير أن يكون ههنا معذب خارجي، فكذلك حال العواقب الأخروية وما يوجب العذاب الدائم لبعض النفوس الجاحدة للحق، المعرضة عن الآية، ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: الآية ٧].

وأما التي دلت عليه الآيات والأخبار الواردة في الكتب الإلهية والشرائع الحقّة في العقوبات الجسمانية الواردة على بدن المسمّى من خارج، على [ما] يوصف في التفاسير فهي أيضاً منشأها أمور باطنية وهيئات نفسانية، برزت من الباطن إلى الظاهر، وتصورت بصورة النيران والعقارب والحيات والقوامع^(٦) من حديد وغيرها. وهكذا يكون حصول صور الأجسام والأشكال والأشخاص في الآخرة،

(١) في الأصل: التكليف إبليس.

(٢) في الأصل: العجب.

(٣) في الأصل: أبي التعذب.

(٤) في الأصل: في درك الأسفل الجحيم.

(٥) في الرياض: من العقارب.

(٦) في الأصل: في.

كما حقق في مباحث المعاد الجسماني، وكيفية تجسّم الأعمال، ودلّ عليه كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنكْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: الآية ٥٤]، وقوله: ﴿وَوَرِيتَ الْجَحِيمُ لِمَن بَرَى﴾ [الشّازعات: الآية ٣٦]، وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ نَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ١ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ٢﴾ [التكاثّر: الآيات: ٥ - ٧]، وقوله: ﴿إِذَا بُعِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: الآيات: ٩ - ١٠] .

ثم إذا سلّم معاقب من خارج، فإن [في] ذلك أيضاً مصلحة عظيمة لأن التخويف والإنذار بالعقوبة نافع في أكثر الأشخاص، والإبقاء على ذلك التخويف بتعذيب المجرم المسيء تأكيداً للتخويف ومقتضٍ لازدياد النفع. ثم هذا التعذيب [و] إن كان شراً بالقياس إلى الشخص المعذب لكنه خير بالقياس إلى أكثر أفراد النوع، فيكون من جملة [ب - ٣] الخير الكثير الذي يلزمه الشر القليل كما في قطع العضو لإصلاح البدن وباقي الأعضاء.

[وأما الشبهة الخامسة]: وهي السؤال عن فائدة تمكين الشيطان من الدخول إلى آدم [في] الجنة حتى غرّه بوسوسته، فأكل ما نهى عن أكله، فأخرج به من الجنة؛ [فالجواب] عنه^(١): أن الحكمة في ذلك والمنفعة عظيمة، فإنه لو بقي في الجنة أبداً لكان بقي هو وحده في منزلته التي كان عليها في أول الفطرة من [غير] استكمال واكتساب فطرة أخرى فوق الأولى، وإذا هبط إلى الأرض وخرج من صلبه أولاد لا تحصى يعبدون الله ويطيعونه إلى يوم القيامة ويرتقى منهم عدد كثير في كل زمان إلى درجات الجنان بقوتي العلم والعبادة؛ وأي حكمة وفائدة أعظم وأجل وارفع وأعلى من وجود الأنبياء والأولياء ومن جعلتهم سيد المرسلين وأولاده الطاهرين - صلوات الله عليه وعليهم و[على] سائر الأنبياء والمرسلين - ولو لم يكن في هبوطه إلى الأرض مع إبليس إلا ابتلاؤه مدة في الدنيا واكتسابه درجة الاصطفاء لكانت^(٢) الحكمة عظيمة والخير جليلاً.

[وأما الشبهة السادسة]: وهي السؤال عن وجه الحكمة في تسليط الشيطان

(١) في الرياض: المقامع.

(٢) كذا، والظاهر: عنها.

- وهو العدو المبين - على ذرية آدم بالإغواء والوسوسة بحيث [يراهم من حيث] لا يرونه؛ فالجواب عن ذلك: إن نفوس أفراد البشر في أول الفطرة ناقصة بالقوة، مع ذلك بعضها خيرة نورانية، شريفة بالقوة، ماثلة إلى الأمور القدسية، عظيمة الرغبة إلى الآخرة؛ وبعضها خسيسة الجواهر، ظلمانية، شريرة بالقوة، ماثلة إلى الجسمانيات، عظيمة في إثارة^(١) الشهوة والغضب. وليس سلطان الشيطان على هذا القسم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: الآية ٤٢] في الوجود، ووسوسة الشيطان: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [التحل: الآية ١٠٠] ، وهم بأمره يعملون.

ومع ذلك فلو لم يكن الإغواء ولا طاعة النفس والهوى [لكان] ذلك منافياً للحكمة، لبقائهم على طبقة واحدة من نفوس سليمة ساذجة، فلا تتمشى عمارة الدنيا بعدم^(٢) النفوس الجاسية الغلاظ العمالة في الأرض لأغراض دنية عاجلة؛ ألا ترى إلى ما روى من قوله تعالى في الحديث القدسي: «إِنِّي جَعَلْتُ مَغْصِيَةَ آدَمَ سَبَبًا لِعِمَارَةِ الْعَالَمِ»^(٣)؟ وما روى أيضاً في الخبر: «لَوْ لَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ يَقُومُ يُذْنِبُونَ»^(٤).

[وأما الشبهة السابعة]: وهي السؤال عن الفائدة عن إمهال إبليس في الوسوسة [ألف - ٤] لأولاد آدم إلى يوم البعث؛ [فالجواب عنها] بمثل ما ذكرناه، فإن إبقائه تابع لبقاء نوع البشر بتعاقب الأفراد، وهو مستمر إلى يوم القيامة، فكذاك وجب استمراره ودوامه لأجل إدامة الفائدة التي ذكرناها في وجوده ووجود وسوسته إلى يوم الدين.

وقال: أليس بقاء العالم على الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟ قلنا: فإذا لم يكن دنيا، فالدنيا ممزوجة بالشر [ولو كان كلها خيراً لكان وجودها خيراً من عدمها]، لكنها جسر يعبر به الناس إلى الآخرة ولو كان كلها شراً ولكن وسيلة إلى الخير الأخرى الدائم لكان وجودها خيراً من عدمها؛ والعالم الذي لا يتطرق إليه

(١) في الأصل: فكانت.

(٢) في الأصل: آثار.

(٣) في الأصل: بقدوم.

(٤) «المنهج القوي» ج ٤، ص ٩٥.

الشروع والآفات عالم آخر إليه رجعى الطاهرات من نفوسنا. وهذا اللعين مع اشتهاه بالعلم في غاية الجهل المركب بالعناد كما يظهر من إirاده هذه الشبهات. وكل من له مرتبة متوسطة في الحكم يعلم دفعها وحلها فضلاً عن الراسخ القدم في الحكمة، المنشرح الصدر بنور الإيمان والمعرفة.

ومع ذلك ذكر الفخر الرازي أمام المشككين ما نقلنا عنه من انه لو اجتمع الخلائق كلهم لم يجدوا مخلصاً لهذه الشبهات إلا بما سمّاه الجواب الإلهي من القول بإبطال الحكمة وإنكار الغاية ونفى الترجيح والسبب الذاتي لوجود الأشياء شغفاً^(١) بمذهب أصحابه وترويجاً له^(٢) من القول بالفاعل المختار والإرادة الجزافية، وذلك لقصوره وقصورهم عن إدراك الحكمة المتعالية وفهمهم الأنوار العلمية وعجزهم عن دفع الأوهام والشبهات الموردة في كل باب عقلي؛ لأن ذلك لا تيسر [مع] الرغبة إلى الدنيا ومالها وجاهها والشهرة، عند أستاذ^(٣) تيسر الوصول إلى نيل الغوامض الإلهية وفهم الأسرار اليقينية مع هذه الدعاوى والأمراض النفسانية والأعراض^(٤) الدنيوية، «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [البقرة: الآية ٢١٣]^(٥).

[فائدة ٢]

[شرح حديث كنت كنزاً مخفياً]

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم^(٦) وفقك الله لما يحبه ويرضى، ان بعض أهل العلم أورد على هذا الحديث القدسي - وهو قوله: (كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَعْرِفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ

(١) في «الكافي» ج ٢، ص ٤٢٤: لولا أنكم تذبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذبوا...

(٢) في الأصل: تشنيعاً.

(٣) في الأصل: يروى له.

(٤) كذا في الأصل، وفي العبارة خلط وتصحيف كما لا يخفى.

(٥) الأغراض - ظ.

(٦) راجع «رياض السالكين» الروضة ١٧، ص ١٧٣، ط الحجري، وج ٣، ص ١٧٨ - ١٨٦، الطبعة

المحققة وأيضاً أجاب عنها العلامة الطباطبائي رحمه الله في «الميزان» ج ٧، ص ٤٤ - ٥٩.

لأُغَرَفَ^(١) - إشكالاً عظيماً، وذكر انه سأل عن كثير من علماء زماننا ولم يذكروا له جواباً شافياً، فلما تأملت فيما أورد الهمني الله تعالى أربعة أجوبة، فاذكر ما أوردته ثم أرفده بالأجوبة التي أنعم الله تعالى بها عليّ.

فالإشكال: وهو أن الخفاء من الأمور النسبية لا بد فيه من مخفي ومخفي عليه. لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى، لأنه ظاهر بنفسه [لنفسه]، عالم بذاته أزلاً وأبداً. ولا يجوز أن يكون هو الخلق، لأن الخلق لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الله تعالى مخفياً عليهم، وفي الحديث؛ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ^(٢). فالخفاء يقتضى الخلق، فيكون الخلق سبب^(٣) الخفاء لا سبب الظهور، فهذا عكس ما يدل عليه الحديث، فإن الحديث في ظاهره يدل على أنه تعالى في الأزل كان مخفياً عند عدم الخلق. هذا تقرير السؤال.

قلت: الجواب عن هذا السؤال من وجوه:

الأول: إن المراد من الخفاء عدم عارف به سواه، فلما أراد كثرة العارفين به خلق الخلق. فعبّر عن عدم العارف بالخفاء، فكأنه قال: «كنت كنزاً عزيزاً، وجوهراً شريفاً، لكن لا عالم بي غيري ولا عارف بوجودي سوائي»^(٤). فأطلق الخفاء وأراد لازمه، وهو عدم العارفين به. فالمعنى «كنت ربّاً محسناً وإلهاً مُنْعِماً مُفِيضاً»^(٥)، ولا عالم بي ولا عارف بكمالي وجمالي، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف، وهذا معنى صحيح لا إشكال فيه.

الوجه الثاني: إن للأشياء وجودين، وجوداً علمياً، وجوداً خارجياً، فالوجود العلمى هو المسمى بالأعيان الثابتة، وهي أزلية قديمة؛ والوجود الخارجى محدث، فخفاء الله تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل، فإن الأعيان الثابتة موجودة مع الله لكن لا علم لها به، فيكون الله مخفياً بالنسبة إليه. فلما أراد أن يعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمى إلى الوجود الخارجى ليعرف الله تعالى،

(١) في بعض النسخ: قال الشيخ محيى الدين رحمه الله: اعلم...

(٢) في بعض نسخ الحديث: لكي أعرف. وخفيت الشيء: كتمته.

(٣) «التوحيد» باب التوحيد ونفي التشبيه، ص ٦٧.

(٤) خ: لسبب.

(٥) خ: لا عارف بي غيري، ولا عالم بوجود سوائي.

إذ لا يعلم الله تعالى إلا بالوجود الخارجي.

الوجه الثالث: قال في «الصحيح» نقلاً عن الأصمعي: خفيت الشيء بمعنى كتمته، وخفيته بمعنى أظهرته وهو من الأضداد». قوله: «كنت كنزاً مخفياً» يجوز أن يكون المراد من الخفاء معنى الظهور، بمعنى الحديث حيث لا يكون: «كنت كنزاً ظاهراً لنفسي، ولم يكن بي عارف سوائي، فأحببت أن يعرفني غيري فخلقت الخلق».

الوجه الرابع: يجوز أن يكون المعنى: كنت ظاهراً^(١) في غاية الظهور خفياً^(٢)، فكأنه قال: كادت نفسي من غاية الظهور أن يخفى على نفسي فضلاً عن غيري، فخلقت الخلق حجاب ظهوري، وستر نوري، حتى يخفى شيء من ظهوري ليتمكن الخلق إدراكي. ألا ترى أن من أراد أن ينظر إلى عين الشمس كيف يضع يده على حاجبه ويحجب بعض نوره ليتمكن إدراك شيء من نوره. فخلق الخلق حجاباً لنوره، وجعله سبباً لإدراكه تعالى: «فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق». فسبحان من جعل الظهور مانعاً للإدراك^(٣)، والستر والحجاب سبباً للظهور والإدراك، وهو عليم^(٤) بالحقائق^(٥).

فائدة ٣]

في بيان التركيب بين المادة والصورة

وارتباطها بقاعدة بسيط الحقيقة

قد بينّا أنا في مواضع من كتبنا سيما «الأسفار الأربعة»: إن التركيب بين الجنس وفصله تركيب اتحادي، وإن نسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى

(١) خ: مفيداً.

(٢) خ: كنت كنزاً ظاهراً.

(٣) خ: في غاية الظهور، والشيء إذا بلغ غاية الظهور خفي.

(٤) ٤ + كما في الشواهد والأسفار.

(٥) خ: اعلم.

(٦) أشار الحكيم أيضاً إلى أصل هذا الحديث في كتبه كـ «التفسير»: ج ٦، ص ٥٤، ١٥٥، ٣٧٠، ٣٧٨

الكمال، ونسبة الضعف إلى القوة؛ وكذا التركيب بين كل ناقص وبين ما تم به نقصانه هو هذا النحو من التركيب أعني الاتحادي، كالخط القصير إذا استطال، وكقوس الدائرة إذا زيدت وصارت نصف دائرة أو دائرة تامة، وكالعدد إذا ازداد. فإن التام من كل منها يتضمن الناقص بحسب سنخ حقيقته لا من حيث نقصه وقصوره الذي هو أمر عديم خارج عن حقيقة النوع وذاته.

فإذا كان الأمر كذلك و^(١) لا شك [إن] صور المواليد كمال للعناصر، كما أن الحيوان كمال للنبات، والنبات كمال للمعدن، وكمال الشيء هو ذلك الشيء على وجه أعلى وأشرف، وليس هو ذلك الشيء على وجه النقص والخسة؛ فإذا لا يجوز أن يكون لمادة^(٢) المواليد صورة أخرى غير الصورة الكمالية التي تم بها النقص العنصري التي بها هي ما هي، فصورة الياقوت مثلاً هي التي بها يكون الياقوت ياقوتاً، وكما ليس الياقوت إلا ياقوتاً فلا فعل له [إلا] فعل الياقوت؛ وكذا النبات والحيوان، حتى الإنسان فإنه موجود واحد له صورة واحدة لا غير، لكن صورته أكمل الصور الكائنة من مواد هذا العالم، وأتمها حقيقةً وأشدّها انية^(٣) وبساطة، ومع أنها أبسطها وجوداً وأتمها وحدانية يصدر عنها ما يصدر عن الجميع ويترتب على وجوده الخاص الجمعي ما يترتب على جملة العناصر والجماد والنبات والحيوان متفرقة.

وهكذا شأن كل تام الوجود، كامل الذات، شديد القوى. فكل ما هو أشرف وجوداً وأشد بساطة وأكثر روحانية وارتفاعاً من المواد الجسمانية، فإنه أكثر جمعاً للمعاني والصفات، وأكثر أفعالاً وآثاراً؛ حتى أن البسيط الحقيقي الذي ليست فيه شائبة كثرة ونقص - لتقدسه عن المواد والقوى الاستعدادية وسائر الإمكانات - يجب أن يكون ذاته بذاته كل الأشياء، ووجوده في نفسه مبدأ كل الموجودات، بل وجوده بعينه تمام الوجودات وكمالها وغايتها كما أنه مبدأها ومنشأها، كما بيتنا سبيله وأوضحنا طريقه ودليله في كتابنا الكبير^(٤)، وفي رسالة مفردة، فليرجع إليه

وج ٤، ص ٢٥٨، ٣٨٦، ٣٨، و«مفاتيح الغيب» ص ٢٩٣.

(١) الواو زائدة ظاهراً.

(٢) في الأصل: بلاوة.

(٣) في الأصل: دانته.

من وفق له الحق، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: الآية ٥٣] .

[فائدة ٤]

[في ذيل آية الأمانة]

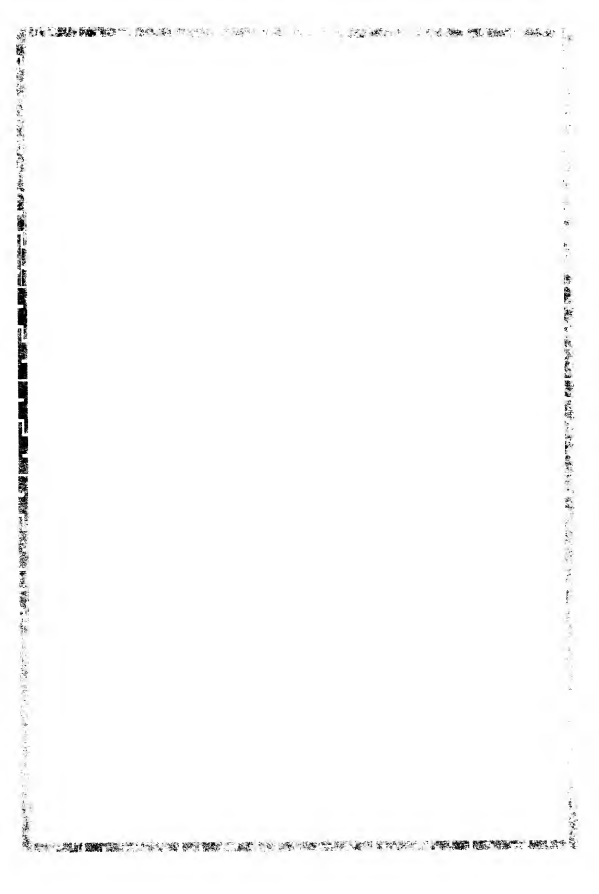
المراد بالأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] ، الوجود؛ فإن كل موجود سوى الإنسان فله وجود ثابت لا يتحول ولا يتقلب من نشأة إلى أخرى، ولا من وجود إلى [وجود] آخر، والإنسان من حيث هو إنسان فهو في الترقى دائماً من وجود إلى وجود آخر ومن نشأة إلى [نشأة] أخرى، وليس بثابت على مرتبة منه، فكان الوجود أمانة في يده يؤديه يوماً إلى أهله: وهو يوم لقاء الله تعالى والوصول إليه. فكان في هذا المعنى ما قاله العارف الشيرازي:

این جان عاریت که به حافظ سپرده دوست روزی رخس ببینم وتسلیم وی کنم

[فائدة ٥]

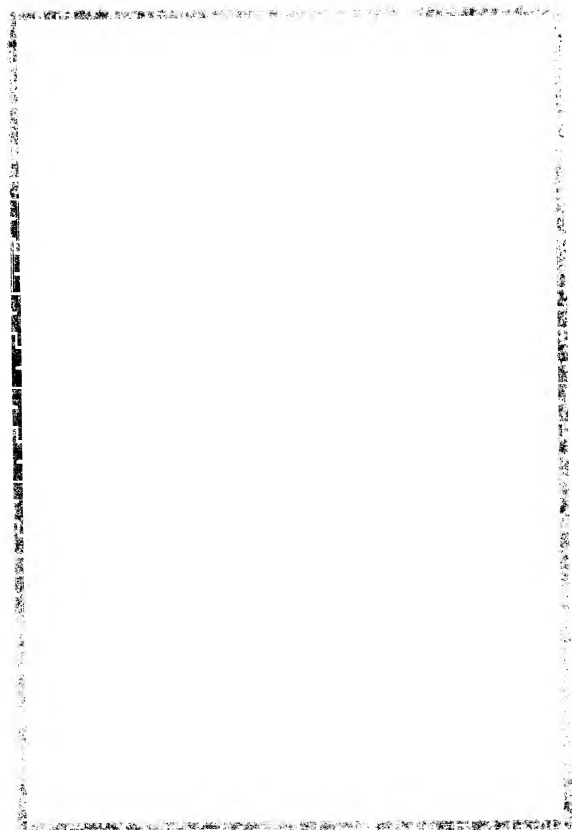
[في المواد الثلاث]

إنه لا يلزم من صدق الحكم على الشيء بمفهوم بحسب الأعيان أن يكون ذلك المفهوم واقعاً في الأعيان. وبهذا تتحقق المصالحة بين المشائين والرواقيين في وجود المعاني العامة كالوجوب والإمكان والعلية والتقدم ونظائرها في الخارج وعدمها فيه، فإن وجودها في الخارج عبارة عن اتصاف الموجودات العينية بحسب الأعيان.



١٣

اللمية في اختصاص
الفلك بموضع معين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوأهب النور والعقل، والصلاة على النبي والوصى^(١) والأهل.

قد سألني بعض الإخوان - أذاقهم الله مشرب التحقيق والعرفان - عن لمّية اختصاص المنطقة بموضع وبعض^(٢) معين من الفلك دون سائر المواضع والأبعاد، والفلك جسم بسيط متشابه الأجزاء، وقد صح على كل جزء ما صح على غيره؛ وكذلك لمّية اختصاص جهة معينة منه بتوجه الحركة إليها دون غيرها من الجهات مع تشابه الجميع وتساوي استحقاقها لتوجيه^(٣) الحركة إليها؛ وكذا الحكم في سائر الأمور المختصة بمواضع بعينها من الجرم البسيط، قائلين: إن قولهم في بيانه «إن ذلك يجب أن يكون لمخصص عائد إلى الفاعل المحرك لا إلى القابل لعدم اختلافه» غير واف بحل هذا الإشكال، بل لا يوجب إلّا تقريراً للشبهة وزيادة في الإعضال. ولقوة هذه الشبهة رأينا جماعة من المتكلمين قد جعلوها أصلاً مؤسساً بنوا عليه جواز الترجيح من غير مرجح، وابطلوا بذلك كثيراً من القوانين العقلية.

فأقول - مُسَعِّفاً لمأمولهم ومنجحاً لمسؤولهم ومستمدّاً لمن^(٤) يُلهم الهداية والتوفيق وينور إفاضته يتجلى ظلمة كل فج عميق -: إن تحقيق هذا المقام مما يحوج إلى تمهيد أصول من الكلام:

(١) «الأسفار الأربعة» ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) ألف: والوصي.

(٣) ألف: - وبعض.

(٤) كذا.

الأول: إن أثر الفاعل بالذات في كل موجود هو نحو وجوده الخاص به، والماهية تتبعه اتباع الظل لذي الظل من غير تخلل جعل بينهما أصلاً؛ والوجود تقدم عليها ضرباً من التقدم سميناه «التقدم بالحقيقة» وهو غير التقدم بالحق المكشوف في طريقتنا^(١)، وهما جميعاً غير الاثنين المشهورين^(٢) عند الجمهور من أقسام التقدم بالذات أعنى ما بالطبع وما بالعلية.

الثاني: إن تشخص كل شيء وهذيته إنما يكون ينحو وجوده، بمعنى أن ما به الشخصية بعينه هو ما به التحقق في المصادق لا في المفهوم كما توهم، وهذا مما ذهب إليه محققو الحكماء ومحصلوهم كأبي نصر الفارابي وغيره؛ وأما المسماة عند القوم بالعوارض المشخصة فإنما هي من لوازم وأمارات الوجود^(٣) الذي هو المتشخص بذاته، المتعين بنفسه.

الثالث: إن لوازم الوجود كلوازم الماهية في أن الاتصاف بها غير معلل بجعل جاعل وتأثير فاعل، بل الملزوم بنفسه مما يتصف بالضرورة^(٤) الذاتية المقيدة بما دام ذات الموضوع؛ وبهذا القيد يمتاز العقد عن الضرورة الأزلية.

فإذا تقرر ما ذكرناه، فنقول: إن وجود الفلك أمر شخصي صادر عن جوهر عقلي من جملة الملائكة المقربين يفعل ذلك الوجود على شبه^(٥) الإنشاء بإذن ربه العليم، والوجود أمر متشخص بذاته وبمقومه، وبهذا التشخص يتشخص ماهية الفلك، ويقبل الهوية والهذية، ويصير بها هذا الشخص المعين من جملة أشخاص نوعه وماهيته المفروضة بحسب الذهن، وله العموم والكلية بالنسبة إلى تلك الأشخاص المحتمل كل منها من حيث الماهية الامكانية قبول الوجود، إلا أن هذا الوجود لما خرج بسبب فاعله من القوة إلى الفعل وتعين بنفسه سبق تعيينه سائر التعينات المفروضة، فحصلت له الماهية النوعية بهذا التحصل وهذا التعين. وعند

(١) ممن - ظ.

(٢) راجع «الأسفار» ج ٣، ص ٢٥٧.

(٣) ألف: الاثنين المشهورتين.

(٤) ألف: الموجود.

(٥) ألف: بها الضرورة.

تحصل هذا الواحد يستحيل حصول غيره بدلاً منه لا^(١) ابتداءً ولا تعاقباً، لأن جوهر الفلك لا يقبل التماثل ولا التضاد.

وليس لمتصور أن يتصور أن اختصاص هذا الشخص^(٢) الفلكي بالوجود دون سائر الأشخاص المشاركة له في الماهية النوعية إنما يكون بواسطة استعداد مادة^(٣) وبتهيؤ قابل بهيئة مخصوصة ترجح وجوده على سائر الوجودات، لأن ذلك مفسوخ^(٤) الأصل كما بين في مقامه. فإذا كان تشخص الفلك تابعاً لوجوده بل عنه، وكانت العوارض الشخصية له من توابع الوجود ولوازمه لا من العوارض المفارقة فهي أيضاً وإن كانت موجودة في المادة كأصل الوجود إلا أن وجودها على سبيل استتباع ذلك الوجود ألمعين الفلكي إياها من غير استئناف مخصص في تخصيصها وجاعل جديد إياها، بل تخصصها تابع لتخصص^(٥) الوجود، كما أن جعلها تابع لجعله.

فالسؤال في طلب تعيين الحركة والمنطقة والقطبين للفلك، وجهة الحركة الواقعة منه وحدها في السرعة، وكذا تعيين مقدار الفلك وشكله وموضعه وغيرها من الأمور التي توجد في الفلك من كل منها واحد معين من نوعه الكلي، وهو بعينه كالسؤال في طلب تعيين الوجود الذي لذلك الفلك. والجواب الجواب، لأن كلاً منها من لوازم الوجود غير المجعولة.

والذي يزيدك في هذا إيضاحاً: أن العقل الأول مثلاً له ماهية نوعية يحتمل عند الذهن فرض وقوعه على كثيرين، وليس الموجود منها إلا واحداً، وله أيضاً أوصاف ونعوت مختصة بها. فإذا طلبت^(٦) تخصيص الوجود بهذا الواحد الصادر عن الحق الأول مع تساوي نسبة الجميع إلى أفراد نوعه من الماهيات الإمكانية وفي

(١) ألف: مسألة.

(٢) م: لا.

(٣) م: الشكل.

(٤) م: استعداده بآلة.

(٥) م: مفتوح.

(٦) م: تخصيص.

قبول الوجود بحسبها، فليس الجواب إلا مثل ما ذكرناه وكذلك فيما^(١) نحن فيه .
 فافهم شاكرًا لله تعالى معتنياً بنعمته^(٢)، فإنني قد جئتك بنبأ اليقين^(٣) .
 والحمد لله وصلاته على نبيه وآله أجمعين^(٤) .

(١) ألف: طلب .

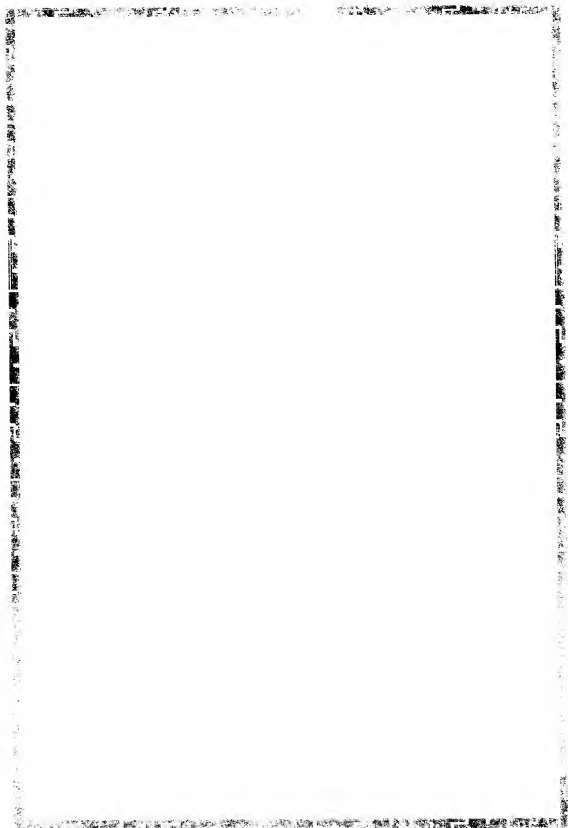
(٢) ألف: فكذلك مما .

(٣) م: مقتنماً وهدايته .

(٤) كذا، والصواب: «بنبا يقين» كما في النمل، ٢٢ .

١٤

المزاج



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوهاب الحياة والعدل^(١)، والصلاة على النبي والأهل
أما بعد، فهذه مقالة في تحقيق ماهية المزاج وأنيته^(٢)، فنقول:

فصل [١]

[في تعريف المزاج وأنيته]

المزاج كيفية بسيطة ملموسة من جنس أوائل المحسوسات، متوسطة بين الأربع، متشابهة الأجزاء المقدارية، فهي بالقياس إلى الحرارة برودة، وبالقياس إلى البرودة حرارة، وبالقياس إلى الرطوبة يبوسة، وبالقياس إلى اليبوسة رطوبة. وأما سبب اثنتيها فاعلاً وقابلاً فالمشهور أَنَّ العناصر إذا تصغرت وامتزجت وتماست وفعل كل منها في الآخر انكسرت سورة كيفياتها، فحصل للجميع كيفية متشابهة هي المزاج مع انحفاظ صور البسائط.

قالوا: هذا التفاعل لا يحصل إلا عند مماسة بعضها لبعض، وإلا فأما أن يعتبر بينهما حصول نسبة أخرى وضعية غير المماساة أو لا يعتبر، بل يكون كيف اتفق. والقسم الثاني باطل، لأن كل تأثير جسماني - كما يتبين في موضعه - متوقف على نسبة وضعية مخصوصة بين المؤثر والمتأثر، وعلى القسم الأول إذا لم تكن النسبة بينهما بالمماساة فلا بد أن يكونا على نسبة وضع آخر غير المماساة تقتضي نوعاً آخر من المحاذاة والقرب؛ فحينئذ إذا كان المنفعل الأقرب المتوسط بين المسخن والمتسخن

(١) وأيضاً: «الشواهد الربوبية» ص ١١٨.

(٢) العقل - ظ.

مثلاً، لا يتسخّن، لم يتسخّن المنفعل الأبعد أيضاً، وإن سخّن المتوسط القريب ويؤثر بمماسة لا محالة فالفعل والانفعال إنما يجريان بين الأجسام التي عندنا يفعل بعضها في بعض إذا كانت بينهما مماسة. هذا ما ذكره الشيخ^(١).

واعترض عليه الإمام الرازي^(٢) بأنّ هذا يناقض ما ذكره في الفصل السابع من المقالة الثالثة من علم النفس من طبيعيات «الشفاء»^(٣) حيث قال في جواب من أنكر تأذى أشباح المَبْصُرات في الهواء من غير أن يتكيّف الهواء: «إنّه ليس بيّناً بنفسه ولا ظاهراً أنّ كلّ جسم فاعل يجب أن يكون ملاقيّاً للملموس، فإنّ هذا وإن كان موجوداً استقراء في أكثر اجسام، فليس واجباً، [ضرورة أن يكون كل فعل وانفعال باللقاء والتماس]، بل يجوز أن يكون أفعال أشياء من غير ملاقة، فتكون أجسام تفعل بالملاقة وأجسام لا تفعل بالملاقة، وليس يمكن أن يقيم أحد برهاناً على استحالة هذا، ولا [على] أنّه يجب أن يكون بين الجسمين نسبة ووضع بل يجوز أن يؤثر أحدهما في الآخر من غير ملاقة. إنما يبقى ضرب من التعجب كما أنّه لو كان اتفق أن كانت الأجسام كلّها يفعل بعضها في بعض بمثل تلك النسبة المباشرة، وكان إذن اتفق أن شواهد فاعل يفعل بالملاقة تعجب منه كما تعجب الآن [أن] يؤثر [مؤثّر] بغير ملاقة فإذا كان هذا غير مستحيل [ب - ١] في أول العقل؛ وكان صحة مذهبنا المبرهن عليه يوجبّه وكان لا برهان البتة ينقضه فنقول: من شأن الجسم المضيء بذاته أو المستنير الملوّن أن يفعل في الجسم الذي يقابله - إذا كان قابلاً للشبح قبول البصر، وبينهما جسم لا لون له - تأثيراً هو صورة مثل صورته من غير أن يفعل في المتوسط شيئاً، إذ هو غير قابل، لأنّه شفاف». هذا ما ذكره في هذا الموضع.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً في الفصل المشتغل على المقدمات التي يحتاج إليها في معرفة الهالة وقوس قزح^(٤). ولا يخفى أن ذلك منه مبالغة في بيان أن الفعل والانفعال بين الأجسام لا يتوقف على الملاقة والمماسة، مع انه تصدّى في

(١) راجع أيضاً «الأسفار» ج ٥، ص ٣٢٠ - ٣٤٢، وقد صححتها عليه.

(٢) طبيعيات «الشفاء» ط الحجري، ص ٤٤٤.

(٣) «المباحث المشرقية» ج ٢، ص ١٥١.

(٤) طبيعيات «الشفاء» ط الحجري، ص ٣٢٨، وط مصر، ج ٢، ص ١٣٣.

فصل حقيقة المزاج لإقامة البرهان على أن الفعل والانفعال لا يتمان إلا باللقاء والتماس، وأنه ليكثر تعجبي لوقوع أمثال هذه المناقضات الظاهرة لهذا الشيخ.

ومن الإشكالات: «إن الشمس تسخن الأرض، مع أنها لا تسخن الأجسام القريبة، فإنها لا تسخن الأفلاك، وكذلك تضيء الأرض، مع أنها لا تضيء الأجسام التي تتوسط بينها وبين الأرض، لأنها شفاقة. فإذا كان كذلك فكيف يجوز للرجل الذكي مع هذه الإشكالات أن يجزم بأن الفعل والانفعال لا يتمان إلا باللقاء والتماس؟» انتهى كلام المعترض^(١).

أقول: لا نسلم وقوع التناقض في كلام الشيخ، فإن الذي منع فيه من وجوب الملاقة والتماس هو مطلق الفعل والانفعال بين الجسمين، والذي أوجب فيه ذلك تأثير وتأثر مخصوصان، أو تأثير وتأثر بنحو خاص، فإن التأثير والتأثر قد تكونان تدريجيتين، وقد تكونان دفعيتين، فالذي أوجب فيه الملاقة هو فعل العناصر بعضها في بعض، وفي الأمور التي هي كتمام ماهياتها مثل أوائل الملموسات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهي المتضادة المتفاسدة بحيث إذا استولى كل منها على حامل نقض الآخر أفسده وأبطله.

والتحقيق في هذا المقام: أن الموجودات بعضها طبيعي وبعضها تعليمي وبعضها عقلي؛ وكذا الأفعال. فالفعل الطبيعي لا يكون إلا من فاعل طبيعي وهو الذي بحسب استحالته وتجذده في مادة منفصلة متحركة. وأما التعليمي فلا مدخل فيه للحركة والانفعال التجديدي والمادة المنفصلة، إنما المحتاج إليه في ذلك الفعل مجرد الكمية والوضع اللازم لها دون حركة، والفعل للمؤثر والمتأثر بحسبه. وأما الفعل العقلي فلا حاجة فيه إلى غير الفاعل وماهية القابل إن كان.

مثال الفعل الطبيعي كالتحريكات من التسخين والتبريد والتسويد والتبييض والتنمية والتغذية [ألف - ٢] وأمثالها. ومثال الفعل التعليمي كالإنارة والإضاءة والعكس والمحاذاة والمساواة والتربيع والتكعيب وسائر الأمور التي لا تحصل إلا دفعة لا على التدريج مع كمية ما ومقدار ما. ومثال الفعل الإلهي مطلق الإيجاد والإفاضة والإبداع والجود والرحمة.

(١) طبيعيات «الشفاء» ط الحجري، ص ٢٦٢، وط مصر، ج ٣، ص ٤٠.

إذا تقرر هذا فنقول: كل فعل طبيعي يصدر عن فاعله القريب فهو لا يكون إلا بالملاقاة بين فاعله ومنفعله، فهو إما أن يقع منه في قابله أو فيما هو بمنزلة قابله من جهة الاتصال به أو الامتزاج. ألا ترى أن انفعال مشاعر الإنسان بعضها طبيعي كاللمس والذوق فلا يحصلان إلا باتصال الملموس وامتزاج المطعوم، وبعضها غير طبيعي كالبصر والسمع فلا حاجة فيهما إلى اللقاء بل وضع آخر. وبعضها غير طبيعي ولا تعليمي كالعقل والوهم فلا حاجة فيهما إلى الوضع مطلقاً؟

والسر في ذلك إن الفاعل الطبيعي بما هو فاعل طبيعي منغمر في المادة كل الانغمار، ووجوده في نفسه [هو] بعينه وجوده في مادته على نحو الاستغراق والسيان بحيث يكون في كل جزء من المادة جزء منه، كالصورة النارية أو الأرضية لا كالصورة الفلكية أو الحيوانية؛ فلو سخّنت الحرارة الفاشية في النار جسماً آخر من غير حاجة إلى ملاقة وتماس إياه حتى يصير الجسمين كجسم واحد بالاتصال، يلزم أن يكون وجودها في نفسها أيضاً غير مفتقر إلى لقاء محله؛ واللازم باطل وكذا الملزوم.

بيان اللزوم: إن الإيجاد فرع الوجود ومتقوم به، فكل ما يفتقر في الوجود إلى محل على أي نحو كان فهو يفتقر إليه في الإيجاد أيضاً على نحو افتقاره في الوجود، ولما كان وجوده وجوداً ملاقياً فاشياً مفتقراً إلى محل يفشو فيه ويسرى إليه بجميع أجزائه كان إيجاده وتأثيره أيضاً كذلك إيجاداً وتأثيراً على نعت الفشو والسرابة في المتأثر [ويلزم من هذا] إنه لا يجوز أن يكون مثل هذا المؤثر مبائن الذات للمتأثر منه. وهذه قاعدة شريفة ينتفع بأعمالها في كثير من المقاصد، فإنك إذا تتبعت واستقرأت وجدت كل قوة مؤثرة في قابل إن تأثيرها على نسبة وجودها في الافتقار إلى المادة شدة [و] ضعفاً وزيادة ونقصاناً.

فظهر أن الجسم المتسخّن من النار مثلاً ما لم يكن ملاقياً لها حتى يكون وجود القوة المسخنة بالقياس إليه كوجودها في مادتها النارية لم يتسخّن عنها؛ وكذا الحالة في التبريد والترطيب والتجفيف والتسويد والتبييض وغيرها.

فإن قلت: الشمس تسخن الأرض من غير ملاقة وكذا تجفف الأرض المبتلة بالماء كالطين، وأيضاً تبيض ثوب القصار وتسود وجهه من غير ملاقة. قلت: فعل الشمس أولاً وبالذات ليس إلا واحداً متشابهاً - وهو الإضاءة والإنارة - وهذا أمر

يحصل دفعةً في هذه الأجسام المنفعلة، ثم إذا مضى زمان على وجود الضوء في مادة قابلة للسخونة يفعل السخونة لمناسبة النور للحرارة فيتسخن، وإذا تسخن الجسم بفعل السخونة في اليابس سواداً أو في الرطب بياضاً على حسب اختلافات القوابل. وبالجملية الجسم الحار مثلاً كالنار لا يؤثر بالسخونة في شيء إلا بالملاقاة [ب - ٢] التماس؛ وأما إن الجسم القابل للحرارة لا يقبل الحرارة إلا بممارسة فاعل السخونة كالنار فليس بمعلوم، إذ لا استحالة في أن يكون جسم بارد رطب مثلاً، ثم لا يزال يستحيل في كلتا كَيْفِيَّتِهِ الفاعلية والمنفعلة بسبب أسباب داخلية أو خارجة كإضاءة الكواكب وهبوب الرياح حتى تميل برودته إلى الحرارة ورطوبته إلى البيوسة، فتحصل له كيفية معتدلة بسيطة متوسطة بين هذه الأربع الملموسة مع صورة واحدة حافظة إياها من غير حاجة إلى تركيب أجزاء متصغرة متماسة. ومن منع عن وقوعه فعليه البرهان، ونحن لم يصل إلينا من أحد برهان إلى الآن، بل الحجج قائمة على خلاف ما قرروه.

والإشكالات فمشهورة منها:

[ان] ههنا أموراً ثلاثة: الكاسر والمنكسر والانكسار، أما المنكسر فليس هو الكيفية لما بين أن الكيفية الواحدة لا يعرض لها الاشتداد [و] التنقص، بل الموضوع. وأما الكاسر فليس هو الكيفية أيضاً وإلا لزم أن يكون المكسور يعود كاسراً بعد كونه مكسوراً، أو يكون حين كسره مكسوراً كما فضل في بيان إبطاله. فبقي أن يكون الكاسر هو الصورة والمنكسر هو المادة وهذا مشكل بوجهين.

أحدهما: إن الماء الحار والماء البارد بالفعل إذا اختلطا انكسر البارد بالحار، ليس ههنا صورة مسخنة هي مبدأ حرارة.

والثاني^(١): أن الصورة وإن كانت فاعلة لكن فعلها بتوسط الكيفية، ولهذه الصورة المائية الحارة تفعل فعل السخونة، فحيث يعود الاشكال المذكور في كون الكاسر هو الكيفية من لزوم كون المنكسر^(٢) كاسراً. وكذا نقول: المادة وإن كانت منفعلة لكن لا يستعد بالفعل لقبول أمرٍ إلا بسبب كيفية قائمة بها، وإلا لكان كل مادة تقبل كل شيء، فيعود الاشكال المذكور في كون المنكسر هو الكيفية.

(١) راجع «المباحث المشرقية» ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) راجع: «المباحث المشرقية» ج ٢، ص ١٥٣.

ويمكن الجواب عن الوجه الأول: انه كما ان فاعل الحركة الأينية القسرية هو طبيعة المقسور لا القاسر، وإنما القاسر هو المعدّ فقط لا المفيد للحركة. فهنا أيضاً إذا تسخّن الماء بالنار قسراً فمفيد السخونة ليس هو النار، وإنما النار هي السبب المعدّ لها، لا السبب المعطى، وإنما المعطى لهذه السخونة القسرية هو الصورة المائية فقط، ومنها غير ذلك. [ولكنّ الوجه الثاني سالم عن القدم «الأسفار» ج ٣٢٦/٥].

وأما الحجج: (١): فمنها: إن الحكماء المشائين ذهبوا إلى أن الجسم البسيط أو المركب إذا تصعّر في الغاية لا تبقى له صورته الخاصة النوعية، بل الذي يبقى حينئذٍ هو الصورة الامتدادية فقط؛ ولا شك إنه إذا بطلت صورته بطلت كيفية التابعة لها، بل اتصلت مادته بمادة ما يجاوره، فيصير المجموع مصوراً بصورة واحدة. فظهر من هذا المذهب أن القول بحصول [ألف - ٣] المزاج من جهة تصعّر العناصر وتماس بعضها لبعض مع بقاء صورها ليس بصحيح.

(٢): ومنها: إن كلاً من العناصر متداعية إلى الافتراق، والميل إلى الاحياز الطبيعية، فالذي يجبرها على الاجتماع ويقهرها على الالتيام شيء آخر، وذلك لا بد أن يكون جوهرأ صورياً متصرفاً فيها ليكون حافظاً لتركيبها عن التفرق والتشتت، سيّما في المواد الطبيعية المهيأة للأمور الكمالية الصورية من الأنواع المحفوظة دائماً، فإنها ليست اتفاقية ولا قسرية، فتلك الصورة متقدمة عليها تقدماً ذاتياً، قائمة على مواده بالتقويم والإدامة والحفظ. ولا بد أن تكون صورة واحدة وإلا لم تكن للمركب وحدة طبيعية، والصورة الواحدة لا تكون إلا في مادة واحدة، والمادة الواحدة لا تتقوم أيضاً إلا بصورة واحدة، لما يتّين في موضعه إن المادة الواحدة لا تقوم بصورتين مختلفتين، اللهم إلا بتقدم وتأخر وضرب من الترتيب.

فإذا ثبت إن قوام هذا المركب الطبيعي ليس إلا بصورة طبيعية واحدة، وكلّ ما له صورة واحدة طبيعية فجميع ما يصدر عنه بما هو ذلك النوع الواحد يجب أن يكون مبدؤه تلك الصورة الواحدة وجميع آثارها [و] أفعالها الصادرة عنها يجب أن يكون مناسباً لها لا منافياً لها، وأوّل ما يصدر عن الصور التي هي شديدة النزول إلى المادة قريبة المرتبة إلى العنصریات هي الأمور التي هي مبادئ الحركات والانفعالات من باب الميول إلى الأحياز الطبيعية هي من جنس أوائل الكيفيات الملموسة؛ فيجب أن تكون الكيفية المسماة بالمزاج صادرة عن تلك الصورة

المنوعة للجسم العنصري لا عن صور متخالفة، لأنّ الأفعال المتخالفة بالذات متخالفة بالذات.

فقلت: إنّ فاعل المزاج أمر واحد وكذا قابله.

(٣): حجة أخرى: قد ثبت في موضعه إنّ المادة إذا استعدت لصورة كمالية وحدثت فيها صورة بعد أخرى فجميع ما كانت صادرة من الصور السابقة من الأفعال والآثار تصدر من هذه الصورة الكمالية مع أمور زائدة تختص باللاحقة. فنقول: إذا حصلت للممتزج من العناصر صورة كمالية فيجب أن يكون مبدأ صدور الكيفية المزاجية في ذلك المركب هو تلك الصورة الكمالية بعينها دون صور العناصر، فإذا كانت هذه الكيفية مستندة إلى هذه الصورة فقط بقاء صور العناصر في هذه المواليد الكائنة ضائع معطل، ولا معطل في الوجود، فهي [ب - ٣] بصرافة صورها غير موجودة في المواليد فضلاً عن صرافة كيفياتها.

(٤): حجة أخرى: إن أجزاء الكيفية المزاجية المفروضة إنها سارية في جميع أجزاء المحل، واحدة بالنوع، كثيرة بالأعداد والأشخاص كما هو عندهم، فحينئذ نقول: علة تكثر أفرادها وأجزائها أما الماهية أو لازمها [أو مادتها] أو صورتها أو أمر مبائن، والكل محال، فتكثرت محال.

أما الأولان: فظاهر، لأنها واحدة، وكذا لازم الماهية الواحدة واحد في الجميع؛ وفعل الواحد واحد، فلا تعدد لأفراد نوع واحد من جهة الماهية ولازمها. وأما الثالث: فمادة العناصر كلّها واحدة كما قرره.

وأما الرابع، فلكل من الصور الأربع أثر وفعل، نسبته إلى فاعله الذي هو الصورة بالصدور، وإلى قابله الذي هو المادة الأولى بالحلول لا بالصدور. فالاختلاف في أجزاء هذه الكيفية المزاجية لما علمت أنّه ليس بالماهية ولوازمها، فليس أيضاً بالصور والآ لكان اختلافها بالماهية، لما ثبت أن الصورة مبدأ الماهية وتمازجها، لأنها بعينه الفصل الأخير أو مبدأ المساوي له، والفصل تمام الماهية؛ فلو كان اختلافها بالصور، والصور متخالفة الذات والماهيات، فيلزم أن تكون متخالفة ذاتاً وماهية، والمقدر خلافه.

وأما الخامس: فنسبة المباین إلى الجميع واحدة، فلا بد من مخصص آخر،

فتعود الشقوق المذكورة في لحوق ذلك المخصص، فبقى أن لا اختلاف فيها بحسب الهوية بعد اتفاقها في تمام الماهية إلا بمجرد الفرض والوهم، أو الفك والكسر وسائر أسباب القسمة المقدارية لأمر متصل بالذات أو بالعرض، فوجب أن يكون متصلة واحدة بالفعل أو بالقوة؛ والموصوف بالمتصل الواحد لا محالة متصل واحد مثله؛ لكن صور العناصر مع فرض لقائها ليست متصلة واحدة لا بالفعل ولا بالقوة لاختلافها بالنوع، والمختلف بالنوع بالفعل لا يكون له وحدة اتصالية.

وقدموا على هذه المقدمة إبطال مذهب ديمقراطيس، فإذا ثبت أن مبدأ هذه الكيفية المتماثلة الأجزاء صورة واحدة متصلة لا صور متعددة.

فصل [٢]

[في تتمة البراهين على عدم حصول

العناصر بعد تحصيل المزاج]

[الحجة الأولى] لو كانت صور العناصر باقية في المواليد الثلاثة يلزم بقاء الأجزاء المائية والهوائية في المذاب من الحديد والنحاس والذهب وغيرها من المعادن التي تذوب وتصير في النار، ثم ترجع إلى حالها. والقول ببقاء الجرم المائي [ألف - ٤] أو الهوائي في المذاب حال ذوبانه في غاية البعد، والقول ببطولانها عند الذوبان وعودهما بعده أبعد.

حجة أخرى: لو كانت الأجزاء العنصرية باقية في المواليد بالفعل يلزم أن يكون الجزء الناري في الياقوت مثلاً ناراً وياقوتاً، لأن الصورة الياقوتية حالة [حين] حلول السريان في كل جزء من أجزائه، كما أطبق عليه جمهور مثبتيها، فإذا كانت الصورة الياقوتية حالة في الجزء الناري مثلاً وهو حينئذ نارٌ عندهم فيكون ناراً وياقوتاً معاً، وهو محال لأنهما نوعان مباثنان.

ويلزم أيضاً وجود ياقوت غير مركب من العناصر الأربعة، وهو خلاف ما اتفقوا عليه؛ ومع ذلك يفيد غرضنا من تحقق شيء من المواليد من غير أن لا يكون مركباً من العناصر، لكن الفرق بأننا نرى أن ذلك ياقوت وليس بنار. ويلزم عليهم أن يكون ياقوتاً وناراً. وأيضاً كيف يكون الجزء الناري موجوداً فيه بالفعل

ولا تنطفي في الزمان الطويل مع صغر حجمه ومجاورته للأجزاء المائية.

وهذه الحجة قد ذكرها الشيخ في طبيعيات «الشفاء»، وأجاب عنها بما هو غير مرضى عند التأمل، كما ستعلم.

فصل [٣]

في ذكر ما قاله الشيخ الرئيس في سدّ الباب ودفعه

لعلّك تكون من المغترّين بكلام الشيخ حيث قال: «لكنّ قوماً قد اخترعوا في قريب زماننا مذهباً عجيباً غريباً، وقالوا: إنّ البسائط إذا امتزجت وانفعل بعضها عن بعض تأذى ذلك بها [إلى] أن تنخلع صورها، فلا تكون لواحدة منها صورتها الخاصة، وتلبس حينئذٍ صورة واحدة، فتصير لها هيولى واحدة وصور واحدة. فمنهم من جعل تلك الصورة أمراً متوسطاً بين صورها ذات الحميّة، ويرى أنّ الممتزج بذلك يستعدّ لقبول الصورة النوعية للمركبات.

ومنهم [من] جعل تلك الصورة صورة أخرى من صور النوعيات وجعل المزاج عارضاً لها لا صورة لها»^(١). ثم قال بما حاصله: إنه لو كان هذا حقّاً لكان المركب إذا تسلط عليه النار لفعلت فعلاً متشابهاً، فلم يكن القرع والانبيق^(٢) يميّزه إلى شيء قاطر متبخّر لا يثبت على النار البتة وإلى شيء أرضيّ لا يقطر، وأنا إذا وضعنا قطعة من اللحم في القرع والانبيق تميّز إلى جسم مائي قاطر وإلى كلس^(٣) أرضى غير قاطر.

فنقول: الأجزاء التي [ب - ٤] كانت في المركب إما أن لا يكون بينها اختلاف في استعداد التقطير وعدمه، أو يكون^(٤). فعلى الأوّل يجب أن يكون الكل قاطراً أو الكل ممتنعاً عن القطر.

(١) في الأصل: «المتكسر» وكذا في سائر الموارد.

(٢) طبيعيات «الشفاء» ج ٢، ص ١٣٣، ط مصر.

(٣) الانبيق: آلة للتقطير.

(٤) الكلس: ما يقال له بالفارسية: «أهك».

(٥) في الأصل: «أن يكون... أو لا يكون» وفي «الأسفار» ج ٥، ص ٣٣١ «إما أن تكون... أو يكون»

وعلى الثاني فذلك الاختلاف أما بنفس ماهياتها أو بأمر خارج عنها، والأول يوجب اختلاف الأجزاء بالصور، وأما الثالث فذلك الخارج أن كان لازماً يرجع أيضاً إلى أن اختلافها بالصور؛ لأنَّ اختلاف اللوازم يوجب الاختلاف في الماهيات. وإن لم يكن لازماً بل كان عارضاً فجاز زواله، فأمكن أن يوجد مركب لم تكن أجزاؤه مختلفة بقبول بعضها لحال وبعضها لحال أخرى؛ وذلك يقتضى أن يوجد في اللحوم لحم يقطر كله أو يكلس كله، وكذلك القول في سائر المركبات، فبطل القول بهذا المذهب. ثم ذكر حجة أخرى^(١)، حاصلها: إنَّ صور البسائط لو تفاسدت، فإن كان فساد كل واحد منها مقارناً لفساد الآخر مع إن فساد كل منها معلول لوجود الآخر لكانت الصورتان موجودتين عند كونهما فاسدتين، وذلك محال، وإن سبق [فساد] أحدهما فساد الآخر استحال أن تصير الفاسد مفسداً لمفسده.

أقول: إنا الحجة الأولى ففي غاية الضعف، فإنَّ لنا أن نختار الشق الأخير من الشقوق التي ذكرها، وهو أنَّ الاختلاف بين أجزاء الجسم في التقطير والرسوب بأمور خارجة.

قوله: «فيلزم إن يوجد جسم يقطر كله أو يرسب كله».

قلنا: أكثر المعدنيات التي هي متشابهة الأجزاء من هذا القبيل، كالذهب والفضة والأسرب وغيرها؛ ولا يلزم منه أن يوجد في اللحوم لحم هذا شأنه، إذ اللحم غير متشابه الأجزاء، وكذا ما يجري مجراه من أعضاء الحيوان.

وما قيل من «إنَّ الأعضاء البسيطة»^(٢) يجب أن يكون كل جزء من أجزائه مساوياً للبواقي وللكل اسم^(٣) واحد قول مجازي معناه أنه كذلك بحسب الحسن.

وبالجملة ليست تلك الأجزاء تركيباً أولياً حتى يجب أن تكون أجزاؤه الأولية بسائط عنصرية. ومن ذهب إلى خلق صور البسائط لم يلزمه أن يقول [ألف - ٥] بانخلاع صور، أي أجزاء كانت في أي تركيب، فيمكن أن يكون لبعض المركبات أجزاء أولية متخالفة الصور^(٤) والكيفيات، فإذا تسلطت عليه النار يفعل

وكلاهما تصحيفان كما لا يخفى.

(١) راجع: «المباحث المشرقية» ج ٢، ص ١٥٧.

(٢) في «الأسفار»: من الأعضاء المسماة بالبسيطة.

(٣) اسم - ظ.

فيها أفعالاً مختلفة، فبعضها يسيل وبعضها ينجمد وبعضها يبخر، فحينئذ لو أورد الشقوق في المركب الذي هو مثل اللحم والعظم قلنا: أن نختر من الشقوق المذكورة إن الأجزاء المتخالفة في قبول فعل النار من الذوبان والرسوب وغيرها متخالفة بالماهية، ولا يلزم منه بقاء صور البسائط العنصرية فيها، بل صور أخرى هي أجزاء أولية من غير انتهاء بها إلى صور العناصر البسيطة، وإنما يلزم ذلك لو قبل كل جزء من أجزائها وأجزاء أجزائها تلك الأفاعيل المختلفة، وهو غير ثابت لا بالتجربة ولا بالبرهان. وأما الحجة الأخيرة فهي أيضاً مقدوحة بوجهين:

أحدهما: إنه غير ضائرة لما اخترناه، فإن الذي ذهبنا إليه غير ذلك المذهب المستحدث الذي حكاه الشيخ، وهو أن العناصر بعدما امتزجت وتماسّت وانفعل كل منها عن صاحبه أذى الأمر بها إلى أن تنخلع صورها وتلبس صورة أخرى، والذي اخترناه هو إن حصول المواليد وحدث صورها ممّا لا يحتاج إلى أن يتحقق فيها شيء من صور العناصر، بل يجوز أن يكون مادة تكوّنها عنصراً واحداً^(١)، استحال في كيفية [الفاعلة والمنفعله] بأسباب خارجة إلى أن ينتهي إلى أن تنقلب صورته إلى صورة أخرى من صور المواليد الثلاثة.

وثانيهما: إن ما ذكره من الإشكال كما يرد على المذهب المستحدث يرد مثله على المذهب المشهور من لزوم كون المنكسرين حين انكسارهما كاسرين، أو كون المنكسر بعد انكساره كاسر الكاسر. وأن أجيب بأن الصور أو الكيفيات علة معدة لانكسار صاحبه أي لأن يزول كيفية صاحبه ويلبس كيفية أخرى، والمعدّ للشيء لا يجب أن يكون باقياً حين حصول ذلك الشيء؛ فهو بعينه ممّا يمكن لصاحب المذهب المذكور التثبت به في الجواب عن ذلك الإشكال بأن يكون كل واحدة من الصور بكيفياتها الشديدة علة معدة لزوال صورة أخرى وحدث صورة واحدة للجميع؛ على أن الجواب المذكور مصادم للتحقيق عندنا، فإن [ب - ٥] العلة المعدّة للشيء لا تغنى عن العلة المقتضية الفاعلة. والكلام عائد في فاعل تلك الكيفيات المكسورة جذعاً. وإسنادها إلى العقل الفعّال غير صحيح، لأن هذه الأفاعيل من باب الحركات والاستحالات، والمباشر القريب لها فاعل متغير الذات، والجوهر القدسي منزّه عن التغير.

(١) في «الأسفار»: الصفات.

فصل [٤]

في تتمة الاستبصار ودفع ما يمكن

إيراده على ما وقع عليه الاختيار

قال الشيخ أيضاً^(١): ثم لينظر أن هذه العناصر إذا اجتمعت فما الذي يبطل صورها الجوهرية؟ - وساق الكلام بما حاصله ما ذكرنا في الفصل السابق من ثمانية حجته إلى أن قال: - «فيكون الحاصل إن الماء والأرض لما عدمتا أبطل أحدهما صورة الآخر، وهذا محال؛ وإن كان شيء خارج أبطل صورتهما إذا اجتمعت، فأما أن يحتاج في إبطالهما وإعطاء صورة أخرى إلى أن تكونا موجودتين فقد دخلنا في هذه المعونة، فعاد الكلام من رأس؛ وإن لم يحتج فلا حاجة إلى المزاج بل البسيط يجوز أن يكون منه الكائنات بلا مزاج»، إلى آخر ما ذكره.

أقول: هذا أيضاً لا ينهض حجة علينا بل على صاحب ذلك المذهب المحكى عنه. وأما الذي ذهبنا إليه^(٢)، فما ذكره لا يوجب فيه الاستغناء في تكون الكائنات عن حصول المزاج بل عن حصول الامتزاج بين العناصر، والمزاج كيفية بسيطة متوسطة بين أوائل الملموسات وبه تصوير المادة مستعدة لفيضان الصورة الكائنة التي هي إحدى المواليد، وهي منقضة قبل حدوث الصورة الكائنة بصورة أخرى من صور المواليد، أو من صور العناصر مع معين خارجي يخرج به كيفية ذلك العنصر عن صرافة سورتها من غير أن يكون تركيب وامتزاج في المحل الواحد، وهذا ليس بمحال، والبرهان أوجه.

ثم اعلم إن الشيخ، أورد شكاً^(٣) على نفسه بأنه «إذا كان جواهر البسائط باقية في الممتزجات. وإنما تتغير كمالاتها - فتكون النار موجودة، لكنها مفترقة

(١) عنصراً واحداً - صح.

(٢) طبيعيات «الشفاء» ط مصر، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) هنا سقط. راجع «الأسفار» ج ٥، ص ٣٣٤.

قليلاً، والماء موجود، لكنه يتسخن قليلاً ثم يستفيد بالمزاج صورة زائدة على صور البسائط، وتكون تلك الصورة ليست من الصور التي لا تسري في الكل، فكانت سارية في كل جزء، فكان [ألف - ٦] الجزء المذكور من اسطقسات وهو نار مستحيلة ولم تفسد، اكتسب صورة اللحمية؛ فيكون من شأن النار في نفسها إذا عرض لها نوع من الاستحالة أن يصير لحماً، وكذلك كل واحد من البسائط، فيكون نوع من الكيف المحسوس، وحد من حدود التوسط فيه يعد الأجسام العنصرية لقبول اللحمية، ولا يمنعها عن ذلك صورها [كما] لا تمنع صورة الأرض في الجزء الممتد^(١) من أن تقبل حرارة مصعدة، فيكون حينئذٍ من شأن البسائط أن تقبل صورة هذه الأنواع، وإن لم تتركب بل [إذا] استحالت فقط، فلا تكون إلى التركيب والمزاج حاجة^(٢)، انتهى.

وهو بعينه الحجة الأخيرة من الحجج التي ذكرناها على بطلان القول بقاء صور العناصر في المواليد، وهي قوية جداً، لكن الشيخ ذكر^(٣) في دفعها أنها مشتركة الورود: «ليس اعتراضها على أحد المذهبين أولى من اعتراضها على الآخر؛ وذلك لأن اجتماع تلك الأجزاء شرط في حصول الصورة للتركيب عنده بسبب ما يقع بينها من الفعل والانفعال، وانها أولاً تعرض لها تغير في كفياتها ثم يعرض لها إن يخلع صورة ويلبس صورة أخرى، ولولا ذلك لما كان لتركيبها فائدة. فإذا تركبت فإنما يقع بينها تغير^(٤) في كفياتها بالزيادة والنقصان حتى يستقر على الأمر الذي هو المزاج وتحدث صورة أخرى تعد لها المزاج^(٥)؛ ولا يكون ما يظن أنه وارد بعد المزاج إلا لاستحالتها في كفياتها فيجب أن تلك الاستحالة إذا عرضت للمفرد منها قبل المفرد وحدة تلك الصورة، وإن كان لا يقبلها؛ لأن تلك الاستحالة تستحيل إلا بتصغير أجزائها، وتجاوزها فاعلة ومنفعلة على أوضاع مخصوصة، وإن تلك الصورة لا تحدث ولا تحل إلا المادة يستحفظها [أو] غيرها من العلل والمعاذير، فهو جواب مشترك بين الطائفتين معاً»، انتهى.

(١) في «الأسفار»: اشكالاً.

(٢) في «الأسفار»: المدخن.

(٣) طبيعيات «الشفاء» ج ٢، ص ١٣٦، ط مصر.

(٤) طبيعيات «الشفاء» ج ٢، ص ١٣٧، ط مصر.

(٥) في «الأسفار»: تركب.

أقول: هذا الكلام بطوله لم يوجب حلّ العقدة على شيء من المذهبين ولم يقدّر إلاّ تشريك المذهبين في ورود الإشكال، بل لصاحب المذهب المخترع أن يدفع إيرادَه عن [ب - ٦] نفسه بأنّ أصل الإشكال [هو] كون كل جزء من أجزاء المركب عنصراً ولحمّاً وياقوتاً مثلاً، وهذا يختصّ بما إذا بقيت صور البسائط في المركب غير منسلخة، والذي ذكره [«إنّه مشترك الوجود»] إشكال آخر غير ذلك الاشكال وله أن يدفعه عن نفسه بأن الحاجة إلى الاجتماع والتركيب إذا كانت في أول الأمر لحصول الاستحالة والتغير في الكيفيات وبعد حصول الاستحالة في الكيفية يستعدّ كل جزء لأن يزول صورتها الخاص عنها، وتحدث تلك الصورة التي هي للمواليد، والامتناع في أن قبل الجزء المنفرد وحدة تلك الصورة، لكن عقيب استحالته من كيفية شديدة السورة إلى كيفية فاترة السورة. وعلى أيّ وجه فلا إشكال على ما ذهبنا إليه لعدم الحاجة إلى تصعّر البسائط وامتزاجها لحصول المزاج المهيء لقبول المادة صورة أخرى من المواليد.

ومنهم كالمحقق الدواني وغيره أجاب عن الحجة المذكورة: «بأنّ الصورة اللحمية أو الياقوتية مثلاً سارية في جميع المركبة التي هي معروضة الكيفية المزاجية دون أجزائها البسيطة العنصرية، ولا بأس بأن يكون الشيء سارياً في بعض أجزاء الشيء دون بعض، كما لا بأس في كون الشيء سارياً في الشيء من بعض الجهات دون بعض، كالخطّ فإنّه سارٍ في السطح من حيث الطول دون العرض؛ وكالسطح فإنّه سارٍ في الجسم التعليمي من حيث الطول والعرض دون العمق»، انتهى.

أقول: ليس فيما ذكره جدوى أصلاً، فإنّ كل جزء من أجزاء المركب الذي حصل فيه المزاج بتفاعلها واستحالتها في كيفياتها معروض الكيفية المزاجية، لا إنّ بعضها معروض لها وبعضها غير معروض؛ كيف وهم مصرّحون بأنّ المزاج كيفية متشابهة؛ وإنّ الذي منه في الجزء الناري مثلاً فهو بعينه كالذي منه في الجزء المائي، ولا اختلاف بينها إلاّ بالمحلّ؛ فإذا الصور النوعية التركيبية إذا سرت في جميع ما عرضت له الكيفية المزاجية وجب أن يكون سارية في كل واحد واحد من بسائط الأجزاء، فلا مخلص عن هذا الإيراد [ألف - ٧] إلاّ بالقول بأنّ الأجزاء انسلخت عنها الصورة الأولى وتلبست بالصورة الأخرى، وكانت الأجزاء مقدارية متصلة، لا أجزاء خارجية منفصلة.

وأما الإرادة بأنه يلزم أن تكون ههنا مادة واحدة وصورة واحدة فلم يكن الجسم مركباً بل بسيطاً بهذا المعنى فلا استحالة فيه، إذ اطلاق المركب على هذه الأجسام إنما يكون إما من جهة أن مادتها كانت قبل حدوث الصورة مركبة أو باعتبار أن حدوثها من مادة سابقة وصورة لاحقة، أو باعتبار التغليب لبعض الأقسام التي أجزاؤها الأولية متخالفة، كالحیوان والنبات. وبالجملـة [أمر] الاطلاقات اللفظية مما لا تعويل عليه في تحقيق الحقائق.

فصل [٥]

في أن هذا المذهب غير مستحدث

لعل القول به كان في الأوائل، والذي يدل عليه ما نقله الشيخ في «الشفاء»، فإنه قال في الفصل السابق على الفصل المذكور: «إنه قال المعلم الأول: لكن الممتزجات ثابتة بالقوة»^(١).

وظاهر هذا الكلام، إن صورها غير موجودة بالفعل بل بالقوة، لكن الشيخ أوّله بأنه: «عنى بذلك القوة الفعلية التي هي الصورة ولم يعن أن تكون موجودة بالقوة التي تعتبر في الانفعالات التي يكون للمادة في ذاتها. فإن الرجل إنما أراد أن يدل على أمر يكون لها مع انها لا تفسد، وإنما يكون ذلك إذا بقيت لها قوتها التي هي صورتها الذاتية؛ وأما القوة بمعنى الاستعداد فإنما يكون مع الفساد والرجوع إلى المادة [أو قد تكون مع الفساد] فإنها لو فسدت أيضاً لكانت ثابتة بتلك القوة، فإن الفاسد هو بالقوة الشيء الذي كان أولاً».

[ثم] شنع على المفسرين بغير هذا في هذا الفصل المذكور. قال: «أما المعلم الأول فقال: إن قواها لا تبطل؛ وعنى بها صورها وطبائعها التي هي مبادئ هذه الكمالات الثانية التي إذا زال العائق عنها صدرت عنها الأفعال التي لها. فحسب هؤلاء أنه بمعنى القوى الاستعدادية»^(٢) انتهى.

أقول: ظاهر كلام هذا المعلم دالّ على ما فهمه المفسرون وحملوا عليه،

(١) في «الأسفار»: بعد المزاج.

(٢) طبيعيات «الشفاء» ط مصر، ج ٢، ص ١٣٧.

وليس فيما ذكره الشيخ ههنا ما يدل على بطلان تفسيرهم المذكور، فإن كون القوة التي بمعنى الاستعداد ثابتة مع فساد الصورة، والتي بمعنى الفعلية كائنة [ب - ٧] مع الصورة، بل عين الصورة لا يبطل تفسيرهم القوة بالاستعداد؛ إذ القوة الاستعدادية للشيء لا يقوم بنفسها بل بصورة أخرى غير صورة الشيء المستعد له.

وقوله: «فإن الرجل إنما أراد أن يدل على أمر يكون لها مع انها لا تفسد» غير مسلم؛ بل لعله أراد بقوله «إن الممتزجات ثابتة بالقوة»، إن هذا الجسم الكائن من الممتزجات بحدوث صورته فيه قوة وجود تلك الممتزجات؛ لأن المادة الحاملة لصورته فيها تلك الأشياء^(١) ولا يلزم من حصول القوة على الشيء حصول ذلك الشيء.

نعم فرق بين قوة [الشيء] والقوة على الشيء، فالأولى توجد معه دون الأخرى، وربما تسامح في العبارة فيطلق «قوة الشيء» ويراد به القوة عليه التي لا تجامع معه.

فصل [٦]

في إعطاء السبب اللّمي لما ذهبنا إليه

لما علمت الحجاج والبراهين ناهضة على انفساخ صور العناصر المتضادة الذات باصطلاح، ومتشادة الصفات باصطلاح آخر في الكائنات المعدنية والنباتية والحيوانية، سيما في المتشابهة الأجزاء السارية القوى؛ فاسمع لما يتلى عليك من السبب اللّمي في ذلك، وهو أنّ شيئاً من الأجسام بما هي أجسام - أي بما يحمل عليها الجسم مطلقاً بالمعنى الذي هو جنس - غير متعصّ عن قبول الحياة والعلم، كالأفلاك والكواكب. وإنما المانع له عن ذلك خسة وجوده وقبوله للتضاد والتفاسد؛ لأن صورته سارية في مادته المنقسمة؛ ومن شأن الجسم - بما هو جسم بالمعنى الذي هو مادة - الانقسام والتزاحم والتضاد، ومن شأن ما له ضد أن يفسده ضده، وكل ما له ضد مفسد لا يقبل الحياة؛ لأن الحياة كون الشيء بحيث يدرك ويتحرك بالإرادة المنبعثة عن الإدراك، والإدراك عبارة عن حضور صورة شيء عند

(١) المصدر السابق، ص ١٢٩.

من له صلاحية ذلك الحضور، والجسم بما هو مادة لا حضور له في ذاته؛ لأن حضوره يلازم غيبته، ووجوده الذي هو اتصاله يلازم قبوله الانفعال الذي هو عدمه وما وجوده من أسباب عدمه لا يكون [الف - ٨] له من الوجود إلا مرتبة ضعيفة، وما لا حضور له في نفسه لا حضور لأمر آخر عنده؛ ولهذا لا يدرك غيره كما لا يدرك ذاته؛ إذ كل ما يدرك غيره يدرك ذاته في ضمن إدراكه لغيره؛ فكل ما يدرك ذاته أو غير ذاته فله وجود آخر غير وجود الجسمية فقط، أي غير الجسم بالمعنى الذي هو مادة؛ فكل ما يقبل ضرباً من الحياة لا بد أن يكون بقدر ذلك بعيداً عن قبول الفساد والتضاد.

فإذن هذه البسائط الاسطقسية لتضاد جواهرها وتفاსدها بعيدة عن قبول آثار الحياة؛ فكلما كثرت سورة كفياتها وكمالات الخاصة وهُذمت قوة تضادها وحصلت لها قوة وكيفية كأنها متوسطة بين الأربع، ولكونها متوسطة بينها كأنها خالية عن الكل بوجه، وجامعة للكل بوجه أطف، قبلت ضرباً آخر من الوجود، ونالت بهذا الوجود الجمعي ضرباً من الحياة شبيهة بحياة الأفلاك التي هي مشتملة على ما تحتها من السوافل بوجه يليق بها.

ثم إنه كلما أمعنت المادة الجسمية في الخروج عن أطراف هذه الكيفيات الأربعة وسورتها إلى جانب التوسط الجمعي الذي بمنزلة الخلو عنها، قبلت صورة أتم كمالاً وأكثر جمية وأشرف حياة، حتى إذا وصلت إلى غاية التوسط نالت أرفع الكمال وغاية الفضيلة، وأشرف الحياة هي الحياة النطقية العقلية التي يكون لمثل الكواكب والأفلاك التي لا تضاد لها ولا تفاسد بينها لا في جواهرها ولا في حال من أحوالها المتقررة إلا بحسب أمور نسبية خارجة عن طبيعة الجسم وكمالاته الثابتة وأوصافه المتقررة. فالتضاد والتفاسد إنما يطراءن الأفلاك والكواكب في أمور خارجة عن حياتها ووجود ذاتها وصفاتها، وذلك لضرورة جسميتها المطلقة.

فإذن نقول من رأس: إن أول ما ينال المادة العنصرية من آثار الحياة صورة تترتب عليها بعض آثار الحياة، وهي حفظ تلك المادة، وههنا عن المبطل؛ فإن مجاورة بعض العناصر لبعض كالماء والنار مثلاً مما يوجب الفساد في أقل زمان، وليس كذلك مجاورة شيء منها أو غيرها للمعادن؛ فإن الصورة التي لها يحفظها عن أن يؤثر فيها غيرها بسرعة، فهذا أثر من آثار الحياة والبقاء.

ثم إذا ازدادت توسطاً بين الكيفيات، وخروجاً عن [ب - ٨] أطراف متضادات قبلت من آثار الحياة أكثر ونالت من مبدأ الآثار ضرباً أقوى، فيفيض عليها صورة نفسانية يترتب عليها مع المحافظة على أصل التخليق والتشكيل عن أن يفسد ويضمحل إيراد البدل^(١) والزيادة على الأصل للتمديد والتكميل في الخلق، وإفادة للمثل للبقاء النوعي فيما لا يمكن له البقاء الشخصي، فتكون حافظة للأجزاء، جامعة للغذاء، منمية مولدة.

وهنا سرّ آخر يؤكد ما قررنا من انفساخ صور العنصر من ما تحصل منه، وهو إن النبات لو بقيت فيه صورة معدنية أكيدة قوية التحليل فيه بتسلط الضد عليه لاستحكام صورته في حفظ تركيبه عن التحلل والتذوّب كما في الياقوت والذهب.

فعلم إن النبات ليس فيه صورة من صورة المعدنيات، إلا أنّ فيه من الصور ما يفعل فعل صورة المعادن على وجه اللطف وأشرف، وهو أن يحفظ تركيبه بإيراد البلد لا بتجميده وتكثيفه وإمساكه عن قبول فيض آخر - كالتنمية والتوليد - فإن تينك الفضيلتين لا يمكن حصولهما في مادة مصورة بصورة أكيدة القوة في حفظ التركيب، [كالمعدن] بل ينبغي أن تكون تلك القوة خادمة مطيعة لمبدأ تينك الفضيلتين في حفظ [ما] يودعه في المادة بقدر ما ينبغي له على حسب ما يناسبه في شخصه ونوعه.

وإذا كان الأمر هكذا في شأن الصورة المعدنية بالنسبة إلى الصورة النباتية، فعليه يقاس شأن الصورة العنصرية بالنسبة إلى الصورة النباتية، وشأن صورة كل سافل بالنسبة إلى الصورة العلى عليه في سقوطها عنه واستهلاكها فيه. فاحتفظ بهذا الكلام الواقع في البين كي ينفعك في كثير من المواضع وفي تحقيق مسألة التوحيد.

إذا أمعنت المادة في التوسط وتوغّلت في الخروج عن الأضداد قبلت أصل الحياة والنفس المدركة لذاتها المحركة بإرادتها الفاعلة أفعالاً شوقية على تفاوت درجات أنواعها وأصنافها في الحياة والإدراك والفعل، حتى إذا بلغت الغاية في اللطافة والصفاء نالت الشرف الأعلى والحياة الأسمى الأبقى، فيكون ذا صورة

(١) في «الأسفار»: فيها قوة سائر الأشياء.

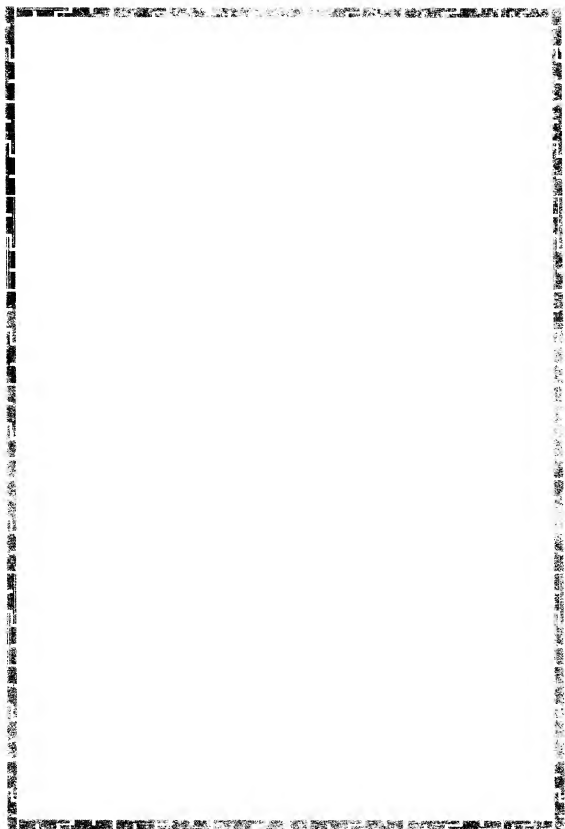
كمالية [ألف - ٩] حياتها حياة نطقية، وإدراكها إدراك تعقلي، وحركتها حركة معنوية، وأفعالها أفعال حكمية.

إذا أيقنت بهذه المقدمات علمت إن هذه الصور الوجودية المتعاقبة المرتبة يكون ترتيبها في الشرف والخسة والكمال والنقيصة بحسب براءتها عن عالم التضاد بحيث كلما هو أقوى وأشرف فهو أشد براءة عن هذه العناصر المتضادة، وأكثر حيطة لآثار ما دونها، وأعلى ارتفاعاً وأتم استغناء عن وجودها من القوى والمبادئ، وأخلص جوهرأ عن النقائص التي كانت فيما هو أسفل منها. فصورة الحيوان ونفسه غير مفتقرة في وجوده الشخصي وبقائه النوعي إلى وجود نفس أخرى أو صورة غيرها، نباتية أو معدنية؛ بل النفس الحيوانية مكتفية بذاتها عن غيرها في إفادة الحفظ والتغذية والتنمية والتوليد على وجه اللطف وأصفى ممّا فعله غيرها.

وكذا صورة النبات كما تفعل أفعال الاغتذاء والنماء والتوليد، كذلك تفعل الحفظ والإمسك من غير حاجة فيه إلى صورة أخرى من المعادن، حتى يتحفظ بها النبات عن صنوف الآفات من الحرّ الشديد والبرد المفسد للثمار وغيرها. وكذا قياس الصورة المعدنية تفعل فعل العناصر من أوائل الكيفيات اللمسية على وجه اللطف وأعدل من غير حاجة إلى تلك الصور الاسطوقسية.

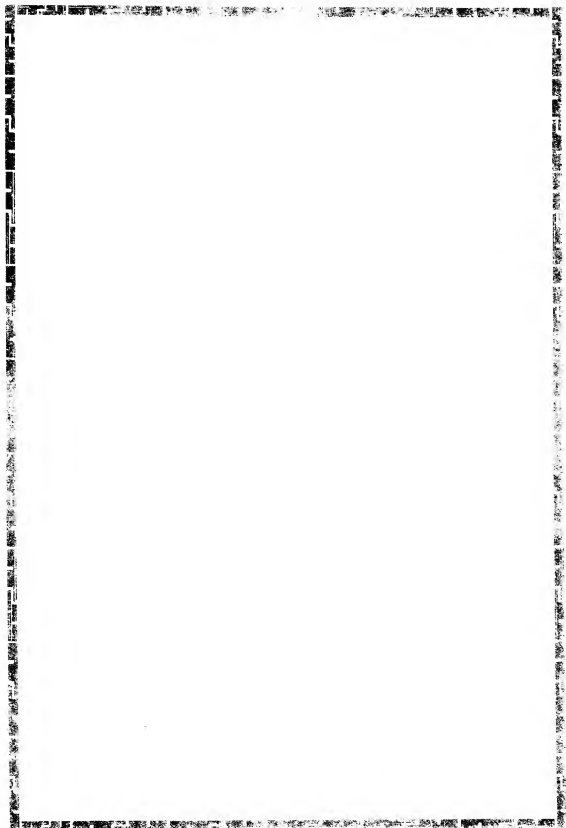
فمن هذه المقدمات يتحقق ويستوضح أن صور العناصر غير موجودة بالفعل في شيء من المواليد الثلاثة، وانها لو وجدت فيها بالفعل لمنعت ذواتها عن ورود صورة أخرى كمالية عليها.

خاتمة الرسالة [ب - ٩].



١٥

تفسير سورة التوحيد



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة وفيها فوائد:

الفائدة الأولى

في ذكر بعض أسماء هذه السورة

الأولى لا شك أن كثرة الأسماء والألقاب تدل على علو الشأن ورفعة المنزلة وزيادة الدرجة ومزيد الفضيلة. وألقاب هذه السورة وأسمائها على ما ذكره المفسرون كثيرة^(١)، ولتقتصر في هذا المختصر على ذكر بعض منها. فمنها سورة التوحيد، ومنها سورة القربة، ومنها سورة التفريد، ومنها سورة التجريد ووجه التسمية بها ظاهر، ومنها سورة الإخلاص لأن من عرف الله تعالى ووحد بهما تضمنه هذه السورة كان مخلصاً في دين الله، ومنها سورة النجاة لأنها تنجي من اعتقدها وأقرّ بها مما كتبت على الكفار في الدنيا من القتل والأسر والذلة والهوان، وما وجبت عليهم في الآخرة من عذاب السعير والنيران. ومن هذا يظهر وجه آخر لتسميتها بالاسم السابق فلا تغفل.

ومنها سورة النسبة لما يجيء في سبب النزول. وفي الحديث: لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةٌ، وَنِسْبَةُ اللَّهِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ. ومنها سورة المعرفة لاشتغالها على معرفة الله أو وجوب معرفة ما فيها. ومنها سورة الأمان لأن من عرف الله تعالى على هذا

(١) إيراداً للبدل - ظ.

الوجه أمن من عذاب الآخرة. روى عن النبي ﷺ: إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ جَنَّتِي وَأَمِنَ مِنْ عَذَابِي^(١). ومنها سورة الأساس لاشتغالها على أصول الدين وأساسه. روى عن النبي ﷺ: أَسَسْتُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعَ عَلَى قُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ^(٢)، يعنى إنما خلقت لتكون دلائل توحيده وشواهد معرفته التي اشتملت عليها هذه السورة ونطقت بها.

الفائدة الثانية

في ذكر سبب نزول هذه السورة

وفيه أقوال: فعن جابر وأبى: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت السورة.

وعن ابن عباس: إن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: إلى ما تدعوننا يا محمدا؟ فقال: إلى الله، فقال: صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب؟ فنزلت السورة، فأرسل الله الصاعقة على أربد فاحرقته، وطعن عامر في خصره فمات.

وعن الضحاك وقتادة ومقاتل: إنه جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة. فنزلت السورة وهي نسبة الله خاصة.

وروى عطاء عن ابن عباس: إنه قدم وفد نجران فقالوا لرسول الله ﷺ صف ربك أمن زبرجد أو ياقوت أو ذهب؟ فقال: إِنَّ رَبِّي لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَأَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ، فنزل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. قالوا: هو واحد وأنت واحد! فقال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، قالوا: زدنا من الصفة. فقال: اللَّهُ الصَّمَدُ. فقالوا: وما الصمد؟ فقال: الَّذِي يَصْمَدُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْحَوَائِجِ، فقالوا: زدنا. فنزل: لَمْ يَلِدْ كَمَا وَلَدْتَ مَرِيماً، وَلَمْ يُولَدْ كَمَا وَلَدَ عِيسَى، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، يريد نظيره من خلقه.

(١) راجع «التفسير الكبير» ج ٣٢، ص ١٧٥.

(٢) «بحار الأنوار» ج ٩٣، ص ١٩٢، ١٩٤.

وقيل: إن عبد الله بن سلام انطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، فقال له رسول الله ﷺ: أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ هَلْ تَجِدُنِي فِي التَّوْرَةِ رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال: انعت لنا ربك، فنزلت هذه السورة، فقرأها النبي فكانت سبب إسلامه، إلا أنه كان يكتُم ذلك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ثم ظهر إسلامه.

هذا ما ذكر المفسرون في هذا الباب^(١). والله تعالى أعلم بالصواب.

الفائدة الثالثة

في بيان مراتب التوحيد

اعلم: إن للتوحيد مراتب. أحدها: الإقرار باللسان. وثانيها: الاعتقاد بالجنان^(٢). ثالثها: تأكيد ذلك الاعتقاد بالدليل والبرهان. أما الإقرار باللسان فإن كان [ألف - ١] خالياً عن الاعتقاد بالجنان فذلك هو النفاق، فالمنافق هو الذي يقر باللسان ولا يعتقد بالجنان، ولا شك في أنه كافر مستحق للعذاب الدائم.

وأما الاعتقاد بالجنان ففيه صور:

الأولى: من نظر وعرف الله تعالى ومات قبل أن يمضي عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة، فقال بعضهم أنه لا يتم إيمانه، لأن الإيمان التام هو الاعتقاد بالجنان مع الإقرار باللسان، لا يكفي الاعتقاد فقط. والحق أن الإقرار باللسان إنما يعتبر إذا كان ممكناً، وأما إذا كان لم يمكن كما في الصورة المذكورة فلا. فحيث أدى ما كلف به من الاعتقاد لم يكن عدم الإقرار باللسان قادحاً لعدم كونه مكلفاً به.

الثانية: من عرف الله تعالى ومضى عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بالكلمة ولكن قصر فيه، ففيه أيضاً قولان: [ألف]: قال الغزالي: «يحتمل أن يقال: اللسان ترجمان القلب، فإذا حصل المقصود في القلب كان امتناعه من اللفظ بمنزلة امتناعه من الصلاة والزكاة، وكيف يكون من أهل النار وقد قال ﷺ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ

(١) «الدر المنثور» ج ٦، ص ٤١٥.

(٢) راجع: «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٥٦٤. «التفسير الكبير» ج ٣٢، ص ١٧٥. «الدر المنثور» ح ٦، ص ٤١٠. «التفسير لابن عباس» ص ٤١٥ بهامش «الدر المنثور».

كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَلْبَ هَذَا الرَّجُلِ مَمْلُوءٌ مِنَ الْإِيمَانِ». [ب]:
وقال آخرون: «الإيمان والكفر أمور شرعية، والإيمان في الشرع هو الإقرار باللسان
مع الاعتقاد بالجنان، فالممتنع من الكلمة كافر»، وهذا هو الأظهر.

وأما القسم الثالث: وهو تأكيد الاعتقاد بالدليل والبرهان، فهذا هو الإيمان
الكامل الذي لا يتطرق إليه الخلل، ولا يخاف على صاحبه الزيف والزلل.

وللتوحيد مرتبه أخرى يدعيها أهل المكاشفة والشهود، ويدعون أنها فوق هذه
المراتب، فإن كان حقاً رزقنا الله تعالى وجميع المؤمنين بالوصول إليه من أهل
اليقين.

الفائدة الرابعة

في بيان إن إثبات التوحيد هل يعقل بالنقل أم لا

اعلم: إن الدليل على ضربين:

(١): عقلي، وهو الذي يكون جميع مقدماته - قريبة كانت أو بعيدة - عقلية،
ولا يتوقف على السمع أصلاً.

(٢): ونقلي وهو الذي يكون بعض مقدماته نقلياً مستفاداً من السمع؛
ولا يتصور ما يكون مقدماته جميعاً نقلية، إذ صدق المخبر معتبر في الدليل
النقلي، ولولاه لما أفاد العلم بالمدلول، وهو لا يثبت إلا بالعقل وبالنظر في
المعجزة الدالة على صدقه، إذ لو أريد إثباته بالنقل لدار أو تسلسل.

والمطالب المطلوبة بالدليل:

[ألف]: أما ممكنة عند العقل، أي لا يحكم عليها العقل إذا خُلّي وطبعه
بنفى ولا إثبات، بل جاز كل منها في نظره كنزول المطر في الأندلس في يوم كذا؛
فهذا لا طريق إلى إثباته إلا النقل، لأنه لما كان غائباً عن الحس خارجاً عن حكم
العقل استحال العلم بوجوده إلا من قبل النقل وأخبار الصادق.

[ب]: وأما واجبة عنده، أي يحكم العقل بامتناع عدمها، وهي تنقسم (١):
إلى ما يتوقف عليه النقل، مثل وجود الصانع وكونه عالماً قادراً مختاراً، أو مثل

نبوة النبي ﷺ. فهذا لا يثبت إلا بالعقل، إذ لو أريد إثباته بالنقل لدار، لأن كل واحد منهما يتوقف حيثنّذ إلى^(١) الآخر.

(٢): والى ما [لا] يتوقف عليه النقل كمسألة الحدوث، فإن صحة النقل لا يتوقف على حدوث العالم، لأنه يمكن إثبات الصانع بدونه، بأن يستدل بإمكان العالم على وجوده، ثم نثبت كونه عالماً ومرسلاً للرسل، ثم نثبت بأخبار الرسل أن العالم محدث.

إذا عرفت هذا فنقول: مسألة التوحيد من القسم الأخير، فإن إرسال الرسل وإثبات نبوتهم ودلالة المعجزات على صدقهم في دعواهم لا يتوقف شيء منها [ب - ١] على التوحيد وعلى كون الإله واحداً لا شريك له، بل إنما يتوقف على وجود الصانع وعلمه وقدرته، فإذا ثبت بالدليل العقلي وجوده وأنه عالم قادر مرسل للرسل، جاز أن يثبت بأخبار الرسل أنه واحد لا شريك له في الإلهية ووجوب الوجود؛ فظهر أنه يجوز إثبات التوحيد بالأدلة السمعية أيضاً وهي كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية ١] ، وقوله تعالى: ﴿إِلَهُكَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: الآية ٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: الآية ٦٠] ﴿قَدْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ [الأنعام: الآية ٤٦] ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: الآية ٥١] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَفْرَكٌ لَقَدْ كَرِهَ الْغَافِلُونَ﴾ [لقمان: الآية ١٣] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ أَشْرَكَ بِرَبِّكَ لَقَدْ كَرِهَ الْغَافِلُونَ﴾ [النساء: الآية ٤٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ﴾ [الإسراء: الآية ٣٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَكَ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: الآية ١١١] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية ١٧] ، ووجه دلالة: إنه لو كان إله آخر لكان قادراً على كشف الضر وإلا لكان عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً. ومع كاشف آخر لا يصح قوله «فلا كاشف له»، فلا يكون مع الله إله آخر. وقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزهد: الآية ١٦] . ووجه الدلالة أنه تعالى حكم بأن جميع الأشياء مخلوقة له، فلو كان إله آخر لكان مخلوقاً له، والمخلوق لا يكون إلهاً. وقيل: لأنه لو كان إله آخر لكان بعض

الأشياء مخلوقاً له، لكنه تعالى حكم بأن جميعها مخلوقة له، فلا يكون إله آخر. وغير ذلك من الآيات. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحصى^(١).

الفائدة الخامسة

في كلمة التوحيد والمباحث المتعلقة بها

اعلم: إن كلمة «لا إله إلا الله» هي كلمة التوحيد، وقد أجمع المسلمون قاطبةً على ذلك، والقائل بها يحكم عليه بالإسلام إجماعاً. وقد طال التشاجر وكثرة الاختلافات في هذه الكلمة، ونحن نذكر من المسائل المتعلقة بها ما يشتمل على فائدة يعتد بها في مباحث.

المبحث الأول

في إعراب هذه الكلمة وتحقيق ألفاظها

اعلم إن كلمة «لا» هذه لنفي الجنس يدل عليه كون اسمها مفتوحاً. ومعنى نفي الجنس على ما ذكره المحققون من النحاة نفي صفة من صفاته لا الجنس نفسه؛ فإذا قلت: «لا رجل في الدار» معناه نفي الكون في الدار عن جنس الرجل، لا نفي جنس الرجل نفسه. وهي عند الأكثر يستدعى اسماً منصوباً وخبراً مرفوعاً، ويبنى على الفتح اسمها إذا كان نكرة مفردة نحو «لا رجل» و«لا إله»، وقد يحذف خبرها إذا كان من الأفعال العامة أو دلت عليه القرينة^(٢). والخبر ههنا محذوف.

و«الإله» فعال بمعنى المفعول كاللباس بمعنى الملبوس؛ مشتق من «إله» بمعنى عبد. فالمعنى لا معبود إلا الله. وكلمة «إلا» هي أداة الاستثناء ينصب ما بعدها وجوباً إلا إذا كان الكلام منفيّاً، فيجوز فيما بعدها أن يبدل مما قبلها ويعرب بأعرابه. وارتفاع لفظ «الله» ههنا بإبداله من محل اسم «لا» قبل التركيب، فإنه كان مرفوعاً للابتداء.

(١) على - ظ.

(٢) تحصى - ظ.

والله: عَلمٌ للذات الواجب الوجود، المستجمع لصفات الكمال، ولولا انه عَلمٌ مخصوص به تعالى [لا] وصفاً لما كانت هذه الكلمة مفيدة للتوحيد؛ لأن الوصف - وان خص في الاستعمال - لا يخرج من احتمال الشركة بحسب المفهوم.

المبحث الثاني

فيما يتعلق بخبر «لا»

ذهب أكثر النحاة إلى أن «لا» هذه تستدعي خبراً أما مذكوراً وأما مقدراً؛ لا لما يتوهم من انه يلزم على تقدير عدم الخبر نفى الجنس نفسه وهو غير معقول، إذ لا معنى لنفى الماهية نفسها من غير اعتبار الوجود معها، كنفى السواد نفسه لا نفى الوجود عنه. فكما أن وجوب الشيء باعتبار الوجود فكذلك رفعه أيضاً باعتبار رفع الوجود عنه؛ لأن نفى الماهية لازم البتة، إذ نفى الماهية باعتبار الوجود أو باعتبار اتصافها بصفة أخرى من الصفات [التي] تنتهي بالآخرة إلى نفى ماهية ما بنفسها، فانك [ألف - ٢] إذا نفيت ماهية السواد باعتبار اتصافها بالوجود فقد نفيت الاتصاف، وهو أيضاً ماهية من الماهيات.

فلو قلت: نفينا الاتصاف أيضاً باعتبار اتصافه بالوجود لا الاتصاف نفسه؛ نقلنا الكلام إلى هذا الاتصاف، فلا بد أن ينتهي إلى اتصاف متنفذ بنفسه لا باعتبار اتصافه بالوجود وإلا يلزم التسلسل وهو باطل؛ بل لأن الكلام بدون الخبر يخرج عن كونه كلاماً لعدم اشتماله على المسند، فإن قولك: «لا رجل» لا يتم إلا بانضمام قولك: «قائم» أو «حاضر»، أو «في الدار» إليه. وذهب طائفة إلى عدم احتياجها إلى الخبر فيحتمل أن يكون ذلك بناءً على أن معنى «لا رجل» عندهم انتفى هذا الجنس كما صرح به بعض المحققين، فيكون كلاماً تاماً غير محتاج إلى الخبر.

إذا عرفت هذا فاعلم انهم اختلفوا في تقدير الخبر في «لا إله إلا الله»؛ فذهب الأكثر إلى وجوب التقدير زعماً منهم إنه لا بد لـ «لا» هذه من الخبر كما هو المشهور، ولا يجوز أن يكون «إلا الله» خبراً لأن المستثنى لا يجوز أن يكون خبراً عن المستثنى منه، ولو جعلت «إلا» بمعنى «غير» كانت للصفة، فلا يدخل على الخبر أيضاً.

ثم اختلفوا في أن المقدر ماذا؟ فقال بعضهم: هو من الأمور العامة كالوجود، وتقدير الكلام «لا إله في الوجود إلا الله»، ويرد عليه انه لا ينفي إمكان الشركة؛ أو الإمكان، والتقدير: «لا إله ممكن إلا الله»، ويرد عليه انه لا يدل على وجوده تعالى. وذهب آخرون إلى انه من الأمور الخاصة مثل «لنا»^(١)، والتقدير: «لا إله لنا إلا الله»، ويرد عليه أن نفى الخاص لا يدل على نفى العام، وكون إلهنا واحداً لا يدل على وحدة الإله مطلقاً، ولهذا لما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُهُ﴾ [البقرة: الآية ١٦٣] قال بعده: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: الآية ١٦٣]. أو «المستحق للعبادة»، والتقدير «لا إله مستحق للعبادة إلا الله»^(٢) ويرد عليه انه لا يدل على نفى مطلق الآلهة.

وذهب قوم إلى عدم إضمار الخبر في الكلام أما بناء على أن المذكور هو الخبر؛ ويرد عليه ما ذكرنا من أن المستثنى لا يجوز أن يكون خبراً عن المستثنى منه. وأما بناء على عدم احتياج «لا» إلى الخبر؛ ويرد عليه انه يلزم خلق الكلام من الحكم، فيلزم انتفاء الاعتقاد المستلزم لانتفاء التوحيد، إلا أن يقال: مرادهم - كما ذكرنا آنفاً - انها بمعنى الفعل «انتفى»؛ لكن يلزم صحة تركيب الكلام من الحرف والاسم، ويدفع بما ذكرنا في النداء.

المبحث الثالث

فيما يتعلق بكلمة «إلا»

اعلم إن هذه الكلمة في الأصل للاستثناء، وقد يكون بمعنى «غير»، إذا لم يمكن حملها على الاستثناء فيكون للصفة. إذا عرفت هذا فاعلم أن بعض الفضلاء المتبحرين ادعى اتفاق النحاة على أن «إلا» في «لا إله إلا الله» بمعنى «غير» وانه لا يجوز حملها على الاستثناء، ثم استدلل على ذلك بقوله: «والذي يدل على صحة ما قلناه انا لو حملنا «إلا» على الاستثناء لم يكن قولنا: «لا إله إلا الله»

(١) في الكلام حذف، وتقديره: أو كان من الأفعال ودل عليه القرينة. (منه ره).

(٢) ولا يخفى أن تقدير «لنا» «والخلق» وأمثالهما مما لا يسمن ولا يغني من جوع، فإنها ظروف لا بد لها من متعلق، فيساق الكلام إليه هل هو حاصل أو موجود أو ممكن أو غير ذلك. (منه ره).

توحيداً محضاً، لأن تقدير الكلام «لا إله» مستثنى منهم «الله» فيكون هذا نفيًا لآلهة مستثنى منهم الله، ولم يكن نفيًا لآلهة لا يكون الله مستثنى منهم؛ بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون إثباتاً لذلك هو كفر. فثبت انه لو كان كلمة «إلا» محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا «لا إله إلا الله» توحيداً محضاً؛ ولما أجمعت العقلاء على انه يفيد التوحيد المحض وجب حمل «إلا» على معنى «غير» حتى يكون الكلام معناه: «لا إله غير الله»، انتهى.

أقول: ولعل هذا الفاضل إنما قاس ذلك على قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢]، ولم يعرف أن بينهما بونا بعيداً، فإن «إلا» ثمة وقعت تابعة لجمع منكور غير محصور [ب - ٢]، فلا يجوز حملها على الاستثناء، لأن من شرط صحة الاستثناء كون المستثنى معلوم الدخول في المستثنى منه، وهذا المعنى لا يتحقق في تلك الصورة بخلاف ما نحن فيه، فإن المستثنى منه ههنا لما وقع في سياق المنفى كان عاماً، فعلم دخول المستثنى فيه قطعاً. والدليل الذي ذكره من أن تقدير الكلام: «لا إله مستثنى منهم الله» فيكون نفيًا لآلهة مستثنى منهم الله مردود، بأنه لو صح هذا لزم أن لا يصح حمل «إلا» في «ما جاءني القوم إلا زيد» أيضاً على الاستثناء لأن تقدير الكلام على ما أفاده هذا الفاضل: «ما جاءني القوم مستثنى منهم زيد» فيكون نفيًا لمجيء القوم مستثنى منهم زيد، ولا يكون نفيًا لمجيء القوم غير مستثنى منهم زيد؛ بل يدل بدليل الخطاب على ثبوت. ولكن بناءً على ان المنفى في الكلام المقيد إنما يتوجه إلى القيد، واحتمال كون القيد قيداً للمنفى لا للمنفى مشترك، فلا يدل الكلام على انتفاء المجيء من كل واحدٍ واحدٍ من آحاد القوم وثبوت لزيد كما هو المراد من هذا الكلام وهذا يؤدي إلى أن لا يصح حمل «إلا» على الاستثناء في كلام منفي أصلاً. وحل ذلك أن يقال: انا إذا حكمنا بأن كلاماً في قوة كلام آخر فليس معناه أنهما متحدان في جميع الوجوه وأن كل ما يترتب على ذلك فهو يترتب على هذا، سيما الأحكام اللفظية التي يختلف باختلاف الألفاظ. مثلاً إذا قلنا: «إن زيدا أبوه قائم» في قوة «زيد قائم الأب» فليس يقتضى ذلك أن يكون هذا هو ذلك بعينه وإن كل ما يترتب على ذلك من الأحكام يترتب على هذا.

فقوله: «لأن تقدير الكلام: لا إله مستثنى منهم الله»، إلى آخره. قلنا: على تقدير التسليم لا يلزم أن يكون كل ما يقتضيه هذه العبارة يقتضيه تلك، حتى يلزم

المحذور الذي ذكره؛ فإن قولنا: «لا إله موجود» مقتضاه نفى الوجود عن هذا الجنس، ويدل على أن كل فرد فرد منه مسلوب الوجود. وقولنا: «إلا الله» يدل على استثناء هذا الفرد من ذلك الحكم الكلي. وهذا كلام مستقيم واضح الدلالة، صحيح المدلول لا غبار عليه أصلاً. وهذا كما يقال: «ما جاءني القوم إلا زيد»، فإن قولك: «ما جاءني القوم» يدل على انتفاء المجيء من كل واحد واحد من آحاد القوم، وقولك «إلا زيد» يدل على أن هذا الفرد مستثنى من هذا الحكم وأن المجيء ثابت له. وليس قوله: «لا إله مستثنى منهم الله» بعينه هو قولنا: «لا إله إلا الله» حتى يلزم أن يكونا متحدين في جميع اللوازم والمقتضيات. ولو سلم فنقول: إن المستثنى قيد النفي لا للمنفى، كما أشرنا إليه، فالمعنى: إن هذا الجنس متنفذ، ووقع انتفاء مقرر باستثناء هذا الفرد منه. فلا يلزم محذور.

وليعلم: إنه لو حملت «إلا» على معنى «غير» كما اختاره هذا الفاضل لزم عدم إثباته مقاله، لأن معنى الكلام على هذا التقدير نفى كل إله يغير الله، ولا يلزم من نفى المغاير للشيء إثبات ذلك الشيء، إلا أن يقال: إنه من قبيل: «مثلث لا يبخل وغيرك لا يوجد» يدل عليه كناية، لكن هذه الدلالة خطابية لا تعتبر فيما نحن فيه.

المبحث الرابع

في تحقيق ما هو الحق في هذه الكلمة الشريفة

والحق إن دلالة هذه الكلمة على التوحيد شرعية مستفادة من الشرع، فلو كانت قاصرة الدلالة بحسب اللغة لم يقدح فيها؛ والإيرادات التي ذكرنا إنما ترد على دلالتها بحسب اللغة؛ وأما على ما ذكرنا فدلالته تامة لا يرد عليها شيء من الأبحاث والإيرادات.

واعلم أن لفظة «الله» في قولنا: «لا إله إلا الله» يجوز نصبه على الاستثناء، لكن المختار رفعه على البدلية، فإنه حينئذ يدل على أن المقصود بالذات إثباته تعالى، ونفى غيره أولاً توطئه وتمهيد له، لكن على ما ذكره النحاة في البدل والمبدل منه، بخلاف النصب فإنه خال عن هذه الفائدة.

واعلم أيضاً: انه يجوز رفع «إله» على أن يكون «لا» المشبهة بـ «ليس»؛ لكن المختار فتحه، حتى يكون «لا» لنفي الجنس [ألف - ٣] لأن نفي الجنس أقوى من نفي الأفراد، وإن اشتركا في عموم النفي وشموله لجميع الأفراد؛ فتدبر.

الفائدة السادسة

في وجوب النظر في معرفة الله تعالى

اعلم أن النظر في معرفة الله وصفاته وأفعاله واجب بالاجماع. أما عند الأشاعرة فسمعاً؛ فلهم في هذا الباب مسلكان:

الأول: الاستدلال بظواهر الآيات والأخبار الدالة على وجوب النظر، مثل قوله تعالى: ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: الآية ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: الآية ٥٠]. وروى انه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ لَكُنْتَ لَا تَرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٠]. قال: وَلَيْلَ لِمَنْ لَأَكْهَا بَيْنَ فَكُنْهِ وَلَمْ - يَتَفَكَّرْ فِيهِمَا^(١). وغير ذلك من الآيات والأخبار.

الثاني: إن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً من المسلمين كافة، وهي لا تتم إلا بالنظر، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب.

وأما عند المعتزلة فعقلاً؛ قالوا: المعرفة دافعة للخوف الحاصل من اختلاف الناس في إثبات الصانع وصفاته ووجود معرفته، والخوف ضرر، ودفع الضرر عن النفس واجب عقلاً، فالمعرفة واجبة عقلاً؛ وهي لا تتم إلا بالنظر، فالنظر أيضاً واجب عقلاً لما عرفت أن ما لا يتم الواجب المطلق إلا به واجب.

وبالجملة فوجوب النظر في معرفة الله وصفاته وأفعاله مما أجمع عليه ودلت عليه ظواهر الآيات والأخبار، فلا يلتفت إلى من يمنع منه مستنداً بما ورد من

(١) وقد يقال: إن عدم نفي الآلهة الغير المستحقة للعبادة غير قادح. (منه ره).

النهي عن الجدل، كما روى إنه ﷺ خرج على أصحابه فرأهم يتكلمون في القدر، فغضب حتى احمرت وجنتاه وقال: **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِخَوْضِهِمْ فِي هَذَا، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَخَوْضُوا فِيهِ أَبَدًا^(١)**. لأن النظر غير الجدل^(٢). سلمنا لكن لا نسلم كون الجدل منهياً عنه مطلقاً، إذ النهي إنما ورد في الجدل الباطل المشتغل على الشبهات الفاسدة والمقدمات الكاذبة المدتسة لترويج الآراء الباطلة ودفع العقائد الحقّة، كما قال تعالى: **﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾** [غافر: الآية ٥]، وقال: **﴿وَيَوْمَ الْآثِينَ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ﴾** [الحج: الآية ٣].

أما الجدل بالحق فليس منهياً عنه قطعاً، بل هو مأمور به، لقوله تعالى: **﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: الآية ١٢٥]، وقوله تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [العنكبوت: الآية ٤٦]. وقد جادل ﷺ لابن الزبيري^(٣) كما روى انه لما نزل قوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** [الأنبياء: الآية ٩٨]، قال عبد الله بن الزبيري: قد عبّدت الملائكة والمسيح أفتراهم يعدّون؟ فقال ﷺ: ما أجهلك بلغّة قومك! أما علمت أن ما لما لا يعقل؟! لا

وجادل علي ﷺ قديراً قال: إني أملك حركاتي وسكناتي وطلاق زوجتي وعتق أمتي، فقال ﷺ: **أَتَمْلِكُهَا دُونَ اللَّهِ أَوْ مَعَ اللَّهِ؟ فَإِنْ قُلْتَ: أَمْلِكُهَا دُونَ اللَّهِ، فَقَدْ أَثْبَتَ دُونَ اللَّهِ مَالِكاً؛ وَإِنْ قُلْتَ: أَمْلِكُهَا مَعَ اللَّهِ فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ شَرِيكاً^(٤)**.

وكيف يكون النظر والبحث عن دلائل التوحيد والنبوة والمعاد منهياً عنه

(١) «مجمع البيان» ج ٢، ص ٥٥٤. «نور الثقلين» ج ١، ص ٤٢٢. ولاك اللقمة: مضغها وأدارها في فمه.

(٢) «السنن» للترمذي، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٣) لأن النظر هو التفكير في حقائق الأشياء لمعرفة ما هو الحق منها، والجدل هو البحث والمناظرة لغلبة الخصم. (منه ره).

(٤) في «مجمع البيان» ج ٧، ص ٦٤: «ولما نزلت هذه الآية أتى عبدالله بن الزبيري رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، ألسنت تزعم أن عزيزاً رجل صالح، وأن عيسى ﷺ رجل صالح، وأن مريم امرأة صالحة؟ قال: بلى، قال: فإن هؤلاء يعدّون من دون الله فهم في النار؟ وجاء أيضاً بعبارات مختلفة، راجع «الدر المشور» ج ٤، ص ٣٣٩ و«نور الثقلين» ج ٣، ص ٣٥٩.

والقرآن مملوء منه، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ بَنِيَ الْعِزَّةَ لِيَ دَمِيمٌ ۖ قُلْ بُحْبُوحَاتِ الْآلِ إِنَّهَا أَزْكَىٰ ۚ وَلَهُ يَكْفِي عِلِّيُّ ۖ﴾ [يس: الآية ٧٨، ٧٩] ، وغير ذلك من الآيات الدالة على إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة والرد على المنكرين، وهي أكثر من أن يحصى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباء للاستعانة وتتعلق بمقدر خاص أو عام، فعل أو اسم، مؤخر أو مقدم؛ وأولى الشقوق الثمانية أولها^(١)، لوجود ما يدل عليه وقلة الإضمار وإفادة الاختصاص.

والأسم من الأسماء التي بنوا أوائلها على السكون كابن واست وغير ذلك. واشتقاقه من السمو بمعنى العلو، لأن في الأسم رفعاً للمسمى عن حضيض الخفاء إلى منصة الظهور. وإدخال الهمزة [ب - ٣] عليه تعويض عن المحذوف أو التقاء من الابتداء بالساكن، وقد تحرك السين فيستغنى عن الهمزة، قال: «باسم الذي في كل سورة سيمه». وقيل: من السمة بمعنى العلامة، لأن الاسم علامة للمسمى، ويردّه تصريحه على أسماء وسقى وغيرهما. وتوسط الاسم لدفع توهم الاختصاص، ولأن الاستعانة إنما تحصل بذكر الاسم. وترك الألف المرسومة في الخط لكثرة الإستعمال، ولهذا تراها ثابتة في ﴿أَفَرَأَىٰ بِإِسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١] . وبعد تعيين المراد بالاسم لا يبقى للنزاع في كونه عيناً للمسمى أو غيره مجال.

والله: عَلمٌ للذات المقدسة، لوقوعه في موارد الاستعمال موصوفاً لا وصفاً، والاتفاق على أن قولنا: «لا إله إلا الله» يفيد التوحيد ويحكم بإسلام قائله، ولقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: الآية ٦٥] ، وليس المراد الصفة وإلا لزم الكذب فتعين العَلم، ولا قائل بعلمية غير هذا الاسم. وصحة اشتقاقه من «إله» بمعنى «عبد»، أو «إله» بمعنى «تخير» أو غير ذلك لا يعطى وصفيته^(٢). وأما الاستدلال

(١) جاء في «تحف العقول» ص ٤٤٨ عنه (ع) ما يقرب منه.

(٢) أي ما يكون التقدير خاصاً فعلياً مؤخرًا، والوجه الثلاثة نشر على ترتيب اللف. (منه ره).

على نفى العلمية بأن الذات من حيث هي بلا اعتبار أمر آخر غير معقولة للبشر، فلا يمكن أن يدل عليها بلفظ؛ فضعيف. لأن فهم المسمى بوجه يمتاز به عند ذكر الاسم كافٍ، وكذا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ٣]، لأن الاعلام قد يلاحظ معها المعاني الوصفية التي اشتهرت هي بها كحاتم؛ وبهذا الاعتبار صح تعلق الظروف بها. فهنا يلاحظ المعبود بالحق لا شهرته به، مع أن في الآية احتمالات أخرى.

واختلف في أصله، فقيل: إنه «إله» على وزن فعال، حذف «الفاء» وعوضت عنها حرف التعريف، فاختص بالمعبود بالحق. «والإله» كان في الأصل عاماً ثم غلب على المعبود بالحق ولم يطلق على [ما] قال الخليل: «أطبق جميع الخلق على أن قولنا «الله» مخصوص به تعالى، وكذلك قولنا «الإله» مخصوص به سبحانه. وأما الذين كانوا يطلقون اسم «الإله» على غير «الله» تعالى إنما يذكرونه بالإضافة، كما يقال: إله كذا، أو ينكر فيقال: إله؛ كما قال تعالى خبراً عن قوم موسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٨]. وقيل: إنه «لاه» على وزن فعل ادخل عليه الألف واللام للتفخيم والتعظيم. فالألف على الأول زائدة وعلى الثاني أصلية.

وفي اشتقاقه، فأنكره بعضهم وقال: ليس يجب في كل لفظ أن يكون مشتقاً، وإلا لتسلسل. واثبت آخرون على اختلاف منهم في المشتق منه، فقيل: من «إله» إلهة وألوهة وألوهية» بمعنى عبد، وعلى هذا يلزم أن لا يكون سبحانه إلهاً في الأزل إلا أن يرتكب التجوز. وقيل من ألّهت إلى^(١)... إذا سكنت إليه، فإن الأرواح تسكن إلى معرفته والقلوب تطمئن بذكره، كما قال سبحانه: ﴿أَلَّا يَنْصُرَ اللَّهُ قَوْمَهُ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. [و] قيل: من «الوله» بمعنى ذهاب العقل، فإن المحرومين من سعادة معرفته يتيهون في تيه الضلالة والجهالة، والواصلين إلى ساحل بحر المعرفة يتحيرون في حقيقة الأحدية والفردانية. وقيل: من ألّه الفصل إذا ولع بأمه؛ فإن العباد مولوهون بالتضرع إليه مولوعون بالسؤال من فضله وكرمه. وقيل من إله الرجل، إذا فزع من أمر نزل عليه، فإلهه أي أجازه؛ فإن العباد يفزعون من البلايا والمضار إليه، وهو سبحانه يجيرهم منها. وقيل: من لاه يلوّه،

(١) فإن صحة الاشتقاق لا تدل على الاشتقاق فضلاً عن أن تدل على الوصفية. (منه وه).

إذا احتجب؛ لأنه تعالى يحتجب عن العقول، لا تدركه الأفهام، ولا ترقى إليه طيور الأوهام.

والرحمن: إعلان من الرحمة، والرحيم فعيل منها، وهي في الأصل رقة القلب المقتضية للتفضل والإحسان، وإذا استعملت في الله تعالى كانت مجازاً عن لازمها والأثر المترتب عليها^(١). . . تعالى على العباد وتفضله عليهم. وهكذا الحال في سائر الصفات التي مبادئها انفعالات، لتنزهه تعالى عنها. والصيغتان للمبالغة، إلا أن الأول أبليغ لزيادة بنائه، وذلك أما [ألف - ٤] باعتبار الكمية أو الكيفية أو كليهما. ومن ههنا علم وجه اختصاصه به تعالى، لأن معناه البالغ في الرحمة غايتها، المنعم لجلال النعم وعظائمها. فذكر الرحيم بعده من باب تميم الكلام ودفع لتوهم اختصاصه تعالى بالجلال واستناد غيرها إلى غيره، ولمظنة أن محقرات الأمور لا يليق سؤالها^(٢) من بابه وطلبها من جانبه. روى أنه أوحى إلى موسى - على نبينا وعليه السلام -: يا موسى سَلْنِي حَتَّى مَلَحَ قَدْرُكَ وَشِرَاكَ نَعْلِكَ.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إِنْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَنُ رَحْمَانُ الدُّنْيَا، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ»^(٣).

فعلى هذا تكون أبلغيته باعتبار الكمية وزيادة عدد المرحومين فقط، فإن رحمته تعالى في الدنيا عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم؛ وأما رحمته الآخروية فإنما هي خاصة بالمؤمنين فقط.

واختلف في منع صرف «رحمان» بناء على الاختلاف الواقع في شرط تأثير هذه الصيغة في منع الصرف، فمن شرط انتفاء «فعلانة» في مؤنثه حكم بمنع الصرف لوجود الشرط، ومن شرط وجود «فعلى» جعله مصروفاً لانتفائه. والأول أظهر، لأنه الغالب في باب «فَعِلَ» مكسور العين. وقد يتمسك بهذا اللفظ في عدم استلزام المجاز للحقيقة.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الْمُعَلَّمُ لِلصَّبِيِّ: قُلْ بِسْمِ اللَّهِ

(١) الكلمة منحوتة في النسخة.

(٢) الكلمة منحوتة في النسخة.

(٣) في الأصل: سؤاله.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ الصَّبِيُّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَتَبَ اللَّهُ بَرَاءَةً لِلصَّبِيِّ وَبَرَاءَةً لَوَالِدَتِهِ وَلِلْمُعَلِّمِ^(١).

عن ابن مسعود قال: من أراد أن ينجيهِ الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهَا تَسْعَةُ عَشَرَ حَرْفًا، لِيَجْعَلَ اللَّهُ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا جُزْءًا مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ^(٢).

وروى عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال: إِنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبُ إِلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا^(٣).

قل هو الله أحد:

خطاب للنبي - صلوات الله عليه - وأمر له أن يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحق له العبادة ولا شريك له. وفي هذا الخطاب تعظيم له، ﷺ: لأن قوله: «قل» وأمره بتليغ الرسالة كان كالتنصيص على نبوته، فكلما كرر ذلك كان كالمنشور الجديد في ثبوت رسالته، وذلك يقتضى المبالغة في تعظيمه - صلوات الله عليه - كما أن الملك إذا استعمل بعض عبيده على بعض مملكته وأنفذه إليها، ثم يكتب له في كل شهر وشهرين منشوراً جديداً، دل ذلك على كمال عنايته بشأنه، وإنه يريد أن تزيده كل يوم تشريفاً وتعظيماً، وتأكيد في إيجاب تبليغ هذا الوحي دلالةً بذلك على أنه أمر عظيم يعتني بشأنه، فإنه - صلوات الله عليه - كان يبلغه وأن لم يصدر بلفظ «قل»، لكنه صدر به تأكيداً ليدل على كمال العناية بتبليغه ويعلم غاية الاهتمام.

والضمير للشأن^(٤)، وهو ضمير مبهم يتقدم قبل الجملة يفسره الجملة الواقعة بعده، ولا يكون إلا مفرداً غائباً لوجوب مطابقتها لما يعود إليه؛ ويكون في الأغلب مذكراً ويختار تأنيثه إذا اشتملت الجملة المفسرة على مؤنث غير فضلة، فيكون مرجعها القصة، وفي غيره قياس لا يوافقه الاستعمال. وإنما يؤتى بهذا الضمير إذا

(١) «مجمع البيان» ج ١، ص ٢١. «الذر المنثور» ج ١، ص ٩.

(٢) «مجمع البيان» ج ١، ص ١٨. «الذر المنثور» ج ١، ص ٩.

(٣) «مجمع البيان» ج ١، ص ١٩.

(٤) «عيون أخبار الرضا» ج ٢، ص ٥، الباب ٣٠، حديث ١١.

كان مضمون الجملة المفسرة أمراً عظيماً يعتني بشأنه ويقصد وقعه في ذهن المخاطب. فلا يقال: هو يطير الذباب. فالضمير مبتدأ والجملة خبره، والمعنى: الشأن هو أن الله أحد؛ أو لله تعالى، فـ «هو» مبتدأ وقوله «الله» خبره، و«أحد» بدل عنه أو خبر بعد خبر. وروى عن ابن عباس: «إن قريشاً قالوا: يا محمد، صف لنا ربك الذي تدعو إليه، فنزلت»^(١). وعلى هذا يكون الضمير لما سئل [ب - ٤] عنه، والمعنى: الذي سألتكم عنه هو الله.

واعلم إن كلمة «هو» من الأسماء العظيمة؛ فكما أن لفظة «الله» عَلمٌ للذات المقدسة ويدل بها عليها من غير أن يلاحظ معها صفة من الصفات، فكذلك كلمة «هو» يشار بها إلى الذات البحث من غير اعتبار صفة معها، ولذا ذهب جمع إلى أنه الاسم الأعظم، كما ذهب آخرون إلى أنه هو لفظة «الله».

ويجب أن يعلم أن في هذا الاسم أسراراً عجيبة ودقائق غريبة. منها: أنه مركب من حرفين، أحدهما الهاء، وهي تخرج من أقصى الحلق الذي هو آخر المخارج؛ والأخرى «الواو» التي تخرج من بين الشفتين وهو أول المخارج، فيكون إشارة لطيفة إلى أنه تعالى هو الأول والآخر؛ ولهذا أتى سبحانه بلفظة «هو» حين حكم بأوليته وآخرته وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: الآية ٣]، ولم يقل: الله الأول والآخر، أو غير ذلك من الأسماء والصفات.

ومنها: إن العبد إذا قال: «يا هو» فكأنه اعترف بأن ليس موجود إلا الله، لأنه لو كان في الوجود شيان لكان الضمير صالحاً لهما، ولا يتعين واحد منهما، فكأنه حكم على كل ما سوى الله بأنه عدم محض وسلب مطلق، حتى صح له أن يقول: يا هو. وروى عن علي عليه السلام أنه قال: رَأَيْتُ الْخَضِرَ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ بَذْرِ بَلِيلَةٍ فَقُلْتُ: عَلَّمَنِي شَيْئاً أَنْتَصِرُ بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، فَقَالَ: قُلْ: «يَاهُو يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ». فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَصَصْتُ^(٢) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ عَلَّمْتَ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ. فَكَانَ عَلَى لِسَانِي يَوْمَ بَذْرِ^(٣). وجلالة قدر هذا الاسم وعلو شأنه مما

(١) لأن مرجعه الشأن وهو مفرد غائب. (منه ره).

(٢) راجع «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٥٦٤. «التفسير» لابن عباس، المطبوع بهامش «الدر المنثور» ص ٤١٥.

(٣) قصصتها - صح.

لا يحيط به إلا هو، فلنكتف بهذا القدر لأنه يكفي لتذكير الداهلين وتببيه الغافلين.

والأحد صفة مشبهة من وَحَدَ يَحْدُ وَحْدًا وَحْدَةً، بمعنى انفراد. وأكثر استعماله في التنيف^(١)، أو مع الإضافة أو بعد نفى أو نهى أو استفهام أو شرط، واستعماله في غير ذلك قليل كما وقع ههنا، فاستعماله من حيث الخصوص والتعین مختص به تعالى؛ وأما في غيره فلا يستعمل إلا عمومًا من غير تعيين، وظهر معنى قوله: «إن هذا الاسم من الأسماء المختصة به تعالى»، فتدبر. والهمزة بدل من الواو على غير قياس، وإنما يبدل قياساً عند الجميع الواو المضمومة كـ «اجوه» في وجوه، والمكسورة أيضاً عند البعض كـ «أشاح» في وشاح، وأما قلب المفتوحة فشاذاً مخالف للقياس بالاتفاق، وهذا القسم من الشاذ الذي يستعمله أهل اللسان في كلامهم ومحاوراتهم، ويكون من كثرة الاستعمال بمنزلة الألفاظ القياسية جاز وقوعه في كلام البلغاء والفصحاء.

وإنما اختار لفظ «أحد» على واحد، لأن الواحد يدخل في الحساب ويضم إليه آخر مثله حتى يصير اثنين، أو آخران فيصير ثلاثة وهكذا، بخلاف «الاحد»، وأيضاً فإن «الاحد» لما استوعب الجنس - واحداً كان أو كثيراً - لم يجز أن يجعل له ثانٍ بخلاف الواحد، فإنه جاز أن يجعل له ثانٍ؛ فإذا قلت: «زيد لا يقاومه واحد» جاز أن يقاومه اثنان؛ ولو قلت: «لا يقاومه أحد» لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فهو أبلغ.

اعلم: إن الواجب - جل شأنه - يوصف بالوحدانية وبالأحادية. أما الواحد فهو الشيء الذي لا ينقسم من جهة ما قيل: «إنه واحد»، فالإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم من حيث هو إنسان، فإن الإنسان الواحد يمتنع أن ينقسم إلى انسانين، فإن القسم فإنما ينقسم إلى الأبعاد والأجزاء، فلا ينقسم من جهة ما قيل إنه واحد بل من جهة أخرى. إذا عرفت ذلك فاعرف أيضاً إن شيئاً من الموجودات لا ينفك عن الوحدة حتى العدد، فإن العشرة الواحدة من حيث إنها عشرة واحدة قد عرضت لها الوحدة، فلا ينقسم إلى عشرين، بل تنقسم إلى خمسين وإلى ستة وأربعة وغير ذلك [ألف ٥] وكذلك العشرتان. فإذا لا ينفك شيء من الموجودات

(١) «التوحيد» الباب ٤، ص ٨٩. «نور الثقلين» ج ٥، ص ٧٠٠.

عن الوحدة، ولهذا اشتبه الوحدة على بعضهم بالوجود فزعم أن وجود كل شيء نفس وحدته، لما رأى أن كل موجود واحد.

إذا عرفت هذا فاعلم إن اتصافه تعالى بالواحد إنما يكون باعتبارين: أحدهما: إن ذاته ليست مركبة من اجتماع أمور كثيرة. والثاني: إنه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود مبدءاً للممكنات.

وأما «الأحد» فمعناه أنه غير مركب من الأجزاء ولا ينقسم إليها، سواء كانت حقيقية كالمادة والصورة، أو غير حقيقية كالأجزاء المقدارية التحليلية، فإن جزئيتها ليست حقيقية بل يعتبرها العقل بمعونة الوهم، وإلا فالمقدار أمر وحداني لا جزء فيه بالفعل. وقيل: المعنى أنه أحد لا كثرة في ذاته ولا نظير له في صفاته. وقيل: معناه واحد «ليس كمثله شيء»^(١). وقيل: واحد في أفعاله، لأن أفعاله كلها تفضل وإحسان لا يفعل جليلاً لمنفعة ولا دفعاً لمضرة، بل هو منزّه عن هذا، غني عن ذلك، فهو من هذا الوجه واحد متفرد به، لا يشركه فيه سواه.

[أدلة نفي التركيب عن الواجب تعالى]

أما الدليل على نفي تركبه تعالى من الأجزاء،

[ألف]: فمنه ما ذكره المعلم الثاني في «الفصوص» بقوله: «وجوب الوجود لا ينقسم بأجزاء القوام مقدارياً كان أو معنوياً، وإلا لكان كل جزء من أجزائه أما واجب الوجود فيتكثر واجب الوجود، وأما غير واجب الوجود وهي أقدم بالذات من الجملة، فيكون الجملة أبعد من الوجود»^(٢).

أقول: معناه إن الواجب لو كان مركباً من الأجزاء، (١): فلما أن يكون كل جزء من أجزائه واجب الوجود، (٢): أو يكون كل منها ممكنأ، (٣): أو يكون بعض منها واجباً وبعضها ممكنأ. فعلى الأول يلزم تعدد الواجب، وهو باطل ببراهين التوحيد. وعلى الثاني يلزم خلاف الفرض من وجهين، لأنه يلزم أن يكون ما فرضته واجباً أعني الكل غير واجب، لأن الأجزاء أقدم بالذات منه، أو الجزء

(١) كذا. والنيف: الزيادة.

(٢) اقتباس من الشورى: ١١.

يتقدم بالذات على الكل؛ والواجب يجب أن يكون أقدم الأشياء وأقربها من الوجود ولا يكون شيء أقرب وأقدم منه، وما فرضته غير واجب اعنى الجزء يلزم أن يكون واجباً إذ هو أقرب إلى الوجود من الكل. وأما الشق الثالث فإنه يستلزم المحذورين معاً فبطلانه أظهر.

واعترض عليه المحقق الدواني بأن الأجزاء التحليلية للشيء ليس لها تقدم على الشيء، لأن ذلك الشيء بسيط لا يسبقه وجود تلك الأجزاء، فتلك الأجزاء أجزاء وهمية له؛ فلا يلزم تقدمها عليه بحسب الوجود الخارجي.

أقول: هذا البحث مما لا مدفع له، والجواب الذي ذكره صدر المدققين^(١) وغيره من الأجوبة التي ذكرها غيره ليس بشيء، إلا أن يقال: هذا دليل على نفي التركب من الأجزاء الحقيقية المعنوية وإن كان المدعى أعم من ذلك حيث قال: مقدارياً كان أو معنوياً، لكن ترك الأول لظهور بطلانه، إذ الأجزاء المقدارية إنما يكون للمتصل الواحد وهو لا يكون إلا جسماً أو جسمانياً، وحينئذ يتم الدليل ويندفع عنه البحث المذكور.

وأما ما ذكره المحقق في جواب بحثه بقوله: «ويمكن الاستدلال على هذا المطلب بأنه لما كان الواجب لذاته هو الوجود المتأكد، فجزؤه التحليلي أما وجود متأكد أوامر آخر؛ وعلى الأول يلزم كونه واجباً لذاته بناءً على ما سبق، وعلى الثاني يكون ذلك الجزء ممكناً لذاته؛ لأن ماعدا الوجود المتأكد لا يكون واجباً، وقد تقرر عندهم أن الجزء التحليلي لا يخالف الكل في الحقيقة.

قال بهمنيار في «التحصيل»: «اعلم إن الماء والخمر مثلاً لا يصلح أن يكون بينهما وحدة بالاتصال حقيقة، [بل الأولى أن تكون وحدة بالتماس] فإن الموضوع للمتصل بالحقيقة جسم بسيط متفق بالطبع»^(٢) انتهى [ب - ٥]. والحكماء ردوا مذهب ديمقراطيس بأن الأجزاء الفرضية لتلك الأجسام يشارك الكل في الحقيقة، ويشاركه باقي الأجزاء فيها؛ فيصح عليها من الافتراق والاتصال ما يصح على غيرها.

(١) «فصوص الحكم» ص ٥٠.

(٢) هو صدر الدين محمد الدشتكي الشيرازي (ره).

إذا تمهّد هذا فنقول: ما يتصور أن يكون له جزء تحليلي يلزم أن يكون له جزء خارجي؛ فيكون الواجب لذاته مفتقراً إلى الجزء الخارجي، هذا خلف. بيان الملازمة: إن ذلك الجزء إن كان وجوداً متأكداً كان واجباً لذاته، فيكون موجوداً بالفعل لا جزءاً تحليلياً، مع انه يلزم تعدد الواجب. وإن كان غير الوجود المتأكد يكون ممكناً لذاته، فيتغاير الكل بالحقيقة فيكون جزءاً خارجياً أيضاً لا تحليلياً، مع انه يلزم تركيب الواجب من الممكن. وهذا هو تحقيق ما قاله المعلم الثاني انتهى.

فهو أيضاً لا يدفعه لأن البحث هو أن الجزء التحليلي لا يكون أقدم من الجملة، والمعلم الثاني أدعى أن الواجب لو انقسم إلى الأجزاء لزم أحد المحذورين، أما تعدد الواجب، وأما أقدمية الجزء. فالبحث باق بحاله. وما ذكره المحقق استدلال آخر على بطلان التركيب مع أن فيه شيئاً وهو أن قوله: «وقد تقرر عندهم أن الجزء التحليلي» إلى آخره، يشعر بأن هذه المقدمة من المسلمات عندهم، ولا دليل عليه وإلا لذكره، فحينئذ لا يكون الاستدلال برهانياً.

[ب]: ومنه ما يقال: إن الواجب لو كان مركباً من حزين فلا يخلو (١): أما ان يكونا واجبين (٢): أو ممكنين، (٣): أو أحدهما واجباً والآخر ممكناً، والأقسام كلها باطلة، فيلزم بطلان التركيب. أما الأول، فلأنه يلزم تعدد الواجب، وهو باطل بدلائل التوحيد. وأما الثاني، فلأن الممكن إنما يكون من سبب وعلة، فعلة كل منهما أما نفسه أو الجملة أو الجزء الآخر أو أمر خارج، والكل باطل. أما بطلان الأولين فظاهر، لأن العلة يجب أن تكون متقدمة على المعلول، والشيء لا يتقدم على نفسه وكذا الجملة لا يتقدم على الأجزاء بل الأمر بالعكس. وأما بطلان الثالث، فلأن أحد الجزئين إذا كان علة للجزء الآخر فعلة الجزء الأول أما نفسه أو الجزء الآخر أو الجملة أو أمر خارج. والأول والثالث باطلان لما ذكر؛ والثاني أيضاً باطل لبطلان الدور. وأما الرابع فلأنه يلزم أن يكون الواجب في وجوده محتاجاً إلى الغير. وأما الشق الثالث: وهو أن يكون أحد الجزئين واجباً والآخر ممكناً، فيعلم بطلانه من بطلان الأولين.

[ج]: ومنه ما يقال: إنه لو تركيب الواجب من الأجزاء لكان محتاجاً إليها، ضرورة ان الكل يحتاج إلى أجزائه، والجزء غير الكل، فيكون محتاجاً إل الغير، فيكون ممكناً. هذا خلف.

[أدلة توحيد واجب تعالى ونفى الشريك عنه]

وأما دلائل التوحيد وبراهين نفى الشريك عنه تعالى فأكثر من أن تحصى، ولكن على مشارب مختلفة ومسالك متفاوتة، ولنذكر منها ما هو الأشهر وإلى الصحة أقرب:

[ألف]: فمنها: إنه لو تعدد الواجب فالتعين الذي به يمتاز أحدهما عن الآخر أما نفس الماهية الواجبة أو أمر آخر معلل بها، أو بلوازمها أو بشيء آخر. فعلى التقادير الثلاثة الأول لا تعدد، وعلى التقدير الأخير يلزم احتياج الواجب في تعيينه إلى أمر منفصل، والاحتياج في التعيين يقتضى الاحتياج في الوجود، لأن الشيء ما لم يتعين لم يوجد، فلا وجود بالذات.

أقول: هذا الدليل إنما يتم بعينية الوجود والوجوب الذي هو تأكد الوجود وإلا فيتوجه عليه إن المراد بالماهية الواجبة أن كان نفس المفهوم، ورد المنع على قوله، وعلى التقدير الأخير يلزم الاحتياج، لأن التعيين إذا كان معللاً بأمر منفصل عن مفهوم الواجب لم يلزم الاحتياج، لجواز أن يكون الأمر المنفصل هو ذات الواجب ويكون تعين كل منهما معللاً بذاته الواجبة، وإن كان المراد ما صدر عليه هذا المفهوم ورد المنع على قوله، وعلى [ال] تقادير الثلاثة^(١) لا تعدد، لأنه يجوز أن يوجد واجبان تعين كل منهما نفس ذاته بلا محذور. [ألف - ٦].

أما إذا قلنا بعينية الوجود والوجوب ووحدتهما فيندفع الإيراد المذكور؛ لأننا نقول: مراد المستدل بالماهية الواجبة، الوجود الوحداني الذي هو عين حقيقة الواجب، فالتعين الذي به الامتياز إن كان نفس هذا أو معللاً به أو بلوازمه فلا تعدد؛ وإن كان بأمر منفصل فلا وجوب بالذات. فتم الاستدلال وسقط الإيراد.

[ب]: ومنها: أنه لو تعدد الواجب لكان كل^(٢) منها تعين بالضرورة، فبين التعيين والوجوب أما أن يكون لزوم أو لا؛ فإن لم يكن بينهما لزوم لزم جواز الوجوب بدون التعيين - وهو محال؛ لأن الشيء ما لم يتعين لم يوجد - وجواز

(١) «التحصيل» ص ٣٦٥.

(٢) كذا.

التعين بدون الوجوب، فيلزم أن يكون الواجب ممكناً حيث تعين بلا وجوب وإن كان بين التعين والوجوب لزوم، فإن كان الوجوب بالتعين لزم تقدم الوجوب على نفسه ضرورة تقدم العلة على المعلول بالوجود والوجوب؛ وإن كان التعين بالوجوب أو كلاهما بالذات لزم خلاف المفروض وهو تعدد الواجب لأن التعين المعلول لازم، فلا يوجد الواجب بدونه. وإن كان التعين هو الوجوب لأمر منفصل لم يكن الواجب واجباً بالذات لاستحالة احتياجه في الوجوب والتعين بل في أحدهما إلى أمر منفصل.

أقول: وهذا الدليل أيضاً اتمامه موقوف على عينية الوجود والوجوب، وإلا فيرد على قوله: «فإن كان الوجوب بالتعين لزم تقدم الوجوب عن نفسه ضرورة تقدم العلة على المعلول بالوجود والوجوب» أن تقدم العلة على المعلول بالوجود والوجوب إنما يلزم إذا كان المعلول موجوداً خارجياً، والمعلول هنا ليس كذلك؛ لأن الوجوب من الأمور الاعتبارية. سلمنا لكن الموقوف يغير الموقوف عليه، فإن أحدهما وجوب الذات والآخر وجوب الوجود. وأما على القول بالعينية فاندفاع الإيراد الأول ظاهر، لأن المراد بوجوب الوجود هو الوجود الحقيقي المتأكد الذي هو عين الواجب - جل شأنه - ولا شبهة في تحققه في الخارج. وكذا الإيراد الثاني، لأن وجوب الذات ليس إلا وجوب وجود الذات إذ بدون الوجود الحقيقي تحقق الانعدام، فلزوم تقدم وجوب الوجود على نفسه -، على تقدير كون التعين علة لوجوب الوجود، على ما أدعاه المستدل - بين، فتم الاستدلال وسقط الإيرادان معاً.

واعترض على هذا الدليل بأن المراد بالتعين في قوله: «فبين التعين والوجوب أما أن يكون لزوم أو لا»، إما الواحد المعين من التعينين فتختار أن لا لزوم بينه وبين الوجوب. قوله: «لزم جواز تحقق الوجوب بدون التعين»، قلنا: إنما يلزم ذلك لو لم يكن هناك تعين آخر. وإن أراد أحد التعينين لا على التعيين فتختار اللزوم. قوله: «وإن كان التعين بالوجوب لزم خلاف المفروض وهو تعدد الواجب، لأن التعين المعلول لازم، فلا يوجد الواجب بدونه». قلنا: لزوم أحد التعينين لا على التعين لا ينافي التعدد.

والجواب: إن المراد بالتعين الواحد، المعين من التعينين، فإذا لم يتحقق بينه وبين وجوب الوجود لزوم، لزم جواز انفكاك كل منهما عن الآخر [و] لجواز انفكاك

التعين عن الوجوب، وهو باطل لما مرّ، وذلك يكفي في اتمامه الدليل ولا حاجة في تميمه إلى إثبات محالية جواز الواجب بدون التعين، كما فعله المستدل واستدل عليه بقوله: «لأن الشيء ما لم يتعين لم يوجد». فغاية ما يرد على الدليل المذكور إنه لا حاجة إلى هذه المقدمة وكان الاستدلال بدونها تاماً، فالاعتراض إنما يرد على التقرير المذكور لا على أصل الدليل.

[ج]: ومنها: ما ذكره الشيخ الرئيس في «الشفاء»^(١) وهو: «إن كون الواحد واجب الوجود وكونه هو أما أن يكون واحداً، فيكون كل ما هو واجب الوجود فهو هذا الواحد بعينه [ب - ٦] ولا يكون غيره واجباً، وإن كان كونه واجب الوجود غير كونه هو بعينه، فمقارنة واجب الوجود لما هو بعينه أما أن يكون لذاته أو لعلّة وسبب غيره. فإن كان لذاته - أي لأنه واجب الوجود - فيكون كل ما هو واجب الوجود هذا المعنى بعينه، فلا يكون غيره واجب الوجود. وإن كان بسبب وموجب غير الذات من حيث هو واجب الوجود، فيكون واجب الوجود هذا بعينه بسبب فيكون ممكناً معلولاً، وقد فرضناه فرد الواجب الوجود بالذات»^(٢).

[د]: ومنها: ما ذكره المعلم الثاني في «الفصوص» بقوله: «كل ماهية مقولة على كثيرين فليس قولها على كثيرين لماهياتها وإلا لما كانت ماهياتها بمفرد، فذلك عن غيرها، فوجودها معلول». ثم قال في فص آخر بعده بفصوص: «وجوب الوجود لا ينقسم بالحمل على كثيرين مختلفين بالعدد وإلا لكان معلولاً»^(٣) انتهى.

أقول: تحقيق ذلك وتوضيحه: إن كل ماهية يقال على كثيرين فكونها مقولة على كثيرين ليس لماهيتها أي لم تكن ماهيتها علة لأن يقال على كثيرين، لأنه لو اقتضت الماهية ذلك لامتنع حملها على الواحد وإلا يلزم تخلف مقتضى الذات

(١) لكل - ط.

(٢) الهيات «الشفاء» ط مصر، ص ٤٦ مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) أقول: في هذا الدليل بحث، لأن حاصله أنّ وجوب الوجود إن كان عين الذات أو نفس الهوية فلا تعدد، وإن كان غيره فمقارنته لهذه الهوية إما أن تقتضيها نفس وجوب الوجود فلا تعدد أيضاً، أو أمر خارج فلا وجوب بالذات. فيرد عليه أنّ هنا احتمالاً آخر وهو أن تكون علة المقارنة هو الذات أي يكون الذات علة لوجوب الوجود، ويكون وجوب الوجود أمراً عرضياً. (منه ره). قال المصنّح: الظاهر أن هذا الرد من المتن كما مرّ نظيره آنفاً، ولكن أوردناه في الهامش اتباعاً للمخطوط وحفظاً للأمانة.

عنها. فإذا امتنع حملها على الواحد امتنع حملها على كثيرين، لأن الكثير لا يتحقق إلا بعد تحقق الواحد. فوجوب الوجود لو كان محمولاً على كثيرين لكان حملاً على كثيرين بسبب غيره، وكل ما هو معلل بغيره كان ممكناً معلولاً.

[هـ]: ومنها: أن يقال: إن الوجود الحقيقي أما أن يمتنع تعدده أو لا. فعلى الأول يلزم المطلوب، وعلى الثاني يلزم الترجيح بلا مرجح، لأن نسبة جميع الأعداد إليه واحدة، فترجيح الاثنين أو عدد آخر على باقي الأعداد ترجيح بلا مرجح وهو محال، فتعين الأول وهو المطلوب.

أقول: توضيح هذا الدليل: إن الحقائق أما مادية يكون لها إمكان استعدادي، أو مجردة ليس لها ذلك الإمكان؛ والحقائق المجردة يجب أن يكون كل نوع منها منحصراً في الفرد، لأن مراتب الأعداد فوق الواحد متساوية بالنسبة إليه، فثبوت بعض من تلك المراتب دون بعض آخر ترجيح بلا مرجح. وأما الحقائق المادية التي لها إمكان استعدادي فيجوز أن يثبت لها بعض من تلك المراتب دون بعض بواسطة الإمكان استعدادي، فلا يلزم ترجيح بلا مرجح. ووجوب الوجود من الحقائق التي ليس لها إمكان استعدادي، فمن ثبوت بعض مراتب الأعداد له دون بعض يلزم الترجيح بلا مرجح.

[تذييل عرشي في أدلة التوحيد]

واعلم أن للقوم في توحيد الواجب - جل شأنه - مسلكين: أحدهما إثبات توحيد إله العالم، والثاني إثبات توحيد الإله من دون التقييد بالعالم. وقد سلك المعلم الأول ذينك المسلكين. أما المسلك الثاني فقد عرفته، وأما المسلك الأول فهو أن يستدل بوحدة العالم على وحدة إله العالم، فلا بد لنا أولاً من إثبات وحدة العالم حتى نستدل بها على وحدة إله العالم.

[إثبات وحدة إله]

فنقول: إن الأشياء الواقعة قسماً: أحدهما ما يكون بسيطاً لا جزء له في الخارج. وثانيهما ما لا يكون كذلك بل له جزء خارجي. وهذا القسم ينقسم إلى قسمين: أحدهما ما لا يكون في ما بين أجزائه افتقار وارتباط أصلاً. وثانيهما ما يكون فيما بين أجزائه افتقار، أما في الوجود، أو في صفة من الصفات غير

الوجود، أو في الآثار والأفعال؛ وعلى جميع التقادير تكون الأجزاء يرتبط بعضها ببعض وينتفع بعضها من بعض بحيث لا ينتظم حال بعض بدون آخر، كما في أعضاء حيوان واحد كالإنسان مثلاً، فإنه من علم التشريح عرف أنه لا ينتظم حال بعض أعضاء الإنسان الواحد بدون بعض آخر منها، ولهذا يتألم بعض الأعضاء بتألم بعض آخر ويلتذ بالتذاده.

إذا عرفت هذا فاعلم أن من لاحظ العالم من أول الجزء إلى آخره يجد أن فيما بين أجزائه افتقاراً بحيث يكون جميع الأجزاء في سلسلة واحدة؛ ولهذا قال بعضهم: أن [الف - ٧] مجموع العالم بمنزلة حيوان واحد، وأجزاؤه بمنزلة أعضاء حيوان واحد.

وأما الاستدلال بوحدة العالم على وحدة إله العالم فهو أن أجزاء العالم لما كان بعضها مرتبطاً ببعض بحيث يكون جميع الأجزاء في سلسلة متسقة النظام كثيرة الفوائد والمصالح بحيث يتحير العقول والإفهام ويعجز عن بيان أدنى الفوائد لسان الأقلام، علم بالحدس أن فاعلها وصانعها لا يكون إلا واحداً ولو لم يكن صانعها واحداً لما كان العالم واقعاً على هذا النظام بل كان فيه خلل وفساد، وعلى ذلك حمل بعضهم قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢]. لكن الأكثر حملوها على دليل التمانع. وتقريره.

أنا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد أن يكون كل منهما قادراً على كل المقدورات وإلا لكان عاجزاً عن بعضها؛ والعجز نقص يجب أن يكون الإله منزهاً عنه، فإذا كان كل واحد قادراً على جميع المقدورات كان كل واحد قادراً على تحريك زيد وتسكينه، فإذا فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه، فإذا وقع المرادان، وهو محال، لاستحالة اجتماع الضدين، أو لا يقع واحد منهما، وهو أيضاً محال، لأن المانع من وجود مراد كل منهما مراد الآخر، فامتناع مراد هذا إنما هو عند وجود مراد ذلك وبالعكس، فامتناعهما يستلزم وجودهما، وذلك محال. وأيضاً يلزم عجزهما. وأيضاً يلزم ارتفاع النقيضين. أو يقع مراد أحدهما دون الآخر، وذلك محال لوجهين: أحدهما: إنه لو كان كل منهما قادراً على ما لا نهاية له، امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر، بل لا بد أن يستويا في القدرة. والثاني: إنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر، فالذي لم يقع مراده يكون عاجزاً، والعجز نقص هو على الله محال.

واعترض عليه بأن الفساد إنما يلزم عند اختلافهما في الإرادة، ووقوع الاختلاف غير لازم من الدليل المذكور، وإنما اللازم إمكان الاختلاف. فإذا كان الفساد مبنياً على الاختلاف والاختلاف ممكن كان الفساد أيضاً ممكناً، لأن المبنى على الممكن ممكن، والإمكان لا يستلزم الوقوع.

وقرره بعضهم بوجه آخر مندفع عنه الاعتراض المذكور، وهو: أنا لو فرضنا إلهين لكان كل منهما قادراً على كل المقدورات، فيُفَضَّى إلى وقوع كل مقدور بين قادرين مستقلين من وجه واحد، لأن استناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لإمكانه، فإذا كان كل منهما مستقلاً بالإيجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل استناده إلى ذلك، لكنه حاصل معهما جميعاً، فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه إليهما معاً، وذلك محال. فالقول بوجود إلهين يفضى إلى امتناع وقوع الممكنات، فيلزم وقوع الفساد. فثبت إن القول بوجود إلهين يوجب وقوع الفساد قطعاً.

وقد تقرر بوجه آخر وهو: أنه لو قدرنا إلهين، فإما أن يتفقا أو يختلفا. فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما، فيلزم وقوعه بهما، وهو محال. وإن اختلفا فإما أن يقع المرادان، أو أحدهما، أو لا يقع واحد منهما؛ والكل محال، فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات.

ومن الناس من قدح في دليل التمانع، ففسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والأرض آلهة تقول بالهيتها عبدة الأوثان يلزم فساد العالم، لأنها جمادات لا يقدر على تدبير العالم، فيلزم فساد العالم، ذلك لأنه تعالى حكى عنهم أولاً قوله: ﴿إِمْ آفَعَدُوا إِلَهَهُ مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٢١]. ثم بين فساد ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢]. فوجب أن يخص الدليل.

[الفخر الرازي وأدلة التوحيد]

وذكر الإمام الرازي في تفسيره^(١) أدلة ضعيفة نذكر بعضاً منها مع ما يرد

(١) «فصوص الحكم» ص ٥١ - ٥٢.

عليها، ويعلم منه حال الباقي.

(١) منها؛ انه لو فرضنا إلهين [ب - ٧] لكان لا بد وأن يكونا بحيث يتمكن العبد من التمييز بينهما، لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل إلا بالتباين في المكان أو في الزمان أو في الوجوب والإمكان؛ وكل ذلك على الله محال؛ فيمتنع حصول الامتياز.

أقول: هذا الدليل فاسد لفساد مقدمتيه كليهما. أما الأولى فلأن لزوم تمكن العبد من التمييز على تقدير تعدد الإله ممنوع لا بد له من دليل. وأما الثانية فلأن حصر وجوه الامتياز فيما ذكره ممنوع، لجواز أن يحصل الامتياز بالآثار والأفعال، كأن يكون أحدهما خالقاً للعلويات والآخر للسفليات، أو يكون أحدهما موجوداً والآخر مفقوداً إلى غير ذلك.

(٢) ومنها: انه لو قدرنا إلهين فإما أن يكون أحدهما كافياً في تدبير العالم أو لا يكون. فإن كان كافياً كان الثاني ضائعاً غير محتاج إليه، وذلك ناقص والناقص لا يكون إلهاً. وإن لم يكن كافياً كان ناقصاً، فلا يكون إلهاً.

أقول: وهذا الدليل أيضاً فاسد، لأننا نختار الشق الأول ونقول: كل منهما كافٍ في إيجاد العالم وتدبيره. قوله: «كان الثاني ضائعاً» قلنا: لعل هذا المستدل زعم أن وجوده تعالى إنما هو لإيجاد العالم حتى انه لو لم يشتغل بتدبيره لكان وجوده ضائعاً عبثاً، تعالى الله عن ذلك.

(٣): ومنها: أحد الإلهين أما أن يقدر على أن يستر شيئاً من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر، فإن قدر لزوم كون المستور عنه جاهلاً، وإن لم يقدر لزوم كونه عاجزاً.

أقول: وهذا أيضاً فاسد؛ لأن البرهان لما قام على كون الإله عالماً بجميع الأشياء فكون الشيء مستوراً عنه ممتنع، والممتنع لا يكون مقدوراً، والعجز إنما يلزم على تقدير عدم القدرة على مقدور لا على ممتنع.

(٤) ومنها: انه لو فرضنا معدوماً ممكن الوجود، ثم قدرنا إلهين، فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل منهما عاجزاً. وإن قدر أحدهما دون الآخر فهذا الآخر لا يكون إلهاً لعجزه. وإن قدرا جميعاً فإما أن يوجد بالتعاون فيكون

كل واحدٍ منهما محتاجاً إلى إعانة الآخر، فيكون عاجزاً. وإن قدر كل منهما على إيجاده بالاستقلال فإن أوجده أحدهما فيما أن يبقى الآخر قادراً عليه وهو محال، لأن إيجاد الوجود محال؛ وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول قد أزال قدرة الثاني، فيكون مقهوراً، فلا يكون إلهاً.

أقول: وهذا أيضاً فاسد، لأننا نختار الشق الأخير. قوله: «فحينئذ يكون الأول قد أزال قدرة الثاني». قلنا: لعله اشتبه عليه إزالة المقدورية بإزالة القادرية، فإن الأول إنما أزال مقدورية الممكن المفروض بإيجاده لا إنه أزال قادرية الثاني، فإن إيجاد الموجود لما كان متمتعاً لم يدخل تحت المقدور، فعدم القدرة عليه ليس لعجز كما عرفت آنفاً. ولنكتف بهذا القدر من الدليل، واللّه هو الهادي إلى سواء السبيل.

الله الصمد:

هو من صمد إليه إذا قصده. يعني هو الذي يقصد إليه في الحوائج. ويدل عليه ما رواه ابن عباس من انه لما نزلت هذه الآية قالوا: ما الصمد؟ قال ﷺ: هو السيد الذي يُصمَدُ إِلَيْهِ في الحوائج^(١). وقيل: الصمد هو الذي لا جوف له. وقيل: هو الحجر الذي لا يقبل الغبار، ولا يداخله شيء، ولا يخرج منه شيء. فعلى الأول حقيقة، وعلى الآخرين مجاز.

واستدلال المشبهة به على جسميته تعالى فاسد، لأن الاستدلال بالألفاظ المشتركة إنما يصح إذا تم الاستدلال مع حملها على كل واحدٍ من المعاني، أو كانت قرينة تدل على أن المراد هو المعنى الذي باعتباره يصح الاستدلال، وأما بدونها فلا، سيما إذا دلت القرينة على خلاف ذلك كما في الآية، فإن ما قبلها كما عرفت يدل على أنه تعالى غير متحيز ولا منقسم، فلو كان جسماً لكان منقسماً ومتجزئاً.

وأيضاً إذا قام البرهان العقلي على امتناع اتصافه تعالى بصفة ودلت ظواهر النقل على خلاف ذلك، وجب ارتكاب التجوز وعمله على خلاف الظاهر، لشيوع

(١) «التفسير الكبير» ج ٢٢، ص ١٥٠.

ذلك في كلام البلغاء، بل الكلام غير المشتمل على المجازات والكنائيات وأنواع الاستعارات [ألف - ٨] والتشبيهات بمعزل عن الاعتبار، ملحق بكلام العوام الذين هم كالأنعام.

وإنما كرر المسند إليه لأن المقصود الأصلي والغرض المهم من هذه السورة بيان التوحيد وإثبات وحدانيته تعالى، كما يظهر من تسميتها؛ وهو إنما يتم بأمرين: أحدهما إثبات أحديته وأنه غير مركب من الأجزاء والأبعاد. وثانيهما: بيان واحديته وأنه غير مشارك في الإلهية ووجوب الوجود. فالغرض الأصلي من هذه السورة ينحصر فيهما، وأما نفى الولد وغيره مما هو مذكور فيها فليس مقصوداً بالذات بل هو كالمترفع عليهما واللازم منهما. إذا عرفت ذلك فاعرف أيضاً أن الآية الأولى لبيان المطلب الأول، والثانية لإثبات الثاني. أما دلالة الآية الأولى على المطلب الأول فظاهرة، وأما دلالة الثانية على التوحيد ونفى الشريك فلأنه تعالى وصف نفسه بالصمدية على سبيل القصر حيث أتى بالمسند معرفاً، وقد تقرر في علم المعاني أن تعريف المسند قد يكون لقصره على المسند إليه، حقيقة كان، كما في «زيد الأمير» إذا لم يكن أمير سواه، أو ادعائياً، كقولك: «زيد الشجاع» إذا لم يعتد بشجاعة غير زيد وجعلتها كأن لم تكن. وقد عرفت أن معنى الصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج، فيلزم أن لا يكون في الوجود إله آخر، إذ لو كان في الوجود إله آخر لكان الخلق يصمدون إليه أيضاً في حوائجهم، لكن الصمدية بالدلالة التي ذكرناها مختصة به تعالى، فلا يكون في الوجود إله سواه.

إذا عرفت هذا، فنقول: تكرير المسند إليه إشارة إلى أن إسناد الأحدية إليه وإثباتها له كما هو مقصود بالذات، كذلك إسناد الصمدية إليه مقصود بالذات من غير فرق بينهما، ولهذا لم يكرر في قوله: «لم يلد» وما بعده، لما عرفت أن نفى الولد منها ليس مقصوداً بالذات، بل هو مترفع على الأحدية كما ستعرفه. ومن هذا علم أيضاً وجه تنكير الخبر في الآية الأولى وتعريفه في الثانية، لأنك قد عرفت أن الغرض في الأولى بيان أحديته ونفى تركبه تعالى، وهو إنما بإسناد الأحدية إليه وإثباتها له من غير حاجة إلى قصر وتخصيص حتى يؤتى بالخبر معرفاً فجيء به منكراً على الأصل. أما الآية الثانية فلما كان المقصود منها إثبات التوحيد ونفى الشريك لم يكن مجرد إسناد الصمدية إليه تعالى كافياً بل يحتاج إلى القصر والتخصيص المستفاد من تعريف المسند، فلذلك أتى به معرفاً.

وهذان الوجهان مما انتهى إليه فكرى، وتفرد به نظرى بعدما نظرت في الوجوه التي ذكرها القوم في البابين ووجدت أكثرها غير خالٍ من التكلف، ولا بأس بأن ننقل بعضها. قال بعضهم: فإن قيل: لماذا قيل «أحد» على النكرة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما حذف لام التعريف على نية إضمارها، والتقدير: «قل هو الله الأحد». والثاني إن المراد بالتنكير التعظيم.

وقال الإمام الرازي في تفسيره الكبير: وبقي في الآية سؤالان:

السؤال الأول: لماذا جاء «أحد» منكراً وجاء الصمد معرفاً؟ والجواب: إن الغالب على أوهام أكثر الخلق إن كل موجود محسوس، وثبت أن كل محسوس فهو منقسم؛ فإذا ما لا يكون منقسماً لا يكون خاطراً ببال أكثر الخلق. وأما الصمد فهو الذي يكون مصموداً إليه في الحوائج، وهذا كان معلوماً للعرب بل لأكثر الخلق، فكان الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلاق، لا جرم جاء لفظ «أحد» على سبيل التنكير ولفظ «الصمد» على سبيل التعريف.

السؤال الثاني: ما الفائدة في تكرير لفظ «الله» في قوله «الله الصمد»؟ الجواب: لو لم تتكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ «أحد» و«صمد» أن يردا أما نكرتين أو معرفتين؛ وقد بينّا أن ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ «أحد» منكراً ولفظ «الصمد» معرفاً. وتكرير لفظ «الله» للإشعار بأن من [ب - ٨] لم يتصف به لم يستحق الألوهية.

لم يلد ولم يولد:

«لم» من الحروف الجازمة موضوعة لقلب المضارع ماضياً ونفيه، ولا تدل على استغراق النفي أو عدمه، وإنما يعلم ذلك من الخارج. وإنما خص نفي الولد في الزمان الماضي بالذكر مع استغراق النفي واستمراره، لأنه رد لقولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الصفّات: الآية ١٥٢]. فالغرض من الآية تكذيب قولهم؛ وهم إنما قالوا ذلك بلفظ الماضي فوردت الآية على وفق قولهم. وإنما قدّم نفي الولد على نفي المولودية مع أن الأمر في الشاهد بالعكس لوجوب تقديم ما هو الأهم، وذلك لأن الكفار كانوا يدعون أن له ولداً، فإن المشركين منهم قالوا إن الملائكة بنات الله،

واليهود زعموا أن عزيزاً ابن الله، والنصارى اذعوا أن المسيح ابن الله. وأما إن له والداً فلم يدعه أحد، وإنما ذكر استطراداً لاشتراكهما في الدليل.

والدليل على أنه تعالى منزّه عن الولد والوالد على ضربين: أحدهما ما يكون عاماً لهما، وثانيهما ما يكون خاصاً بأحدهما.

أما الدليل العام هو أن الوالدية والمولودية من خواص الأجسام، ولا يجوز أن يكون سبحانه جسماً، لأن الجسم مركب، والمركب محتاج إلى أجزائه، والمحتاج لا يكون إلا ممكناً؛ وأيضاً فإن الجسم لا يخلو من مكان، وهو سبحانه خالق للمكان، فلا يكون مكانياً، فلا يكون جسماً.

وأما الدليل الخاص بنفي الولد، فهو أن يقال: الذي ينسب إليه تعالى بأنه ولده أما أن يكون قديماً أزلياً أو يكون محدثاً، فإن كان أزلياً لم يمكن أن يكون هذا ولداً أولى من العكس، فالفرق بينهما والحكم بأن أحدهما والد والآخر مولود تحكّم لا دليل عليه. وأيضاً يلزم تعدد القدماء. وإن كان حادثاً كان مخلوقاً لذلك القديم، فيكون عبداً له لا ولداً.

دليل آخر: نقول: الولد إنما يكون من جنس الوالد، فلو فرضنا له ولداً لكان مشاركاً له من بعض الوجود ممتازاً عنه من وجه آخر، وذلك يقتضى تركبهما، والتركيب يستلزم الإمكان كما عرفت.

أقول: هذان الدليلان وإن ذكرهما القوم في نفي الولد فقط لكنه كما ترى عام له ولنفي المولودية جميعاً.

وأما الدليل الخاص بنفي المولودية فهو: إن الوالد مقدم في الوجود على الولد، فهو بأن يكون واجباً أولى من ولده، وما فرضناه واجباً يلزم أن لا يكون واجباً، لأن الواجب يجب أن يكون أقدم الأشياء في الوجود؛ هذا خلف.

دليل آخر: نقول كل مولود فإنه كان بعد ما لم تكن، وكل كائن بعد ما لم تكن محدث ممكن، فلا يكون واجباً؛ هذا خلف.

دليل آخر: نقول: كل مولود فإنه تبدلت عليه الأحوال من كونه نطفة وصيرورته علقه، ثم مضغة إلى غير ذلك؛ وكل ما تغيرت أحواله كان حادثاً ممكناً فلا يكون واجباً. وهذه المطالب لوضوحها وظهورها لا يحتاج إلى الاستدلال فضلاً عن الإكثار فيه.

ولم يكن له كفواً أحد:

الكفو: المثل، ومنه المكافأة، كأنك تعطيه ما يساوي ما أعطاك. وهو منصوب على أن يكون خبر كان، والظرف متعلق به قَدْماً للاهتمام. وقوله: «أحد» اسم كان آخر رعاية للفاصلة ولئلا يفصل بين الظرف ومتعلقة بأجنبي. والمعنى: لم تكن له مثل ولا عدیل. وقيل: لم يكن له صاحبة، كأنه سبحانه قال: لم يكن أحد كفواً له فصاهره، رداً على من ادعى أن له ولداً، فيكون كالدليل على نفي الولد. والأولى عدم التخصيص وإبقاؤه على العموم ليفيد أن شيئاً من الموجودات وأحداً من الممكنات لا يكون مساوياً له، لا في الوجود ولا في شيء من الصفات. أما الوجود فظاهر، لأن وجوده واجب لا يتطرق إليه العدم والفناء، ووجودات الممكنات كلها في معرض الهلاك والزوال.

وأما أن أحدًا لا يشبهه في الصفات فلأن صفاته تعالى مخالفة لصفات الممكنات كالعلم مثلاً، فإن علمه تعالى ليس مستفاداً من حس ولا رؤية ولا حدس ولا تجربة ولا حاصلًا بنظر واستدلال، ولا يكون في معرض الغلط والخطأ [ألف - ٩] وعلوم المحدثات كذلك، ... ^(١) فإن قدرته تعالى لا تزيد ولا تنقص ولا تشدد ولا تضعف، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا يكون بعض المقدورات أهون عليه من بعض بل المقدورات بالنسبة إلى قدرته متساوية، قال سبحانه: ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَحِدَةً﴾ [لقمان: الآية ٢٨]. وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية ٨٢]. وقدرته المخلوقات ليست كذلك بل المخلوقات بأسرها مسلوبة القدرة بالنظر إلى قدرته، لا يستطيعون أن يدفعوا عنهم شراً، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً.

وكذا الحال في الرحمة، فإن رحمته تعالى وجوده ليست لعوض ولا لغرض، كما أن أحدًا منا إذا أعطى فإنما يعطى ليأخذ عوضاً أما جسمانياً مثل أن يعطى درهماً ليأخذ خبزاً، وأما روحانياً كان يعطى المال لطلب الثواب الجزيل أو الثناء الجميل أو لطلب الاعانة أو الخدمة، أو ليزيل حب المال عن نفسه، أو ليدفع الرقة الجنسية عن قلبه ^(٢). وبالجمله فإن كل من أعطى فإنما يعطى ليتوسل بذلك

(١) «نور الثقلين» ج ٥، ص ٧١٠ - ٧١١.

(٢) الظاهر أن هنا وقع سقط، كقوله: كذا الحال في القدرة.

إلى كمال لم يكن حاصلًا، فيكون في الحقيقة استعاضة ولا يكون جوداً وتفضلاً. وأما الواجب تعالى فإنه كامل لذاته، وجميع كمالاته حاصلة بالفعل، فيستحيل أن يعطى ليستفيد به كمالاً، فهو الجواد المطلق والمنعم الحقيقي، وهكذا الحال في سائر الصفات.

خاتمة وفيها فوائد:

الفائدة الأولى: اعلم إن هذه السورة تبطل جميع المذاهب الباطلة في المبدأ. فالآية الأولى: تبطل مذهب المشبهة القائلين بانه تعالى جسم. والآية الثانية: تبطل مذهب من قال: بتعدد المبدأ كالثنوية القائلين بالنور والظلمة، والنصارى الذين يقولون بالتثليث، والصابئين في الأفلاك والنجوم، وقد عرفت وجه الدلالة. والآية الثالثة: تبطل مذهب اليهود في قولهم: ﴿عَزَّزْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٠]، والنصارى في المسيح والمشركين في الملائكة. والآية الرابعة تبطل مذهب المشركين الذين جعلوا الأصنام اكفاءً وانداداً له، تعالى عما يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الفائدة الثانية: اعلم انه تعالى وصف في هذه السورة نفسه بوصفين يمكن الاستدلال بهما على جميع صفاته تعالى، بل نقول: يمكن الاستدلال بأحدهما فقط. ولنتكلم في الصفة الأولى، فنقول وبالله التوفيق: لما ثبت إنه تعالى أحد لا كثرة فيه أصلاً سواء كانت كثرة قبل الذات كالكثرة بحسب الأجزاء، أو كثرة مع الذات كالكثرة بحسب الماهية والأنية، أو كثرة بعد الذات كالكثرة بحسب الذات والصفات، ثبت أنه ليس بجسم ولا بمتحيز، لأن كل متحيز فإن فيه طرفين أحدهما غير الآخر بالضرورة وكل مافيه طرفان فهو متحيز ومنقسم فيلزم التركيب، وقد عرفت انه واحد لا تركيب فيه.

وثبت أيضاً أنه ليس بجوهر، لأنه ماهية إذا وجدت كانت لا في موضوع، وباصطلاح آخر هو المتحيز بالذات، وعلى التقديرين يلزم التكثر في ذاته، وقد ثبت أنه واحد لا كثرة فيه.

وثبت أيضاً أنه ليس بعرض لأن العرض محتاج في وجوده إلى الغير وكل محتاج ممكن، والإمكان يستلزم التركيب، لأن كل ممكن فإن ماهيته غير آتيته، إذ

لو كانت ماهيته بعينها أنيته لامتنع عدمه، فيكون واجباً لا ممكناً. وإذا كانت ماهيته غير أنيته كان فيه شيطان: أحدهما الماهية، والآخر الأنية، فيلزم التكثر، فثبت إنه ليس بعرض.

وثبت أيضاً أنه لا يجوز أن يكون ممكناً، فثبت إنه واجب. وإذا ثبت أنه واجب الوجود ثبت بقاءه وأزليته وسرمديته وكل صفة تدل على قدمه وامتناع عدمه، لأن وجوب الوجود معناه ضرورة الوجود، فإذا كان وجوده ضرورياً كان عدمه ممتنعاً، فيكون قديماً باقياً أزلياً سرمدياً.

وثبت أيضاً أنه واحد لا شريك له في وجوب الوجود؛ لأنه لو كان له شريك لكان وجوب الوجود مشتركاً بينهما، فيلزم أن يكون مع كل منهما أمر آخر يميزه عن الآخر فيلزم التركيب وقد عرفت أنه أحد لا تركيب فيه. وإذا ثبت وجوبه [ب - ٩] واحديته ثبت أنه خالق للعالم وصانع له، لأن كل جزء من أجزاء العالم ممكن، فلا يكون وجوده من قبل نفسه، فيكون من غيره، وهذا الغير يجب أن يكون واجباً، لأن مخرج الشيء من القوة إلى الفعل بما هو مخرج يجب أن يكون بالفعل من كل الوجوه وإلا يلزم أن يكون للقوة دخل في إخراج الشيء من القوة إلى الفعل، وهو باطل بالضرورة، فيلزم أن يكون المخرج المذكور بالفعل من كل الوجوه، والفعلية من كل الوجوه إنما تكون صفة للواجب، فثبت أن مفيض الوجود ليس إلا الواجب.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون الممكن بعد اكتساب الفعلية من الواجب يفيض الوجود على ممكن آخر؟ قلنا: إن العقل يحلل الممكن الموجود إلى ما بالقوة وإلى ما بالفعل، ثم نقول: إن ما بالقوة لا دخل له في إخراج الشيء من القوة إلى الفعل، فيطرحة خلف قاف؛ ثم ينظر إلى ما بالفعل فيحلله أيضاً إن كان مشوباً بالقوة إلى إن ينتهي إلى ما بالفعل المحض، وليس هذا إلا الواجب، فثبت إن خالق شيء من الأشياء لا يكون إلا الواجب. وقد أثبتنا أنه ليس في الوجود واجب غيره تعالى، فثبت أن خالق الأشياء كلها هو الله تعالى.

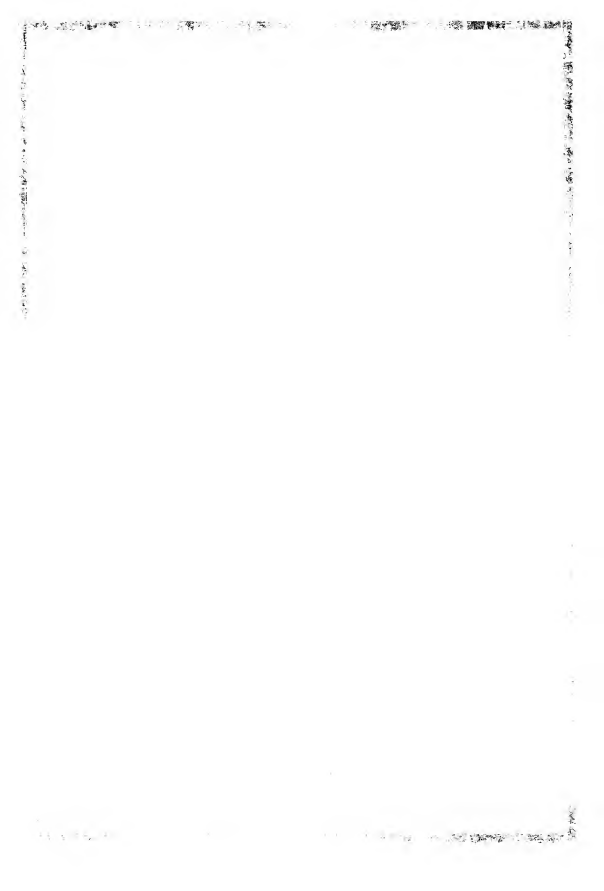
وإذا ثبت أنه خالق للعالم ثبت أنه عالم بذاته وبجميع الأشياء معقولها ومحسوسها، كليها وجزئها، لأنه تعالى لما كان مبدأ لجميع الموجودات التي منها العلماء بذواتها كان عالماً بذاته بالضرورة، لأن الفاعل يجب أن يكون أكمل

وأشرف من أثره. فإذا ثبت أنه عالم بذاته ثبت أنه عالم بكل الأشياء أيضاً، لأنه مبدأ وعلة لها، والعلم بالعلة يستلزم العلم بالمعلول. ولما ثبت أنه خالق الأشياء وعالم بها وجب أن يكون قادراً مختاراً لأن التأثير بالإيجاب إنما هو فعل الطباع العديمة الشعور.

وأيضاً لما كان مبدأ لجميع الأشياء التي منها القادرون وجب أن يكون قادراً لوجوب كون الفاعل أشرف من أثره كما ذكرنا في العلم. وإذا ثبت قدرته واختياره ثبت أنه مريد، فإن فعل القادر المختار مسبوق بالقصد والإرادة. وثبت أيضاً كونه حياً، لأن الحي هو الذي يصح أن يعلم ويقدر، وقد أثبتنا أنه عالم وقادر وثبت أيضاً كونه قيوماً، لأن معناه القائم بذاته المقوم لغيره؛ وقد أثبتنا أنه واجب لذاته، فهو قائم بذاته، وإنه مبدأ للأشياء فكان مقوماً لها. وثبت أيضاً: إنه تعالى متكلم فإن معنى تكلمه القاء الدال على المعنى المراد إلى الغير، ومناطه ليس إلا العلم والقدرة، وقد اثبتناهما. ولما ثبت إنه موجد الأشياء وخالقها ثبت إنه رحمان رحيم، جواد كريم، إلى غير ذلك من الأسماء التي تدل على جوده وفيضه وإنعامه وإحسانه أولاً. [ألف - ١٠].

١٦

تفسير سورة التوحيد (٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن الباء هي المرتبة الأولى من العالم الأولى المعبر عنها بالعقل الأول. والسين تقع في المرتبة الثانية هي مرتبة النفس الكلية المعبر عنها باللوح المحفوظ والكتاب المبين. والميم في المرتبة الثالثة هي مرتبة الطبيعة الكلية وبعض من يطابق العالم ومراتبه الكلية وبين البسملة جعل العقل الأول بمثابة الباء وسمّاه بعالم الجبروت؛ ونفس الكلية بمثابة السيف وسمّاه بعالم الملكوت؛ والطبيعة لبكلية بمثابة الميم وسمّاه بعالم الملك. وهو في الواقع كذلك، وقد أشار إلى ذلك الشيخ في فتوحاته في قوله: «الباء أنواع ثلاثة: شكل الباء ونقطتها والحركة، فصارت العوالم ثلاثة. فالباء ملكوته، والنقطة جبروته، والحركة شهادته ملكه»^(١). والألف المحذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بها الكل، واحتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء.

وتتميم مراتب العالم إجمالاً بأن يجعل «لفظة الله» بمنزلة عالم الجبروت لأنه مظهره. ولفظة «الرحمن» بمنزلة عالم الملكوت لأنه مظهره، ولفظة «الرحيم» بمنزلة عالم الملك لأنه ختم ترتيب العالم، ويكون البسملة جامعة لترتيبه مرتين، لأن لفظة «الله» إشارة إلى الذات المستغنية عن الكل، الفياضة على الكل؛ ولفظة «الرحمن» إشارة إلى الرحمة المبدئية الامتنانية التي هي الإيجاد من العدم والإظهار من الخفاء والإنشاء بحكم الاختراع والإبداع، لأن الكل من الرحمن وتجلياته بصور المظاهر المختلفة وفيضانه صور^(٢) المجالي المتنوعة المعبر عن الكل بالنفس الرحماني وآثاره؛ ولفظة «الرحيم» إشارة إلى الرحمة المتناهية التي هي الإنشاء في الوجود العارض، والإيصال إلى الوجود الحقيقي الأبدى الدائم رحمة منه.

(١) في الأصل: عن نفسه قبله.

(٢) لم نظفر به في «الفتوحات».

فإن قلت: فخلق السماوات والأرض في ستة أيام، والمراتب المشار إليها ثلاثة؟! قلنا: هذه الثلاثة الأولى هي ستة، لأن الثلاث التي هي في الباء والسين والميم، والثلاث^(١) التي في الله والرحمن والرحيم هي الستة. فالثلاثة الأولى بمنزلة الباطن، والثلاثة الثانية بمنزلة الظواهر الشامل لهما الملك والملوك والغيب والشهادة. هذه المظاهر مقتضى مراتب الأسماء والصفات والأفعال المرتبة على الملك والملوك والجبروت، لأن عالم الأسماء مخصوص بالجبروت لأنه مظهر الذات، وعالم الصفات مخصوص بالملوك لأنه مظهر الصفات، وعالم الأفعال مخصوص بالملك لأنه مظهر الأفعال. والثلاث مع الثلاث يكون ستة. نقل من «المُجلّى» ابن الجمهور^(٢) للحساوي - قدس سره -.

ثم اعلم إن غايات عقول العلماء ونهاية مباحث الحكماء ما جاوزت عن الأسرار المودعة في سورة الإخلاص، وأولها العارف تأويلاً يدل على ذلك وهو قوله: «قل» هو أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل، و«هو» عبارة عن الحقيقة الأحدية الصرفة أي الذات من حيث هي بلا اعتبار الصفة التي لا يُعرف هو، و«الله» بدل منه، وهو اسم الذات مع جميع الصفات، دل بالإبدال على أن صفاته ليست بزائدة على ذاته بل هي عين الذات لا فرق إلا بالاعتبار العقلي، ولهذا سُميت سورة الإخلاص، لأن^(٣) تمحيض الأحدية عن شائبة الكثرة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ^(٤).

وإنه عني من قال: «صفاته تعالى لا هو ولا غيره» أي لا هو باعتبار العقل، ولا غيره بحسب الحقيقة.

و«أحد» خبر المبتدأ، والفرق بين الأحد والواحد أن الأحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها، أي الحقيقة المحضة التي هي منبع^(٥) الكافوري بلا يعني^(٦)

(١) في الأصل: هيور.

(٢) في الأصل في الموردين: الثالث.

(٣) ابن أبي جمهور الأحاسني - صح.

(٤) كذا.

(٥) «نهج البلاغة» الخطبة ١.

(٦) كذا.

الكافوري نفسه، وهو الموجود من حيث هو وجود بلا قيد عموم وخصوص وشرط عروض ولا عروض؛ والواحد هو الذات مع الصفة. فعبر عن الحقيقة المحضة غير المعلومة الإلهية بـ «هو» وأبدل عنه الذات مع جميع الصفات دلالة على أنها عين الذات وحدها في الحقيقة، وأخبر عنها بالأحادية ليدل على أن الكثرة الاعتبارية ليست بشيء في الحقيقة وما أبطلت وحدته وما أثرت في وحدته، بل الحضرة الواحدية هي بعينها الحضرة الأحادية بحسب الحقيقة كتوهم الكثرة التي في البحر.

اللَّهُ الصَّمَدُ: أي الذات في الحضرة الواحدية باعتبار الأسماء هو السيد المطلق لكل الأشياء، لافتقار كل ممكن إليه وكونه به، فهو الغني المطلق المحتاج إليه في كل شيء كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُ الْفَقِيرُ﴾ [محمّد: الآية ٣٨]. ولما كان كل ما سواه موجوداً بوجوده وليس بشيء في نفسه، لأن الإمكان اللازم للماهية لا يقتضي الوجود، فلا يجانس ولا يماثل شيء في الوجود.

لَمْ يَلِدْ: إذ معلوماته ليست موجودة معه بل به فهي به هي وبنفسها ليست بشيء.

وَلَمْ يُولَدْ، بصمدية المطلقة، فلم يكن محتاجاً إلى شيء. ولما كان هوية الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها، إذ ما عدا الوجود المطلق ليس إلّا العدم المطلق، ولا يكافيه^(١).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، إذ لا يكاف العدم الصرف الوجود المحض، ولهذا سميت «سورة الإخلاص»، و«الأساس» لأن أساس الدين على التوحيد بل أساس الوجود كله، إذ الكلمات الإلهية غير قابلة^(٢) للفناء والانتفاء، لأن الكلمات الإلهية أما أن يعني بها الكلمات القرآنية أو الكلمات الآفاقية والانسفية أو هما معاً، وعلى تقادير فليست ببالغة للفناء فتكون غير متناهية، لأن الكلمات الآفاقية والانسفية عبارة أما عن الممكنات المتجددة بحسب الشخص والنوع، المعدومة في الخارج، أو الموجود في نفس الأمر، وأما عن المظاهر الإلهية المثالية الباقية أزلاً وأبداً، كما

(١) كذا.

(٢) لا يكافي - ظ.

قيل: «الباقى باقى لم يزل، والفانى فانٍ لم يزل». وعلى كلا التقديرين ليست قابلة للنهاية والنفاذ، بل نسبة عالم المحسوس كالقطرة بالنسبة إلى تلك العوالم، لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]. ومعلوم أن الكرسي لا يطلق بحسب المعنى إلا على النفس الكلية على الوجهين؛ أين عالم المحسوس من الكرسي، وما بينهما من العوالم والأفلاك والأجرام، وبعد كل واحد منها عن الآخر؟! فضلاً عن النفس الكلية بالنسبة إلى العالم المخصوص بالنفوس الجزئية الكدرة الضيقة المظلمة، لأنه لو لم يكن كذلك لم يقل الحق تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا فَتَبَيَّنْهُ وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ٢٠]، لأن الكبير لا يقول للشيء لا يكون كبيراً ولا يكون^(١) ذلك الشيء في غاية الكبر.

وعالم المحسوس المعبر عنه بالدنيا لو لم يكن عند الله وفي نفس الأمر بهذه الغاية من الحقارة ما ورد عن الكامل الحقيقي، أعني نبينا ﷺ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرَنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ لَمَا أَسْقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً^(٢).

وتحقق من هذا أن عالم المحسوس بالنسبة إلى العالم^(٣) المعقول كالقطرة بالنسبة إلى المحيط وأقل منها، وأن السماوات والأرضين السبع بالنسبة إلى الكرسي كذلك، والكرسي بالنسبة إلى العرش كمثلته، والعرش والكرسي بالنسبة إلى عالم المعقول والنفوس المجردة أقل من ذلك كله، مع أن هذه كلها متناهية والكلمات الإلهية غير متناهية، فإن^(٤) المتناهي من غير المتناهي. وقد ورد عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي ووسعته بالنسبة إلى السماوات والأرض، فقال ﷺ: «وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ لَا نِهَآيَةَ لَهَا. وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ مِثْلُ فَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ»^(٥).

وروى عن ابن عباس - رضي الله عنه - إنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ

(١) قابلة - ظ.

(٢) «لأن الكبير لا يقول للشيء: كبير، ولا يكون...» - ظ.

(٣) «سنن الترمذي» ج ٤، ص ١٣. «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ٨١.

(٤) عالم - ظ.

(٥) فآين - ظ.

لِلَّهِ [تعالى] أَرْضاً بَيْضَاءَ مَسِيرَةِ الشَّمْسِ، فِيهَا ثَلَاثُونَ يَوْماً هِيَ [مثل] أَيَّامِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ مَرَّةً، مَشْحُونَةٌ خَلْقًا، لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَإِبْلِسَ»^(١).

وورد عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ مَلَكًا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَيُّهَا الْمَلَكُ طِرْ، فَطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ [أَنْ] طِرْ، فَطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أُخْرَى [ثَانِيَةً]، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ [أَنْ] طِرْ، فَطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أُخْرَى، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: لَوْ طِرْتَ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ كَذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الطَّرَفِ الثَّانِي مِنَ الْعَرْشِ. فَقَالَ الْمَلَكُ عِنْدَ ذَلِكَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

فلينظر العاقل إلى عظمة هذه العوالم وإلى حقارة عالم المحسوس وما عليه من البحور والأشجار، وقد ورد عن أهل الله بالاتفاق أن العالم الحسي بالنسبة إلى المثالي الواقع بين العالمين كحلقة ملقاة في بئداء لا نهاية لها. والعالم المثالي عندهم عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه بالجواهر الجسماني من كونه محسوساً مقدارياً، وبالجواهر المجرد من كونه نورانياً، وليس بجسم مادي ولا بجوهر عقلي، لأنه برزخ وحد فاصل بينهما؛ وكل ما هو برزخ بين الشئيين لا بد وأن يكون غيرهما بل له جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه. وقالوا: العالم المثالي يشمل على العرش، والعرش على الكرسي، والكرسي يشتمل^(٣) السموات السبع والأرضين السبع وما في جوفهما من الأفلاك.

أقول: بحث العالم المثالي دقيق، ومع دقته طويل، والغرض من ذكره أنه لو كان هناك عالم بين العوالم الروحانية والجسمانية بهذه السعة فكيف تكون سعة العوالم التي فوقه بمراتب غير متناهية! ويعرف بهذه الصفة الجنة التي^(٤) الصورية، قال الله تعالى فيها: ﴿وَجَنَّاتُ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقول النبي ﷺ: «يُعْطَى كُلُّ مُؤْمِنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ»^(٥). وجنة عرضها بهذه المنزلة فكيف حال طولها؟ ويعطى كل مؤمن سبع مرات مثلها،

(١) «الذر المنثور» ج ١، ص ٣٢٨ «بحار الأنوار» ج ٥٨، ص ٥، «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ١٠٠.

(٢) «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ١٠٠.

(٣) «الذر المنثور» ج ٣، ص ٢٩٧. «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٤٦.

(٤) يشمل - ظ.

(٥) كذا.

فكيف يكون سعة تلك الجنة! وإذا فرضنا هذا في الجنة الصورية فكيف يكون حال الجنة المعنوية التي هي فوقها بمراتب متعددة بل بمراتب غير متناهية، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْلَمُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]. والجنات من أعظم نعم الله وكل ما يتصور الإنسان دنيا وآخرة^(١) فهو من نعمته كما قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: الآية ٢٠]. وعلى جميع التقادير ليست قابلة للحصر والعذ والانتها والانقطاع.

وبالنسبة إلى الجنة الصورية والمعنوية ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «الْجَنَّةُ أَشْوَقُ إِلَى سَلْمَانَ مِنْ سَلْمَانَ [الجنة]^(٢) إِلَيْهَا». لأن سلمان كان في الجنة المعنوية فارغاً عن الجنة الصورية، والجنة المعنوية هي التي ورد فيها: «إِنَّ لِلَّهِ جَنَّةً لَيْسَ فِيهَا حُورٌ وَلَا قُصُورٌ وَلَا لَبَنٌ وَلَا عَسَلٌ بَلْ يَتَجَلَّى فِيهَا رَبُّنَا ضَاحِكاً مُتَبَسِّمًا^(٣)». وقوله: سَتَرُونَ رِيحَكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَذْرِ^(٤)، إشارة إلى أن هذه المشاهدة في هذه الجنة؛ وكذلك في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(٥) إشارة إليها؛ وكذلك: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية ١٧]. والغرض من هذا كله أن العالم المحسوس المعبر عنه بالأرض وما فيها وما عليه من البحور والأشجار كقطرة بالنسبة إلى هذه العوالم وأن كلمات الله الإلهية...^(٦)

(١) «البحار» ج ٨، ص ١٤٧ بغاوت.

(٢) دنى وآخرة - ظ.

(٣) كذا، والظاهر زيادته ولذا جعلناه بين المعقوفين. راجع «روضة الواعظين» ص ٢٤١. «بحار الأنوار» ج ٢٢، ص ٣٤١. «عوالي اللآلي» ج ٤، ص ١٠١.

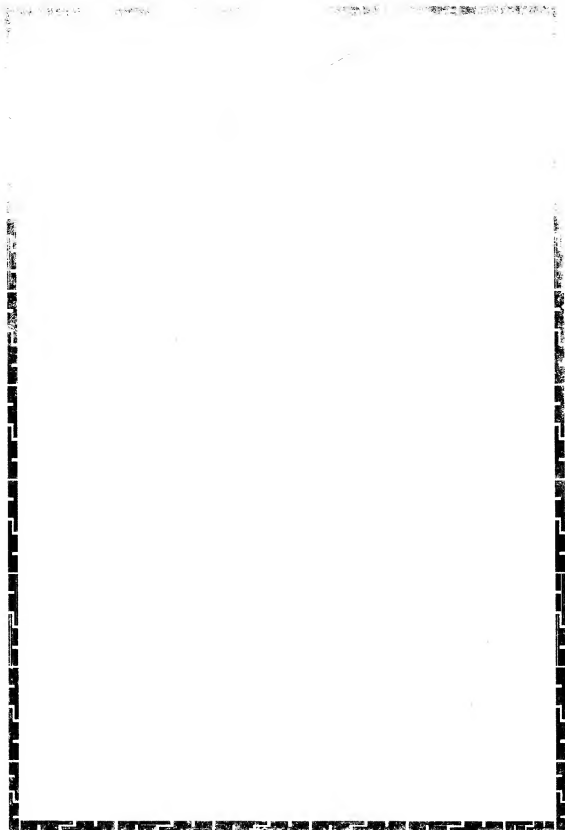
(٤) لم نعثر عليه.

(٥) «صحيح البخاري» ج ١، باب فضل صلاة الصبح. وفضل صلاة العصر، وج ٦ في تفسير سورة ق، وج ٩ كتاب التوحيد، «بحار الأنوار» ج ٩٤، ص ٢٥١ ح ١١.

(٦) «البحار» ج ٨، ص ٩٢، «الجواهر السنية» ص ٣٦٢، «صحيح البخاري» ج ٨، ص ١٤٣، «صحيح مسلم» ج ٢ باب صلاة الصبح والعصر.

١٧

الوجود



بسم الله الرحمن الرحيم

الأقوال في معنى الوجود

وليعلم أن في الوجود ثلاثة مذاهب:

الأول: ما ذهب إليه الحكماء المتأخرين المتألهة من الإشراقيين وهم المسمون بالمقتصدين، وهو أن المعنى المستعمل فيه لفظ الوجود اثنان: أحدهما انتزاعي عقلي يعبر عنه بالكون والثبوت، وهو الوجود الظلي والوجود المثالي، وهو المعنى المصدري. وثانيهما حقيقي خارجي يعبر عنه عندهم بالوجود الحقيقي وحقيقة الوجود والوجود الأصلي؛ وعند المتكلمين بالهوية، وعند فيثاغورس بالوحدة، وعند سائر الحكماء بالنور الحقيقي. فالوجود الحقيقي والهوية والوحدة والنور ألفاظ مترادفة عندهم، يطلق على معنى واحد. ومن ذلك يفهم إن للوجود ثلاثة معان كما صرحوا به أيضاً:

الأول: الثابت المتحقق الكائن، أي المشتق من المعنى الانتزاعي المصدري.

والثاني: الوجود الذي هو بذاته موجود، وهو الذي عين حقيقة الوجود.

والثالث: المشتق الجعلي من الوجود الحقيقي، ومعناه المنسوب إلى الوجود الحقيقي نسبة ما اتحادية كانت أو ارتباطية.

والأول والثالث شاملان للواجب والممكن معاً، والثاني مختص بالواجب فقط.

والثاني: ما ذهب إليه المتكلمون المسمون بالمحجوبين، وهو أن لا معنى للوجود إلا المفهوم الانتزاعي الذي ينتزعه العقل من الموجودات، وهو المعنى الأول من المعنيين الأولين.

والثالث: ما ذهب إليه الصوفية المسمون بالمحققين، وهو إن الوجود أصل في جميع الأشياء، والماهيات شؤون وعوارض واعتبارات له. وهذا هو المشهور بوحدة الوجود، كما أن الأول بوحدة الوجود. أما القائلون^(١) بالمذهب الثاني، فلم اطلع على دليل لهم على ما ادعاهم^(٢) إلا استنادهم إلى المكاشفات والمشاهدات الحاصلة بالرياضات، ويقولون: فهم هذا المرام فوق إدراك العقول والأفهام. ثم هؤلاء أقوالهم مختلفة، وكلماتهم متشتتة بحيث لا يمكن نظمها في سلك واحد؛ فمرة يقولون:

(١): إن الوجود الحقيقي هو عين ذات البارئ تعالى، إذا تنزل مرتبة يصير عقلاً أولاً، ومرتبتي عقلاً ثانياً، وهكذا إلى أن يصير جماداً، وهو آخر مراتب التنزل؛ ثم يأخذ في الترتي فيصير نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً ثم نفساً فلكياً ثم عقلاً ثم وجوداً محضاً^(٣). فالوجود الحقيقي في جميع المراتب هو ذات الوجود، وأما الماهية العقلية والنفسية وما عداها عوارض واعتبارات يعرضها باعتبار التنزلات. وهو الذي ذهب إليه صدر الدين الشيرازي في «الشواهد»^(٤) الربوبية» والشبستري كما يلوح من بعض أشعاره وأمثالها، وهم في مذهبهم هذا يشبهون التناسخية في التناسخ.

(٢): ومرة يقولون: إن الوجود حقيقة ليس إلا شيئاً واحداً هو ذات الوجود، وأما التعدد والتكثر فأمر اعتباري، لا على سبيل التنزل في أصل الذات كما قال الأولون، بل الذات الواحد عين تلك التعددات في الواقع إلا إن العقل يغلط ويزعم أنها غيره. ويمثلون لهذا بالبحر والأمواج، فكما أن الأمواج ليس إلا البحر لكن الحس المغالط يزعمها غيره، فكذا حال الموجودات الظاهرية مع الوجود الحقيقي؛ كما يستفاد من بعض أشعار المولوي في «المنشوى» وغيره أيضاً كالسحابي في ظاهر بعض أشعاره، وعبد الرزاق الكاشي في صريح كلامه، حيث قال إذا سئل عن

(١) إلى هنا تمت النسخة وهي ناقصة كما لا يخفى.

(٢) القائلون. - ظ.

(٣) كذا، والصواب: أدعوه أو مدعاهم. وفي م: ادعوا.

(٤) م: صرفاً.

(٥) كذا، والصواب: شواهد. ومن هنا يعلم أن هذه الرسالة ليست من صدر المتألهين (ره) كما قدمنا في

الحلول والاتحاد: «هما باطلان بداهة، ليس في الدار غيره ديار»، وأشباههما.

(٣): ومرة يقولون: إن التعدد حقيقي وليس اعتبارياً إلا أن الوجود الحقيقي في الخارج عين تلك التعددات متحد معها، والمغايرة ليست إلا في العقل. فنسبة الوجود الحقيقي إلى الموجودات كنسبة الكلّي الطبيعي إلى أفرادها على مذاقهم، كما ذهب إليه عبد الله البلياني في رسالته التي موضوعه حديث: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، وحمل معنى الحديث على أن العارف إذا عرف حقيقة نفسه عرف أنه ليس إلا ربه، وكذا إذا عرف جميع الحقائق بحقائقها عرف أنها ليست إلا هو؛ والتخصيص في الحديث إنما هو على سبيل التمثيل إشارة إلى سهولة طريق المعرفة. وقال محيي الدين العربي في خطبة «الفتوحات»^(١): «سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها». وهذا المعنى غير الحلول والاتحاد المشهورين، فإن هؤلاء صرحوا بأنه تعالى في الأزل فرد واحد، وهو الآن كما كان؛ والحلول والاتحاد عبارة عن صيرورة العارف بعد الوصول إلى مرتبة كمال التجرد بكثرة الرياضة والمجاهدة محلاً للذات القدسية المنزهة، أو متحداً معه - تعالى عن ذلك - . وبالجملّة يعتبر فيهما التباين أولاً بخلاف الأول، فافهم.

(٤): ومرة يقولون: إن الموجود الحقيقي أمر واحد والمتعددات ليست تنزلات له، ولا هو عينها في الخارج، بل هي مظاهر له، لا يمكن ظهوره عند الأبصار والبصائر إلا في تلك المظاهر، كالنور بالنسبة إلى الأشعة، كما يفهم هذا أيضاً من بعض أشعار المثنوى وغيره كالغفاني وناصر علي الدكني وأمثالها^(٢)، ويلوح من ظاهر بعض كلمات السيد الداماد والشيخ البهائي؛ والله تعالى يعلم^(٣)، تعالى عمال يقول الظالمون ويصف الوصفون علواً كبيراً.

[معنى وحدة الوجود]

وقد يطلق وحدة الوجود على معنيين آخرين: أحدهما: إن العارف السالك إذا ارتاض نفسه وصيرها منزّهة عن الغواشي الهيولانية ومجردة عن العلائق المادية

المقدمة.

(١) لم نظفر به في «الفتوحات».

(٢) أي كامثال: تلك الأشعار. وفي م: أمثالها.

والعوائق الجسمانية واجتهد في معرفة ربه تعالى ونظر بعين اليقين إلى آثار صنعه ولطفه، واستفاد منها اتصافه تعالى بجميع صفات الكمال وسمات الجمال، يحصل له شوق إلى الاتصال بتلك الحضرة المقدسة، فيصير أولاً بحيث يلاحظه في ضمن كل شيء لا بالمخالطة بل^(١) من حيث إنه صانعه ومدبره، وينظر إلى كل شيء من حيث إنه يدل عليه ويهdy إليه تعالى، ثم يزداد شوقه فيصير حباً، ثم عشقاً، ثم حيرة، فيرى كل شيء أنه هو، فيزداد حيرة حتى يصير ولهاً، فيفنى فيه وينسى عن ذاته بكمليته، فيرى كل شيء ونفسه إنه هو، كما هو مفاد حديث: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ^(٢) الحديث. فهذا عنده الموجود ليس إلا واحداً بمعنى إنه لا يرى ولا يفهم الأشياء لكثرة ولله به لا إنه كل في نفس الأمر. وهذا هو الذي يمكن أن يقال بصحته وأنه لا نافي^(٣) له في الشرع بحسب الظاهر، والله يعلم.

وثانيهما: إن الأشياء في الشهود العلمي والعالم العقلي موجودة بالوجود الحقيقي الذي هو عين ذات الباري، وأما بحسب الوجود الخارجي والشهود العيني فمباينة له ومغايرة لذاته، كما ذهب إليه بعض المحققين كابن الجمهور^(٤) للחסاوي والمحقق الطوسي في «رسالة العلم»، والمحقق الخفري ونظائرهم، واستدلوا عليه بالبرهان القائم على أن الواجب تعالى كان عالماً في الأزل بالأشياء على ما هي عليه في ما لا يزال؛ ولما كان العلم من الصفات الحقيقية ذات الإضافة، فالعلم الحاصل بالفعل يقتضى معلوماً حاصلاً بالفعل، والأشياء لم تكن بأعيانها الخارجية موجودة في الأزل، فلا بد أن تكون موجودة في أصل الذات بوجود الذات في عالم الشهود العلمي. وذلك لأن علمه تعالى بها أما حصولي أو حضوري؛ لا سبيل إلى الأول، لأنه إما أن يكون بحضور الصورة القائمة بذاته تعالى كما ذهب إليه انكسيمانس الملطي، فيلزم كون ذاته تعالى محلاً للحوادث أو تعدد القدماء وكونه محلاً للكثرة؛ أو القائمة بجوهر آخر، كما ذهب إليه ساليس الملطي^(٥) واختاره الشيخ في «الإشارات»، فيلزم تعدد القدماء أو حدوث علمه

(١) ش: البهائي في ذاته تعلم تعالى الله.

(٢) ش: - لا بالمخالطة بل.

(٣) «صحيح البخاري» ج ٨، ص ١٣١. «التوحيد» ص ٤٠٠.

(٤) كذا.

(٥) كابن جمهور - صح.

تعالى والقائمة^(١)، كما تحقق في محله. ويرد على الكل افتقاره تعالى في صفته الكمالية إلى الغير، وكونه جاهلاً قبل الصور والجوهر والتسلسل فيهما؛ أو كونه موجباً بالنسبة إليهما، وعدم كون علمه عين ذاته، وغير ذلك من المفاسد.

وأما الثاني فلا يخلو (١): أما أن تكون الأشياء^(٢) حاضرة بذواتها العينية، والمفروض أنها حادثة فيما لا يزال كل في وقت معين وهي بديهي البطلان. (٢): أو بذواتها الذهنية ولا ذهن سوى ذاته تعالى، فيلزم أن تكون موجودة في ذاته تعالى بوجودات ظليلة مثالية هي عين وجود ذاته تعالى لثلا يلزم كون ذاته ظرفاً لوجود المتكثر. فالوجود الذي هو عين ذاته تعالى وجودات ظليلة بالنسبة إلى الأشياء، فذاته باعتبار كونه منشأ لانكشاف الموجودات كالصور^(٣) العلمية لنا «علم بها»، وباعتبار علمه بذاته وكون ذاته علة للأشياء وكون العلم بالعلة مستلزماً للعلم بالمعلول «عالم بها»، وباعتبار عينية المعلومات مع ذاته وكونها شؤناً واعتبارات في الشهود العلمي لذاته «معلوم». فالعلم والعالم والمعلوم واحد، والتغاير اعتباري. فعند هؤلاء الوجود الحقيقي أمر واحد أيضاً ليس إلا*، لكن في عالم الشهود العلمي لا في عالم الوجود العيني كما ذهب إليه الأوائل. هذا خلاصة ما استقصينا من أقوال هؤلاء الجماعة القائلين بوحدة الوجود، والله الخبير الودود واعلم بحقيقة المقصود.

[وحدة الوجود عند المتألهة]

وأما المتألهة القائلون بوحدة الوجود، فهم يقولون: إن الوجود ليس محض المعنى الانتزاعي كما قال به المتكلم، بل له حقيقة ثابتة شخصية قائمة بذاتها، لا تعدد فيها ولا كثرة بالذات بل لها تعدد بالعرض والنسبة إلى انتساب الماهيات إليها، وهي منشأ انتزاع المعنى الانتزاعي، وبها يصير الوجود موجوداً والكائن كائناً. وأكثرهم يدعون أيضاً إسناد مذهبهم هذا إلى المكاشفة والإشراق والشهود، وإن العقل عن فهمه معزول كالحس في^(٤) درك المعقول. نعم، بعضهم تصدى

(١) هو طالس الملطي.

(٢) م: أو حدوث علمه تعالى أو كون تلك الصور قائمة بذاتها.

(٣) ش: الأشياء.

(٤) ش: فالصور.

(*) كذا في النسخ.

لإجراء المنبهات العقلية على صحة^(١) هذا المسلك، فقال: إما الوجود له حقيقة ثابتة، فلأننا نجد في الموجود من حيث إنه موجود معنى ينافي اللاشيئية والمعدومية، وهو المعنى الذي حكموا بأنه مقدم على جميع الاتصافات بالمعاني التي هي غيره، ولما كان الشيء الانتزاعي الذي^(٢) لا تحقق له بذاته بل هو تابع في تحققه لغيره لا يصح أن يمنع الانعدام ويتقدم على الاتصاف بغيره في ذلك المنع والتقدم، يعلم إن له حقيقة متحققة^(٣) في نفس الأمر.

وأيضاً: لا شبهة في أن الماهيات باعتبار ذواتها مع قطع النظر عن انضمام الوجود إليها لا تكون منشأ لانتزاع الموجودية، والوجود الاعتباري^(٤) الانتزاعي لا تحقق له في الخارج في نفس الأمر، فبملاحظة أن انضمام المعدوم إلى المعدوم^(٥) لا يفيد الموجودية، يعلم أن الوجود حقيقة ثابتة في نفس الأمر هي منشأ انتزاع الموجودية.

وأيضاً: الأشياء المغايرة للوجود إنما يكون تحققها بالوجود، فالوجود^(٦) نفسه أولى التحقق ضرورة إن ما لا تحقق له لا يفيد التحقق لغيره.

قال: المتكلم في جوابه: أنا لا نفهم من الوجود إلا كونه منشأ للآثار، والشيء يصير منشأ لها باعتبار علته، فالمعدوم ما لم تحقق علته لا يمكن للعقل انتزاع هذا المعنى عنه، وإذا تحققت علته ينتزع منه ذلك، وهو عبارة عن وجوده، ليس إلا^(٧)، ولا يحتاج الموجود في كونه منشأ للآثار إلا إلى علته فقط.

أقول: إن الذوق السليم والطبع المستقيم يحكم بداهة بأن كون الشيء منشأ للآثار معنى متأخر عن تحققه تابع له متفرع عليه، ضرورة أن الشيء ما لم يتحقق لم يصير منشأ لشيء فقط، ويلزم من هذه المقدمة البديهية ومما اعترفوا به أن يكون تحقق الشيء عبارة عن علته، وحينئذ فالعلة التي هي التحقق إن كان تحققها بذاتها

(١) م: عن.

(٢) في نسخة «ش» كلمة لا تكاد تقرأ، وهي مثل: حقيقة، أحقية، أحقية.

(٣) م: والنزع العلي الذي.

(٤) م: متصلة.

(٥) ش: الإبتائي.

(٦) ش: إلى المعدوم.

(٧) ش: فالموجود.

لا بتحقيق علة أخرى فهو المطلوب، وإلا ننقل الكلام إلى تحققه أي علته وتحقق تحققه وهكذا، فلا بد أن ينتهي إلى تحقق قائم بذاتها حاصل بنفسه، وهو عبارة عن الوجود الحقيقي وحقيقة الوجود، وهو الذي يصير به كل شيء منشأ للآثار، وهو علة العلل، ووجودها، وباعتبار ارتباط الأشياء به ينتزع منه الكون المذكور، فافهم.

وأما إن هذه الحقيقة شخصية وقائمة بذاتها، فلأن^(١) كل حقيقة مغايرة للوجود ما لم ينضم إليها الوجود في نفس الأمر لم تكن موجودة فيها، وما لم يلاحظ العقل انضمام الوجود إليها لم يكن له الحكم بكونها موجودة. فكل حقيقة مغايرة للوجود في كونها موجودة محتاجة إلى غيرها الذي هو الوجود، وكل ما هو محتاج في كونه موجوداً إلى غيره فهو ممكن، ولا شيء من الممكن بواجب، فلا شيء من الحقائق المغايرة للوجود بواجب؛ وقد ثبت إن الواجب موجود، فهو إذن لا يكون إلا عين الوجود. ولما وجب أن يكون الواجب جزئياً حقيقياً قائماً بذاته متعيناً بنفسه لا بأمر زايد على ذاته، وجب أن يكون الوجود الذي هو عينه كذلك.

فإن قلت: يتوجه على المقدمة القائلة^(٢) بأن كل محتاج في كونه موجوداً إلى غيره فهو ممكن منع لطيف، وهو أن المحتاج إلى غيره الذي هو موجد^(٣) ممكن قطعاً، لا المحتاج إلى غيره الذي هو وجوده.

أقول: يندفع هذا المنع بتقرير دقيق وهو انه لما احتاج في موجوديته إلى غيره فقد استفاد [تحقيقه] من الغير وصار معلولاً له موقوفاً عليه في ذلك، وكل ما كان كذلك فهو ممكن سواء سمي ذلك الغير موجداً أو وجوداً، فافهم.

ثم إن قلت على أصل المدعى: إنه إنما يتم لو سلم كون الوجود حقيقة واحدة، وإلا فليَم لا يجوز أن يكون الوجود حقيقة فنسبته^(٤) يكون لها نوعان

(١) كذا في النسخ.

(٢) ش: فإن.

(٣) كذا، والكلمة غير مقروءة.

(٤) ش: موجود.

مختلفان يكون أحدهما منحصراً في شخصه وهو الذي عين ذات الواجب؛ والآخر له أفراد مطابقة لأفراد الممكن؟

أقول: هذا الاحتمال ظاهر البطلان، إذ أول ما فيه أنه يلزم من أن يكون للواجب جنساً وفصلاً^(١)، وهو يستلزم التركيب المنافي للوجوب الذاتي. وثانياً إذ^(٢) تلك الموجودات المغايرة لوجود الواجب لا يخلو إما أن تكون قائمة بذواتها أو لا؛ فعلى الأول يلزم تعدد أشخاص قائمة بذواتها غير محتاجة إلى غيرها، وهو ينافي التوحيد اللازم للوجوب الذاتي. وأيضاً يلزم أن تكون في الكون حقائق ثابتة ليست معلولة لواجب الوجود، بل يلزم أن لا يكون شيء^(٣) من الموجودات معلولاً له تعالى، لأنها موجودة بوجودات ليست صادقة^(٤) عليه تعالى، كما هو المفروض وهو ينافي ما ثبت ممن كون واجب الوجود علة لجميع ما دونه.

وعلى الثاني يلزم أن يكون أخذ نوع جنس واحد معادلاً لنوع آخر، وهو يستلزم قول الذاتي على ما تحته بالتشكيك ضرورة وجوب تقدم العلة على المعلول بالذات وأولويتها بالتحقق منه، على أن وحدة الوجود الانتزاعي وأن المفهوم منه معنى واحد، ليس إلا*، كما تشهد عليه بداهة العقل، ودلالاته مؤيد صادق بل شاهد عادل على وحدة الوجود الحقيقي الذي هو منشأ الانتزاع، كما لا يخفى على من له حدس سليم وطبع مستقيم. فقد ثبت أن للوجود حقيقة شخصية منزهة عن عروض التعدد والكثرة غير قائمة بشيء سوى ذاتها، بل الأشياء قائمة بها منسوبة إليها بالنسبة الاتحادية كما في الواجب تعالى، أو بالنسبة الارتباطية كما في الممكن.

هذه خلاصة ما ذكرنا [هـ] في وحاة الوجود، وبه قال أكثر الأفاضل كابن جمهور^(٥) اللحساوي والمحقق الطوسي والمحقق الخفري والسيد الداماد والعلامة عبد الرزاق اللاهيجي ونظائرهم، والله اعلم بالصواب.

(١) نسبية - ظ.

(٢) جنس وفصل - ظ.

(٣) أن - ظ.

(٤) ش: شيئاً.

(٥) صادقة - ظ.

(٦) كذا.

وأما مذهب المتكلم في الوجود وأدلتهم عليه مشهورة مذكورة في كتبهم معروف^(١) بين الناس لا يحتاج إلى أن نطول به الكلام وقد مرت إشارة إلى مخ مقالتهم في ضمن بيان مذهب المتألهة وأدلتهم، فافهم.

ثم إن هنا كشف مقال لتحقيق حال وقد صارت معركة للآراء ومطرحة للأذكياء وهي أنه قال المحقق الخفري في تعليقاته على شرح الجديد للتجريد: إن الأدلة المأخوذة^(٢) فيها^(٣) الموجودة من حيث هو موجود التي يستدل بها على إثبات الواجب تعالى لمية مفيدة لليقين المضاعف حقيقة بأن يكون طريقة الصديقين الذين يستشهدون بالحق لا عليه. ولما كان هذا القول بحسب الظاهر مخالفاً للواقع إذ^(٤) لا علة له تعالى حتى يستدل بها عليه^(٥) فقد تصدى لتحقيق كلامه هذا كثير من الأفاضل وذكروا له توجيهات كثيرة قد رد جميعها الفاضل الشيرازي، ولقد أحسن وأجاد فيما أورد وأفاد. وأنا أقول بتوفيق الله تعالى:

ومنه: «إنه لما كان مذهب المحقق الخفري وكل من قال بصحة لمية دليل إثبات الواجب تعالى مطابقاً لذوق المتألهة ووحدة الوجود الحقيقي كما لا يخفى على المتتبع، يمكن أن يصحح هذا القول على مذهبهم بأن يقال: المطلوب من أدلة إثبات الواجب إثبات وجوده الانتزاعي، أي كونه تعالى في الخارج بحيث ينتزع منه هذا المفهوم الانتزاعي؛ لأنه المتبادر من لفظ الوجود والمفهوم منه بداهة، حتى إنه لأجل هذا التبادر قال المتكلم بانحصار معنى الوجود فيه. وأيضاً إثباته مستلزم لإثبات متبوعه الذي هو الوجود الحقيقي المطلوب حقيقة، ويحمل الموجود المأخوذ في موضوع القياس على الموجود الحقيقي الذي هو حقيقة الوجود، كما يشهد لهذا الحمل تقييده بما هو موجود، فيصير حاصل الدليل أن الموجود بما هو موجود - أي الوجود الحقيقي الذي هو عين الواجب تعالى في الواقع، كما ثبت سابقاً - يقتضى كونه موجوداً أي بحيث يمكن أن ينتزع منه هذا

(١) كابن أبي جمهور الأحاساني - صح.

(٢) معروفة - ظ.

(٣) المأخوذ - ظ.

(٤) ش: منها.

(٥) ش: أن.

المفهوم، ولا خفاء أن الوجود الحقيقي علة للكون المذكور، فصح كون الدليل لمياً وحقيقاً^(١) بأن يكون طريقة الصديقين». انتهى ما أردنا [ه] من نقل كلامه.

وقال بعض الأفاضل: «فحينئذ يصير أدلة إثبات الواجب مصادرة، إذ إتمامها حينئذ موقوف على إثبات وحدة الوجود [و] في أدلة إثباتها أخذ وجوب الواجب تعالى مسلماً كما رأيت وعرفت».

أقول: فهم هذه المسائل وأمثالها يحتاج إلى قليل من التدبر ويسير^(٢) من التفكير، وبدونه توقع فيما وقع فيه، فتدبر. واعلم أن ههنا مطلبين: أحدهما: كون الأدلة المذكورة لمية. وثانيهما: كونها استشهاده بالحق لا عليه. والأول لا يحتاج في إتمامه إلى أخذ عينية الوجود الحقيقي مع الواجب تعالى، ولا إلى ثبوته في نفس الأمر، ولا إلى إثباته بالأدلة، بل هم المدعى لمجرد أن الوجود حقيقة ثابتة في نفس الأمر، وهي منشأ انتزاع الكون الانتزاعي وعلة له، أعم من أن تكون تلك الحقيقة شخصية أو نوعية أو جنسية، عين الواجب أو غيره، ثبت وجود الواجب أو لم يثبت، وثبوت الواجب إنما أخذ في كون تلك الحقيقة شخصية، وليس هو من مقدمات اللمية ولا دخيلاً فيها كما عرفت؛ فمن أين حصلت المصادرة؟ فافهم.

وأما الثاني وإن احتاج لأخذ العينية وثبوته تعالى، لكن يكفي في إتمامه كون الوجود عيناً للواجب، والواجب ثابتاً في نفس الأمر. وفي الواقع المقدمات المأخوذة في الأدلة المذكورة في إثبات واجب الوجود جارية في إثبات كونه موجوداً؛ وأين الثبوت من الإثبات، والواقع في الواقع^(٣) من الحاصل بالأدلة؟ فافهم. والله اعلم بالصواب.

الفهرس التفصلي

٥	لمحة عن صدر الدين الشيرازي
٦	مولده
٦	حياته
٨	وفاته
٩	مدفنه
٩	أبناءؤه
١٠	ثقافته وثناء العلماء عليه
١٢	أساتذته
١٣	تلاميذه
١٤	آثاره
١٥	كتبه
١٦	رسائله العلمية

رسالة التصور والتصديق

١٩	نسبتها وعنوانها
١٩	منهج الصدر الشيرازي في رسالته
٢١	مسلك الصدر الشيرازي
٢٢	كيف يؤخذ الجنس والفصل لكل منهما
٢٢	بيان تقسيم العلم إلى نوعية التصور والتصديق وتعريفهما
٢٣	مقام التحليل الذهني بين جنس كل من التصور والتصديق وفصله
٢٤	ورود عبارات تخالف بظواهرها المسلك
٢٥	موقف الصدر الشيرازي من ي مرين
٢٦	نسخ الرسالة
٢٦	المطبوعة
٢٦	المخطوطة

٢٦	١ - مكتبة المدرسة الفيضية رقم ١٣٧٠
٢٧	٢ - مكتبة المدرسة الفيضية رقم ١٣٣٠
٢٧	٣ - مكتبة كلية الآداب بجامعة فردوس في المشهد رقم ٣٣٥
٢٨	٤ - مكتبة إمام الجمعة في زنجان
٢٩	٥ - مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، رقم ١/خ
٢٩	٦ - مكتبة الشهيد مطهري رقم ٦٦٥٦
٣٠	ما عتمدت عليه في التحقيق
٣٠	عمل التحقيق

رسالة التصور والتصديق

١٤	الديباجة
٤٣	فصل: [في العلم تعريفه]
٤٣	تعريف العلم
٤٥	فصل: في تقسيم العلم إلى التصور والتصديق
٤٥	تعريف التقسيم
٤٥	الوحدة معتبرة في جميع التقسيمات
٤٦	كل نوع له وحدة طبيعية
٤٦	انقسام العلم إلى قسميه (التصور والتصديق)
٤٧	تعريفهما على أي الوجهين هما أمران بسيطان:
٤٧	إثبات وتحقق أن كل من التصور والتصديق نوع بسيط من ماهية العلم
٤٧	رأي من جعل التصديق مركباً
٤٨	رأي من جعله نفس الحكم الذي هو فعل من أفعال النفس
٤٨	رأي من أخذ في تحصيل مفهوم التصديق التصور على وجه الشرطية لا على وجه الدخول
٤٨	رأي من جعل لفظ التصور مشتركاً بحسب الصناعة
٤٨	الرد على هذه الآراء
٤٨	العذر الذي ذكره شارح المطالع
٤٩	كلام المصنف في هذا المقام
٤٩	المنع الذي ذكره بعضهم
٥٠	الاستفادة من كلام المحققين
٥٠	المراد من قولهم: «العلم إما تصور فقط وإما تصور معه حكم»
٥١	فصل: [في تقرير الحق والمذاهب الأربعة]

٥١	التصور هو حصول صورة الشيء في العقل
٥٣	تفسير التصديق بأمور
٥٣	نسب إلى الحكماء بأنه عبارة الحكم
٥٣	مذهب الرازي: إنه عبارة عن مجموع تصور المحكوم عليه والمحكوم به والحكم
٥٣	مذهب صاحب المطالع: إنه عبارة عن تصور معه حكم
٥٤	أنه عبارة عن إقرار النفس بمعنى القضية والإذعان به
٥٤	فصل [في تأييد الحق بعبارات القوم]
٥٤	تحقيق معنى التصور والتصديق موافق لعبادات القوم
٥٥	نقل قول الشيخ الشهروردي
٥٥	قول الشيخ أبو علي (إن العلم إما تصور فحسب، وإما تصور معه تصديق)
٥٦	أن التصديق قسم من التصور المطلق
٥٧	قول ابن كمونه
٥٧	التصور هو حصول صورة في العقل غير مقيد باقتران الحكم
٥٧	قول المتأخرين
٥٨	إن التصديق أيضاً قسم من التصور
٥٨	الفرق بين التصديق والحكم
٥٨	تحقيق إن الإدراك لما كان عبارة عن حضور المدرك عند المدرك
٥٩	قول جميع المتأخرين: «إن الإدراك إن كان مع الحكم يسمى تصديقاً»
٥٩	قول المحقق في ظاهر الأمر يناه في شارح الإشارات
٥٩	دفع المناقاة بينهما
٦٢	فصل: [في جواز تقسمي العلم]
٦٢	توضيح وبيان من إن العلم بجميع أقسامه يكون تصوراً
٦٢	تقسيم العلم في الإشارات
٦٢	تقسيم العلم في الموجز الكبير
٦٢	دليل صحة قول الشيخ في منطق الإشارات
٦٣	في الموجز الكبير: العلم يحصل بوجهين
٦٤	في الشفاء: إن الشيء يُعلم من وجهين وكذلك يحصل من وجهين
٦٤	التصريح بأن التصديق قسم من التصور وإن كان قسماً له أيضاً
٦٥	ذهول المتأخرين عن الحقيقة
٦٥	حاول العلامة الرازي شارح المطالع توجيه كلام الشيخ

٦٦	الغلط ههنا إنما نشأ من الاشتباه بيت ماهية الشيء وما صدق عليه
٦٧	لتعقيب عبارات القطب الرازي
٦٨	إشكالات يستدعي المقام إيرادها وحلها
٧٠	الجواب الصحيح عن الإشكال الأول فهو من وجهين
٧٠	الجواب عن الإشكال الثاني
٧٣	الجواب عن الإشكال الثالث
٧٤	ذهول العلامة عن أن أجزاء وجود الشيء لا تدخل ولا تعتبرني ماهيته
٧٤	أن مختار المصنف في التصديق منظور فيه من وجوه:
٧٤	الأول: أنه يستلزم أن التصديق ربما يكسب من القول الشارح والتصور من الحجة
٧٤	الثاني: أن التصور مقابل للتصديق
٧٤	الثالث: أن الإدراكات الأربعة علوم متعددة
٧٥	جواب المصنف: هذه الأنظار كلها مدفوعة:
٧٥	أما طريق التقسيم الذي ذكره من أن العلم إما حكم أو غيره
٧٦	قول السيد الشريف في الحاشية
٧٦	جواب المصنف يمكن تطبيق عبارته على مذهب الحكماء
٧٦	تأييد قول الأبهري في فاتحة كتابه (تنزيل الأفكار) على ما ذكره المصنف
٧٧	هو بعينه تفسير الشيخ في الشفاء للتصديق
٧٧	اعتراض عليه المحقق الطوسي في نقد التنزيل
٧٨	الجواب من الأول: أجزاء المجموع صورة هذا التأليف مطلقاً
٧٨	وعن الثاني: بأن حصول التأليف بعينه هو الانتساب والحكم
٧٨	نسب إلى صاحب الملخص: أن التصديق هو مجموعة أمور أربعة
٧٨	قول صاحب القسطاس
٧٩	مما يدل على أن التصديق هو الاعتقاد فوقزله في التصديق الكسبي
٧٩	أن التصديق إدراك واحد داخل بحث التصور المطلق
٨٠	لكل من الأقسام تحصيلات وتنوعات أخرى باعتبار المعلومات
٨٠	اشتهار الحكماء المشائين أن الوجود أنواع متخالفة حسب اختلاف الماهيات
٨١	مخطوطات الكتاب

اتحاد العاقل بالمعقول

١٢٧	الدياجة
١٢٩	المقالة الأولى: في اتحاد العاقل بالمعقول

١٢٩	فصل [١]: في درجات العقل النظري موافقاً لما ذكره إسكندر الافريدوسي
١٢٩	المقام الأول: العقل الهولاني
١٣٢	المقام الثاني: العقل بالملكة
١٣٣	المقام الثالث: العقل الفعّال
١٣٣	فصل [٢]: في أنّ التعقل عبارة عن اتحاد العاقل بالمعقول
١٣٣	أقسام صور الأشياء
١٣٥	الصورة المجردة معقولة بالفعل
١٣٥	البرهان الحاسم على ثبوت الاتحاد
١٣٦	اتحاد أقسام المدركات بالمدركات
١٣٧	فصل [٣]: في تسديد ما أصلناه وتأكيد ما قرّرناه
١٣٧	مراتب تجريد النفس
١٣٨	اتحاد النفس بمدركاتها
١٣٨	مراتب تكامل النفس
١٣٩	فصل [٤]: في إمعان النظر في هذا المنهاج والإشارة إلى علم الله تعالى بالأشياء الممكنة
١٣٩	معرفة كيفية الأبصار والمذاهب فيها
١٣٩	إنشاء الصور الإدراكية هو المختار في هذا الباب
١٤٠	تأييد بكلام صاحب «أثولوجيا»
١٤٠	لا يرد على المذهب القويم في باب العلم ما يرد على الصور المرتسمة، وأشكال الوجود الذهني
١٤٠	الصعب
١٤٠	فصل [٥]: في طريق آخر لبيان المطلوب
١٤١	برهان التضائف في إثبات الاتحاد
١٤١	إشكال وجواب
١٤١	فصل [٦]: في دفع ما يرد على القول باتحاد العاقل بالمعقول وحلّ الشبهة التي ذكرها الشيخ
١٤٢	وغيره
١٤٢	الحجة الخاصة في نفي الاتحاد من كتاب «الإشارات»
١٤٣	الحجة العامة في نفي الاتحاد
١٤٣	نقل كلام الشيخ في ردّ فرفوروس من كتابي «الإشارات» و«الشفاء»
١٤٣	الحجة العامة في نفي الاتحاد من كتاب «الشفاء»، قسم الطبيعيات
١٤٤	بيان مقدمتين في نفي الحجج الواردة في نفي الاتحاد
١٤٤	بيان أقسام الاتحاد

١٤٥	إشكال وجواب
	ملخص الكلام بأن صدق المعاني المتغايرة العارضة على ذوات مختلفة جائز على ذات
١٤٥	واحد
١٤٦	نفي الحجج الخاتمة الواردة في «الإشارات» و«الشفاء»
١٤٦	نفي الحجج الخاصة الواردة في «الإشارات»
١٤٦	استشهاد بكلام الشيخ في الهيات «الشفاء»
١٤٧	وجود التناقض بين كلام الشيخ في «الإشارات» و«الشفاء»
١٤٧	قول من يقول أن اختلاف الوجود والنفس في المراتب بالعوارض باطل
١٤٨	الكمالات الوجودية زائدة على أصل الوجود من وجوه
١٤٨	ردّ ما ورد في «الإشارات» في الحجة الخاصة
١٤٩	ردّ ما ورد في «الشفاء» في الحجة الخاصة
١٥٠	معرفة أن النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء
١٥٠	تتمّة الردّ
١٥١	يمكن اتصاف الشيء بالقبول الاستكمالي
١٥١	النفس إذا قويت تصير مصداقاً لمعانٍ كثيرة
١٥٢	نقل تتمّة كلام الشيخ عن «الشفاء» والردّ عليه
١٥٢	عدم تغيير النفس في إدراك المعقولات محال بوجهين
١٥٣	تهافت كلام الشيخ مع ما ذكره في «المبدأ والمعاد» في نفي الاتحاد
١٥٣	اعتذار المحقق الطوسي عن التهافت
١٥٣	مباهاة الصدر أو إبتهاجه بكشف القاعدة والبرهان عليها
	المقالة الثانية: في أنّ العقل البسيط كل المعقولات، وأن عند تعقلها شيء يتحد بالعقل الفعال،
١٥٥	وما يرتبط بذلك ويتعلق به
	الفصل الأول: في أنّ كلّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء الوجودية إلّا ما يتعلّق بالنقائص
١٥٥	والإعدام
١٥٥	البرهان الحاسم على القاعدة
١٥٦	النفس الناطقة تمام ما دونها
	الفصل الثاني: في تحقيق قول المتقدمين أنّ النفس حينما تعقل الأشياء تتحد بالعقل الفعال ١٥٧
١٥٧	نفي الاتحاد بالعقل الفعال
١٥٧	نفي الاتحاد في كلام الشيخ
١٥٨	الردّ على من ينكر الاتحاد

- ١٥٨ ابتهاج الصدر بنيل الحقيقة في هذه المسألة
- ١٥٨ ثلاث مقدمات بها تكسر سورة استبعاد المخالفين
- ١٥٨ المقدمة الأولى: اتحاد النفس بالمعقول
- ١٥٩ المقدمة الثانية: وحدة العقول ليست بعددية
- ١٥٩ المقدمة الثالثة: العقل البسيط هو كلّ الأشياء المعقولة
- ١٦٠ بيان اتحاد نفس بالعقل الفعال
- ١٦١ منشأ إنكار الاتحاد هو الذهول عن تحقيق الوحدة العقلية
- ١٦١ الفصل الثالث: في التنصيص على ما ذكرناه من كلام الفيلسوف المقدم
- ١٦١ نقل المصنّف عن «أثولوجيا»
- ١٦٢ شرح بعض فقرات «أثولوجيا»
- ١٦٣ تحقيق معنى «القوة» في عباراته
- ١٦٣ تحقيق معنى «الجزء» في عباراته
- نقل المصنّف عن «أثولوجيا» تارة أخرى بأنّ الأشياء كلّها في العقل، وأنّ في العقل جميع العقول
- ١٦٤ والحيوان

أجوبة المسائل الجيلانية

- ١٦٧ الديباجة
- ١٦٨ المسألة الأولى: بيان الأشكال الذي في الحركة الكمية
- ١٦٩ الجواب: في رد كلام الجمهور
- ١٧٠ برهان على أن المقدار الحاصل في الحركة الكمية فائض من داخل الأشياء
- ١٧٠ الاعتبارات التي تعرض على الهولي باعتبار الصورة
- ١٧١ تحقيق قول الحكماء بأن الفعل للصورة والقبول للمادة
- ١٧١ الرد على الدواني وغيره في قبول الهولي الأعراض
- ١٧٢ المسألة الثانية: الأشكال الذي في ثبوت النفس للنبات
- ١٧٢ الجواب: تحقيق المسألة بأن الجوهر المفارق مقوم هوية النبات وغيرها لاعينها
- ١٧٣ المسألة الثالثة: الأشكال الذي في الوجود الذهني
- ١٧٣ الأشكال في قول من حلّ هذه الغويصة بمسألة الحمل الأولى
- ١٧٣ الجواب: بأن ثبوت الأشياء في الذهن بماهياتها لا بوجوداتها
- ١٧٤ المسألة الرابعة: الأشكال الوارد في ثبوت الإدراكات للحيوانات
- ١٧٥ الجواب: بأن إدراكات الجزئية تحتاج إلى قوى درآكة
- ١٧٦ الجوهر الملكوتي الذي يفيض الإدراكات في الحيوانات خارج عن هويتها بخلاف الإنسان

المسألة الخامسة: تهافت بعض المأثورات الروائية مع قاعدة «أن النفس جسمانية الحدوث

- وروحانية البقاء» ١٧٦
- الجواب ببيان مقدمات ١٧٧
- المقدمة الأولى: أن الروح غير النفس ١٧٧
- بيان مراتب النفس ١٧٧
- المقدمة الثانية: ثبوت الحركة الجوهرية في الأجسام وسيلانها ١٧٨
- المقدمة الثالثة: ثبوت مقام الروح للخواص ١٧٨
- شرح الروايات التي يهافت ظاهرها مع القاعدة ١٧٨

اجوبة المسائل الكاشائية

- الديباجة ١٨٣
- المسألة الأولى: الأشكال الوارد في إدراك النفس نفسها وقواها ١٨٣
- الجواب ١٨٤
- اتفاق الحكماء في إدراك النفس نفسها ١٨٤
- الشك في جوهرية النفس غير قادح في إدراكها ذاتها ١٨٤
- تحقيق منشأ الشك في جوهرية النفس ١٨٥
- تشارك الحدّ والبرهان في الوجود والنفس ١٨٦
- العلم الحضورى في مدركات النفس ١٨٧
- تحقيق علم النفس بالآثار ١٨٧
- تحصيل حكمي: بأن علم النفس بقواها وآثارها حضورى ١٨٧
- تنمّة تنبيهية: القوى الحسية مجبورة في أفعالها دون الباطنية ١٨٩
- محدودية الحواس الظاهرة في إدراكاتها ١٨٩
- المسألة الثانية: الأشكال الوارد في الأفعال الغير الاختيارية ١٩٠
- الجواب: بمسخرية هذه الأفعال عند النفس ١٩٠
- تنبيه بأقسام المشية ١٩٠
- المشية التي نشأت من الحبّ الذاتي منشأة الأفعال الغير الاختيارية ١٩١
- تبصرة بمسألة إرادته تعالى ١٩١
- كيفية انقياد القواهر لله تعالى ١٩٢
- بيان أنّ كل بسيط صوري هو عين الشعور ١٩٢
- القصد والشعور الزائدان يضران الفاعل الكامل في فعله ١٩٣

المسألة الثالثة: الأشكال الوارد في الأفاعيل العجيبة للنباتات والحيوانات	١٩٣
الجواب: قول من قال في هذه المسألة بثبوت أرباب الأنواع	١٩٤
إثبات الشعور في الحيوانات والنباتات نظراً بوجوداتها	١٩٤
المسألة الرابعة: الأشكال الوارد بعدم انطباق القوى الفاعلة في الطبيعة وإشرفيتها في الخيال	
والوهم	١٩٥
الجواب: إنكار القوة الفاعلة المستمرة في تكوّن المني والبذر والاستشهاد بكلام الشيخ	١٩٦
تحقيق عدم أشرفية القوى النباتية والطبيعية على الوهم والخيال	١٩٦
عدم مقومية القوة النامية وغيرها لطبيعة الحيوان	١٩٧
استخدام النفس جميع القوى في سيرها الكمال من دون تقوّمها بها	١٩٧
المسألة الخامسة: الأشكال الوارد في أشرفية نفس الإنسان على النفس الفلكي	١٩٨
بتهاج المصنف في حلّ هذا المعضل	١٩٨
تنافر طبيعة العامة عن النيل بمغزى الجواب	١٩٩
تمهيد مقدمة في بيان أقسام النفوس	١٩٩
إن الطبيعة الإنسانية فيها قوة أنواع كثيرة من الملائكة والشياطين والسباع	٢٠٠
الحق الصريح في الجواب هو: أن نفوس المقربين تفضل على ملائكة الأفلاك	٢٠١
توضيح أشرفية هذا النفوس على النفوس الفلكية مع عليتها لها	٢٠١
رسوخ نفس الفلك في مرتبة وعدم تجاوزها عنها	٢٠١
الأمانة الإلهية توجب أفضلية النفوس الإنسانية	٢٠٢
توضيح الظلوم والجهول في باب الإنسان	٢٠٣
سبب ارتقاء الإنسان اشتغاله على جهتي القوة والفعل	٢٠٤
التوجه بالافتقار الذاتي يوجب التكامل	٢٠٥
بيان أحوال النفوس في مباحث	٢٠٦
المبحث الأول: في معرفة النفوس الساذجة	٢٠٦
المبحث الثاني: في معرفة النفوس العامية السليمة	٢٠٧
المبحث الثالث: في معرفة النفوس الشقية الجاحدات للحق	٢٠٨
المبحث الرابع: في معرفة نفوس الفسقة والفجار	٢٠٨
المبحث الخامس: في معرفة نفوس المتوسطة ومراتبها	٢٠٩
نقل كلام الشيخين والتعجب منه	٢١٠
رد كلام الشيخين	٢١١
تخلّص قدسي في معرفة الصور التي يلتذّ منها السعداء ويؤلم منها الشقياء	٢١٣

أجوبة مسائل التصيرية

٢١٧	الديباجة
٢١٧	رسالة خواجه نصير الدين الطوسي إلى شمس الدين الخسور شاهي وفيها ثلاثة أسئلة
٢٢٠	الجواب عن السؤال الأول في مدخلية السرعة والبطء في وجود الحركات
٢٢١	الجواب عن السؤال الثاني في بيان كيفية عدم تجويز الفنا للنفس مع حدوثها في المادّة
٢٢٢	بيان تغيير رأي المصنف بمضّي الأيام
٢٢٢	توضيح قاعدة: «أن النفس جسمانية الحدود وروحانية البقاء»
٢٢٣	الجواب عن السؤال الثالث في كيفية حصول التكثير في الصادر الأول
٢٢٣	تمهيد مقدمتين
٢٢٤	المقدّمة الأولى في أن كل ممكن زوج تركيبى
٢٢٤	المقدمة الثانية في معرفة الجاعل الأول
٢٢٤	تحليل الجواب
٢٢٦	نقل كلام الطوسي عن شرح «الإشارات»
٢٢٧	بيان وجوه الخلل في كلامه الشريف

إصالة جعل الوجود

٢٢٣	الديباجة
٢٢٣	الأصل الأول: في إصالة الوجود
٢٣٤	الأصل الثاني: في جعل الوجود أولاً
٢٣٤	البرهان الأول
٢٣٥	البرهان الثاني
٢٣٦	البرهان الثالث
٢٣٦	البرهان الرابع
٢٣٧	البرهان الخامس
٢٣٧	البرهان السادس
٢٣٨	البرهان السابع
٢٣٨	البرهان الثامن
٢٣٩	البرهان التاسع
٢٣٩	البرهان العاشر
٢٣٩	البرهان الحادي عشر

٢٤٠	البرهان الثاني عشر
٢٤٠	البرهان الثالث عشر
٢٤١	البرهان الرابع عشر
٢٤١	البرهان الخامس عشر

التنقيح

٢٤٥	الدباجة
٢٤٦	الإشراق الأول: في إيساغوجي
٢٤٦	المقدمة
٢٤٦	لمعة [١]: في العلم وأقسامه
٢٤٧	لمعة [٢]: في الدلالات وأقسامها
٢٤٧	لمعة [٣]: في المفرد والمركب
٢٤٨	لمعة [٤]: في الكلّي والجزئي وأقسام الكلّي
٢٤٨	لمعة [٥]: في الألفاظ ونسبتها
٢٤٩	لمعة [٦]: في النسب الأربع
٢٤٩	لمعة [٧]: في الحمل وأقسامه
٢٥٠	لمعة [٨]: في الأيساغوجي أو الكليات الخمس
٢٥٠	لمعة [٩]: في معرفة الكليات الخمس
٢٥٢	لمعة [١٠]: في أقسام الكلّي
٢٥٢	الإشراق الثاني: في الأقوال الشارحة
٢٥٢	لمعة [١]: في الحدود والرسوم
٢٥٣	لمعة [٢]: في الحدّ ودلالته وتركيبه
٢٥٣	خاتمه: في أمثلة من الخطأ في التعاريف مهذّبة للطبع (علل المغالطة)
٢٥٤	الإشراق الثالث: في باريرميناس
٢٥٤	تمهيد: في أقسام الوجود
٢٥٥	لمعة [١]: في أقسام القضايا وأجزائها
٢٥٦	لمعة [٢]: في أقسام القضايا بحسب الموضوع
٢٥٦	لمعة [٣]: في موضوع القضايا
٢٥٧	لمعة [٤]: في القضية المعدولة والمحصّلة
٢٥٧	لمعة [٥]: تبصرة في القضايا الشرطية
٢٥٧	لمعة [٦]: في تركيب القضايا الشرطية

٢٥٧	الأشراق الرابع : في جهات القضايا وتصرفات فيها
٢٥٧	لمعة [١] : في معرفة الجهات والقضايا الموجّهة
٢٥٨	أقسام القضايا الموجّهة البسيطة
٢٥٨	أقسام القضايا الموجّهة المركبة
٢٥٩	لمعة [٢] : في الإمكان
٢٥٩	لمعة إشراقية [٣] : في رجوع القضايا إلى الضرورية
٢٦٠	لمعة [٤] : في معرفة النقيض وتقيض الجهات
٢٦١	لمعة حكيمية [٥] : في وحدة الحمل
٢٦١	لمعة [٦] : في العكس المستوى
٢٦٣	لمعة [٧] : في عكس التقيض
٢٦٣	الإشراق الخامس : في التركيب الثاني
٢٦٣	لمعة [١] : في القياس ومادته
٢٦٤	لمعة [٢] : في صورة الأقيسة الاقترانية
٢٦٤	الشروط العامة للقياس الاقتراني
٢٦٥	لمعة [٣] : في الشروط الخاصّة للشكل الأول وضروبه
٢٦٥	لمعة [٤] : في الشروط الخاصّة للشكل الثاني وضروبه وإثباته
٢٦٧	لمعة [٥] : في الشروط الخاصّة للشكل الثالث وضروبه وإثباته
٢٦٨	لمعة [٦] : المقدمات الشرطية في القياس الاقتراني
٢٦٩	عقد وحل
٢٧٠	لمعة [٧] : في القياس الاستثنائي
٢٧١	الإشراق السادس : في الأقيسة المختلفة
٢٧١	لمعة [١] : في القياس المركّب وتعداد مقدمات القياس
٢٧١	لمعة [٢] : في قياس الخلف ومقدماته
٢٧٢	لمعة [٣] : في قياس الدور
٢٧٢	لمعة [٤] : تبصرة كلية في القياس
٢٧٢	الإشراق السابع : في أصناف ما يحتاج به
٢٧٣	الإشراق الثامن : في البرهان
٢٧٣	تمهيد : في الصناعات الخمس
٢٧٤	لمعة [١] : في المطالب
٢٧٥	لمعة [٢] : في البرهان اللّميّ والآتي

٢٧٥	لمعة [٣]: في أجزاء العلوم
٢٧٦	لمعة [٤]: في تلازم الحدّ والبرهان
٢٧٨	الإشراق التاسع: في سوفسطيى أي المغالطة
٢٧٨	تمهيد: في مقدّمات المغالطة
٢٧٨	لمعة [١]: أسباب الغلط في القياس

الحشرية

٢٨٣	فصل [١]: في أنّ عذاب القبر حقّ بقول مجمل
٢٨٣	ملكات الأعمال تشاهد في القبر
٢٨٤	فصل [٢]: في الإشارة إلى حقيقة الحشر
٢٨٤	تفسير يوم الجمع ويوم الفصل
٢٨٥	كشف حال لتتميم حال
٢٨٥	الحشر بميزان ما يعمل الإنسان لأجله
٢٨٦	إشارة إجمالية إلى حقيقة الصراط
٢٨٦	فصل [٣]: في الإشارة إلى الصراط
٢٨٧	فصل [٤]: في الإشارة إلى كيفية وزن الأعمال وذكر الميزان
	فصل [٥]: في الإشارة إلى صحائف الأعمال وكرام الكائنين ونزول الملائكة على الأخيار ونزول
٢٨٩	الشياطين على الأشرار
٢٨٩	أن لوح النفس ينتقش من الأفعال
٢٩٠	إشارة إلى أقسام الملائكة
٢٩٠	رؤية نتيجة الأعمال في القيامة
٢٩١	بيان تجسّد الأعمال
٢٩٢	أصناف الناس يوم القيامة
٢٩٣	فصل [٦]: في الإشارة إلى طبقات أهل الحساب
٢٩٣	الناس يوم الحساب على طائفتين
٢٩٣	معرفة طائفة يرزقون بغير حساب
٢٩٤	معرفة طائفة أهل الحساب
٢٩٤	معرفة الحساب نفسه
٢٩٥	فصل [٧]: في ذكر أصناف الخلائق يوم الآخرة وذكر الجنة والنار بوجه سرّي
٢٩٥	معرفة الأصناف الثلاث في الآخرة
٢٩٦	كيفية مرور الأصناف الثلاثة على الجحيم

٢٩٦	أهل الأعراف
٢٩٧	معرفة حال الأشقياء والسعداء في الآخرة
٢٩٨	مكاشفة: في معرفة التضاد الذي بين أصحاب اليمين والشمال
٢٩٩	فصل [٨]: في الإشارة إلى خازن الجنة وخازن الجحيم، وكيفية وصول الخلق إلى الفطرة الأصلية التي لهم في النشأة الأولى لحصول التطابق التعاكسي بين النشأتين
٢٩٩	مراتب تكوّن الإنسان
٢٩٩	المعاد هو الرجوع إلى الفطرة الأولى
٣٠٠	انتفاء الإرادة يوجب السعادة في الدنيا والآخرة
٣٠٠	وجه تسمية خازن الجنة بالرضوان
٣٠١	انتفاء القدرة والعلم والوجود عن السالك
٣٠٢	وجه تسمية خازن الهاوية بالمالك
٣٠٢	فصل [٩]: في الإشارة إلى حالات تحدث يوم القيامة وإلى وقوف الخلق في العرصات
٣٠٢	إشارة إلى القيامة الصغرى والكبرى
٣٠٣	قطع أسباب التنازع والعناد
٣٠٣	تجلّى الموت بصورة الكباش الأملح وتجلّى الجحيم بصورة البعير

الخلصة وديباجة عرش التقديس

٣٠٧	رسالة الخلصة
٣٠٧	بيان الرؤيا
٣٠٨	تعبير الرؤيا
٣٠٩	ديباجة عرش التقديس

رسالة خلق الأعمال

٣١٣	الخطبة
٣١٣	بيان المذاهب التي في خلق الأعمال
٣١٣	المذهب الأول أن الله تعالى أوجد العباد وأقدرهم على بعض الأفعال
٣١٤	الفوائد المترتبة على هذا المذهب
٣١٤	المذهب الثاني: لا مؤثر في الوجود إلا الله (مذهب الأشاعرة)
٣١٤	المفاسد المترتبة على هذا المذهب
٣١٥	المذهب الثالث: إن الله قادر على كل شيء، لكن الأشياء في قبول الوجود متفاوتة
٣١٥	تحليل الخير والشر على هذا المذهب

المذهب الرابع : قول الراسخون في العلم هو الوحدة في الكثرة والعكس	٣١٦
الفوائد المترتبة على هذا القول	٣١٧
الحكومة : باختيار المذهب الرابع	٣١٧
تحليل «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»	٣١٨
توضيح المذاهب بأمثلة	٣١٨
مذهب التنزيه والتشبيه في هذا الموقف	٣١٨
تمثيل لتبيان المذهب الحق	٣١٩
معرفة النفس وقواها في هذا المجال	٣١٩

شواهد الربوبية

الديباجة	٣٢٣
بيان المسائل التي أوردتها في الرسالة	٣٢٤
١ - مسألة التوحيد الخاصي	٣٢٥
٢ - مسألة التوحيد العامي	٣٢٥
٣ - تحقيق لوجود المثل الأفلاطونية	٣٢٥
بيان الآراء المختلفة فيه	٣٢٥
٤ - إن أثر الجاعل هو الوجود بجعل بسيط	٣٢٦
٥ - إن الوجود حقيقته بسيطة ويصدق على مصاديقه بالتشكيك	٣٢٦
٦ - بيان التقدم بالحقيقة والحق	٣٢٧
٧ - تصحيح التثليث في الصادر الأول	٣٢٧
٨ - اختلاف الوجود بالماهيات	٣٢٧
٩ - تحقيق علمه تعالى بالأشياء	٣٢٧
١٠ - تحقيق القول في الوجود الذهني	٣٢٧
١١ - تحقيق القول في اتحاد العاقل والمعقول	٣٢٨
١٢ - تحقيق القول باتحاد النفس بالعقل الفعال	٣٢٨
١٣ - كيفية الفاعلية والغائية في العقل الفعال	٣٢٨
١٤ - وحدة الموضوع المعبرة في التناقض تعتبر في الموضوعات الجسمانية لا العقلية	٣٢٨
إيضاح : بأن الصور النوعية حقيقة بسيطة كالوجود	٣٢٨
١٥ - تجويز الحركة الجوهرية	٣٢٩
١٦ - تحقيق عروض الموت للإنسان	٣٢٩

- ١٧ - الفصل الأخير حقيقة كل ماهية تركيبية ٣٢٩
- ١٨ - تحقيق المذهب المستحدثة في المزاج ٣٣٠
- ١٩ - تحقيق مسألة المعاد الجسماني ٣٣٠
- ٢٠ - تحقيق ماهية القبر ٣٣٠
- ٢١ - تحقيق مراتب تكامل الإنسان ٣٣٠
- ٢٢ - تحقيق مسألة المعراج الجسماني ٣٣١
- ٢٣ - تحقيق الأجزاء الثلاثة في وجود النفس الإنساني ٣٣١
- ٢٤ - إن حقيقة الإنسان نوع واحد في هذه النشأة وأنواع كثيرة في النشأة الأخرى ٣٣١
- ٢٥ - تنزل النفس في إدراك المحسوسات ٣٣٢
- ٢٦ - تحقيق الصور المرئية في المرآيا ٣٣٢
- ٢٧ - تحقيق لمية اختصاص المنطقة بموضع معين ٣٣٢
- ٢٨ - تفسير «خلق السماوات» والأرض في ستة أيام» ٣٣٣
- ٢٩ - حمل متشابهات القرآن على ظاهر معناه ٣٣٣
- ٣٠ - إن العقل كل الموجودات ٣٣٣
- ٣١ - التركيب الاتحادي بين المادة والصورة وبين البدن والنفس ٣٣٣
- ٣٢ - إثبات حركة النمو والذبول في النبات والحيوان ٣٣٤
- ٣٣ - إقامة البرهان العرشي على ثبوت العلم الحضوري الإشرافي للباري ٣٣٤
- ٣٤ - إثبات العلم الحضوري للنفس بالنسبة إلى الحواس الظاهرة وفاعليتها بالرضا ٣٣٤
- ٣٥ - المبدأ الفاعلي مقوم الوجود وفاعل الماهية ٣٣٤
- ٣٦ - اتصاف العقول المفارقة بالإمكان باعتبار ذاتها لا نفس الأمر ٣٣٤
- ٣٧ - إن أصحاب النار بالإصالة هي النفس والهوى والشیطان ٣٣٤
- ٣٨ - دفع الشبهة الواردة في قاعدة إمكان الأشرف ٣٣٥
- ٣٩ - إن هيولي العناصر واحدة بالشخص ٣٣٥
- ٤٠ - إن الصورة في الذهن جوهر بالماهية وكيف بالذات لا بالحقيقة ٣٣٥
- ٤١ - تشارك الحد والبرهان ٣٣٥
- ٤٢ - إثبات حدوث العالم الجسماني ٣٣٦
- ٤٣ - كل ماله الحركة من الدنيا ٣٣٦
- ٤٤ - تحقيق مسألة الزمان والمكان في دار الآخرة ٣٣٦
- ٤٥ - تضاف الدنيا والآخرة ٣٣٦
- ٤٦ - تحقيق كون الآخرة في داخل حجب السماوات ٣٣٦

- ٤٧ - أشرفية الفعل على القوة في الدنيا ٣٣٦
- ٤٨ - إن جوهر النبوة مشتمل على مراتب ثلاث ٣٣٦
- ٤٩ - تحقيق أن النبي خادم للقضاء الإلهي ٣٣٧
- ٥٠ - تحقيق قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض» ٣٣٧
- ٥١ - اجتماع الخلائق يوم الحشر في ساهرة واحدة ٣٣٧
- ٥٢ - تحقيق في أن مبادئ علم يمكن أن تكون من عوارض الذاتية ٣٣٧
- ٥٣ - إن الكلّي الطبيعي موجود في الخارج بالعرض ٣٣٧
- ٥٤ - مسألة تحقيق الجوهر في الذهن ٣٣٧
- ٥٥ - تحقيق في أفراد الأجناس العالية ٣٣٧
- ٥٦ - تحقيق أن علمه تعالى بالجزئيات كفاعليته ٣٣٨
- ٥٧ - إثبات الشعور والتسبيح في جميع الموجودات ٣٣٨
- ٥٨ - العالم تسبيح واحد للباري ومسبح له باعتبار آخر ٣٣٨
- ٥٩ - البرهان العرشي على كون الجسمية المقدارية مناط الموت والجهالة ٣٣٨
- ٦٠ - الوجود في كل شيء عين العلم والقدرة وسائر الكمالات ٣٣٨
- ٦١ - الجواب عن الإيراد الوارد في إثبات النفس من جهة إدراك المعاني المنقسمة ٣٣٨
- ٦٢ - إبطال برهان المحقق الخفري في إثبات واجب الوجود ٣٣٨
- ٦٣ - عدم الجمع بين مجعولية الماهية والتشكيك بالأقدمية ٣٣٩
- ٦٤ - تحقيق كثرة الصفات الكمالية ٣٣٩
- ٦٥ - ليس لذات الباري برهان وحدّ خلافاً لصفاته ٣٣٩
- ٦٦ - إثبات تنوع باطن الإنسان ونفسه في كلّ حين ٣٣٩
- ٦٧ - تحقيق مسألة البداء ٣٤٠
- ٦٨ - تفسير قدرته تعالى بصحة الفعل والترك لا يوافق مسلك الفلاسفة ٣٤٠
- ٦٩ - إثبات قدرته تعالى على معنى صحة الفعل والترك ٣٤٠
- ٧٠ - إن هويلى كل فلك وعقله مغاير لفلك آخر ٣٤٠
- ٧١ - إن العالم صورة الحق واسمه ٣٤٠
- ٧٢ - كيفية تخلّق الإنسان بأخلاق الله بالحقيقة ٣٤٠
- ٧٣ - إثبات حيوان إنساني وموقفه في المعاد ٣٤٠
- ٧٤ - تحقيق في مبدأ الفصل الأخير ٣٤١
- ٧٥ - تحقيق في جوهرية النفس وعدمها ٣٤١
- ٧٦ - تحقيق أن العرض الذاتي هو الخارج المحمول ودفع مقالة الدواني فيه ٣٤١

- ٧٧ - تجرّد القوة الخيالية عن البدن الديوي دون الأخرى ٣٤١
- ٧٨ - تحقيق مقالة الشيخ في القانون في اللذة البصرية والسمعية ٣٤١
- ٧٩ - تحقيق ما أفاده الشيخ في نفي الحركة عن مقولة متى ٣٤٢
- ٨٠ - التوفيق بين مقالة المحقق الطوسي والشيخ في متعلق النفس ٣٤٢
- ٨١ - إثبات الشوق في الهيولي ودفع ما ذكره الشيخ ٣٤٢
- ٨١ - إثبات الشوق في الهيولي ودفع ما ذكره الشيخ ٣٤٢
- ٨٢ - تحقيق في عدم تخصيص القاعدة الفرعية في اتصاف الماهية بالوجود ٣٤٢
- ٨٣ - تحقيق في فناء الدنيا ٣٤٣
- ٨٤ - إنّ أكثر الناس يعبدون غير الله ٣٤٣
- ٨٥ - تبين وجه غلط عبدة الأصنام ٣٤٣
- ٨٦ - بيان الطاعة الجبلية في كلّ الموجودات ٣٤٣
- ٨٧ - مسألة خلود أهل النار ٣٤٣
- ٨٨ - عينية البرزخ الذي في قوس النزول مع ما في الصعود ٣٤٤
- ٨٩ - تطبيق مقولات العشر مع أسماء الله تعالى وتفسيره على لسان أهل الله ٣٤٤
- ٩٠ - إثبات كون الدنيا دار انتقال وزوال، والآخرة دار قرار وثبات ٣٤٤
- ٩١ - إن علمه تعالى تابع ومتبوع من وجهين ٣٤٤
- ٩٢ - لوازم الوجود لا تحتاج إلى الجعل ٣٤٤
- ٩٣ - تبين كيفية ورود المباحث الآلهي في الطبيعي كالواجب ٣٤٤
- ٩٤ - دفع ما قاله المحقق الطوسي في الرد على الشيخ في علم الباري ٣٤٥
- ٩٥ - إثبات النفوس المتعددة للفلك ٣٤٥
- ٩٦ - تحقيق التقدّم والتأخّر في أجزاء الزمان ٣٤٥
- ٩٧ - تحقيق كون وجوده تعالى عين فاعليته للأشياء ٣٤٥
- ٩٨ - دفع الإشكال في علم النفس بذاتها ٣٤٥
- ٩٩ - دفع لزوم التناسخ في تعلّق النفس بالبدن الأخرى ٣٤٦
- ١٠٠ - الوجود الواجبي ليس في ذاته مصداقاً لسلب شيء من الأشياء ٣٤٦
- ١٠١ - بين الوجود ذي الماهية وتلك الماهية تلازم عقلي ٣٤٦
- ١٠٢ - الوجود قابل التشكيك سوى سائر المعاني الكلية ٣٤٦
- ١٠٣ - سلسلة مراتب الإدراكات في الدنيا عكس الآخرة ٣٤٧
- ١٠٤ - كل ما يراه الإنسان في الدنيا يراه في عالمه وذاته ٣٤٧
- ١٠٥ - مرتبة النفس الإنسانية ٣٤٧

- ١٠٦ - معرفة البدن الذي تتعلق به النفس وتتصرف فيه ٣٤٧
- ١٠٧ - الوحدة في الأشياء نفس وجودها ٣٤٧
- ١٠٨ - البرهان العرشي على وجود النفس من جهة غاية الحركة ٣٤٨
- ١٠٩ - البرهان العرشي على وجود الملائكة العقلية ٣٤٨
- ١١٠ - إثبات الغايات العقلية للحركات الطبيعية والنفسانية من ناحية العشق الغريزي ٣٤٨
- ١١١ - تنتهي الحركات الطبيعية إلى الخير الأقصى ٣٤٨
- ١١٢ - تفسير كلام الشيخ في «التعليقات» في وجود الأعراض ٣٤٨
- ١١٣ - إبطال كلام بهمنيار في «التحصيل» في إضافة الوجود الخاص إلى الموضوع ٣٤٩
- ١١٤ - الوجود ليس بجوهر ولا بعرض ٣٤٩
- ١١٥ - دفع الإشكالات التي ترد الشيخ الإشراقي في اعتبارية الوجود ٣٤٩
- ١١٦ - تعريف الأمور العامة ٣٥٠
- ١١٧ - خلق الجنة والنار من أعمال بين آدم ٣٥٠
- ١١٨ - تحقيق حديث: «إن الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله» ٣٥٠
- ١١٩ - إن لكل مؤمن جنة عرضها كعرض السماوات والأرض إلا أن ظهورها في الآخرة ٣٥٠
- ١٢٠ - معرفة النشأت الأربع للإنسان وقبرها ٣٥٠
- ١٢١ - معرفة المقابر العرشية والفرشية ٣٥١
- ١٢٢ - إقامة البرهان للعقل من جهة غايات الحركات الطبيعية ٣٥١
- ١٢٣ - رد قول الحكماء في أن تشخص العقل لازم لماهيته ٣٥١
- ١٢٤ - رد كلام الشيخ في تشخص الشيء بالوضع مع الزمان ٣٥١
- ١٢٥ - رد ذوق النال في تحقق الوجود وجعله ٣٥١
- ١٢٦ - تحقيق كون نبينا معلماً للأنبياء السابقين ٣٥٢
- ١٢٧ - إقامة البرهان على وجود العقل المأخوذ من جملة استقامة بسائط العناصر ٣٥٢
- ١٢٨ - معرفة المراتب الثلاث للوجود ٣٥٢
- ١٢٩ - إن صورة الإنسان آخر المعاني الجسمية وأول المعاني الروحانية ٣٥٣
- ١٣٠ - أفضلية طريقة الصديقين في إثبات الواجب ثم طريق معرفة النفس ٣٥٣
- ١٣١ - دفع أشكال أورده الرازي في تعيين الطبايع ٣٥٣
- ١٣٢ - تحقيق أن طاعة الملائكة لرب العالمين اضطرارية لا اختيارية ٣٥٤
- ١٣٣ - توجيه ما ذكره الشيخ في «القانون» في خلقة الجليدية ٣٥٤
- ١٣٤ - تحقيق ما ذكره الشيخ في عدم المعرفة بحقائق الأشياء ٣٥٤

- ١٣٥ - تحقيق أن العلم بالسبب التام يوجب العلم التام بالمعلول ٣٥٤
- ١٣٦ - وجود كل معلول من لوازم حقيقة العلة ٣٥٤
- ١٣٧ - تحقيق التهافت التي بين معرفة النفس والعلم من ناحية السبب ٣٥٥
- ١٣٨ - دفع احتجاج الشيخ الإشراقي في عدم اتحاد الجنس والفصل في المركبات ٣٥٥
- تتمة: تبين اشتباه صاحب «روض الجنان» في هذا الباب ٣٥٥
- ١٣٩ - قاعدة في اسعلا م كون الجزء الصوري للشيء جوهرأ أو عرضأ ٣٥٥
- ١٤٠ - إن الجزء الصوري قابل الاشتداد والتضعيف ٣٥٦
- ١٤١ - تحقيق ما ذكره فيثاغوريون في مبدئية العدد لمبادئ الموجودات ٣٥٦
- ١٤٢ - تحقيق في تمثيل الشمس والنجوم في العالم الكبير ٣٥٦
- ١٤٣ - تأويل قوله تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» ٣٥٦
- ١٤٤ - اتحاد الفاعل والغاية والمادة والصورة في الشيء وتفاوتها بالكمال والنقص ٣٥٦
- ١٤٥ - إن مقعر فلك المنازل سقف جهنم ٣٥٦
- ١٤٦ - رد ما أورده الرازي في تعريف الجسم بالجواهر القابل للأبعاد الثلاثة ٣٥٧
- ١٤٧ - إن النفس تفعل حركة الانتقال بتوسط الطبيعة والجواب لما قاله الحكماء في هذا الباب ٣٥٧
- ١٤٨ - تحقيق في المشتق ٣٥٨
- ١٤٩ - تحقيق في قول الحكماء لإثبات الشكل الكري للجسم البسيط ٣٥٨
- ١٥٠ - كل جسم بسيط أو مركب له نفس وحياة ٣٥٩
- ١٥١ - إن الهيولى في كل أن لها صور متفاوتة على نعت الاتصال ٣٥٩
- ١٥٢ - وقوع التناقض في كلمات الشيخ الإشراقي في اعتبارية الماهية ٣٥٩
- ١٥٣ - وقوع التناقض في كلام الشيخ الرئيس في باب مشابهة الفعل بفاعله ٣٦٠
- ١٥٤ - دفع ما أورده المحقق الخفري في باب الصور المرتسمة ٣٦٠
- ١٥٥ - دفع ما أورده صاحب روض الجنان على الشيخ الرئيس في زوال الجنس بفصله ٣٦١
- ١٥٦ - وحدة مطلب «لم هو» في العالم العقلي يؤكد جعل الوجود ٣٦١
- ١٥٧ - إن فصل الشيء نحو وجوده وتحقيق مقالة المشائين في الأشدية والأضعفية في السواد ٣٦١
- ١٥٨ - تحقيق في عدم جوهرية فصول الجواهر ٣٦٢
- ١٥٩ - تحقيق في جوهرية الصورة النوعية ٣٦٢
- ١٦٠ - تحقيق في عدم تعلق نفوس البله والضعفاء بالإجرام الفلكية ٣٦٣

٣٦٣	١٦١ - تحقيق في سماء القيامة
٣٦٤	١٦٢ - تحقيق في صدور الحركة في الطبيعة
٣٦٤	١٦٣ - تحقيق في فاعل الحركة الطبيعية والقسرية والإرادية
٣٦٥	١٦٤ - أفاعيل النفس للنفس، والسماء والأرض للباري على قسمين
٣٦٥	١٦٥ - الوجود كله نور، والظلمة تنبعث عن الهولي
٣٦٦	١٦٦ - دفع ما ذكره صاحب الإشراف في جواب من شكك في تجرد النفس
٣٦٦	١٦٧ - عدم وقوف الإسكندر على النشأة المتوسطة بين العالمين في بقاء النفوس الناقصة
٣٦٦	١٦٨ - نارية النفس ونورته
٣٦٦	١٦٩ - تحقيق في النفختين
٣٦٧	١٧٠ - تحقيق في أفعال العباد
٣٦٧	١٧١ - تحقيق في كلام الله
٣٦٧	١٧٢ - البرهان العرشي على تجرد القوة الخيالية
٣٦٨	١٧٣ - تحقيق في معنى التناسخ ووقوعه
٣٦٨	تكملة: في علّة وقوع المسخ
٣٦٨	١٧٤ - إن الوحدة كالوجود في مقومات الوجود العيني
٣٦٩	١٧٥ - إن في الأعيان أشياء يصدق عليه حدّ الهولي والحركة والإضافة
٣٦٩	١٧٦ - العقول إدراكها لذاتها عين وجود ذاتها في الخارج
٣٧٠	١٧٧ - إن علمه تعالى بالأشياء الخارجية نفس صورها الخارجية
٣٧٠	١٧٨ - تهافت الاعتقاد بالصور المرتسمة مع مقالة صاحب «أولوجيا»
٣٧١	١٧٩ - وجود النفس والعقل لكل جسم
٣٧١	١٨٠ - تحقيق في معرفة العرض الذاتي
٣٧٢	١٨١ - تحقيق في معنى الحلول
٣٧٢	١٨٢ - البرهان العرشي على وجود الصور المفارقة من طرق عديدة
٣٧٣	١٨٣ - البرهان العرشي على اتحاد العاقل والمعقول
٣٧٤	تنبيه: في معرفة الحجاب من تلقاء نفس الشخص
٣٧٥	تنبيه ينه على معرفة فناء الدنيا وبقاء الآخرة
٣٧٦	وارد تقديسي: في التكلم وأول كلام قد وقع، وأنواع الكلام
٣٧٨	تأييد عرشي بما قاله الشيخ الكبير في «الفتوحات»
٣٧٩	١٨٤ - توجه جميع الموجودات وحركتها إلى الله
٣٨٠	١٨٥ - تحقيق في الموت الطبيعي

١٨٦ - الحركة الجوهرية في كلام علي عليه السلام ٣٨١

الفوائد

- [فائدة ١]: ردّ الشبهات الإبلسية ٣٨٥
- بيان الشبهات السبع ٣٨٦
- الجواب عن الشبهة الأولى: في الغاية والحكمة عن خلق إبليس ٣٨٨
- الجواب عن الشبهة الثانية: في حكمة التكليف بالمعرفة والطاعة ٣٨٩
- الجواب عن الشبهة الثالثة: في السؤال عن فائدة تكليف إبليس بسجود آدم ٣٨٩
- الجواب عن الشبهة الرابعة: في لمية تعذيب الكفار والمنافقين ٣٩٠
- الجواب عن الشبهة الخامسة: في السؤال عن فائدة تمكين الشيطان من دخول الجنة ٣٩١
- الجواب عن الشبهة السادسة: في السؤال عن وجه الحكمة في تسليط الشيطان على ذرية آدم ٣٩١
- الجواب عن الشبهة السابعة: في السؤال عن الفائدة في إيهال إبليس في الوسوسة ٣٩٢
- [فائدة ٢]: شرح حديث «كنت كنزاً مخفياً» ٣٩٣
- الإشكال الوارد على الحديث ٣٩٤
- الجواب بالوجه الأربع ٣٩٤
- [فائدة ٣]: في بيان التركيب بين المادّة والصورة وارتباطها بقاعدة بسيط الحقيقة ٣٩٥
- [فائدة ٤]: في ذيل آية الأمانة ٣٩٧
- [فائدة ٥]: في المواد الثلاث ٣٩٧

لمية اختصاص الفلك بموضع معين

- الخطبة ٤٠١
- بيان المسألة ٤٠١
- عدم وفاة بيان الجمهورية في حلّ المسألة ٤٠١
- تمهيد أصول ٤٠١
- الأصل الأول: في أنّ أثر الفاعل بالذات في كلّ موجود نحو وجوده الخاص ٤٠٢
- الأصل الثاني: في أنّ تشخص كلّ شيء بوجوده ٤٠٢
- الأصل الثالث: في أنّ لوازم الوجود كالماهية غير معللة ٤٠٢
- بيان الجواب ٤٠٢
- كل سؤال يطلب فيه تعيين الحركة والمنطقة القطبين للفلك وغيره راجع إلى طلب تعيين وجوده ٤٠٣

إيضاح الجواب بمثال وهو العقل الأول ٤٠٣

المزاج

الخطبة ٤٠٧

فصل [١]: في تعريف المزاج وإنيته ٤٠٧

تعريف المزاج ٤٠٧

نقل كلمات الشيخ في لزوم المماسّة في التأثير ٤٠٧

اعتراض الإمام الرازي بوقوع التناقض في كلامي الشيخ ٤٠٨

جواب المصنف عن اعتراضه ٤٠٨

إشكال: في تفاوت التأثير عن مبدأ واحد كالشمس ٤١٠

جواب: بأن الفعل واحد والقابل متعود ٤١١

جواب: بأن الفعل واحد والقابل بوجهين ٤١١

جواب بأن القوة القاسرة معدّ الأفعال فقط ٤١١

الحجج الواردة في الردّ على المشاء ٤١٢

الحجة الأولى: إنّ عدم بقاء الصورة النوعية لا يجمع مع تعريف المزاج وعلته ٤١٢

الحجة الثانية: إنّ احتفاظ العناصر في تحصيل المزاج يحتاج إلى أمر آخر وهو غير معقول ٤١٢

الحجة الثالثة: إنّ تصور الصورة الكمالية للحاصلة للمزاج ينافي بقاء صور العناصر ٤١٣

الحجة الرابعة: إنّ اختلاف أجزاء عناصر المزاج يحتاج إلى أمور خمسة توجب الاختلاف وهو غير

معقول ٤١٣

فصل [٢]: في تيمّة البراهين على عدم حصول العناصر بعد تحصيل المزاج ٤١٤

الحجة الأولى: إنّ ذوب الشيء يوجب عدم بقاء عنصر الماء والهواء فيه ٤١٤

الحجة الثانية: إنّ الياقوت إذا أدخل في النار لها صورة واحدة فقط ٤١٤

فصل [٣]: في ذكر ما قاله الشيخ الرئيس في سدّ الباب ودفعه ٤١٥

الحجة الأولى: في إثبات بقاء العناصر في المزاج ٤١٦

الحجة الثانية: على إثبات بقائها ٤١٦

ردّ صدر المتألهين على الحجة الأولى ٤١٦

ردّ صدر المتألهين على الحجة الثانية بوجهين ٤١٧

فصل [٤]: في تيمّة الاستبصار ودفع ما يمكن إيرادها على ما وقع عليه الاختيار ٤١٨

نقل كلام الشيخ في الإشكال الذي يهدفه ٤١٨

بيان ما استفاده صدر المتألهين من كلامه في الردّ على نفسه ٤١٨

جواب الشيخ عن الإشكال ٤١٨

٤٢٠	ردّ صدر المتألهين على جواب الشيخ
٤٢٠	جواب المحقق الدواني عن الإشكال
٤٢٠	ردّ صدر المتألهين على جوابه
٤٢١	فصل [٥]: في أنّ هذا المذهب غير مستحدث
٤٢١	نقل كلام الشيخ في ردّ انتساب المذهب المستحدث إلى أرسطو
٤٢١	حكومة المصنف بأن الردّ غير وجيه
٤٢٢	فصل [٦]: في إعطاء السبب اللّمي لما ذهبنا إليه إليه أي عدم بقاء العناصر
٤٢٢	كيفية إيجاد المزاج والمواليد تنافي بقاء صور العناصر فيها

تفسير سورة التوحيد

٤٢٩	مقدمة وفيها فوائد
٤٢٩	الفائدة الأولى: في ذكر بعض أسماء هذه السورة
٤٣٠	الفائدة الثانية: في ذكر سبب نزول هذه السورة
٤٣١	الفائدة الثالثة: في بيان مراتب التوحيد
٤٣١	الصور المفروضة في الاعتقاد بالجنان
٤٣٢	الفائدة الرابعة: في بيان أن إثبات التوحيد هل يقبل بالعقل أم لا؟
٤٣٢	معرفة أقسام الدليل
٤٣٢	أقسام المطالب المطلوبة بالدليل
٤٣٣	بيان أن مسألة التوحيد من المسائل التي لا يتوقف ثبوتها على النقل
٤٣٣	بيان بعض الأدلة النقلية في إثبات التوحيد
٤٣٤	الفائدة الخامسة: في كلمة التوحيد والمباحث المتعلقة بها
٤٣٤	بيان كلمة التوحيد وهي «لا إله إلا الله»
٤٣٤	المبحث الأول: في إعراب هذه الكلمة وتحقيق ألفاظها
٤٣٥	المبحث الثاني: فيما يتعلّق بخبر «لا»
٤٣٥	بيان الأنظار المختلفة في هذا الباب
٤٣٦	المبحث الثالث: فيما يتعلّق بكلمة «إلا»
٤٣٦	نقل كلام فاضل بأن «إلا هي هنا بمعنى غير»
٤٣٧	الرد على الفاضل المذكور
٤٣٨	المبحث الرابع: في تحقيق ما هو الحق في هذه الكلمة الشريفة
٤٣٨	إعراب كلمة «الله» و«إله»
٤٣٩	الفائدة السادسة: في وجوب النظر في معرفة الله تعالى

٤٣٩	بيان نظر الأشاعرة والمعتزلة
٤٤٠	بيان وجوب النظر في معرفة الله وصفاته وأفعاله عند المصنف
٤٤١	تفسير آيات السورة
٤٤١	تفسير: «بسم الله الرحمن الرحيم»
٤٤١	تفسير كلمة «باء»
٤٤١	تفسير كلمة «اسم»
٤٤١	تفسير كلمة «الله»
٤٤٣	تفسير كلمة «الرحمن» و«الرحيم»
٤٤٣	بيان منع صرف «رحمان» وعدمه
٤٤٤	تفسير: «قل هو الله أحد»
٤٤٤	تفسير كلمة الخطاب
٤٤٥	تفسير «هو»
٤٤٦	تفسير «أحد»
٤٤٦	الفرق بين الواحد والأحد
٤٤٧	وجه اتصاف الحق بالواحد
٤٤٧	الأدلة العقلية في نفي تركبه تعالى من الأجزاء
٤٤٧	البرهان الأول للغاربي وشرحه
٤٤٨	بيان اعتراض المحقق الدواني عليه
٤٤٨	ردّ اعتراض المحقق الدواني
٤٤٩	البرهان الثاني
٤٥٠	الأدلة العقلية في نفي الشريك عنه تعالى
٤٥٠	البرهان الأوّل
٤٥٠	حكومة المصنّف فيه
٤٥٠	البرهان الثاني
٤٥١	حكومة المصنّف فيه
٤٥١	إشكال على دلالة البرهان
٤٥١	جواب
٤٥٢	البرهان الثالث: ما ذكره الشيخ الرئيس
٤٥٢	البرهان الرابع: ما ذكره الغاربي
٤٥٢	شرح المنصف له

٤٥٣	البرهان الخامس
٤٥٣	شرح المصنف له
٤٥٣	تذييل عرشي في أدلة التوحيد
٤٥٣	إثبات وحدة إله العالم
٤٥٤	إثبات الوحدة من طريق وحدة العالم
٤٥٤	دليل التمانع
٤٥٥	الاعتراض الوارد على تقرير دليل التمانع
٤٥٥	تقرير الدليل بوجهين آخرين
٤٥٥	قدح بعض الناس في دليل التمانع
٤٥٥	الفخر الرازي وأدلة التوحيد
٤٥٦	البرهان الأول والردّ عليه
٤٥٦	البرهان الثاني والردّ عليه
٤٥٦	البرهان الثالث والردّ عليه
٤٥٦	البرهان الرابع والردّ عليه
٤٥٧	تفسير «الله الصمد»
٤٥٧	استدلال المشبهة على جسميته تعالى
٤٥٨	الردّ عليه
٤٥٨	إسناد الصمدية إليه تعالى
٤٥٩	اختلاف السياق يشير إلى بيان التوحيد من جهتين
٤٥٩	السؤالين اللذين نقلها الرازي في تفسير الآيات
٤٥٩	تفسير «لم يلد ولم يولد»
٤٦٠	أدلة تنزيهه تعالى عن الولد والوالد
٤٦٠	الدليل العام على نفي الوالدية والمولودية
٤٦٠	الدليل الخاص على نفي المولودية
٤٦٠	الدليلان الآخران في نفي المولودية
٤٦٠	الدليل الخاص الأول على نفي الولد
٤٦٠	الدليل الخاص الثاني على نفي الولد
٤٦١	تفسير «ولم يكن له كفواً أحد»
٤٦٢	خاتمة وفيها فوائد
٤٦٢	الفائدة الأولى: في إبطال جميع المذاهب الباطلة بهذه السورة

- الفائدة الثانية: أنه تعالى وصف نفسه في هذه السورة بوصفين ٤٦٢
- نفى الكثرة عنه تعالى بأقسام مختلفة ٤٦٢
- نفى الجسمية، التغير، الجوهرية، العرضية، الإمكانية عنه تعالى ٤٦٢
- دفع شبهة ابن كمونة في اشتراك وجوب الوجود بين الواجبين المفروضين ٤٦٣
- إشكال جواب ٤٦٣
- إثبات أسماء الذات له تعالى ٤٦٣

تفسير سورة التوحيد (٢)

- تفسير الباء ٤٦٧
- تفسير «الله» ٤٦٧
- إشكال وجواب في تفسير خلقة السماوات والأرض في ستة أيام ٤٦٨
- تفسير «قل هو الله» ٤٦٨
- تفسير «أحد» وبيان الفرق بين الواحد والأحد ٤٦٨
- تفسير «الله الصمد» ٤٦٩
- تفسير «ولم يكن له كفواً أحد» ٤٦٩
- بيان عدم نفاذ كلمات الله ٤٧٠
- بيان عظمة العالم الربوبي ٤٧٠

رسالة الوجود

- الأقوال في معنى الوجود ٤٧٥
- المذهب الأول للحكماء المتأخرين ٤٧٥
- بيان معنى الموجود ٤٧٥
- المذهب الثاني للمتكلمين ٤٧٥
- المذهب الثالث للصوفية ٤٧٦
- التعابير المختلفة لهذا المذهب ٤٧٦
- ١ - تعبير صدر الدين الشيرازي والشبستري ٤٧٦
- ٢ - تعبير المولوي، السحابي وعبد الرزاق الكاشي ٤٧٧
- ٣ - تعبير البلياني ومحيى الدين العربي ٤٧٧
- ٤ - تعبير الفغاني، الدكني، السيد الداماد والشيخ البهائي ٤٧٧
- معنى وحدة الموجود ٤٧٧
- الإطلاق الأول: ٤٧٨

٤٧٩	الإطلاق الثاني :
٤٧٩	إشارة إلى علم الباري
٤٨٠	وحدة الوجود عند المتأله
٤٨٠	لا ينتزع مفهوم الموجودية عن الماهية
٤٨٠	تحقيق المصنف في هذا المجال
٤٨١	الإشكالان والجوابان
٤٨٣	نقل كلام المحقق الخفري في طريقة الصديقين
٤٨٣	رد المحقق الشيرازي عليه
٤٨٤	نقل كلام فاضل في دورية أدلة إثبات الواجب
٤٨٤	حكومة المصنف في هذا الموقف

